

د. محمد محمد صابني الشنغاني

جواهر الدرر في علم مقارنات السور

رؤية ناصليّة للروابط المضمونيّة واللفظيّة
لمجموعات الأسر القرآنيّة



دار الزكوة

جواهر الدرر
في علم مقارنات السور

جَوَاهِرُ الدِّمَارِ
فِي عِلْمِ مِقَارِنَا السُّوَرِ

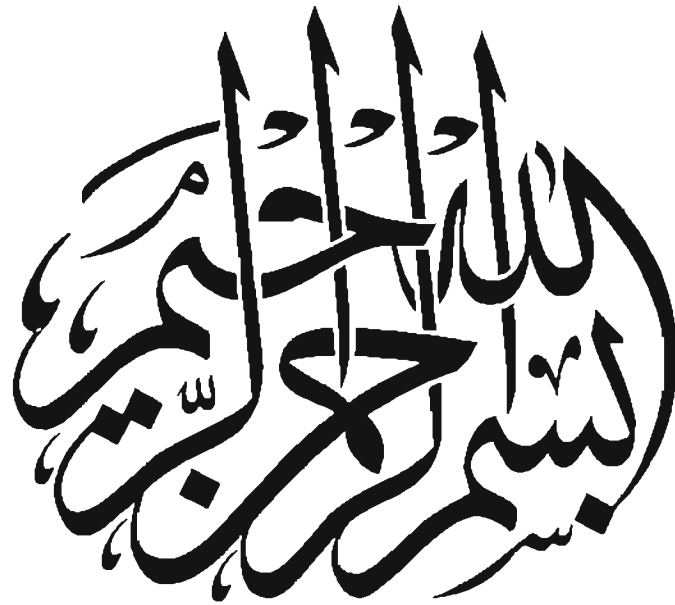
جواهر الدرر في علم المقارنات اللغوية

رؤية ناصليّة للروابط المضمونيّة واللفظيّة
لمجموعات الأسر القرآنيّة

تأليف

د. محمد محمد صافي السنغاني

دار البزك شير



الْقُرْآنُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ
أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾

[الزَّعْدُ : ٣١]

﴿ لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الْحَشْرُ : ٢١]



خطة الكتاب

المقدمة

المدخل : ظاهرة التجاذب اللفظي في نسيج السورة القرآنية

الفصل الأول : السور المتشابهة المطالع

المبحث الأول : سور الحمد لله

المبحث الثاني : سورتا النساء والحج

المبحث الثالث : سور ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : المائدة ،

والحجرات ، والممتحنة

المبحث الرابع : السور المسبّحات

المبحث الخامس : سورتا الفرقان والملك

المبحث السادس : سور ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ : الأحزاب ، والطلاق ،

والتحريم

المبحث السابع : سورتا القيامة والبلد

المبحث الثامن : سورتا المطففين والهمزة

الفصل الثاني : السور المتشابهة القواصل

المبحث الأول : سورتا الإسراء والفرقان

المبحث الثاني : سورتا الكهف والجنّ

جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ



٨

المبحث الثالث: سور طه ، والنجم ، والأعلى ، والليل ،
والضحى .

الفصل الثالث: السُّورُ الْمُفْتَتَحَةُ بِأَنْسَاقٍ تَعْبِيرِيَّةٍ مُتَشَابِهَةٍ

المبحث الأول: أسرة والصفات صفًا ، والذاريات ،
والمرسلات ، والنّازعات

المبحث الثاني: أسرة الحاقة ، والقارعة .

المبحث الثالث: أسرة سُور: الواقعة ، والتكوير ، والانفطار ،
والانشقاق ، والزّلزلة

* * *



المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتتحقق الغايات ،
وتُقضى الحاجات ، وأُصلي وأسلم على المبعوث رحمةً للعالمين ،
وسراجاً منيراً للسائرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والمقتفين آثاره
إلى يوم الدين .

قبل بسط القول في المقاربة التفسيرية التي يتناولها هذا البحث ،
يحسن أن أقدم بين يدي القارئ الكريم نبذة مختصرة عن الجهود
والمقاربات السابقة التي أُجريت في حقل الدراسات القرآنية المتعلقة
بالسورة القرآنية ، والوقوف عند علم المناسبة الذي تردّد كثيراً على
أفواه وكتابات كثير من الباحثين قديماً وحديثاً .

والهدف من هذا المدخل هو تحقيق أمرين :

أولهما إبراز جهود السابقين الذين اجتهدوا في حقل السورة
القرآنية ، وإيضاح المجالات التي بحثوها ، والإضافات التي أنتجتها
قراءتهم وأقلامهم .

وثانيهما : التوصل إلى إيضاح عناصر المقاربة التفسيرية التي
يقدمها هذا البحث .

وسوف أختصر كل كلام أو تحليل فيما هو معروف ومُسلم به لدى
الباحثين في علوم القرآن تفادياً للتكرير والإطالة .

بادئ ذي بدء أقول: أغلب التفسير التي عالجت سور القرآن الكريم وآياته ، منذ بروز اجتهادات كبار التابعين ، مروراً بالإمام ابن جرير الطبري والزمخشري والرازي واليسابوري وابن كثير والقرطبي ، وصولاً إلى علماء العصر الحديث أمثال الألوسي البغدادي وجمال الدين القاسمي وابن عاشور والشيخ الشعراوي وغيرهم ؛ هي أعمال بحثية غني أصحابها - رحمهم الله تعالى - بالتفسير التحليلي الذي يهدف إلى تجلية معاني آيات الذكر الحكيم بشرح ألفاظه ، وسبر معانيها المعجمية والسياقية ، وإعرابها ، ودراسة أبنيتها الصرفية ، وإبراز جمالياتها البلاغية ، والصّور التي تحملها بالانضمام إلى أخواتها في الجملة الواحدة والسياق الواحد ، دون أن ننسى اهتماماتهم في استخراج الأحكام الشرعية من مظانها ، والتّنصيص على التوجيهات الخلقية والتربوية التي تحملها النصوص القرآنية ، وبيان المكي منها والمدني ، مع ذكر أسباب النزول ، وترتيب النزول ، والقضايا الفرعية الأخرى التي يُعنى بها التفسير التحليلي بشكل عام .

وهذا النهج الذي انتهجه علماء التفسير السابقون هو نهج سليم وصحيح ولا غبار عليه ؛ حيث إنه ساعد قديماً ، وهو يساعد حديثاً على فهم نصوص التّزيل ؛ إلا أن الدّراسة الفاحصة لنصوص التّزيل ، والباحثة عن أسرار إعجاز النصّ القرآني ، تُثبت أن ثمة جوانب أخرى تحتاج إلى بيان وتجلية ؛ إذ إن جماليات النصّ القرآني لا تنحصر في شرح المفردات المستعملة ، وإعرابها ، وبيان أبنيتها الصرفية ، وفهم كل جملة على حدة ، واستنباط الأحكام فقط ؛ وإنما ثمة جوانب أخرى كانت تقضّ مضاجع كثير من العلماء ، وتبعد الكرى عن أجفانهم وهم يتدبّرون هذا النصّ المعجز ، وهم يتساءلون: أين يكمن



إعجاز القرآن الكريم؟ أهو في ألفاظه المختارة؟ أم في تراكيبه البديعة؟ أم في صورته الرائعة؟ أم في مطالعه البارعة؟ أم في مقاطعه وخواتيمه الشائقة المائعة؟ أم في ثروته اللغوية الغنية الثرية؟ أم في قدراته التعبيرية الفائقة، التي لا يستطيعها أمي لم يقرأ ولم يكتب طوال حياته؟ فأين يختفي وأين يتجلى هذا الإعجاز العظيم الذي يسيطر على كل قارئ، ويغزو وجدان كل مستمع ومنصت للذكر، ولكن لا تدرك صورته الأذهان بوضوح، ولا تعبر عنه القرائح بإبانة وتبيين، ولا تكتب عنه الأقلام بيسر وانسيابية؟

واستجابة لهذا الهاجس الذي لا يتوقف، غاصت عبقریات كثير من الباحثين في الحقل القرآني تتلمس مواطن الإعجاز، ومن هؤلاء العلماء الأفاضل الأديب اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي في رسالته الموسومة: بيان إعجاز القرآن، واللغوي علي بن عيسى الرّماني في رسالته: النكت في إعجاز القرآن، وعلامة البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني في رسالته الشافية، وكتابه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، والفخر الرازي (محمد بن عمر ت ٦٠٦هـ) الذي أدرك كثيراً من الأسرار والجماليات المتعلقة بالتناسب بين آيات الذكر وسوره في تفسيره الجليل الموسوم بـ (مفاتيح الغيب).

ثم جادت أرض الأندلس المعطاءة بآبن الزبير الغرناطي (أحمد بن إبراهيم ت ٧٠٨هـ)، الذي أفصح وأبان عن كثير من جماليات آي الذكر الحكيم، وأرسى بأبحاثه وكتاباته أركان علم توجيه المتشابه اللفظي في كتابه (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل)، وعلم تناسب السور في كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن).

ثم توالى الكتابات في هذا الشأن ترى تمشي على استحياء إلى

أن قَيِّضَ اللهُ تعالى لعلم المناسبة جهبذاً من جهابذة القرن التاسع الهجري هو الإمام البقاعي (إبراهيم بن عمر ت ٨٨٥هـ) ، الذي فاضت قريحته بكتابه الجليل : (نظم الدرر في تناسق الآيات والسور) الذي صال فيه وجال ، وأتى بالغزير الزائق في المناسبات بين الآيات والسور .

ثم جاء دور الجلال السيوطي (ت ٩١١) ، الذي اقتفى آثار سابقيه فجمع وأحسن تلخيص ما سبق في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) .

ولدى التأمل والبحث في تراث الأقدمين ، يتضح أن دراساتهم تمحورت حول المناسبات بشكل عام : المناسبة بين الآية القرآنية وأختها ، والمناسبة بين السورة وسابقتها في الترتيب ولاحقتها ، والمناسبة التي تربط مطلع السورة بختامها ، والمناسبة بين اسم السورة ومضمونها العام أحياناً ، إلى غير ذلك مما يتعلق بعلم المناسبة ، الذي أوضحه ابن الزبير الغرناطي في كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن) ، وأبرزه الجلال السيوطي في كتابه (تناسق الدرر) .

هذا ، وقد فتح الفخر الرازي باب القول بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، حيث إنه تحدث في معرض تفسيره لسورة فصلت عن الغرض العام للسورة ، حيث ذكر بأنه يتعلق بالقرآن الكريم ؛ فمن مطلعها يواجهنا قوله تعالى : ﴿ حَمْدٌ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ ۝٣ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٤ ۝٥ ۝٦ ۝٧ ۝٨ ۝٩ ۝١٠ ۝١١ ۝١٢ ۝١٣ ۝١٤ ۝١٥ ۝١٦ ۝١٧ ۝١٨ ۝١٩ ۝٢٠ ۝٢١ ۝٢٢ ۝٢٣ ۝٢٤ ۝٢٥ ۝٢٦ ۝٢٧ ۝٢٨ ۝٢٩ ۝٣٠ ۝٣١ ۝٣٢ ۝٣٣ ۝٣٤ ۝٣٥ ۝٣٦ ۝٣٧ ۝٣٨ ۝٣٩ ۝٤٠ ۝٤١ ۝٤٢ ۝٤٣ ۝٤٤ ۝٤٥ ۝٤٦ ۝٤٧ ۝٤٨ ۝٤٩ ۝٥٠ ۝٥١ ۝٥٢ ۝٥٣ ۝٥٤ ۝٥٥ ۝٥٦ ۝٥٧ ۝٥٨ ۝٥٩ ۝٦٠ ۝٦١ ۝٦٢ ۝٦٣ ۝٦٤ ۝٦٥ ۝٦٦ ۝٦٧ ۝٦٨ ۝٦٩ ۝٧٠ ۝٧١ ۝٧٢ ۝٧٣ ۝٧٤ ۝٧٥ ۝٧٦ ۝٧٧ ۝٧٨ ۝٧٩ ۝٨٠ ۝٨١ ۝٨٢ ۝٨٣ ۝٨٤ ۝٨٥ ۝٨٦ ۝٨٧ ۝٨٨ ۝٨٩ ۝٩٠ ۝٩١ ۝٩٢ ۝٩٣ ۝٩٤ ۝٩٥ ۝٩٦ ۝٩٧ ۝٩٨ ۝٩٩ ۝١٠٠ ۝١٠١ ۝١٠٢ ۝١٠٣ ۝١٠٤ ۝١٠٥ ۝١٠٦ ۝١٠٧ ۝١٠٨ ۝١٠٩ ۝١١٠ ۝١١١ ۝١١٢ ۝١١٣ ۝١١٤ ۝١١٥ ۝١١٦ ۝١١٧ ۝١١٨ ۝١١٩ ۝١٢٠ ۝١٢١ ۝١٢٢ ۝١٢٣ ۝١٢٤ ۝١٢٥ ۝١٢٦ ۝١٢٧ ۝١٢٨ ۝١٢٩ ۝١٣٠ ۝١٣١ ۝١٣٢ ۝١٣٣ ۝١٣٤ ۝١٣٥ ۝١٣٦ ۝١٣٧ ۝١٣٨ ۝١٣٩ ۝١٤٠ ۝١٤١ ۝١٤٢ ۝١٤٣ ۝١٤٤ ۝١٤٥ ۝١٤٦ ۝١٤٧ ۝١٤٨ ۝١٤٩ ۝١٥٠ ۝١٥١ ۝١٥٢ ۝١٥٣ ۝١٥٤ ۝١٥٥ ۝١٥٦ ۝١٥٧ ۝١٥٨ ۝١٥٩ ۝١٦٠ ۝١٦١ ۝١٦٢ ۝١٦٣ ۝١٦٤ ۝١٦٥ ۝١٦٦ ۝١٦٧ ۝١٦٨ ۝١٦٩ ۝١٧٠ ۝١٧١ ۝١٧٢ ۝١٧٣ ۝١٧٤ ۝١٧٥ ۝١٧٦ ۝١٧٧ ۝١٧٨ ۝١٧٩ ۝١٨٠ ۝١٨١ ۝١٨٢ ۝١٨٣ ۝١٨٤ ۝١٨٥ ۝١٨٦ ۝١٨٧ ۝١٨٨ ۝١٨٩ ۝١٩٠ ۝١٩١ ۝١٩٢ ۝١٩٣ ۝١٩٤ ۝١٩٥ ۝١٩٦ ۝١٩٧ ۝١٩٨ ۝١٩٩ ۝٢٠٠ ۝٢٠١ ۝٢٠٢ ۝٢٠٣ ۝٢٠٤ ۝٢٠٥ ۝٢٠٦ ۝٢٠٧ ۝٢٠٨ ۝٢٠٩ ۝٢١٠ ۝٢١١ ۝٢١٢ ۝٢١٣ ۝٢١٤ ۝٢١٥ ۝٢١٦ ۝٢١٧ ۝٢١٨ ۝٢١٩ ۝٢٢٠ ۝٢٢١ ۝٢٢٢ ۝٢٢٣ ۝٢٢٤ ۝٢٢٥ ۝٢٢٦ ۝٢٢٧ ۝٢٢٨ ۝٢٢٩ ۝٢٣٠ ۝٢٣١ ۝٢٣٢ ۝٢٣٣ ۝٢٣٤ ۝٢٣٥ ۝٢٣٦ ۝٢٣٧ ۝٢٣٨ ۝٢٣٩ ۝٢٤٠ ۝٢٤١ ۝٢٤٢ ۝٢٤٣ ۝٢٤٤ ۝٢٤٥ ۝٢٤٦ ۝٢٤٧ ۝٢٤٨ ۝٢٤٩ ۝٢٥٠ ۝٢٥١ ۝٢٥٢ ۝٢٥٣ ۝٢٥٤ ۝٢٥٥ ۝٢٥٦ ۝٢٥٧ ۝٢٥٨ ۝٢٥٩ ۝٢٦٠ ۝٢٦١ ۝٢٦٢ ۝٢٦٣ ۝٢٦٤ ۝٢٦٥ ۝٢٦٦ ۝٢٦٧ ۝٢٦٨ ۝٢٦٩ ۝٢٧٠ ۝٢٧١ ۝٢٧٢ ۝٢٧٣ ۝٢٧٤ ۝٢٧٥ ۝٢٧٦ ۝٢٧٧ ۝٢٧٨ ۝٢٧٩ ۝٢٨٠ ۝٢٨١ ۝٢٨٢ ۝٢٨٣ ۝٢٨٤ ۝٢٨٥ ۝٢٨٦ ۝٢٨٧ ۝٢٨٨ ۝٢٨٩ ۝٢٩٠ ۝٢٩١ ۝٢٩٢ ۝٢٩٣ ۝٢٩٤ ۝٢٩٥ ۝٢٩٦ ۝٢٩٧ ۝٢٩٨ ۝٢٩٩ ۝٣٠٠ ۝٣٠١ ۝٣٠٢ ۝٣٠٣ ۝٣٠٤ ۝٣٠٥ ۝٣٠٦ ۝٣٠٧ ۝٣٠٨ ۝٣٠٩ ۝٣١٠ ۝٣١١ ۝٣١٢ ۝٣١٣ ۝٣١٤ ۝٣١٥ ۝٣١٦ ۝٣١٧ ۝٣١٨ ۝٣١٩ ۝٣٢٠ ۝٣٢١ ۝٣٢٢ ۝٣٢٣ ۝٣٢٤ ۝٣٢٥ ۝٣٢٦ ۝٣٢٧ ۝٣٢٨ ۝٣٢٩ ۝٣٣٠ ۝٣٣١ ۝٣٣٢ ۝٣٣٣ ۝٣٣٤ ۝٣٣٥ ۝٣٣٦ ۝٣٣٧ ۝٣٣٨ ۝٣٣٩ ۝٣٤٠ ۝٣٤١ ۝٣٤٢ ۝٣٤٣ ۝٣٤٤ ۝٣٤٥ ۝٣٤٦ ۝٣٤٧ ۝٣٤٨ ۝٣٤٩ ۝٣٥٠ ۝٣٥١ ۝٣٥٢ ۝٣٥٣ ۝٣٥٤ ۝٣٥٥ ۝٣٥٦ ۝٣٥٧ ۝٣٥٨ ۝٣٥٩ ۝٣٦٠ ۝٣٦١ ۝٣٦٢ ۝٣٦٣ ۝٣٦٤ ۝٣٦٥ ۝٣٦٦ ۝٣٦٧ ۝٣٦٨ ۝٣٦٩ ۝٣٧٠ ۝٣٧١ ۝٣٧٢ ۝٣٧٣ ۝٣٧٤ ۝٣٧٥ ۝٣٧٦ ۝٣٧٧ ۝٣٧٨ ۝٣٧٩ ۝٣٨٠ ۝٣٨١ ۝٣٨٢ ۝٣٨٣ ۝٣٨٤ ۝٣٨٥ ۝٣٨٦ ۝٣٨٧ ۝٣٨٨ ۝٣٨٩ ۝٣٩٠ ۝٣٩١ ۝٣٩٢ ۝٣٩٣ ۝٣٩٤ ۝٣٩٥ ۝٣٩٦ ۝٣٩٧ ۝٣٩٨ ۝٣٩٩ ۝٤٠٠ ۝٤٠١ ۝٤٠٢ ۝٤٠٣ ۝٤٠٤ ۝٤٠٥ ۝٤٠٦ ۝٤٠٧ ۝٤٠٨ ۝٤٠٩ ۝٤١٠ ۝٤١١ ۝٤١٢ ۝٤١٣ ۝٤١٤ ۝٤١٥ ۝٤١٦ ۝٤١٧ ۝٤١٨ ۝٤١٩ ۝٤٢٠ ۝٤٢١ ۝٤٢٢ ۝٤٢٣ ۝٤٢٤ ۝٤٢٥ ۝٤٢٦ ۝٤٢٧ ۝٤٢٨ ۝٤٢٩ ۝٤٣٠ ۝٤٣١ ۝٤٣٢ ۝٤٣٣ ۝٤٣٤ ۝٤٣٥ ۝٤٣٦ ۝٤٣٧ ۝٤٣٨ ۝٤٣٩ ۝٤٤٠ ۝٤٤١ ۝٤٤٢ ۝٤٤٣ ۝٤٤٤ ۝٤٤٥ ۝٤٤٦ ۝٤٤٧ ۝٤٤٨ ۝٤٤٩ ۝٤٥٠ ۝٤٥١ ۝٤٥٢ ۝٤٥٣ ۝٤٥٤ ۝٤٥٥ ۝٤٥٦ ۝٤٥٧ ۝٤٥٨ ۝٤٥٩ ۝٤٦٠ ۝٤٦١ ۝٤٦٢ ۝٤٦٣ ۝٤٦٤ ۝٤٦٥ ۝٤٦٦ ۝٤٦٧ ۝٤٦٨ ۝٤٦٩ ۝٤٧٠ ۝٤٧١ ۝٤٧٢ ۝٤٧٣ ۝٤٧٤ ۝٤٧٥ ۝٤٧٦ ۝٤٧٧ ۝٤٧٨ ۝٤٧٩ ۝٤٨٠ ۝٤٨١ ۝٤٨٢ ۝٤٨٣ ۝٤٨٤ ۝٤٨٥ ۝٤٨٦ ۝٤٨٧ ۝٤٨٨ ۝٤٨٩ ۝٤٩٠ ۝٤٩١ ۝٤٩٢ ۝٤٩٣ ۝٤٩٤ ۝٤٩٥ ۝٤٩٦ ۝٤٩٧ ۝٤٩٨ ۝٤٩٩ ۝٥٠٠ ۝٥٠١ ۝٥٠٢ ۝٥٠٣ ۝٥٠٤ ۝٥٠٥ ۝٥٠٦ ۝٥٠٧ ۝٥٠٨ ۝٥٠٩ ۝٥١٠ ۝٥١١ ۝٥١٢ ۝٥١٣ ۝٥١٤ ۝٥١٥ ۝٥١٦ ۝٥١٧ ۝٥١٨ ۝٥١٩ ۝٥٢٠ ۝٥٢١ ۝٥٢٢ ۝٥٢٣ ۝٥٢٤ ۝٥٢٥ ۝٥٢٦ ۝٥٢٧ ۝٥٢٨ ۝٥٢٩ ۝٥٣٠ ۝٥٣١ ۝٥٣٢ ۝٥٣٣ ۝٥٣٤ ۝٥٣٥ ۝٥٣٦ ۝٥٣٧ ۝٥٣٨ ۝٥٣٩ ۝٥٤٠ ۝٥٤١ ۝٥٤٢ ۝٥٤٣ ۝٥٤٤ ۝٥٤٥ ۝٥٤٦ ۝٥٤٧ ۝٥٤٨ ۝٥٤٩ ۝٥٥٠ ۝٥٥١ ۝٥٥٢ ۝٥٥٣ ۝٥٥٤ ۝٥٥٥ ۝٥٥٦ ۝٥٥٧ ۝٥٥٨ ۝٥٥٩ ۝٥٦٠ ۝٥٦١ ۝٥٦٢ ۝٥٦٣ ۝٥٦٤ ۝٥٦٥ ۝٥٦٦ ۝٥٦٧ ۝٥٦٨ ۝٥٦٩ ۝٥٧٠ ۝٥٧١ ۝٥٧٢ ۝٥٧٣ ۝٥٧٤ ۝٥٧٥ ۝٥٧٦ ۝٥٧٧ ۝٥٧٨ ۝٥٧٩ ۝٥٨٠ ۝٥٨١ ۝٥٨٢ ۝٥٨٣ ۝٥٨٤ ۝٥٨٥ ۝٥٨٦ ۝٥٨٧ ۝٥٨٨ ۝٥٨٩ ۝٥٩٠ ۝٥٩١ ۝٥٩٢ ۝٥٩٣ ۝٥٩٤ ۝٥٩٥ ۝٥٩٦ ۝٥٩٧ ۝٥٩٨ ۝٥٩٩ ۝٦٠٠ ۝٦٠١ ۝٦٠٢ ۝٦٠٣ ۝٦٠٤ ۝٦٠٥ ۝٦٠٦ ۝٦٠٧ ۝٦٠٨ ۝٦٠٩ ۝٦١٠ ۝٦١١ ۝٦١٢ ۝٦١٣ ۝٦١٤ ۝٦١٥ ۝٦١٦ ۝٦١٧ ۝٦١٨ ۝٦١٩ ۝٦٢٠ ۝٦٢١ ۝٦٢٢ ۝٦٢٣ ۝٦٢٤ ۝٦٢٥ ۝٦٢٦ ۝٦٢٧ ۝٦٢٨ ۝٦٢٩ ۝٦٣٠ ۝٦٣١ ۝٦٣٢ ۝٦٣٣ ۝٦٣٤ ۝٦٣٥ ۝٦٣٦ ۝٦٣٧ ۝٦٣٨ ۝٦٣٩ ۝٦٤٠ ۝٦٤١ ۝٦٤٢ ۝٦٤٣ ۝٦٤٤ ۝٦٤٥ ۝٦٤٦ ۝٦٤٧ ۝٦٤٨ ۝٦٤٩ ۝٦٥٠ ۝٦٥١ ۝٦٥٢ ۝٦٥٣ ۝٦٥٤ ۝٦٥٥ ۝٦٥٦ ۝٦٥٧ ۝٦٥٨ ۝٦٥٩ ۝٦٦٠ ۝٦٦١ ۝٦٦٢ ۝٦٦٣ ۝٦٦٤ ۝٦٦٥ ۝٦٦٦ ۝٦٦٧ ۝٦٦٨ ۝٦٦٩ ۝٦٧٠ ۝٦٧١ ۝٦٧٢ ۝٦٧٣ ۝٦٧٤ ۝٦٧٥ ۝٦٧٦ ۝٦٧٧ ۝٦٧٨ ۝٦٧٩ ۝٦٨٠ ۝٦٨١ ۝٦٨٢ ۝٦٨٣ ۝٦٨٤ ۝٦٨٥ ۝٦٨٦ ۝٦٨٧ ۝٦٨٨ ۝٦٨٩ ۝٦٩٠ ۝٦٩١ ۝٦٩٢ ۝٦٩٣ ۝٦٩٤ ۝٦٩٥ ۝٦٩٦ ۝٦٩٧ ۝٦٩٨ ۝٦٩٩ ۝٧٠٠ ۝٧٠١ ۝٧٠٢ ۝٧٠٣ ۝٧٠٤ ۝٧٠٥ ۝٧٠٦ ۝٧٠٧ ۝٧٠٨ ۝٧٠٩ ۝٧١٠ ۝٧١١ ۝٧١٢ ۝٧١٣ ۝٧١٤ ۝٧١٥ ۝٧١٦ ۝٧١٧ ۝٧١٨ ۝٧١٩ ۝٧٢٠ ۝٧٢١ ۝٧٢٢ ۝٧٢٣ ۝٧٢٤ ۝٧٢٥ ۝٧٢٦ ۝٧٢٧ ۝٧٢٨ ۝٧٢٩ ۝٧٣٠ ۝٧٣١ ۝٧٣٢ ۝٧٣٣ ۝٧٣٤ ۝٧٣٥ ۝٧٣٦ ۝٧٣٧ ۝٧٣٨ ۝٧٣٩ ۝٧٤٠ ۝٧٤١ ۝٧٤٢ ۝٧٤٣ ۝٧٤٤ ۝٧٤٥ ۝٧٤٦ ۝٧٤٧ ۝٧٤٨ ۝٧٤٩ ۝٧٥٠ ۝٧٥١ ۝٧٥٢ ۝٧٥٣ ۝٧٥٤ ۝٧٥٥ ۝٧٥٦ ۝٧٥٧ ۝٧٥٨ ۝٧٥٩ ۝٧٦٠ ۝٧٦١ ۝٧٦٢ ۝٧٦٣ ۝٧٦٤ ۝٧٦٥ ۝٧٦٦ ۝٧٦٧ ۝٧٦٨ ۝٧٦٩ ۝٧٧٠ ۝٧٧١ ۝٧٧٢ ۝٧٧٣ ۝٧٧٤ ۝٧٧٥ ۝٧٧٦ ۝٧٧٧ ۝٧٧٨ ۝٧٧٩ ۝٧٨٠ ۝٧٨١ ۝٧٨٢ ۝٧٨٣ ۝٧٨٤ ۝٧٨٥ ۝٧٨٦ ۝٧٨٧ ۝٧٨٨ ۝٧٨٩ ۝٧٩٠ ۝٧٩١ ۝٧٩٢ ۝٧٩٣ ۝٧٩٤ ۝٧٩٥ ۝٧٩٦ ۝٧٩٧ ۝٧٩٨ ۝٧٩٩ ۝٨٠٠ ۝٨٠١ ۝٨٠٢ ۝٨٠٣ ۝٨٠٤ ۝٨٠٥ ۝٨٠٦ ۝٨٠٧ ۝٨٠٨ ۝٨٠٩ ۝٨١٠ ۝٨١١ ۝٨١٢ ۝٨١٣ ۝٨١٤ ۝٨١٥ ۝٨١٦ ۝٨١٧ ۝٨١٨ ۝٨١٩ ۝٨٢٠ ۝٨٢١ ۝٨٢٢ ۝٨٢٣ ۝٨٢٤ ۝٨٢٥ ۝٨٢٦ ۝٨٢٧ ۝٨٢٨ ۝٨٢٩ ۝٨٣٠ ۝٨٣١ ۝٨٣٢ ۝٨٣٣ ۝٨٣٤ ۝٨٣٥ ۝٨٣٦ ۝٨٣٧ ۝٨٣٨ ۝٨٣٩ ۝٨٤٠ ۝٨٤١ ۝٨٤٢ ۝٨٤٣ ۝٨٤٤ ۝٨٤٥ ۝٨٤٦ ۝٨٤٧ ۝٨٤٨ ۝٨٤٩ ۝٨٥٠ ۝٨٥١ ۝٨٥٢ ۝٨٥٣ ۝٨٥٤ ۝٨٥٥ ۝٨٥٦ ۝٨٥٧ ۝٨٥٨ ۝٨٥٩ ۝٨٦٠ ۝٨٦١ ۝٨٦٢ ۝٨٦٣ ۝٨٦٤ ۝٨٦٥ ۝٨٦٦ ۝٨٦٧ ۝٨٦٨ ۝٨٦٩ ۝٨٧٠ ۝٨٧١ ۝٨٧٢ ۝٨٧٣ ۝٨٧٤ ۝٨٧٥ ۝٨٧٦ ۝٨٧٧ ۝٨٧٨ ۝٨٧٩ ۝٨٨٠ ۝٨٨١ ۝٨٨٢ ۝٨٨٣ ۝٨٨٤ ۝٨٨٥ ۝٨٨٦ ۝٨٨٧ ۝٨٨٨ ۝٨٨٩ ۝٨٩٠ ۝٨٩١ ۝٨٩٢ ۝٨٩٣ ۝٨٩٤ ۝٨٩٥ ۝٨٩٦ ۝٨٩٧ ۝٨٩٨ ۝٨٩٩ ۝٩٠٠ ۝٩٠١ ۝٩٠٢ ۝٩٠٣ ۝٩٠٤ ۝٩٠٥ ۝٩٠٦ ۝٩٠٧ ۝٩٠٨ ۝٩٠٩ ۝٩١٠ ۝٩١١ ۝٩١٢ ۝٩١٣ ۝٩١٤ ۝٩١٥ ۝٩١٦ ۝٩١٧ ۝٩١٨ ۝٩١٩ ۝٩٢٠ ۝٩٢١ ۝٩٢٢ ۝٩٢٣ ۝٩٢٤ ۝٩٢٥ ۝٩٢٦ ۝٩٢٧ ۝٩٢٨ ۝٩٢٩ ۝٩٣٠ ۝٩٣١ ۝٩٣٢ ۝٩٣٣ ۝٩٣٤ ۝٩٣٥ ۝٩٣٦ ۝٩٣٧ ۝٩٣٨ ۝٩٣٩ ۝٩٤٠ ۝٩٤١ ۝٩٤٢ ۝٩٤٣ ۝٩٤٤ ۝٩٤٥ ۝٩٤٦ ۝٩٤٧ ۝٩٤٨ ۝٩٤٩ ۝٩٥٠ ۝٩٥١ ۝٩٥٢ ۝٩٥٣ ۝٩٥٤ ۝٩٥٥ ۝٩٥٦ ۝٩٥٧ ۝٩٥٨ ۝٩٥٩ ۝٩٦٠ ۝٩٦١ ۝٩٦٢ ۝٩٦٣ ۝٩٦٤ ۝٩٦٥ ۝٩٦٦ ۝٩٦٧ ۝٩٦٨ ۝٩٦٩ ۝٩٧٠ ۝٩٧١ ۝٩٧٢ ۝٩٧٣ ۝٩٧٤ ۝٩٧٥ ۝٩٧٦ ۝٩٧٧ ۝٩٧٨ ۝٩٧٩ ۝٩٨٠ ۝٩٨١ ۝٩٨٢ ۝٩٨٣ ۝٩٨٤ ۝٩٨٥ ۝٩٨٦ ۝٩٨٧ ۝٩٨٨ ۝٩٨٩ ۝٩٩٠ ۝٩٩١ ۝٩٩٢ ۝٩٩٣ ۝٩٩٤ ۝٩٩٥ ۝٩٩٦ ۝٩٩٧ ۝٩٩٨ ۝٩٩٩ ۝١٠٠٠ ۝١٠٠١ ۝١٠٠٢ ۝١٠٠٣ ۝١٠٠٤ ۝١٠٠٥ ۝١٠٠٦ ۝١٠٠٧ ۝١٠٠٨ ۝١٠٠٩ ۝١٠١٠ ۝١٠١١ ۝١٠١٢ ۝١٠١٣ ۝١٠١٤ ۝١٠١٥ ۝١٠١٦ ۝١٠١٧ ۝١٠١٨ ۝١٠١٩ ۝١٠٢٠ ۝١٠٢١ ۝١٠٢٢ ۝١٠٢٣ ۝١٠٢٤ ۝١٠٢٥ ۝١٠٢٦ ۝١٠٢٧ ۝١٠٢٨ ۝١٠٢٩ ۝١٠٣٠ ۝١٠٣١ ۝١٠٣٢ ۝١٠٣٣ ۝١٠٣٤ ۝١٠٣٥ ۝١٠٣٦ ۝١٠٣٧ ۝١٠٣٨ ۝١٠٣٩ ۝١٠٤٠ ۝١٠٤١ ۝١٠٤٢ ۝١٠٤٣ ۝١٠٤٤ ۝١٠٤٥ ۝١٠٤٦ ۝١٠٤٧ ۝١٠٤٨ ۝١٠٤٩ ۝١٠٥٠ ۝١٠٥١ ۝١٠٥٢ ۝١٠٥٣ ۝١٠٥٤ ۝١٠٥٥ ۝١٠٥٦ ۝١٠٥٧ ۝١٠٥٨ ۝١٠٥٩ ۝١٠٦٠ ۝١٠٦١ ۝١٠٦٢ ۝١٠٦٣ ۝١٠٦٤ ۝١٠٦٥ ۝١٠٦٦ ۝١٠٦٧ ۝١٠٦٨ ۝١٠٦٩ ۝١٠٧٠ ۝١٠٧١ ۝١٠٧٢ ۝١٠٧٣ ۝١٠٧٤ ۝١٠٧٥ ۝١٠٧٦ ۝١٠٧٧ ۝١٠٧٨ ۝١٠٧٩ ۝١٠٨٠ ۝١٠٨١ ۝١٠٨٢ ۝١٠٨٣ ۝١٠٨٤ ۝١٠٨٥ ۝١٠٨٦ ۝١٠٨٧ ۝١٠٨٨ ۝١٠٨٩ ۝١٠٩٠ ۝١٠٩١ ۝١٠٩٢ ۝١٠٩٣ ۝١٠٩٤ ۝١٠٩٥ ۝١٠٩٦ ۝١٠٩٧ ۝١٠٩٨ ۝١٠٩٩ ۝١١٠٠ ۝١١٠١ ۝١١٠٢ ۝١١٠٣ ۝١١٠٤ ۝١١٠٥ ۝١١٠٦ ۝١١٠٧ ۝١١٠٨ ۝١١٠٩ ۝١١١٠ ۝١١١١ ۝١١١٢ ۝١١١٣ ۝١١١٤ ۝١١١٥ ۝١١١٦ ۝١١١٧ ۝١١١٨ ۝١١١٩ ۝١١٢٠ ۝١١٢١ ۝١١٢٢ ۝١١٢٣ ۝١١٢٤ ۝١١٢٥ ۝١١٢٦ ۝١١٢٧ ۝١١٢٨ ۝١١٢٩ ۝١١٣٠ ۝١١٣١ ۝١١٣٢ ۝١١٣٣ ۝١١٣٤ ۝١١٣٥ ۝١١٣٦ ۝١١٣٧ ۝١١٣٨ ۝١١٣٩ ۝١١٤٠ ۝١١٤١ ۝١١٤٢ ۝١١٤٣ ۝١١٤٤ ۝١١٤٥ ۝١١٤٦ ۝١١٤٧ ۝١١٤٨ ۝١١٤٩ ۝١١٥٠ ۝١١٥١ ۝١١٥٢ ۝١١٥٣ ۝١١٥٤ ۝١١٥٥ ۝١١٥٦ ۝١١٥٧ ۝١١٥٨ ۝١١٥٩ ۝١١٦٠ ۝١١٦١ ۝١١٦٢ ۝١١٦٣ ۝١١٦٤ ۝١١٦٥ ۝١١٦٦ ۝١١٦٧ ۝١١٦٨ ۝١١٦٩ ۝١١٧٠ ۝١١٧١ ۝١١٧٢ ۝١١٧٣ ۝١١٧٤ ۝١١٧٥ ۝١١٧٦ ۝١١٧٧ ۝١١٧٨ ۝١١٧٩ ۝١١٨٠ ۝١١٨١ ۝١١٨٢ ۝١١٨٣ ۝١١٨٤ ۝١١٨٥ ۝١١٨٦ ۝١١٨٧ ۝١١٨٨ ۝١١٨٩ ۝١١٩٠ ۝١١٩١ ۝١١٩٢ ۝١١٩٣ ۝١١٩٤ ۝١١٩٥ ۝١١٩٦ ۝١١٩٧ ۝١١٩٨ ۝١١٩٩ ۝١٢٠٠ ۝١٢٠١ ۝١٢٠٢ ۝١٢٠٣ ۝١٢٠٤ ۝١٢٠٥ ۝١٢٠٦ ۝١٢٠٧ ۝١٢٠٨ ۝١٢٠٩ ۝١٢١٠ ۝١٢١١ ۝١٢١٢ ۝١٢١٣ ۝١٢١٤ ۝١٢١٥ ۝١٢١٦ ۝١٢١٧ ۝١٢١٨ ۝١٢١٩ ۝١٢٢٠ ۝١٢٢١ ۝١٢٢٢ ۝١٢٢٣ ۝١٢٢٤ ۝١٢٢٥ ۝١٢٢٦ ۝١٢٢٧ ۝١٢٢٨ ۝١٢٢٩ ۝١٢٣٠ ۝١٢٣١ ۝١٢٣٢ ۝١٢٣٣ ۝١٢٣٤ ۝١٢٣٥ ۝١٢٣٦ ۝١٢٣٧ ۝١٢٣٨ ۝١٢٣٩ ۝١٢٤٠ ۝١٢٤١ ۝١٢٤٢ ۝١٢٤٣ ۝١٢٤٤ ۝١٢٤٥ ۝١٢٤٦ ۝١٢٤٧ ۝١٢٤٨ ۝١٢٤٩ ۝١٢٥٠ ۝١٢٥١ ۝١٢٥٢ ۝١٢٥٣ ۝١٢٥٤ ۝١٢٥٥ ۝١٢٥٦ ۝١٢٥٧ ۝١٢٥٨ ۝١٢٥٩ ۝١٢٦٠ ۝١٢٦١ ۝١٢٦٢ ۝١٢٦٣ ۝١٢٦٤ ۝١٢٦٥ ۝١٢٦٦ ۝١



وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ [فصلت: ٤٤] ، وفي وسطها سجل القرآن علاقة المشركين بالوحي المنزل وموقفهم منه : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] .

جاء في (مفاتيح الغيب): «وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة أن المقصود من هذه السورة هو ذكر الأجوبة عن قولهم ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَّ﴾ [فصلت: ٥]؛ فتارة يُنبّه على فساد هذه الطريقة ، وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن ولم يُعرض عنه ، وامتدّ الكلام إلى هذا الموضع من أول السورة على الترتيب الحسن والنظم الكامل ، ثم إنه تعالى ذكر جواباً آخر عن قولهم ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ...﴾ فقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]»^(١) .

يدلنا هذا الحديث أن الفخر الرازي تفتن في وقت مبكر لوحدة موضوع السورة القرآنية ، وهي نظرة فاحصة ودقيقة لم يكن معاصروه من علماء التفسير يابهون بها؛ إلا أن الأمر لم يتجاوز هذا الحد ، ولم يجعل الفخر الرازي هذا الأسلوب ديدنه في تفسيره جميع سور القرآن الكريم ، إذن لوصلنا منه خير كثير في هذا الحقل القرآني الخصب ، وهذا يدل أيضاً على أن المسألة لم تنضج في ذهنه في ذلك الزمن المبكر وهو نهاية القرن الخامس الهجري .

ثم جاء ابن الزبير الغرناطي كما أسلفت ، ولكنه نظر إلى النص القرآني من زاوية توجيه المتشابه اللفظي ، ومن زاوية التناسب بين السور القرآنية ، حيث إنه أبرز في كتابه (البرهان في تناسب سور

(١) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢٧ ، ص ٥٦٩ .



بجاء الدُّرَر في القرآن الكريم

(القرآن) المناسبات التي تربط بين السّورة وسابقتها ولاحقتها ، وتحّدث في الوقت نفسه عن المضامين التي تحملها بعض السّور بشيء من الإيجاز . واستمرّ التّفسير التحليلي في المهيّع ذاته ، وبالأسلوب ذاته إلى أن برز في عالم الكتابة والتّدوين كتاب (نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسّور) ، الذي نادى فيه الإمام البقاعي بأن السّورة القرآنية ذات موضوع واحد ، وبأن آيات السّورة الواحدة يربطها رابط واحد ، وهي كالعقد الذي تتناسق حبّاته ولآله في اتّساق وانسجام ؛ وعلى الرّغم من أن وحدة موضوع السّورة كانت أوضح في ذهنه إلّا أنّه [أي : الإمام البقاعي] لم يلتزم بمنهج الكشف عن الغرض العام للسّورة في بداية تفسير كل سورة ، وإنّما اكتفى بالحديث العام عن السّورة ، وعن أهمّ ما تناولت ، وعن كونها من القرآن المكيّ أو المدني ، وأولى عناية خاصّة بإبراز المناسبات بين الآيات في السّورة الواحدة ، حتى اشتهر أسلوبه في بداية كل فقرة : ولما كان . . . ، ولما كان كذا . . . في الوصل بين الآيات ، وإيجاد الخيوط الدّقيقة التي تقرّب بين معانيها .

واستمرّ الحال على هذه الطريقة في التّفسير إلى أن جاء الشّيخ محمد عبده والشّيخ رشيد رضا اللّذان اتّفقت نظرتهم ، وناديا بأعلى صوتيهما بأن لكل سورة قرآنية غرضها العام الذي تدور حوله المعاني والمضامين الجزئية التي تحفل بها ، والأمر ذاته ينطبق عليهما حيث إنهما بقيا في جانب التّنظير ، ولم ينتقلا إلى التّطبيق العملي لإيجاد الرّوح العام ، الذي يحكم كل سورة فيما درساه من سور القرآن الكريم ابتداء من فاتحة الكتاب إلى سورة هود .

وتأثّر بهذه النظرة بعض علماء مصر الفطاحل أمثال الدكتور محمد عبد الله درّاز ، والشّيخ محمد محمد المدني ، والشّيخ محمود



شلتوت ، وشيخ الأزهر مصطفى المراغي وغيرهم رحمهم الله جميعاً .

والذي تحسن الإشارة إليه أيضاً في هذه المقدمة ، أن الصورة كانت أوضح ما تكون في ذهن الشيخ محمد محمد المدني ، الذي استطاع بتوفيق من الله تعالى ثم بذهنه الثاقب أن يجمع مضامين سورة النساء تحت غرض عام هو تنظيم المجتمع الإسلامي ، حيث إنه كتب كتابه القيم : المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء^(١) .

وهذا السلوك هو عين ما توصلت إليه جهود الباحثين المعاصرين في حقل التفسير الموضوعي ، والذي أصبح اليوم قضية تكاد ترقى إلى المسلمات العلمية ، وهي أن لكل سورة موضوعها العام الذي تنضوي تحت مظلة مواضيع فرعية ، وأن لكل سورة شخصيتها التي تفرّد بها عن سواها ، ولها إيقاعها الصوتي ، وملامحها ومعالمها البارزة التي تميزها وتدلّ عليها .

وما زالت الجهود تتعاقب وتتوالى في حقل التفسير الموضوعي ، الذي غني بالكتابة فيه كثير من أساتذة الجامعات ، ووجهوا طلاب الدراسات العليا للكتابة فيه . ومن شاء مزيداً من البسط في هذا الموضوع فليعدّ إلى مطالعة ما جاء تحت عناوين : التفسير الموضوعي ، وعلم المناسبة ، والوحدة العضوية للسورة القرآنية وما يشاكلها ويقاربها من عناوين .

(١) كتاب المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ، ألفه الشيخ الدكتور محمد محمد المدني ، وطبعته وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام التي يشرف عليها محمد توفيق عويضة . سنة ١٩٦٢م الموافق لـ ١٣٨٢ هـ .



فحوى المقاربة التفسيرية الجديدة:

كل الحديث السابق الذي تمّ تقديمه في إيضاح علم المناسبة بين الآيات والسُّور ، ومن خاض فيه من العلماء قديماً وحديثاً ، لا يتعلّق بشيء ممّا يُرادُ إيضاحه في السُّطور القليلة الآتية .

وقبل الخوض في شرح المقاربة التفسيرية الجديدة أقول :

١ - نوع الإعجاز اللّغوي الذي تُعنى به هذه المقاربة يتعلّق بتشابك المضامين وتقاطع الأثواب اللفظية للسُّور القرآنية التي تنتمي إلى أسرة واحدة؛ فالقرآن الكريم سورُهُ اللهُ العليم الحكيم سُورًا . تطول السُّورة منه فتتجاوز آياتها المائتين ، وتقصُرُ ليكون مقدارها ثلاث آيات مثل سورة الكوثر، وهي في مجملها تنقسم إلى: الطّوال والمئين والمثاني والمفصّل .

٢ - تتميز سُورُ القرآن الكريم بأنّها أُسَرٌ ومجموعات مثل أسرة ﴿الْمَ﴾ المكوّنة من البقرة وآل عمران والعنكبوت والرّوم ولقمان والسّجدة ، وأسرة الحمد لله المكوّنة من الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر ، وأسرة ﴿الرَّ﴾ ، وأسرة الطّواسين ، وأسرة آل حميم ، وأسرة المسبّحات السّبع ، وغيرها من السُّور التي تتشابه مطالعها وتنضوي تحت مظلات خاصّة .

٣ - تبدأ بعض سور القرآن الكريم بأحرف مُقطّعة مثل (ألم ، أَلر ، وكهيعص ، ويس ، وص ، ق) وغيرها ، وهي تسع وعشرون سورة ، وتبدأ خمس وثمانون سورة ، وهي القسم الثاني من القرآن ، بكلام عربيّ مفهوم منسوج على طريقة العرب في تأليف كلامهم .

وهذه المطالع المتنوّعة والمتعدّدة تثير جملة من الأسئلة في ذهن كل قارئ متدبّر في نصوص التّنزيل ، وطريقة تسويره ، منها :



١ - لماذا ثمة سورٌ تتشابه مطالعُها إلى حد التّقاطع أحياناً مثل مَطْلَعِي الشّعراء والقصاص: ﴿طَسَمَ﴾ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾؟ و﴿الرَّتِّلِكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] ، و﴿الْمَدَ﴾ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ [لقمان: ١ - ٢]؟

٢ - لماذا قَسَمَ الله تبارك وتعالى السّور القرآنيّة إلى مجموعات؟

٣ - لماذا تبدأ بعض السّور القرآنيّة بأحرف مقطّعة ، وتبدأ بقيّة السور وهي خمس وثمانون سورة بكلام واضح الألفاظ ظاهر الدّلالة؟

٤ - لماذا ثمة سورٌ تتشابه فواصلُها من البداية إلى النّهاية مثل: سورة الأعلى وسورة الليل؟ وثمة سورٌ أخرى تتعدّد فواصلُها؟

٥ - لماذا ثمة سورٌ تبدأ بنفس الأنساق التّعبيريّة والتّراكيب اللّغويّة من غير أن تتشابه موادّها المعجميّة مثل قوله تعالى: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوًا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَالنَّزْعَتِ غُرْفًا﴾ ، وغيرها من السّور التي تتشابه أنساقها التّعبيريّة في مطالعها ، وتختلف موادّها المعجميّة؟

هذه خمسة أسئلة محوريّة وجيهة ، تُجيبُ هذه المقاربة - بإذن الله تعالى - عن أربعة منها ، ويُجيبُ كتاب «الأساور المُرصّعة في أسرار الأحرف المقطّعة» عن السّؤال الثالث منها.

وتجليّةً للفكرة أقول: إنّهُ من المسلّمات البدهيّة عند أهل العلم بالوحي أنّه ليس ثمة تعبير في القرآن الكريم يُمكن استبدالهُ بنظيره أو مقاربه. ليس ثمة لفظٌ هو حَشْوٌ يُمكن الاستغناء عنه في التّعبير القرآني. ليس ثمة حرفٌ من حروف المعاني أو فعلٌ أو اسم يُمكن استبداله بمقاربه أو نظيره الذي يفيد نفس المعنى في لسان العرب. ليس ثمة أسلوبٌ يُمكن تعويضُهُ بأسلوبٍ مماثل أو مقارب لإفادة



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ الشُّوَرِ

دلالات متقاربة أو متناظرة . هذه مسلّمات - كما أسلفت - لا أحد من العامة يجهلها فضلاً عن أهل العلم والتّخصص . قال جلّ شأنه : ﴿ لَا بَدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ [يونس : ٦٤] ، وقال تبارك اسمه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥] .

قال الإمام ابن عطية الأندلسي شارحاً وجه إعجاز القرآن الكريم وتحديده للفصحاء والبلغاء : « ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل ، والنسيان ، والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً .

فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النظر يبطل قول من قال : « إن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن ، فلما جاء محمد ﷺ صُرفوا عن ذلك وعجزوا عنه » .

.. والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ، ثم تعطي لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامّة فيبدّل فيها ويُنقح ، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل . كتاب الله لو نُزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد . ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن



مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ، وجودة القريحة ، وميّز الكلام»^(١).

وحين يتعلّق الأمر ببدايات السّور القرآنيّة ، لا بدّ للباحث أن يستصحب الطّريقة ذاتها في تحليل نصوص التنزيل وتدبرها ، ودراسة المطالع والتّفكّر فيها. لماذا - مثلاً - تتشابه سورتا الفرقان والملك في مطلعيهما ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي﴾ ، وتختلفان عن مائة واثنتي عشرة سورة أخرى تبدأ ببدايات مغايرة؟ أمّن المعقول أن يكون ذلك من قبيل الصّدّف أو من قبيل التّفنن والإبداع في توظيف اللّغة من دون أن يكون وراء ذلك التّنوع في التعبير حكمة أو قصد؟!

تعالى الله أن يكون في كلامه حرفٌ أتى في غير الموضع اللائق به. تعالى الله العليم الحكيم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السّماء أن يكون في كلامه تكرير لمجرّد التّكرير أو لمجرّد التّفنن. تعالى الله أن يكون في كلامه تعبيران متماثلان أو متقاربان يؤدّيان الدّلالة نفسها من غير زيادة أو نقصان.

إذن ثمة حِكْمٌ وأسرارٌ وراء تشابه المطالع ، وتشابه الفواصل ، وتشابه الأنساق التعبيرية في المطالع. والبحث المتأنّي والتلاوة المتدبّرة تقودان إلى اكتشاف روابط وطيدة ، وأواصر وثيقة ، ووشائج قربي توجد بين السّور المتشابهة المطالع. هناك نسيج لغويّ موحد يجمع سورتي الفرقان والملك ، ويُميّزهما عمّا سواهما من سور القرآن الكريم ، ويجعلهما تنتميان إلى أسرة واحدة كأنّهما أخوان أرضعا من لبان واحد أو توأمان انحدرتا من سلالة واحدة ومن رحم واحدة؛ فهما تشتركان في الثّوب اللفظي ، في الألفاظ المستعملة ،

(١) ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ج ١ ، ص ٥٢.

في أنساق تعبيرية تخصّهما. تلتقيان في بلورة مضامين معرفية متقاربة. تعرضان الموضوعات نفسها. أحيانا تكمل إحداهما الأخرى ، وتارة تُفصل إحداهما ما أوجزته قسيمتها من نفس الأسرة القرآنية ، وطورًا تجيب إحداهما عن سؤال ورد في نظيرتها ، وهذا من ثمرات هذه الطريقة في تناول النص القرآني .

وهذا الكلام لا ينطبق على سورتي الفرقان والملك ، وإنما ينطبق على جميع السور التي تتشابه مطالعها. ولا يسعني في هذا المدخل الممهّد للبحث إلا أن أقرّر هذه الحقيقة التي سيجد القارئ بعد صفحات صدقها ، ويتبين صوابها ، وهي أن جميع السور التي تنتمي إلى أسرة واحدة ، أي: التي تتشابه مطالعها مثل أسرة (الحمد لله) ، وأسرة المسبّحات ، وأسرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ، وأسرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، وأسرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وغيرها ، كلّ أسرة لها مميّزاتها التعبيرية ، ولها وشائجها المضمومية ، ولها أنماطها وأنساقها اللغوية ، ولها قاموسها اللغوي الذي يميّزها. وكل أسرة قرآنية تتمتع بذات الأوصاف التي تميّز بها الأسر البشرية أو الكائنات الحيّة التي تنحدر من السلالة نفسها أو من الأرومة ذاتها.

هل هذا الحديث ينطبق فقط على السور التي تتشابه مطالعها؟ الجواب: لا ، ثمّة اعتبار آخر راعاه البيان القرآني هو السور التي تتشابه فواصلها ، حيث إنّ الدراسة الكاشفة أثبتت أن ثمّة أواصر تجمعها ، وأنساقًا تعبيرية تُوحدها ، وعلاقات تقوم بينها ، وذلك ما سوف نراه ونلمسه في دراسة السور التي تنتهي فواصلها بالألف المقصورة اللينة مثل (طه ، والنجم ، والأعلى ، والليل ، والضحي) ، ومثل أسرة سورتي الكهف والجنّ اللتين تنتهي أغلب فواصل الآيات فيهما بالذال المفتوحة مثل: (أبدًا ، أمدًا ، ملتحدًا) ، أو تنتهي آياتها



بكلمات لها نفس الميزان الصّرفي مثل (عَجَبًا ، شَطَطًا ، رهقًا . . .) وغيرها .

وليست الوشائج والعلاقات الوثيقة بين المضامين والأثواب اللفظية للسّور القرآنية متعلّقة فقط بما سبق ذكره ، وإنّما ثمة أيضًا نوع آخر يتميّز بنفس الميزة ، وهو السّور التي تتشابه الأنساق التعبيرية في مطالعها من دون أن تتشابه موادّها المعجميّة من مثل : سورتي الحاقة والقارعة اللّتين تشتركان في النّسق التعبيري : ﴿ الْحَاقَّةُ ۚ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ۚ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۚ ﴿٣﴾ وَالْقَارِعَةُ ۚ ﴿٤﴾ مَا الْقَارِعَةُ ۚ ﴿٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۚ ﴿٦﴾ وَالسّور التي بدأت بالمطالع القسميّة مثل : ﴿ وَالصّٰفَّٰتِ صَفًّا ۚ ﴿١﴾ وَالذّٰرِیْنَ ذَرَوًا ۚ ﴿٢﴾ وَالْمُرْسَلٰتِ عُرْفًا ۚ ﴿٣﴾ وَالنّٰزِعٰتِ عُقْبًا ۚ ﴿٤﴾ وأمثالها .

هذا ، ولست أروم في هذا البحث أن أستقصي جميع السّور المتشابهة المطالع ، وجميع السّور المتشابهة الفواصل ، وجميع السّور ذات الأنساق التعبيرية المتشابهة في بداياتها بالدراسة والتحليل ؛ فهذا أمر صعب المنال ، وغير ميسور الآن ، وإنّما حسبي في هذا الكتاب الذي أعدّه باكورة البحث في علم المقارنات بين السّور ؛ أن أوصل لهذا النوع من التحليل اللغوي لمجموعات الأسر القرآنية . حسبي أنّي أفتح الباب على مصراعيه أمام الباحثين للولوج في لجة المقارنات بين السّور القرآنية ، وإيجاد العلاقات التي تربطها ، وإيضاح المناسبات التي تجمعها ، والوشائج التي تميّزها عن أخواتها ، والهندسة اللغوية التي تشيّدنها وتبنيها .

وإنّني لعلّى يقين بأنّ النّظر من هذه الزّاوية في السّور القرآنية سيثير قضايا وأسئلة كثيرة تؤدّي إلى مزيد من الفهم لنصوص التنزيل ، وتوطّد الإيمان في قلوب المؤمنين ، وتبرهن بالأدلة القاطعة والحجج



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

السَّاطِعَةُ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمَعْجَزِ الَّذِي لَا تَنْتَهِي غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْفَدُ عَجَائِبُهُ ، وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُوَ بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ الَّتِي لَا تُلْحَقُ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ عَلِيمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ .

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ : كَيْفَ اعْتَبَرْتَ هَذَا النَّوعَ مِنَ التَّحْلِيلِ لِمَطَالَعِ السُّورِ الْقُرْآنِيَةِ وَدِرَاسَةِ أَثْوَابِهَا اللَّفْظِيَّةِ مَنْدَرَجًا تَحْتَ مَسْمَى الْإِعْجَازِ اللَّغْوِيِّ أَوِ الْبَيَانِيِّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؟ أَوْ كَلِّمًا فَكَّرَ مَفَكَّرَ أَوْ كَتَبَ كَاتِبٌ شَيْئًا عَنِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ؛ يُعَدُّ مِنَ الْإِعْجَازِ ؟

وَإِجَابَةُ لِهَذَا السَّائِلِ الْكَرِيمِ أَقُولُ : بِالْمِثَالِ يَتَّضِحُ الْمَقَالُ . هَبْ أَنْ كَاتِبًا مُبْدِعًا يُتَقَنَّ اللُّغَةَ الَّتِي يَكْتُبُ بِهَا ، وَقَدْ أُوتِيَ فَصَاحَةً وَبَيَانًا ، وَلَهُ ثَرْوَةٌ لُغَوِيَّةٌ غَنِيَّةٌ ، وَإِحَاطَةٌ بِنَحْوِ تِلْكَ اللُّغَةِ وَصَرْفُهَا وَقَوَاعِدُهَا التَّعْبِيرِيَّةُ ، هَبْ أَنْ هَذَا الْكَاتِبَ طُلِبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ مَقَالَاتٍ مَتْنَوَّةً فِي جَرِيدَةٍ أَوْ مَجَلَّةٍ ذَاتِ شَأْنٍ يَقْرَأُهَا الْمُثَقَّفُونَ ، وَيَعْتَادُ النِّشْرَ فِيهَا الْعُلَمَاءُ وَالْفَلَسَفَةُ وَالْمَفَكَّرُونَ ؛ فَكْتُبَ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَقَالًا جَيِّدًا ، مَرَّةً حَوْلَ شَبَابِ الْأُمَّةِ ، وَثَانِيَةً حَوْلَ ضَرُورَةِ الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ النَّجَاحِ ، وَثَالِثَةً حَوْلَ النَّشَاطِ الرِّيَاضِيِّ ، وَاسْتَمَرَ فِي كِتَابَةِ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الرَّائِعَةِ طَوَالَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ أَوْ يَزِيدُ . ثُمَّ جِئْنَا نَتَدَبَّرُ وَنَحْلُلُ مَا كَتَبَ هَذَا الْكَاتِبُ الْمَتَمِّيزُ : أَوْ يَسْتَطِيعُ هَذَا الْكَاتِبُ أَنْ يِرَاعِيَ الْمَوَاضِيعَ الَّتِي طُلِبَ مِنْهُ الْكِتَابَةُ فِيهَا ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ يِرَاعِيَ أَنْ تَحْمِلَ مَقَالَاتُهُ بَصِمَاتٍ مُحَدَّدَةً ، وَكُلُّهَا فِي الْمَقَامِ الْأَسْمَى مِنَ التَّعْبِيرِ ، وَيَجْعَلُ كُلَّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَقَالَاتِ تَمَيِّزًا فِي شَكْلِ أُسْرَةٍ تَتَشَابَهُ فِي أَثْوَابِهَا اللَّفْظِيَّةِ ، وَتَتَنَاسَقُ أَسَالِيبُهَا ، وَتَتَعَانَقُ أَلْفَاظُهَا فِي انْسِجَامٍ وَاتِّسَاقٍ ، مُشْكَلَةٌ أُسْرًا وَمَجْمُوعَاتٌ ، لِكُلِّ مَجْمُوعَةٍ رُوحٌ تَتَفَرَّدُ بِهَا ، وَنَسِيجٌ يُوَحِّدُهَا ، وَأَلْفَاظٌ خَاصَّةٌ بِهَا ، وَتَعَابِيرٌ وَأَنْسَاقٌ لَا تَوْجَدُ فِي غَيْرِهَا ؟ أَيْكُونُ مِنْ



تسهل أن يقدم كاتب هذا النوع من الإنتاج الفكري واللغوي؟

.. لا أظن أن أي عاقل أوتيَ مثقال ذرة من عقل أو أوتيَ إثارة من التفكير المنطقي الصحيح يخالفني في قولي: إن هذا المرام صعب ، وإن هذه لعقبة كأداء . وإن هذا المطلب لا يستطيعه بشر محدود القوى . متلفع بدثار التصور البشري . ومتسربل بكساء العجز الإنساني . ومننوف بلحاف النسيان الجيلي ، وتحجبهُ عرائق الزمان والمكان عن أن يحيط علماً بموضوعه الذي يعالجه أو أن يكتب بلغة يستحضر جميع خصائصها ، ويراعي جميع تقنياتها في كتاباته وإبداعاته . إن هذا النوع من الكلام المعجز لا يصدر إلا عن إله وسع كل شيء علماً .

أظن أنك قد علمت الآن ، أخي القارئ الكريم ، أن الزاوية التي ينظر منها هذا البحث في السور القرآنية ليست هي ذات الزوايا التي نظر منها الذين درسوا علم المناسبة بين السور ، والمناسبات بين الآيات على غرار ما فعل الفخر الرازي وابن الزبير الغرناطي والبقاعي ومن اقتنى آثارهم من القدماء والمعاصرين .

إن الدراسات والكتابات السابقة كانت حول المناسبات بين المطالع والخواتيم ، وبين العلاقات التي تربط بين السورة وسابقتها ولاحتتها في الترتيب المصحفي ، ولم تتعرض لدراسة الروابط التي تربط بين السور التي تتشابه مطالعها ، والسور التي تتشابه فواصلها ، والسور التي تتشابه الأنساق التعبيرية في بداياتها . لم تتعرض للهندسة اللفظية التي تميز كل أسرة قرآنية ، ولم تبرز الأثواب اللفظية التي تكسو كل أسرة ، ولم تقف على الخصائص التعبيرية التي تتفرد بها كل أسرة .



إنّ هذا البحث يؤسّس علمًا جديدًا هو علم مقارنات السور ، وهو بحر لا ساحل له ، عميقٌ عُمقُ البيان القرآني الذي صاغته العناية الإلهية على أعلى مستويات الإبداع .

بقي أن أشير إلى أن أتباع هذا المهيع من التحليل والتفكير ، وإبراز الروابط التي تجمع بين السور التي تنتمي إلى أسرة قرآنية واحدة ؛ يُسهم في إثراء الأبحاث المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ، حيث إنّ كثيرًا من الآيات وقف عندها المفسرون وروّوا فيها أقوالاً تصل أحياناً إلى حدّ التّضارب ، ولا يستطيعون التّرجيح بينها . وهنا أقول : إنّ دراسة الأسر القرآنية والنّظر في الصورة الكبيرة للمجموعات يؤدّي في نهاية البحث إلى ترجيح بعض الأقوال التي طالما ذكرها العلماء ووقفوا متوجّسين : هل يرجّحون هذا القول أم ذاك ، ولماذا؟ وما المرجّح الذي يُسوِّغ هذا الفهم ويجعله هو المراد أو الأقرب إلى الصّواب؟

بل إنّ تطبيق هذه الطّريقة في تحليل النّصوص ودراستها يجيب عن أسئلة مُحيّرة جاءت في بعض السور القرآنية ، ومَرّت عليها الأذهان سنين طويلة بل قرونًا متطاولة ولم تنتبه إلى الإجابة عنها ، وهذا سرّ القرآن الذي لا تنتهي عجائبه ، ومن خلال قراءة الفصول القادمة ستبيّن صحّة هذا الكلام .

ولا أبالغ إذا قلت : إنّ هذا المنهج في تحليل النّصوص والسور القرآنية ، سيفتح أبواباً من التفكير لدى الأجيال التي ستأتي بعدنا ، وسيُغدق القرآن الكريم عليها عطاءاته التي لا تنتهي ، ويُفيض عليها من أسرارها التي لا تنفذ ؛ لأنّ لكل عصر صولاته وجولاته ، ولكل زمن تقنياته ووسائله ، ولكل جيل مبتكراته ومخترعاته وأساليبه التي



يقرأ بها هذا النص المعجز .

ولتسهيل شرح هذه المقاربة ، وبسط الحديث فيها قسمت هذا البحث إلى : مدخل تحدث فيه عن ملمح التجاذب اللفظي الذي تتميز به كل سورة قرآنية ، ثم خصّصت الفصل الأول للحديث عن السور المتشابهة المطالع ، والفصل الثاني للحديث عن السور المتشابهة الفواصل ، والفصل الثالث للسور المتشابهة الأنساق التعبيرية في بداياتها .

ثم لخصت نتائج هذه الطريقة من التحليل والقراءة للنص القرآني **بخاتمة** موجزة تفتح أبواب البحث أمام الباحثين المعاصرين واللاحقين .

والله أسأل أن يوفقنا لما يُحبّه ويرضاه ، ويسدّد خطانا في دراسة نصوص التنزيل ، والوقوف على كثير من أسرارهِ وجواهرهِ وآلائهِ ، وأسأله جل ثناؤه أن يمدّنا جميعاً بالصدق والإخلاص في خدمة كتابه الجليل ، آمين .

* * *



كشف ترتيب نزول سور القرآن الكريم في مكة المكرمة والمدينة المنورة

قال مجد الدين الفيروز آبادي رحمه الله: «اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ أَوَّلَ السُّورِ الْمَكِّيَّةِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، ثُمَّ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، ثُمَّ سُورَةُ الْمَزْمَلِ، ثُمَّ سُورَةُ الْمَدَّثَرِ، ثُمَّ سُورَةُ تَبَّتْ، ثُمَّ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، ثُمَّ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، ثُمَّ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، ثُمَّ وَالْفَجْرِ، ثُمَّ وَالضُّحَى، ثُمَّ أَلَمْ نَشْرَحْ، وَزَعَمَتِ الشَّيْعَةُ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ، ثُمَّ وَالْعَصْرِ، ثُمَّ وَالْعَادِيَّاتِ، ثُمَّ الْكَوْثَرِ، ثُمَّ أَلْهَآكُم، ثُمَّ أَرَأَيْتَ، (ثُمَّ الْكَافِرُونَ)، ثُمَّ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ، ثُمَّ الْفَلَقِ، ثُمَّ النَّاسِ، ثُمَّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ثُمَّ وَالنَّجْمِ، ثُمَّ عَبَسَ، ثُمَّ الْقَدَرِ، ثُمَّ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، ثُمَّ الْبُرُوجِ، ثُمَّ وَاللَّيْلِ، ثُمَّ لِإِيلَافِ، ثُمَّ الْقَارِعَةِ، ثُمَّ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ وَئِيلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، ثُمَّ وَالْمُرْسَلَاتِ، ثُمَّ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، ثُمَّ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، ثُمَّ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، ثُمَّ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، ثُمَّ ص، ثُمَّ الْأَعْرَافِ، ثُمَّ قُلْ أُوحِيَ، ثُمَّ يَس، ثُمَّ الْفِرْقَانِ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ مَرْيَمَ، ثُمَّ طه، ثُمَّ الْوَاقِعَةِ، ثُمَّ الشَّعْرَاءِ، ثُمَّ النَّمْلِ، ثُمَّ الْقَصَصِ، ثُمَّ بَنِي إِسْرَآئِيلَ، ثُمَّ يُونُسَ، ثُمَّ هُودَ، ثُمَّ يُوسُفَ، ثُمَّ الْحَجَرِ، ثُمَّ الْأَنْعَامِ، ثُمَّ الصَّافَّاتِ، ثُمَّ لِقْمَانَ، ثُمَّ سَبَأَ، (ثُمَّ الزَّمَرِ)، ثُمَّ الْمُؤْمِنِ، ثُمَّ (حَمَّ السَّجْدَةِ)، ثُمَّ (حَمَّ عِسْقٍ)، ثُمَّ الزَّخْرَفِ، ثُمَّ الدُّخَانِ، ثُمَّ الْجَاثِيَةِ، ثُمَّ الْأَحْقَافِ، ثُمَّ الذَّارِيَّاتِ، ثُمَّ الْغَاشِيَةِ، ثُمَّ الْكَهْفِ، ثُمَّ النَّحْلِ، ثُمَّ سُورَةُ نُوحٍ، ثُمَّ سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ (الْمِ السَّجْدَةِ)، ثُمَّ الطَّوْرِ، ثُمَّ



(تبارك الملك) ، ثم الحاقة ، ثم سأل سائل ، ثم عمّ يتساءلون ، ثم النازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الرّوم ، ثم العنكبوت ، ثم المطففين . فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة^(١) .

وذكر هذا الترتيب بتمامه الزركشي رحمه الله في «البرهان في علوم القرآن» (١/ ١٩٣ - ١٩٤) إلا أنه قال آخره بعد ذكر سورة الروم: «وَاخْتَلَفُوا فِي آخِرِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعَنْكَبُوتُ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَعَطَاءُ: الْمُؤْمِنُونَ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَيُلْ لِلْمُطَفِّفِينَ . فَهَذَا تَرْتِيبُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ ، وَعَلَيْهِ اسْتَقَرَّتِ الرَّوَايَةُ مِنَ الثَّقَاتِ ، وَهِيَ خَمْسٌ وَثَمَانُونَ سُورَةً .

أما السور المدنية: فذكروا أن أول ما نزل بالمدينة: سورة البقرة ، ثم سورة الأنفال ، ثم سورة آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم سورة محمد ﷺ ، ثم الزعد ، ثم الرحمن ، ثم هل أتى على الإنسان ، ثم الطلاق ، ثم لم يكن ، ثم الحشر ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الصف ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، ثم المائدة .

قال الفيروز آبادي رحمه الله: «فهذه جملة ما نزل بالمدينة . ولم نذكر الفاتحة لأنه مختلف فيها: قيل أنزلت بمكة ، وقيل بالمدينة؛ وقيل بكل مرة»^(٢) .

(١) الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز ، ج ١ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز ، ج ١ ، ص ٩٩ .



جدول ترتيب السُّور حسب النزول وفق ما جاء في الرواية السابقة

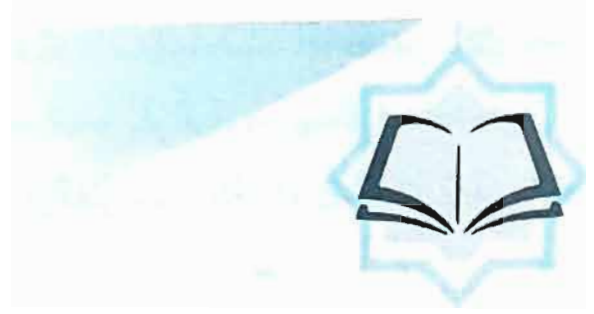
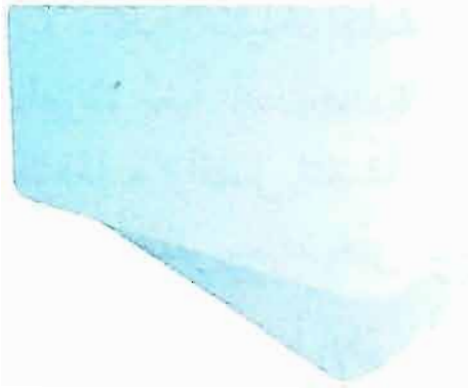
العلق	١	العلق	٢٠	الفلق
القلم	٢	القلم	٢١	الناس
المزمل	٣	المزمل	٢٢	الإخلاص
المدثر	٤	المدثر	٢٣	النجم
الفاتحة	٥	الفاتحة	٢٤	عبس
المسد	٦	المسد	٢٥	القدر
التكوير	٧	التكوير	٢٦	الشمس
الأعلى	٨	الأعلى	٢٧	البروج
الليل	٩	الليل	٢٨	التين
الفجر	١٠	الفجر	٢٩	قريش
الضحى	١١	الضحى	٣٠	القارعة
الشرح	١٢	الشرح	٣١	القيامة
العصر	١٣	العصر	٣٢	الهمزة
العاديات	١٤	العاديات	٣٣	المرسلات
الكوثر	١٥	الكوثر	٣٤	ق
التكاثر	١٦	التكاثر	٣٥	البلد
الماعون	١٧	الماعون	٣٦	الطارق
الكافرون	١٨	الكافرون	٣٧	القمر
الفيل	١٩	الفيل	٣٨	ص



الزمر	٥٩	الأعراف	٣٩
المؤمن	٦٠	الجن	٤٠
فصلت	٦١	يس	٤١
الشورى	٦٢	الفرقان	٤٢
الزخرف	٦٣	فاطر	٤٣
الدخان	٦٤	مريم	٤٤
الجاثية	٦٥	طه	٤٥
الأحقاف	٦٦	الواقعة	٤٦
الذاريات	٦٧	الشعراء	٤٧
الغاشية	٦٨	النمل	٤٨
الكهف	٦٩	القصص	٤٩
النحل	٧٠	الإسراء	٥٠
نوح	٧١	يونس	٥١
إبراهيم	٧٢	هود	٥٢
الأنبياء	٧٣	يوسف	٥٣
المؤمنون	٧٤	الحجر	٥٤
السجدة	٧٥	الأنعام	٥٥
الطور	٧٦	الصفات	٥٦
الملك	٧٧	لقمان	٥٧
الحاقة	٧٨	سبا	٥٨



المعارج	٧٩	الرحمن	٩٧
النبأ	٨٠	الإنسان	٩٨
النازعات	٨١	الطلاق	٩٩
الانفطار	٨٢	البيّنة	١٠٠
الانشقاق	٨٣	الحشر	١٠١
الروم	٨٤	النصر	١٠٢
العنكبوت	٨٥	النور	١٠٣
المطففين	٨٦	الحج	١٠٤
البقرة	٨٧	المنافقون	١٠٥
الأنفال	٨٨	المجادلة	١٠٦
آل عمران	٨٩	الحجرات	١٠٧
الأحزاب	٩٠	التحریم	١٠٨
الممتحنة	٩١	الجمعة	١٠٩
النساء	٩٢	التغابن	١١٠
الزلزلة	٩٣	الصف	١١١
الحديد	٩٤	الفتح	١١٢
محمد (القتال)	٩٥	التوبة	١١٣
الرعد	٩٦	المائدة	١١٤



المداخل

مَلَمَحُ التَّجَاذُبِ اللَّفْظِيِّ فِي السُّورَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

يَتَمَيَّزُ التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ بِمَلَامِحَ وَسَمَاتٍ تَعْبِيرِيَّةٍ خَاصَّةٍ تَجْعَلُهُ يُتَفَرَّدُ مُتَسَامِيًا عَلَى جَمِيعِ الْأَصْنَافِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْأَجْنَاسِ التَّعْبِيرِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ لَدَى قُرَّاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَكُتَّابِهَا ، وَلَا غَرْوَ فِي ذَلِكَ وَلَا عَجَبَ فَهُوَ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا . وَالْمَلَمَحُ الَّذِي تَتَنَاوَلُهُ هَذِهِ الْمَقَارِبَةُ الْبَحْثِيَّةُ هُوَ مَلَمَحُ التَّجَاذُبِ اللَّفْظِيِّ فِي السُّورَةِ الْقُرْآنِيَّةِ .

قَدْ يَتَبَادَرُ إِلَى ذَهْنِ الْقَارِئِ بَادِئُ ذِي بَدْءٍ أَنَّهُ مَوْضُوعٌ قَرِيبٌ مِمَّا تَنَاوَلَتْهُ أَقْلَامُ بَاحِثِينَ سَابِقِينَ تَحْتَ مُسَمَّيَّاتِ الْإِخْتِيَارِ اللَّفْظِيِّ ، أَوْ جُودَةِ انْتِقَاءِ الْمَفْرَدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، أَوْ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ مِنْ عَنَاوِينَ قَرِيبَةٍ مِنْ هَذَا التَّعْبِيرِ ، وَلَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ ذَاكَ ، إِذْ إِنَّهُ يَتَمَازُ عَنْهَا ، وَيَتَفَرَّدُ بِانْطِلَاقِهِ مِنْ رُؤْيَا جَدِيدَةٍ فِي دَرَاثَةِ الثُّوبِ اللَّفْظِيِّ لِلْسُّورَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

وَتَجَلِيَّةٌ لِمَوْضُوعِ الْبَحْثِ أَقُولُ: لَيْسَ الْمُرَادُ بَيَانُ جُودَةِ انْتِقَاءِ الْكَلِمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَمِنْ حَيْثُ تَنَاسُقِهَا مَعَ أَخَوَاتِهَا فِي السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ ، فَهَذَا مَوْضُوعٌ تَنَاوَلَهُ الْقَدَامَى وَالْمُحَدَّثُونَ فِي كُتَابَاتِهِمْ ، وَقَرَّرَهُ نَحَارِيرُ التَّفْسِيرِ وَجِهَابُذَةُ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَسْفَارِهِمْ ، وَمُفَادُ قَوْلِهِمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَنَّ الْكَلِمَةَ الْقُرْآنِيَّةَ دَقِيقَةٌ فِي بَابِهَا ، مُفَعَّمَةٌ بِالذَّلَالَاتِ وَالْإِيحَاءَاتِ فِي سِيَاقِهَا ،



جواهر الدرر في علم مقارن القرآن

ولا يمكن استبدال كلمة بأختها ، ولو أن الباحث المجتهد أدار لسان العرب بُغية أن يجد كلمة تُعَوِّضُ كلمة قرآنية ، وتكون أحسن منها موقعاً ، وأفضل تناسقاً مع السياق والموضوع الذي جاءت تُعَبِّرُ عنه ؛ ما هو بظافر ببغيته حتى يلج الجمل في سم الخياط .

قال الراغب الأصفهاني متحدّثاً عن المفردة القرآنية ومناسبتها لموضعها الذي وردت فيه : «ألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتمادُ الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مَفَزُعُ حُذَاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم . وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها ، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة»^(١) .

وفي المعنى ذاته ، قال ابن عطية الأندلسي : «ووجه إعجازه : أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام كلّ علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن عِلْمٌ بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قطّ محيطاً ؛ فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النظر يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن ، فلما جاء محمد ﷺ صُرفوا عن ذلك وعجزوا عنه . والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قطّ في قدرة أحد من المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة

(١) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب

القرآن ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، دت ، ص ٤ .



أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ، ثم لا يزال ينقحها حولًا كاملاً ، ثم تعطى لآخر بعده فيأخذها بقريحة جامّة فيبدّل فيها وينقح ، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل ، وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أُديرَ لسانُ العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد^(١) .

وقبل إيضاح معالم هذا الملمح ، أُشيرُ - كما أسلفت - إلى أنّه لا يتعلّق بالاختيارات اللفظيّة في القرآن الكريم وجودة انتقائها فقط ، وإنّما يتعلّق بالعلاقات التي تربط بين الألفاظ المستعملة في التعبير القرآني في السياق الواحد والسورة الواحدة .

ولتحقيق هذا الغرض توّسّلت بهذه **المقدمة** الموضحة لموضوع البحث ، ثم خصّصت **المطلب الأول** من هذه المقاربة لرؤية في المصطلح ، و**المطلب الثاني** لدراسة ملمح التجاذب اللفظي للمادة المعجميّة الواحدة ، و**المطلب الثالث** لدراسة ملمح التجاذب اللفظي للموادّ المعجميّة المتقاربة ، و**المطلب الرابع** لبيان دور ملمح التجاذب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ، ثم أنهيت هذه المطالب **بخاتمة** ملخّصة لملمح التجاذب اللفظي في السورة القرآنيّة بشكل عام ، والله الموفق .

* * *

(١) ابن عطية الأندلسي ، عبد الحق بن غالب ت ٥٤٢هـ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ، ج ١ ، ص



المطلب الأول رؤية في المصطلح

مصطلح المصاحبات اللغوية:

يدور على ألسنة الباحثين والنقاد في الكتابات اللغوية والأدبية المعاصرة مصطلح «المصاحبات اللغوية»، ويُقصد بهذا المصطلح ظاهرة تكرّر اصطحاب كلمات مع كلمات أخرى في سياقٍ محدّد، وعند تكرّر هذه الظاهرة في مواضيع وأساليب متنوعة ترتبطان في ذهن المتلقّي ارتباطاً شرطياً، إذ يُصبح ينتظر سماع اللفظة الثانية بمجرد سماعه للفظّة الأولى. ومن التعريفات لهذه الظاهرة اللغوية: «الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة دون غيرها»^(١).

وبما أنّ هذه الظاهرة تتعلّق بمفردات تنحدر من موادّ معجميّة مختلفة؛ فإنّ هذا المصطلح لا يتعلّق بما نحن بصدد تحريره في هذا البحث.

مصطلح التجاذب اللفظي:

التّجاذبُ لغةً من «جذب الشّيء يجذّبه جذباً وجبذه، على القلب، واجتذبه إذا مدّه، وعن سيبويه: جذبته: حوّله عن موضعه، واجتذبه: استلبه، وجاذبته الشّيء: نازعته إيّاه»^(٢).

(١) ينظر: «علم الدلالة»، د. أحمد مختار عمر ص ٧٤، و«وصف اللغة العربية دلائلياً»، د. محمد يونس ص ١٠٣، و«التحليل الدلالي لإجراءاته ومناهجه»، د. كريم زكي حسام الدين، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٣٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة جذب.



وجاء في أساس البلاغة: «تجاذبوا أطراف الكلام ، وكانت بينهم مُجاذباتٌ ثم اتفقوا»^(١).

وقد جنحتُ إلى اختيار مصطلح **التَّجاذب** لسببين :

أولهما: قصورُ مصطلح «المصاحبات اللفظية» عن التعبير عن الظاهرة المراد الحديث عنها؛ حيثُ إنَّ المصاحبات اللفظية أو المتلازمات اللفظية كما يُسمِّيها آخرون ، تُطلقُ على أنواع من العلاقات التي تربطُ بين الألفاظ؛ فهو ينطبقُ على الألفاظ المترادفة المتقاربة ، والألفاظ التي بينها تطابقٌ في المعنى ، أو بينها تقابل ، أو يجمعها السياقُ اللغويُّ المعتادُ بين الناس ، أو العهدُ الذهنيُّ بين المتخاطبين ، وغيرها.

أمَّا مصطلحُ التَّجاذب فاعني به تجاذب الألفاظ المنبثقة من معينٍ لغويٍّ واحد ، أي: الألفاظ التي تكون مشتقةً من مادةٍ مُعجميةٍ واحدة ، وقد تتحد أو تختلف صيغها مثل: عالم ، وعلام ، وعليم ، وعلامة ، ومعلم ، وما انحدر من جذر مادة (علم) ، ثم تكون مستعملةً في سياقٍ واحد أو سورةٍ بعينها متناغمةً مع محورها الرئيس ، ومنسجمةً مع جوّها العام ، وخصائصها اللفظية الأخرى ، ونعني به أيضا تجاذب المواد اللفظية التي تنتمي إلى حقل دلاليه واحد مثل الغرام والتدمير والتبشير والإمطار والإغراق في سورة الفرقان.

وثانيهما: أنَّ مادة (جذب) أدلُّ على المعنى المراد التعبير عنه في الأسلوب القرآني ، حيثُ يجدُّ القارئ المتدبر تجاذبًا فعليًا بين الألفاظ

(١) الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، مادة جذب.



التي تصدر من معينٍ مُعجميٍّ واحد .

تحسنُ الإشارةُ إلى أنَّ ملمح التجاذب اللفظي ، تأتي أهميته أيضًا من جهتين :

أولاً: من كونه وسيلةً لتوجيه كثيرٍ من مسائل المتشابه اللفظي التي وردت في الذكر الحكيم ، ووقف عندها الباحثون ملياً قديماً وحديثاً مُتدبرين ومتأملين .

وثانياً: من كونه يُساعدُ في إيضاح الثوب اللفظي للسورة ، وأيقوناتها اللفظية التي تَرَدَّدُ فيها ، وتصيغها بصيغتها التي يعرفها بها القراء والمستمعون .

* * *



المطلب الثاني

التجاذب اللفظي للمادة المعجمية الواحدة

وفيما يأتي جملةٌ من الأمثلة المتنوعة على تجاذب المادة المعجمية الواحدة في السّورة الواحدة ، وبيان لأهميّة هذا الملمح في تجلية مضامين النّصوص القرآنيّة ودلالات الألفاظ في السّياق الواحد:

المثال الأوّل: الجار والمجرور (على آثار):

ورد التعبيرُ بالجار والمجرور (على آثار) في سورة الكهف في معرض توجيه نبينا محمد ﷺ بالألا يُهْلِكَ نفسه على آثار قومه إن لم يؤمنوا بالقرآن الكريم؛ فليس يُطلَبُ منه تحقيقُ النتائج وإدراكها ، وإنّما هو مُكَلَّفٌ بالتبليغ ، والله خالقُ الخلق هو وحده الذي يهدي من يشاء ، ويضلُّ من يشاء وَفَقَ حُكْمَتَهُ وَمَشِئَتَهُ . قال جلّ شأنه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بِخَيْغِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

ومنطوق الآية أنّ الله تبارك وتعالى شبه نبيه محمّداً ﷺ وقومه «حين تولّوا عنه ولم يؤمنوا به ، وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم ، برجلٍ فارقه أحبُّهُ وأعزُّهُ فهو يتساقطُ حشراتٍ على آثارهم ، ويبخعُ نفسه وجداً عليهم ، وتلهفاً على فراقهم»^(١).

والملاحظُ هو استعمال شبه جملة (على آثارهم) بمعنى: المشي على خطاهم ، واقتفاء آثارهم أسفاً وتحسُّراً عليهم.

في الوقت ذاته ، جاء هذا التعبير عينه في سورة الكهف ذاتها قبيل

(١) الزمخشري ، محمود جار الله ، الكشّاف عن حقائق غوامض التّزويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٣ ، ص ٧٠٣.



نهايتها في سياق الحديث عن موسى عليه السلام وفتاه ، حين طلب منه موسى عليه السلام أن يُحْضِرَ الطَّعَامَ لهما ، فتذكر الفتى بعد نسيان ، وقال : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣] ، ثم جاء الوصف القرآني لعودتهما : ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ٦١ فوجدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٤ - ٦٥] .

والذي يعنينا في هذا الوصف قوله تعالى : ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا ﴾ ، ما معنى هذا التعبير في هذا السياق؟ ولماذا هذا الاختيار؟

قال الإمام البيضاوي : ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا ﴾ : فرجعا في الطريق الذي جاء فيه ، ﴿ قَصَصًا ﴾ : يَقْصَان قَصَصًا ، أي : يَتَّبِعَان آثَارَهُمَا اتِّبَاعًا أَوْ مُقْتَضِينَ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ ^(١) ، وأوضح الشهاب الخفاجي ذلك في حاشيته قائلا : « فرجعا هو معنى ارتدَّا ، والذي جاء فيه يُعْلَمُ منه كونه على أثر الأول » ^(٢) .

من المؤكَّد أنَّ هذا التعبير جاء مناسبًا للمعنى المراد ، وهو تعبيرٌ عربيٌّ فصيحٌ معهودٌ استعمالُهُ لدى العرب الفصحاء في كلامهم ومخاطباتهم ، ولكنَّ السؤال الذي يتبادرُ إلى ذهن كل متدبِّر في الذكر الحكيم : لماذا تكررَ توظيف هذا التعبير (على آثار) مرتين في السورة ذاتها، مرَّة في بدايتها (الكهف: ٦) ، ومرَّة في نهايتها (الكهف: ٦٤) ،

(١) البيضاوي ، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

(٢) الشهاب الخفاجي ، أحمد بن محمد بن عمر ، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٦ ، ص ١١٩ .



علمًا أننا لا نجد حضورًا لهذا التعبير في سورة الإسراء قبلها ، ولا في سورة مريم بعدها مثلًا؟ علمًا أن هذا التعبير (على آثار) تكرر في القرآن الكريم كله ٧ مرّات (المائدة: ٤٦) ، (الكهف: ٦) ، (الكهف: ٦٤) ، (الصافات: ٧٠) ، (الزخرف: ٢٢) ، (الزخرف: ٢٣) ، (الحديد: ٢٧) .

أقول: إن هذا التوظيف يدلُّ على القصد ، ويدلُّ على ظاهرة التجاذب اللفظي في البيان القرآني ، وأنَّ الله تبارك وتعالى اختار أن يصبغ ثوب سورة الكهف بهذا التعبير دون سواءٍ مما يُرادُّه أو يُقارِبُه .

المثال الثاني: مادة (ردد):

وإذا جئنا إلى الفعل (ارتدا) المنحدر من المادة المعجمية (ردد) ، نجد أنه في الآية السابقة الذكر جاء متوافقًا ومُنسجمًا مع الثوب اللفظي للسورة أيضا ، حيث لم يقل (فرجعا على آثارهما...) ، وإنما قال ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾ ؛ ذلك لأنَّ هذه المادة المعجمية لها حضورٌ واضحٌ ومقصودٌ في مواضع من سورة الكهف ، فقد جاء على لسان ذي القرنين متحدثًا عن الذي ظلم ، والظلم هنا بمعنى الكفر ، بأنه يُردُّ إلى ربه فيُعَذِّبُه عذابًا نكرًا فظيعًا: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ [الكهف: ٨٧] .

والتعبير ذاته تكرر على لسان صاحب الجنتين الذي قاده غروره واعتزازه بجنتيه إلى إنكار الساعة ، وادّعى أنه على فرض قيام الساعة فإنَّ ماله فيها سيكون حسنًا: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿ [الكهف: ٣٥ - ٣٦] .

فانظر كيف عبّر بقوله ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ﴾ ، ولم يقل: (ولئن رُجعتُ)



حِجْرًا لِّدَرْجٍ فِي عِلْمِهِ وَمَقَارِنًا لِلنُّجُومِ

كما جاء على لسان الكافر المنكِر للبعث في سورة فصلت: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

أقول: من المؤكد أن ثمة ما يدعو إلى هذا التنوع في توظيف الألفاظ المتقاربة من الناحية المعنوية ، ولكن أيضا لا ينبغي أن نغفل عن الناحية اللفظية والصوتية؛ فإن ديدن التعبير القرآني أن يُحافظ على ملمح التناسق والتناغم بين الألفاظ المستعملة في السورة الواحدة ، وفي السياق الواحد ، والدليل على ذلك أيضا: توظيف مادة (رجع) في موطن ثان من سورة فصلت. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١] ؛ ولا وجود لهذه المادة في سورة الكهف.

المثال الثالث: المصدر الموصوف (حِجْرًا محجورًا)

الحِجْرُ في اللغة معناه المنع ، ومنه سُمِّيَ العقل «حِجْرًا» ، لأنه يمنع صاحبه من الوقوع في الخطأ الذي لا يليق بعاقل أن يقع فيه^(١)؛ فهو بوصلة تُرشدُ صاحبها إلى الطريق الصواب الذي ينبغي اتباعه ، وتبين له مزايا كل فعل ، ومساوئ كل فعل. قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

أما التعبير القرآني (حِجْرًا محجورًا) فهو مصدرٌ موصوف باسم مفعول مُشتَقٌّ من المادة ذاتها ، وقد ورد استعماله في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]، ومعنى هذا المركب الوصفي في هذا السياق: واذكر يا محمد يوم يرون الملائكة رؤيةً ليست على الوجه الذي طلبوه ، والصورة التي

(١) انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حجر.



اقترحوها ، بل على وجه آخر ، وهو يوم ظهورهم لهم حين الموت ، أو عند الحشر؛ فإنَّهم يُمنَعون البُشرى يومئذ ، ولسوف يقولون عند مشاهدتهم الملائكة: حَجْرًا محجورًا على وجه الاستعاذة ، أي: اجعل بيننا وبين جهنم حَجْرًا مانعًا ، وهي كلمة كانوا يقولونها عند لقاء العدو ، وهجوم نازلة بهم^(١).

وجاء في القرطبي قول آخر مُفادُهُ أنَّ التعبير (حَجْرًا محجورًا) يكون على لسان الملائكة حين يراهم الكافرون ، أي: حين حضور الموت أو يوم الحشر ، قال: «يريد تقول الملائكة: حرامًا مُحَرَّمًا أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله ، وأقام شرائعها»^(٢).

وأيا ما كان القائل لهذا الكلام؛ فالمعنى هو الدَّعاء أن يجعل الله تعالى بين الكافرين والبُشرى حَجْرًا محجورًا ، أو أن الكافرين يلوذون بالله تعالى قائلين: اجعل بيننا وبين النار حَجْرًا محجورًا.

والذي تجدرُ الإشارةُ إليه في هذا المقام أنَّ هذا التعبير لم يَرِدْ في القرآن كله إلا في سورة الفرقان. ولو أنه تمَّ توظيفُهُ مرَّةً واحدةً لأمكن لقائل أن يقول: إنَّ هذا التعبير ممَّا يَخُصُّ سياق سورة الفرقان وحدها ، أو من الكلام الذي لا تستعمله العرب كثيرًا في كلامها ، لكنَّ الالفت للانتباه أنَّ هذا التعبير تَكَرَّرَ في السُّورة ذاتها في موضع الحديث عن البرزخ ، الذي جعله الله تعالى بين الماء العذب الفرات والماء المِلح الأجاج.

(١) انظر: البضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٤ ، ص ١٢٢.

(٢) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ ، ج ١٣ ، ص ٢٠.



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

قال جلّ شأنه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣] ، ومعنى (حجراً محجوراً) في هذا السياق هو ذاتُ المعنى المراد من لفظ «البرزخ» ، أي: الحاجز الذي يمنع من اختلاط المائين: الماء الحلو الفرات ، والماء المِلْح الأجاج. قال القرطبي: «(وجعل بينهما برزخاً) ، أي: حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على صاحبه ، كما قال في سورة الرّحمن: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرّحمن: ١٩ - ٢٠] ، و(حجراً محجوراً) ، أي: سِتْراً مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر؛ فالبرزخ الحاجز ، والحِجْر: المانع»^(١).

وكما ذكر القرطبي ، فلقد جاء التعبير عن الحاجز بين البحرين في سورة الرّحمن بقوله: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرّحمن: ١٩ - ٢٠] ، بذكر (البرزخ) دون إضافة المركب الوصفي (حجراً محجوراً) ، وهذا يدعو القارئ المتدبّر إلى التساؤل: لماذا هذه الإضافة في سورة الفرقان دون سورة الرّحمن؟

من المؤكّد أنّ النّاحية المعنويّة مقصودة ، فالتعبير في سورة الفرقان يدلّ على شدّة الحِجْر والمنع؛ فالبحران لا يلتقيان أبداً ، والبرزخ الذي جعله الله بينهما لا يسمح بشيء ولو قليل من الاختلاط. أقول: والذي سوّغ هذا الاستعمال في الفرقان أيضاً هو أن الكافرين يلوذون بهذا التعبير ليدفعوا عنهم النّار يوم يرون الملائكة في ذلك المشهد العصيب ، ولا يُنْجِيهم جُؤَارُهُمْ ولا اضطراخُهم ، ولا تَلَفُظُهُمْ بعبارة (حجراً محجوراً).

فالذي دعا إلى توظيف هذا المركب الوصفي في مقام الحديث عن

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٥٩.



البرزخ هو التشابه بين المقامين ، فالكفار يريدون ويتمنون أن يكون الحاجز مانعاً قوياً بينهم وبين جهنم ، والله جلّ جلاله قد جعل في الواقع حاجزاً قوياً ومانعاً فاصلاً بين البحرين في الدنيا ، وهذا التشابه بين المقامين أدى إلى التجاذب بين التعبيرين في السورة ذاتها ، وهذا ما نقصد إليه حين نتحدث عن ظاهرة التجاذب اللفظي في السياق الواحد ، وفي السورة الواحدة .

المثال الرابع: مادة الاستبشار

عُرِضَتْ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه في عدد من السور القرآنية كالأعراف ، وهود ، والحجر ، والشعراء ، والنمل ، والعنكبوت وغيرها ، والذي أودَّ التوقُّفَ عنده في هذه القصة ، هو وصف القرآن لكيفية مجيء قوم لوط عليه السلام إليه بعدما علموا بقدوم ضيفه عليه ، حيث جاء وصفهم في سورة هود بأنهم جاؤوا يُهرعون: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٧٨] ، وجاء وصف مجيئهم في سورة الحجر بأنهم أتوا بغرض الاستبشار أي: البحث عن خبر يسرهم: ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الحجر: ٦٧] .

أمّا في سورة هود ، فالذي يتبادر أن التعبير جاء على الأصل ، حيث ركّز على عجلتهم وسُرعة مجيئهم إلى بيت لوط عليه السلام استعجالاً منهم ليطشوا بضيفه ، وينالوا منهم سوءاً .

أمّا في سورة الحجر ، فجاء وصفهم بأنهم جاءوا يستبشرون ويتأكدون من الفريسة التي وقعت بين أيديهم إشباعاً لرغباتهم الحيوانية وشهواتهم المسعورة ، ووصفهم بأنهم جاؤوا يستبشرون لا يتناقض مع مجيئهم مُسرعين ، بل إنهم أتوه مُسرعين ، وكانوا في الوقت ذاته يتطلعون إلى معرفة حقيقة ضيفه ، من أيّ جهة جاؤوا؟ من هم؟ ما غرض زيارتهم؟



جواهر الدرر في علمه ومقارنات السور

فما جاء في سورة الحجر من حيث المعنى هو مُكْمَلٌ للوصف الذي وُصِفُوا به في سورة هود؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ (فَعَلَ الْاسْتَبْشَارَ) الذي تَمَّ وَصَفَهُمْ بِهِ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ ؛ قَدْ جَاءَ أَيْضًا مُتَنَاسِقًا وَمُتَنَاسِقًا مع فعل الاستبشار ، الذي تسربت به قصّة إبراهيم الخليل عليه السّلام في سورة الحجر ثلاث مرّات في سياقٍ واحد . قال جلّ شأنه :

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۖ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۖ قَالُوا أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ الْبَشَرِ ۖ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِينَ ۖ قَالُوا وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۚ ﴾ [الحجر: ٥١ - ٥٦] .

فالملائكة بشّروا إبراهيم عليه السّلام بغيّام : ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾ ، فأجاب إبراهيم : ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي ... ﴾ ، ثم أعادت الملائكة تأكيد حديث البشري : ﴿ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ .

قلت : هذا الحضورُ المُكثَّفُ لمادّة الاستبشار والبشري في قصّة إبراهيم عليه السّلام ؛ هو واحدٌ من المسوّغات التي رجّحت توظيف الفعل (يستبشرون) في قصّة لوط عليه السّلام . قلت : هو عاملٌ من العوامل ، ولم أقل : هو العامل الوحيد الذي رجّح هذا التوظيف ؛ إذ لا يستطيع أحدٌ أن يحصر أسباب أيّ استعمال في النّصّ المعجز بما يراه ، فإنّ لله جلّ ثناؤه في القرآن الكريم أسرارًا لا يُحصيها العدُّ ، ولا يُحيطُ بها الوصفُ ، ويكفينا قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩] .

وهذا اللونُ من توظيف المادّة اللّغويّة ذاتها في السّورة الواحدة ؛ هو عينُ مَلَمَحِ التّجاذبِ اللَّفْظِيِّ ، الذي تُعْنَى هذه المقاربةُ بتوضيحه وتجليته عن طريق إيضاح كيفية الاستعمال في مقامات تعبيرية مختلفة .



المثال الخامس: مادة (وَقَى)

من المعلوم من الدين بالضرورة أنّ الله تبارك وتعالى يجزي يوم القيامة كلّ عامل بما عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وقد تنوّعت أساليب التعبير عن هذا المعنى في القرآن الكريم ، حيث ورد التعبير عنه بقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨ - ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم : ٣١] ، ومثيلاتها من الآيات .

والذي يستوقف قارئ الذكر الحكيم مجيء هذا المعنى في ثوب توفية الأعمال في سورة هود . قال جل شأنه : ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لِّمَا لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [هود : ١١١] ، والمعنى : أن الله تبارك وتعالى يوفّي كلّ عامل جزاءً مناسباً لما عمل ، وهو خيرٌ بالظواهر والبواطن ، لا يعزبُ عن علمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء .

جاء في أنوار التنزيل : «وإنّ كلّاً : وإنّ كلّ المختلفين المؤمنين منهم والكافرين لمن الذين يُوفّيَنَّهُمْ ربُّكَ جزاء أعمالهم» ^(١) ، وجاء في مفاتيح الغيب : «المعنى : أن من عجلت عقوبته ، ومن

(١) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٣ ، ص ١٥٠



أُخِّرَتْ ، وَمَنْ صَدَّقَ الرُّسُلَ ، وَمَنْ كَذَّبَ ، فَحَالُهُمْ سَوَاءٌ فِي أَنَّهُ تَعَالَى يُوفِّيهِمْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ ، فَجُمِعَتِ الْآيَةُ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدُ ؛ فَإِنَّ تَوْفِيَةَ جَزَاءِ الطَّاعَاتِ وَعَدُّ عَظِيمٌ ، وَتَوْفِيَةَ جَزَاءِ الْمَعَاصِي وَعِيدٌ عَظِيمٌ» (١) . .

وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَقْفُزُ إِلَى الذَّهْنِ مُبَاشَرَةً: لِمَاذَا التَّعْبِيرُ بِمَادَةِ (التَّوْفِيَةِ) فِي هَذَا الْمَقَامِ؟

وَالْجَوَابُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِ التَّنْزِيلِ ، أَنَّ التَّوْفِيَةَ مَعْنَاهَا إِعْطَاءُ الْإِنْسَانِ الْعَامِلِ حَقَّهُ بِدَقَّةٍ مَتْنَاهِيَةٍ ، فَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجَادِلَ أَوْ أَنْ يَدَّعِيَ بَأَنَّهُ ظَلِمَ فِي وَزْنِ أَعْمَالِهِ ؛ فَالْمَوَازِينُ الَّتِي تُوضَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ الْمَوَازِينُ الْقِسْطُ ، وَالَّذِي يُحَاسِبُ عَلَى جَمِيعِ الْأَعْمَالِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَدْلُ ، وَالْمَعْيَارُ الَّذِي تُقَاسُ بِهِ الْأَعْمَالُ وَتُوزَنُ هُوَ مَعْيَارُ الذَّرَّةِ وَالْخَرْدَلِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٦) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزَّلْزَلَةُ: ٧ - ٨] ؛ فَلَا اعْتِرَاضَ أَبَدًا عَلَى الْحُكْمِ الصَّادِرِ عَنِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ ؛ مِنْ هُنَا جَاءَ حَدِيثٌ عَنْ تَوْفِيَةِ الْأَعْمَالِ بِالْمَوَازِينِ الدَّقِيقَةِ .

هَذَا عَنِ الْجَانِبِ الْمَعْنَوِيِّ ، أَمَّا إِذَا جِئْنَا إِلَى الْجَانِبِ اللَّفْظِيِّ فَلَا يَسْعُنَا إِلَّا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ هَذَا التَّوْظِيفَ لِمَادَةِ (وَفَى) هُوَ مُتَنَاسِبٌ وَمُنَاسِقٌ لَفْظِيًّا مَعَ تَوْظِيفِ الْمَادَّةِ ذَاتِهَا فِي قِصَّةِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ فِي أَمْرِهِ إِتْيَاهُمْ بِإِيْفَاءِ الْكَيْلِ ، وَنَهْيِهِمْ عَنْ بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ: ﴿وَيَقُومُوا أَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هُود: ٨٥] ؛ حَيْثُ إِنَّ لَفْظِي (الإِيْفَاءَ)

(١) الفخر الرازي ، محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ ، ج ١٨ ، ص ٤٠٥ .



بالكيل ، وعدم البخس) من أسرة الكلمات التي يُكثَرُ التَّجَار استعمالها ، وقد كان أهل شعيب كذلك ، وكان نبيُّهم شعيب عليه السَّلام أيضا تاجرا صادقا وأمينًا ، ومن الذين لا يُطْفَفُونَ في الميزان .

وفي السَّورة ذاتها جاء خطابُ الله تعالى مسلِّيًا نبيّه ﷺ بأنَّه سيجزي المشركين الذين يصدّون عن دين التَّوحيد ويؤفِّقهم نصيبهم غير منقوص : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ [هود: ١٠٩] .

ولسائل أن يسأل: لماذا ورد التعبير في آية الإسراء عن توفية العاملين أعمالهم بفعل التَّعجيل : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾ [الإسراء: ١٨]؟ والجواب شبيه لما مرَّ بيانه مع الأمثلة السابقة من مناسبة المعنى المعجمي لمقام الخطاب؛ فلا أحد يُنكر أن النَّفسَ البشريَّةَ تُحبُّ العاجل من المتاع على حدِّ قول حكماء العرب: «والنَّفسُ مُولَعَةٌ بحبِّ العاجل» ، وهذا أيضًا يتناسب معنويًا ولفظيًا مع ما قرَّرتَه آية سورة الإسراء: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١] .

ولا يخفى على المتدبِّر في لغة التَّنزيل أن هذا التَّوظيف ، علاوة على كونه يحمل الدَّلالات الدَّقيقة المرادة منه ؛ فإنَّه يُضفي على النَّص مسحة من الجمال مبعثه التَّناسق والتَّجاذب بين الألفاظ المتفرَّعة عن جذر لغوي واحد ، وهذا يقودنا إلى التَّأكيد على حقيقة من روائع حقائق الأسلوب القرآني ، ألا وهي تفرُّد كل سورة بصِبْغة لغويَّة خاصَّة ، أي: بجملة من الألفاظ التي لا تتكرَّر ، وبجملة من الألفاظ التي تتكرَّر وتكون مشتقة من مادَّة مُعجميَّة واحدة ، ويتمَّ استعمالها في أبنية دقيقة تتناسب مع الدَّلالات المراد التعبير عنها في هذه السورة أو تلك ، وتتسق مع الجوّ العام الذي يُخيَّم عليها .



بِجَوَاهِرِ الذَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ النُّجُومِ

المثال السادس: مادة (وزع)

مادة (وزع) معناها كَفُّ النَّفْسِ عَنْ هَوَاهَا. وزعه ووزع به يَزْعُ وَيَزْعُ وَزْعًا: كَفَّهُ فَاتَزَعَّ هُوَ أَيْ كَفَّ ، وكذلك وَزَعْتُهُ. والوازعُ في الحربِ: الْمُوَكَّلُ بِالضُّفُوفِ يَزْعُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ أَمْرِهِ. ويقال: وزعت الجيُشَ إِذَا حَبَسْتُ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ^(١).

وهذه المادة من المواد المعجمية القليلة الاستعمال ؛ إذ تكررت في نصوص التنزيل خمس مرّات: ثلاثٌ منها في النمل في الآيات: (١٧) (١٩) (٨٣) ، ومرة في فصلت (١٩) ، وخامسةً أخرى في الأحقاف (١٥). وقد جاءت في صيغة المضارع المبني للمجهول ثلاث مرّات ، وفي صيغة الأمر المراد به الدّعاء مرّتين. وفيما يأتي تفصيلٌ لورود هذا الفعل في سورة النمل:

جاء هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] ، وفي قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩] ، وفي قوله تبارك اسمه: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِتَائِبَتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣].

الملاحظُ أنَّ الفعل (يُوزَعُونَ) في الموضع الأوّل معناه: «يُحْبَسُونَ بحبس أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ لِيَتَلَحَّقُوا»^(٢). أمّا معنى الفعل ذاته في الموضع الثاني: فمعناه: أَوْزِعْنِي: «اجعلني أزعُ شُكْرَ نِعْمَتِكَ عندي ، أي: أكفه وأرتبطه لا ينفلتُ عني بحيث لا أنفك عنه»^(٣).

(١) انظر: لسان العرب ، مادة وزع.

(٢) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٤ ، ص ١٥٧.

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ ، وأنوار التنزيل ، ج ٤ ، ص ١٥٧.



وجاء في المفردات: «يوزعون: إشارة إلى أنهم مع كثرتهم وتفاوتهم لم يكونوا مُهمَلين ومُبعدين كما يكون الجيش الكثير المتأذى بمعرّتهم بل كانوا مسوسين ومقموعين»^(١).

أمّا الفعل (يوزعون) في الموضع الثالث ، فقد قال الزمخشري في إيضاح معناه: «يُحْبَسُ أولهم على آخرهم حتّى يجتمعوا فيُكَبِّبُوا في النار»^(٢) ، والمعنى ذاته كرّره بعده عددٌ من المفسّرين .

إذا استصحب القارئ الكريم في ذهنه أنّ الفعل (وزع) لم يُستعمل في القرآن إلا خمس مرّات: ثلاثٌ منها في النمل ، ومرة في فصلت (١٩) ، ومرة في الأحقاف (١٥) ؛ علِمَ ما يُعطيه الحضورُ المكتفُ لهذا الفعل القليل الاستعمال في سورة واحدة ، وما يُضفيه على ثوبها اللفظي من تناسق واتّساق ، وعِلِمَ المغزى المراد من قولنا إنّ ثمة تجاذباً بين الألفاظ في السّورة الواحدة ، وهذا ما يطبعها بطابع خاص .

أضف إلى جمال الاتّساق في استعمال اللفظ الواحد ، دقّة توظيف (حتّى) الابتدائية مع الفعل (أتوا) في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١٧) حتّى إذا أتوا على واد النمل ﴿[النمل: ١٧ - ١٨] ، وإتباعها بالفعل (جاء) في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١٨) حتّى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياني ولم تحيطوا بها علماً ﴿[النمل: ٨٣ - ٨٤] . فانظر كيف جاء التعبير حين مرور سليمان على واد النمل بالفعل (أتوا) بعد (حتّى) الذي يمثل سهولة إتيانهم ، وانظر كيف وصف مجيء الناس يوم الفرع بالفعل (جاءوا) بعد (حتّى) ، والذي يجعلك تلتفت إلى هذا الجمال هو مجيء الفعلين المختلفين من حيث

(١) الراغب ، المفردات في غريب ألفاظ القرآن ، مادة وزع .

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ٣٨٥ .



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

المادة (أتوا ، وجاءوا) ، والمتقاربين من حيث المعنى بعد عبارة (فهم يوزعون حتى).

المثال السابع: مادة الاستفزاز

الفعلُ (استفَزَ) هو استفعل من (فزز). جاء في لسان العرب: «فَزَّهُ فَزًّا ، وأفزّه: أفزعه وأزعجه ، وطَيَّرَ فؤاده. واستفزه من الشيء: أخرجّه ، واستفزه: ختله حتى ألقاه في مهلكة. واستفزه الخوف: أي: استخفه»^(١).

وقد وردت هذه المادة اللغوية في سورة الإسراء ثلاث مرّات في ثلاثة مواضع مختلفات ، ولم ترد في القرآن كله إلا في الإسراء.

قال جلّ ثناؤه مخاطبًا إبليس: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤]. قال الفخر الرازي: «يُقال: أفزّه الخوفُ واستفزه ، أي: أزعجه واستخفه. وصوته دعاؤه إلى معصية الله تعالى. وقيل: أراد الغناء واللّهو واللعب»^(٢).

قال البيضاوي: «واستفزز: واستخفف من استطعت منهم أن تستفزه ، والفرّ الخفيف. بصوتك: بدعائك إلى الفساد»^(٣).

والمادة المعجمية ذاتها (فزز) تكرّرت في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] ، والمعنى: «وإن كادوا: وإن كاد أهل مكة.

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة: فزز.

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢١ ، ص ٣٦٧.

(٣) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٣ ، ص ٢٦٠.



لَيْسْتَ فِرْزُونَكَ: لِيُزْعِجُونَكَ بمعاداتهم. من الأرض: من أرض مكة^(١).

وقال أبو السعود العمادي: «أي: كاذ أهل مكة (ليست فِرْزُونَكَ): أي: لِيُزْعِجُونَكَ بعداوتهم ومكرهم (من الأرض) أي: الأرض التي أنت فيها، وهي أرض مكة»^(٢).

نظير ذلك أيضا مجيء هذه المادة في وصف ما جناهُ فرعونُ على بني إسرائيل في مصر، حيثُ إنه كان يُدَبِّرُ لإخراجهم من أرض مصر، ويُزْعِجهم ويُرْهِبهم، ويستأصل شأفتهم من البلاد التي كان يُهيمنُ عليها بطغيانه، ولكنَّ إرادة الله شاءت أن يكون هو الطريد وهو الغريق، وأن يُخرجه من قصوره ومدائنه، ويتبع مع حشد من جنوده موسى ومن خرج معه من بني إسرائيل، وكانت نهايته مأسوية بعيدًا عن أهله وأسرته: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: «أراد فرعونُ أن يُخرج بني إسرائيل وموسى ويُزْعِجهم من الأرض، يعني: أرض مصر بإبعادهم عنها. وقيل: أراد أن يقتلهم، وعلى هذا يُرادُ بالأرض مطلقُ الأرض، وقد تقدّم معنى الاستفزاز، فأغرقناه ومن معه جميعًا: فوقَّع عليه وعليهم الهلاك بالغرق، ولم يُبقِ منهم أحدًا»^(٣).

مِمَّا سبق يتجلى بأنَّ الفعل (استفز) جاء بمعانٍ متقاربة هي: الاستخفاف والإزعاج والإخراج من الأرض. والذي يعيننا في هذا

(١) البضاوي، أنوار التنزيل، ج ٣، ص ٢٦٣.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٥، ص ١٨٨.

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ٣١٢.



المقام هو توظيف هذه المادّة (فرز) ثلاث مرّات في مواضع متقاربة في سورة واحدة وهي سورة الإسراء ، وعدم ورودها مرّة أخرى في القرآن كله . وهذا ما سمّيته في هذه المقاربة بالتّجاذب اللفظي في السّورة القرآنية الواحدة ، وعليه يُمكننا القول : إنّ الفعل (استفز) على وزن (استفعل) هو مُكوّنٌ أساسيٌّ للتّوب اللفظي الخاص بسورة الإسراء ، ولا يلحقنا أيّ انتقاد أو بأس من إصدار هذا التّقرير والمسألة واضحةٌ وضوح الشّمس في رابعة النّهار .

* * *



المطلب الثالث

التجاذب اللفظي للمواد المعجمية المتقاربة

علاوةً على التجاذب اللفظي الذي يحصل بين الصيغ المختلفة للمادة المعجمية الواحدة في السورة الواحدة؛ فإن ثمة نوعاً آخر من التجاذب ميدانه المواد اللغوية المتقاربة، وأعني بالمتقاربة التي تكون من باب التقارب في المعنى، وعدلتُ عن تسميتها بالمواد المترادفة نظراً لما يكتنف قضية الترادف في اللغة من اختلاف في الرؤى، وتباين في المواقف بين أهل العلم باللغة^(١)، وإن كنت أميلُ إلى القول بعدم وجود الترادف خصوصاً فيما يتعلق بألفاظ القرآن الكريم؛ فليس ما نراه ونقرأه في نصوص التنزيل من قبيل الترادف، وإنما كل كلمة وكل صيغة تحمل دلالة خاصة بها لا يؤديها غيرها ولا مقاربها ولا مرادفها.

قلت: النوع الثاني من التجاذب الذي أعنيه، هو التجاذب بين الألفاظ المتقاربة في المعنى في السورة الواحدة، وهذا النوع يعلو خطه البياني في بعض السور إلى أن يصبح ظاهرةً لفظيةً بيّنةً تلفتُ النظر، وقد ينخفض إلى نقطة لا يكاد يُبصرها إلا الحاذقون في هذا الفن، وفيما يأتي أمثلة موضحّة لهذا المعنى:

المثال الأول:

تتميّز سورة الزخرف بمحورها العام، الذي لا يخرج عن المحاور

(١) انظر: بحث الترادف وأشباه الترادف في القرآن الكريم، من كتاب: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ١٠١.



جَوَاهِرُ الذَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

التي يتناولها القرآن المكيّ بشكل عام من توحيد الله تعالى ، ونبد الشُّرك ، وضرورة اليقين باليوم الآخر ، والتَّنويه بالقرآن الكريم ، والتَّنويه بالذي أنزلَ إليه ، مع ذكرٍ لمقتطفات من القصص الذي يخدم محورها العام . والذي تجدرُ الإشارة إليه أن تسمية السُّورة باسم الزَّخرف الذي معناه الذهب له دلالاتٌ كثيرة؛ فليس لأجل ورود لفظ (الزخرف) فيها فقط تمَّ تسميتها بهذا الاسم ، وإنما المتدبّر في آياتها يجد أن ذكر الزَّخرف والذهب وأسرتهما يُمثّل ملمحاً بارزاً من ملامح ثوبها اللفظي .

وفيما يأتي عرض سريعٌ لكيفية ورود ألفاظ هذه الأسرة في السُّورة:

* الحِلْيَة:

يُطلقُ لفظ (الحِلْيَة) ويُرادُ به ما يُتَزَيَّنُ به من مصوغات أو أحجار ثمينة ، وجمعه حِلْيٌ ، وحليّ ، وحليات^(١) . وقد تمَّ توظيفُ هذا اللفظ في القرآن الكريم أربع مرّات: في الرّعد (١٧) ، والنحل (١٤) ، وفاطر (١٢) ، وفي الزخرف (١٨) .

والذي يعنينا في هذا المقام هو قوله تعالى في سورة الزَّخرف:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧ ﴾

أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿ [الزخرف: ١٧ - ١٨] .

تحدّثُ هذه الآية عن وضع كان يعيشه أهلُ الجاهليّة حين يرزقُ الله أحدهم أنثى؛ إذ كانوا يتشائمون من ولادة الأنثى ، وتساورهم الوسائسُ وظنون السوء حين تضعُ زوجُ أحدهم أنثى ، وهم يعتقدون أن الذكر أفضلُ من الأنثى ، وهي مجلبةٌ للعار والسُّنار ، وكان الغلاظُ

(١) انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حلي .



الجُفَاءُ منهم لا يستنكفون عن وأدّها حَيَّةٌ؛ فجاءت هذه الآية تنعى عليهم ذلك الفعل السَّيِّعَ ، وتُقبِّحُ ذلك الجُرْمَ الفظيعَ ، وتُصِفُ الحالة التي يكون عليها المولودُ له من انقباض صدرٍ ، وسواد وجهٍ ، وامتلأ نفسه بالغِظِ والرَّفْضِ لهذا المولود الجديد ، ويُصبحُ يتوارى عن أبناء قومه استحياءً من المصيبة التي حلّت به ، وينشغلُ فكرُهُ في كَيْفِيَّةِ التَّخَلُّصِ منه : ﴿ اَيْمِسْكُهُ عَلَى هُوْبٍ اَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ [النحل: ٥٩] ، أي : أَيْقِمْهَا حَيَّةً وَيتَحَمَّلُ العَارَ المتوقَّع الذي سيلحقُ به أم يئدّها حَيَّةً وَيتَحَمَّلُ وزرّها يوم القيامة؟ ألا إنها الحياةُ البئيسةُ التي كان يعيشها الجاهليّون ، ويتمرّغون في حمايتها وأرجاسها .

ومحلُّ الشّاهد هنا هو قوله تعالى : ﴿ اَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ ، وهذا التّعبيرُ كنايةٌ عن الأنثى ؛ إذ هي التي من شأنها أن تُحلّي بأنواع الحلية وأن تُنشئَ فيها ، وتوظيفُ لفظ (حلية) في هذا التّعبير يتناسقُ ويتسقُ مع أسرة ألفاظ الزّخرف لأنّ من الحلية ما يكون ذهباً ، ومنها ما يكون فضّة أو غيرها . والذي يدعونا إلى القول بأنّ هذا التّجاذب اللفظي مقصودٌ ؛ هو أنّ التّعبير عن الأنثى في سورة النحل جاء صريحاً ومباشراً بلفظ الأنثى في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨] .

* المترفون :

يُطَالِعْنَا فِي سورة الزّخرف أيضاً حديثٌ عن المترفين في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] . والمترفون هم الأغنياء الذين وسَّع الله تعالى عليهم في أسباب العيش ، وأذاقهم من أصناف النعم فهم يتقلّبون في رغد العيش ، واللفظُ من مادّة الترفه



التي تَطَلَّقَ عَلَى التَّوَسُّعِ فِي النِّعْمَةِ^(١).

ومن مُسَوِّغَاتِ ذِكْرِ لَفْظِ (المترفين) في هذا السِّياق ، أَنَّ التَّارِيخَ يَشْهَدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَرْفِينَ كَانُوا يُقَاطِعُونَ دَعَوَاتِ الْمُرْسَلِينَ ، وَيُجَاهِرُونَهُمْ بِالْعِدَاوَاتِ ، وَيَسْتَمِيتُونَ فِي الصَّدِّ عَنْ هِدَايَاتِ السَّمَاءِ ، مُتَذَرِّعِينَ بِأَوْهَامٍ وَاهِيَاتٍ ، وَحُجَجٍ دَاحِضَاتٍ مِثْلَ زَعْمِهِمْ تَقْلِيدَ آبَاءِ وَالِائِمَّاتِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ الْمَهْلَهَلَاتِ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْمُتَرْفِينَ هُمُ الَّذِينَ يَكُونُ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ النَّصِيبُ الْأَوْفَى مِنْ أَصْنَافِ الْأَمْوَالِ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ وَنَقُودٍ وَغَيْرِهَا ؛ لِذَا فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُعَارِضِينَ هُنَا فِي سُورَةِ الزَّخْرِفِ بِعَنْوَانِ الْمُتَرْفِينَ ؛ يَتَنَاسَقُ مَعَ مَلَمَحٍ مِنْ مَلَامِحِهَا الْبَارِزَةِ الْمُمَثِّلِ فِي اعْتِزَازِ الْمُشْرِكِينَ وَأَصْحَابِ الْمَالِ بِأَمْوَالِهِمْ وَمُقْتَنِيَاتِهِمْ ، الَّتِي يَعْتَزُّونَ بِهَا دُونَ احْتِفَالِ بِجَانِبِ الْمُبَادَى وَالْقِيمِ .

* رَجُلٌ عَظِيمٌ :

نَظِيرُ ذَلِكَ وَصِفِ اعْتِرَاضِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ عَلَى رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَاقْتِرَاحِهِمْ أَنَّ يُنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ عَظِيمٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] ، وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُمْ يَعْكُسُ نَظَرَتَهُمُ الْمَادِّيَّةَ لِلْأُمُورِ ؛ فَهُمْ لَا يَزِنُونَ الْأُمُورَ بِمَعْيَارِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَالْمُبَادَى السَّامِيَّةِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، بَلْ لَا يَرْقُبُونَ إِلَّا أَنَّ يَكُونَ الدَّاعِي مِنَ الطَّبَقَةِ الْغَنِيِّ الْمُتَرْفَةِ ، الَّتِي تَتَعَاضَمُ بِالْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَحُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِفِ .

وَوَصَفُهُمُ الرَّجُلَ بِوَصْفِ الْعَظِيمِ «رَجُلٍ عَظِيمٍ» فِي مَقْتَرَحِهِمْ ؛ يَدُلُّ بِمَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَصِفُونَ مُحَمَّدًا ﷺ بِضِدِّ ذَلِكَ الْوَصْفِ غَيْرِ اللَّائِقِ ذِكْرُهُ . وَاللَّافِتُ لِلانْتِبَاهِ أَنََّّهُمْ فِي سُورَةِ الزَّخْرِفِ اعْتَرَضُوا بِأَنَّ

(١) انظر: الراغب ، المفردات ، مادة ترفه .



المنزل عليه ليس رجلاً عظيماً ، وهذا الموضع الوحيد الذي جاء اعتراضهم فيه بهذا الوصف ، وأما في المواضع الأخرى ، فإن اعتراضاتهم كانت لا تخرج عن وصفه بالشعر والكهانة والسحر والجنون وغيره .

والذي سوّغ استعمالهم هذا الوصف في هذا الموضع هو أن جوّ سورة الزخرف - كما علمت - مُترَعٌ ببيان احتفال الكافرين بالمال ، واعتزازهم بالذهب وزخرف الدنيا الزائل ، فمن الطبيعي أن يصفوا محمداً ﷺ فيها بأنه ليس من الموسومين بمعايير العظمة المادّية .

ولإتماما لهذا المعنى ، جاء التذييل يوضح لهم بأن رحمة الله خير مما يجمعون : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] . وفي هذا التعبير ما فيه من سمات شخصياتهم وملامحها ؛ فهم قومٌ يقترحون مقترحات تلبي فقط ميولهم المادّية وأهواءهم ، وتعكس حبّهم للمال ، وتوقيرهم للذين يجمعونه ، ولا يخفى أن الحديث عن جمع المال أيضاً هو ممّا يتناسب مع سورة الزخرف وملمح الزخرف والذهب الخاص بها .

* أسورة/أساورة:

والأمر ذاته يتجلّى في جانب القصص في سورة الزخرف ، إذ دأب فرعون على وصف موسى عليه السّلام بالجنون والسحر والافتراء ، وهذا ما يلحظه قارئ القرآن في كثير من المواضع التي وردت فيها مشاهد من قصّة موسى عليه السّلام . أمّا في سورة الزخرف فالمشهد الذي ورد فيها جاء فيه احتفاءً بالمال وبالمالك ؛ ففرعون خرج على قومه بثوب الكبرياء والعظمة ، وتعتمد في خطابه لقومه أن يُبين لهم



جواهر الزخرف في علم مقارن السور

أنه هو الذي يملك مصر ، ويتمتع بخيراتها ، ويستحوذ على قصورها وبساتينها وأنهارها : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٥١] أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴿ ٥٢ ﴾ فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهبٍ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴿ الزخرف : ٥١ - ٥٣ 〉 .

ذكر المفسر أبو السعود أن ذكر (الأساور) أو (الأسورة) على اختلاف القراءتين هو كناية عن التملك . جاء في إرشاد العقل السليم : « فهلا ألقى إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً لما أنهم كانوا إذا سؤدوا رجلاً سوروه وطوقوه بطوقٍ من ذهب . وأسورة جمع سوار ، وقرئ (أساور) جمع أسوار بمعنى السوار » ^(١) .

وحين اعترض فرعون على رسالة موسى عليه السلام لم يتهمه بالسحر كما كان شأنه في قوله : ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠١] ، ولم يرميه بالجنون كما رماه في الشعراء في قوله : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء : ٢٧] ، ولم يلعبه بالساحر كما في قوله : ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء : ٣٤] ، وإنما تحداه في مقام سورة الزخرف بأنه ليس من أهل المال ، ولا يملك الإتيان بالملائكة مقترنين ، وليس لديه أسورة يتزين بها وتدل على ملكه وإمساكه بزمام الأمور ، وباختصار فقد عيره بأنه خلو من المال ، لا يملك من حطام الدنيا وبريقها شيئاً ، وفي ظنه أن هذا الوصف يُزري بموسى عليه السلام ويُنقص من شأنه .

ومن نافلة القول أن هذه المعايير الفرعونية المادية لا قيمة لها في

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، ج ٨ ، ص ٥٠ .



المنظور الإسلامي ، والذي يعنينا هو بيان اتساق نوع المطالب المذكورة في سورة الزخرف ، مع ملمح حب المال والزخرف الذي يحتفي به الجاهليّون الماديّون في جميع الأعصار والأمصار .

* زخرف/ فضة:

يُطالعنا في سورة الزخرف أيضا لفظتا (زخرف) و(فضة) في سياق واحد . وإذا ذهبنا إلى المعاجم اللغوية ؛ فإن لفظ (زخرف) يُطلق ويرادُ به الذهب . جاء في المفردات : «الزخرفُ الزينةُ المزوّقةُ ، ومنه قيل للذهب: زُخرف ، وزُخرف القول: المزوّقات من الكلام»^(١) . وجاء في لسان العرب: «الزخرف: الزينة . ابن سيده: الزخرف: الذهبُ . هذا الأصل ، ثم سُمي كل زينة زخرفاً ، ثم شُبّه كلُّ مُموّه مُزوّر به . وبيتٌ مُزخرفٌ ، وزخرف البيت زخرفةً: زيّنه وأكمله . وكل ما زوّق وزينَ فقد زُخرف»^(٢) .

جاءت الكلمتان (زخرف) و(فضة) في معرض الحديث عن طبقة المُترفين من المشركين الذين يعتدّون بالمال ، ويقيسون الأمور بمقياس المادّة: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾^(٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥] .

ومعنى الآية كما جاء في مفاتيح الغيب: «لولا أن يرغب الناسُ في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الخير والرّزق لأعطيتهم أكثر

(١) الراغب ، المفردات ، مادة زخرف .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة زخرف .



جَاهِلِ الدُّنْيَا فِي غِلْظِهَا نَارَ السُّورِ

الأسباب المفيدة للتَّعَمُّ ، **أحدها** : أن يكون سقْفهم من فضّة ، **وثانيها** : معارجُ أيضًا من فضّة عليها يظهرون ، **وثالثها** : أن نجعل لبيوتهم أبوابًا من فضّة وسُرُرًا أيضًا من فضّة عليها يتكئون ، ثم فسر (الزخرف) بأنّه الذهب أو الزّينة^(١) .

ثمّ أوضح أنّ سبب سَوِّق هذا الكلام هو تصحيح المعتقدات الجاهليّة التي كانت سائدةً ومنتشرةً لدى المشركين المخاطبين بالقرآن الكريم ، وفي هذا الرّدّ إبطالٌ لظنّهم أنّ الرّجل الغنيّ أولى بمنصب الرّسالة من محمّد ﷺ بسبب فقره ، فبيّن الله تعالى أنّ المال والجاه حقيران عنده ، وأنّ حصولهما لا يفيد حصول الشّرف الدّائم ، وإنّما متاع الدّنيا إلى زوال .

والشّاهد في هذه الآيات هو توظيفُ كلمتي (فضّة) و(زخرف) في سياق بيان حقيقة الحياة الدّنيا ، والكشف عن أنّ ميزان المادّيات غير مرعيٍّ عند الله تعالى ، وإنّما معايير الإيمان الصّحيح والقيم النبيلة هي التي ينبغي أن تحكم النّاس في الحياة الدّنيا ، وبناءً على الالتزام بها تُقاسُ سعادة الإنسان وشقاوته .

* صحاف من ذهب :

ويزدادُ الباحثُ تيقنًا من ظاهرة التّجاذب اللفظي بين الكلمات المتقاربة في السّورة الواحدة ؛ حين تقعُ عينُهُ على مشهد تكريم المتّقين في الجنّات في نهاية سورة الزّخرف ، حيث يُطالِعُه وصف الصّحاف التي يأكل منها المكرّمون بأنّها من ذهب ، وتمثّلُ هذه الآيةُ قَمّةً سامقةً من ذُرَى وصف النّعيم الذي يُجازي به الله الكريم أوليائه ؛ إذ لم يرد لفظ (صحاف) في القرآن الكريم كلّهُ إلّا في هذه الآية

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢٧ ، ص ٦٣١ .



الكريمة ، والذي يزيد هذا المشهد روعة أن هذه الصّحاف هي من ذهب ، فأين أوصاف متاع الدّنيا من أوصاف نعيم الآخرة! قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَآشِئُهُم بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

كما هو واضح في كثير من آي الذكر الحكيم ، لقد جاء وصف نعيم الآخرة بأوصاف متنوعة؛ فبعض الآيات جاء فيها ذكر الأكواب مطلقة بدون وصف: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿يَا أَكْوَابُ وَأَبَارِيقُ وَكَأْسٌ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ (١٨) ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٩] ، وبعضها وصفت الأكواب والآنية بأنها من فضة: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٩) ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا نَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦]. ولكنّ اللافت للانتباه في سورة الزخرف أن الصّحاف من ذهب ، والصّحاف جمع (صفحة) التي هي بهيئة الجفنة التي يأكل منها خمسة أشخاص. جاء في فتح القدير: «الصّحاف جمع صفحة وهي: القصعة الواسعة العريضة. قال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة ، ثم القصعة وهي تسبع عشرة ، ثم الصّحفة وهي تسبع خمسة، ثم المكيلة وهي تسبع الرّجلين والثلاثة، والمعنى: أن لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب، ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في الأكواب وهي جمع كوب. قال الجوهري: الكوب: كوز لا عروة له، والجمع: أكواب» (١).

وأضيف بأنّ الأكواب المتحدّث عنها هنا هي أكواب من ذهب ، لأنّ وصفها محذوف دلّ عليه الوصف السّابق ، وهذا كثير في التعبير القرآني ، والتّقدير: يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ مِّنْ ذَهَبٍ على شاكلة قوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

(١) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٦٤٥ .



من الأمثلة السابقة يتبين للمتدبر في التعبير القرآني أن ظاهرة التجاذب اللفظي بين الألفاظ المتقاربة المعنى مقصودة وشائعة في سور القرآن الكريم ، بل تمثل ملمحاً بارزاً من ملامح السور وخصائصها اللفظية .

المثال الثاني: أسرة القصم والتفريق والإهلاك:

من الكلمات المتقاربة التي حفلت بها سورة الأنبياء: **القصم** ، **والذمغ** ، **والزهوق** ، **والجذاذ** ، **والقذف** ، **والتقطع** ، **والحصيد** . والمتأمل في هذه الألفاظ يجد أنه يجمعها - على تفرقها - معاني منها: التقسيم والتفريق والإهلاك وتصيير الشيء من حالة الوجود إلى حالة العدم ، أو من حالة الحياة إلى حالة الموت .

وهذه الألفاظ هي في جملتها أساليب من طرق الإهلاك ، الذي تكرر ذكره في سورة الأنبياء ثلاث مرات :

قال تعالى: ﴿ مَا آمَنْتُ بِهِمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦] ، وقال جل شأنه: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩] ، وقال عز وجل: ﴿ وَحَرَّمْ عَلَى قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥] .

وفيما يأتي وقفات قصيرة مع دلالات هذه المواد المعجمية في القواميس والمعاجم العربية وكتب التفسير حتى يتضح مدى التقارب أو الاختلاف بين دلالاتها .

● **القصم**: القصم لغة «دق الشيء» . يُقال للظالم: قصم الله ظهره . ابن سيده: القصم كسر الشيء الشديد حتى يبين^(١) . وجاء في

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قصم .



الكشاف في موضع تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]: «القسم أقطع الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم»^(١).

● **القذف:** هو رمي الشيء وإلقاؤه بشدة. جاء في تاج العروس: «قَذَفَ بِالْحِجَارَةِ يَقْذِفُ - بالكسر - قَذْفًا: رَمَى بِهَا. يُقَالُ: هُمْ بَيْنَ حَازِفٍ وَقَازِفٍ؛ فَالْحَازِفُ بِالْعَصَا وَالْقَازِفُ بِالْحِجَارَةِ. نَقَلَهُ الْجَوْهَرِيُّ. وَيُقَالُ أَيْضًا: بَيْنَ حَازٍ وَقَازٍ عَلَى التَّرْخِيمِ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الْقَذْفُ: الرَّمْيُ بِالسَّهْمِ وَالْحَصَى وَالْكَلَامِ وَكُلِّ شَيْءٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـمُ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨]. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ: يَأْتِي بِالْحَقِّ وَيَرْمِي بِالْحَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]»^(٢).

● **الدمغ:** جاء في لسان العرب: «الدَّمَغُ حَشْوُ الرَّأْسِ، وَالْجَمْعُ أَدْمِغَةٌ وَدُمُغٌ وَأُمُّ الدَّمَاعِ الْهَامَةُ وَقِيلَ الْجِلْدَةُ الرَّقِيقَةُ الْمَشْتَمَلَةُ عَلَيْهِ، وَالدَّمَغُ كَسْرُ الصَّاقُورَةِ عَنِ الدَّمَاعِ، دَمَغَهُ يَدْمَغُهُ دَمْغًا فَهُوَ مَدْمُوغٌ وَدَمِيعٌ، وَالْجَمْعُ دَمَغَى. وَدَمَغَهُ أَصَابَ دِمَاغَهُ، وَدَمَغَهُ دَمْغًا شَجَّهَ حَتَّى بَلَغَتْ الشَّجَّةُ الدَّمَاعَ وَاسْمُهَا الدَّمَاعَةُ»^(٣).

● **الزَّهْوَقُ:** الزُّهْوَقُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الْهَلَاكُ وَالْإِضْمَحَالُ. جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «زَهَقَ الشَّيْءُ يَزْهَقُ زُهُوقًا فَهُوَ زَاهِقٌ وَزَهْوَقٌ: بَطَلَ وَهَلَكَ وَاضْمَحَلَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ: إِذَا غَلَبَهُ الْحَقُّ»^(٤).

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٠٥.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، مادة قذف.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة دمع.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة زهق.



وقد جاءت هذه المواد المعجمية الثلاث: (قذف) و(دمغ) و(زهق) في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

جاء في أنوار التنزيل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾: إضرابٌ عن اتخاذ الله وتزوية لذاته عن اللعب. أي: بل من شأننا أن نُغلب الحق الذي من جملته الجِدُّ على الباطل الذي من عاداه اللهو. (فيدمغه): فيمحقه. وإنما استعارَ لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي إلى زهوق الروح تصويرًا لإبطاله به ومبالغة فيه^(١).

● **الجُذَاذُ**: من الجَذَّ. و«الجَذُّ كسر الشيء الصلب. جَذَذْتُ الشيء كسرته وقطعته، والجُذَاذُ والجُذَاذُ ما كسر منه، وضمه أفصح من كسره، والجَذُّ القطع، وجَذَهُ يَجْذُهُ جَذًا فهو مجذوذ وجذيد، وجَذَذَهُ فأنْجَذَ وتَجَذَذَ، وفي التنزيل: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨]، فسرهُ أبو عبيد: غير مقطوع^(٢).

وقد ورد لفظ (جُذَاذ) في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ فجعلهم جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٧ - ٥٨] في وصف الطريقة التي كسر بها إبراهيم الأصنام التي كان يعبدونها قومه؛ فإنه لم يكتف بتحطيمها أو إسقاطها من مواضعها، وإنما جعلها جُذَاذًا وقطعًا مبالغة منه في دحض الشرك والأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

(١) البضاوي، أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٤٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة جذذ.



● **التَّقَطُّعُ** : مصدر الفعل (تَقَطَّعَ) المضعف الذي يفيد بينيته كثرة القطع . وقد جاء توظيفُ هذه المادة في سورة الأنبياء في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلاًّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٣] . والمعنى : «تفرقوا في دينهم الذي قضى الله به عليهم ، ودعاهم إليه فصاروا فيه أحزاباً» ^(١) . ولا يخفى على العليم باللسان العربي أن المراد تصويرُ شدة تفرقهم إلى فرق وأحزاب كثيرة .

وَوَصَفُ تَفَرَّقِهِمْ بِالتَّقَطُّعِ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ . قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور : «والتَّقَطُّعُ مُطَاوَعُ قَطَعَ ، أي : تَفَرَّقُوا . وأسند التَّقَطُّعُ إليهم لأنهم جعلوا أنفسهم فِرَقًا فعبدوا آلهةً مُتَعَدِّدَةً واتَّخَذَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ لِنَفْسِهَا إِلَهًا مِنْ الْأَصْنَامِ مَعَ اللَّهِ ، فَشَبَّهَ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ بِالتَّقَطُّعِ» ^(٢) .

● **حَصِيدٌ** : الحصيد هو الزرع المحصود . والحصدُ جزُّ الزرع والنبات بالمنجل لا باليد . ولفظ (حصيد) على وزن (فعليل) بمعنى مفعول ، وقد جاء توظيف هذه المادة في قوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٥] . أي : جعلناهم مثل الحصيد ، شبههم به في استئصالهم واصطلامهم ، كما تقول : جعلناهم رماداً ، أي : مثل الرماد .

جاء في التحرير والتنوير : شَبَّهُوا بِزَرْعٍ حُصِدَ ، أي : بعد أن كان قائماً على سوقه خضراً ؛ فهو يتضمَّنُ تشبيههم قبل هلاكهم بزرعٍ في حسن المنظر والطلعة» ^(٣) .

(١) القيسي ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج ٧ ، ص ٤٨١٢ .

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ١٧ ، ص ١٤٢ .

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ١٧ ، ص ٢٨ .



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ النُّوَرِ

مِمَّا سَبَقَ اسْتِعْرَاضُهُ مِنْ أَلْفَاظِ (الْقَصْمِ ، وَالذَّمْعِ ، وَالزَّهْوِقِ ،
وَالْجُذَازِ ، وَالْقَذْفِ ، وَالتَّقْطُعِ ، وَالْحَصِيدِ) ، وَالتِّي هِيَ فِي مَعْظَمِهَا
مُتَقَارِبَةٌ فِي إِفَادَةِ مَعْنَى التَّقْطِيعِ وَالتَّفْرِيقِ وَالْحَصْدِ وَالْإِهْلَاكِ ، يَتَبَيَّنُ
الْقَارِئُ بوضوح لا يدعُ مجالاً للشك أَنَّ التَّجَازِبَ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ
الْمُتَقَارِبَةِ فِي دَلَالَتِهَا شَيْءٌ لَافِتٌ لِلانْتِبَاهِ ، وَهُوَ مَلْمَحٌ مُرْعِيٌّ فِي
الْأُسْلُوبِ الْقُرْآنِيِّ .

* * *



المطلب الرابع

دور ملمح التجاذب في توجيه المتشابه اللفظي

المثال الأول: تنوع التعبير في مقولة إبليس:

بعدما استيقن إبليس بأن مأواه النار ، طلب من الله تعالى أن يُنظره إلى يوم يُبعثون ، وأقسم بأنه لن يألو جهداً في إضلال بني آدم إلا المُخلصين منهم ، وقد جاء هذا المعنى في أثواب تعبيرية شتى منها قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٣٩] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ [الحجر: ٣٩ - ٤٠] ، وجاء على لسان إبليس في سورة (ص): ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٢] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ [ص: ٨٢ - ٨٣] ، وأنطقه جل ثناؤه في سورة الإسراء بقوله: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِّي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢] ، بينما جاء في سورة الأعراف في المشهد ذاته أنه حلف قائلاً: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١٧] ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ [الأعراف: ١٧] .

قد يسأل سائل: ما الكلام الذي قاله إبليس فعلاً؟ أهو الكلام الذي جاء على لسانه في سورة الأعراف ، أم في سورة الحجر ، أم في سورة الإسراء ، أم في سورة ص؟

والإجابة عن هذا التساؤل تندرج ضمن الحديث الذي أدلى به الباحثون في علوم القرآن والتفسير خلال تناولهم أسباب تنوع التعبير في القصص القرآني بشكل عام. ذكر صاحب التحرير والتنوير في المقدمة السابعة جملة من أسباب تنوع الأسلوب في عرض القصة



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي الْمَقَامَاتِ السُّورَةِ

القرآنيّة الواحدة منها: تجنّب التّطويل في الحكاية الواحدة ، حيث يقتصر على موضع العبرة منها في موضع ، ويذكر آخر في موضع آخر ، فيحصل من مُتفرّق مواضعها في القرآن كمالُ القصّة أو كمال المقصود منها ، ومنها أن يكون بعضُ القصّة المذكور في موضع مناسباً للحالة المقصودة من سامعيها ، فإنّها تارة تُساقُ إلى المُشركين ، وتارة إلى أهل الكتاب ، وتارة تُساقُ إلى المؤمنين ، وتارة إلى كليهما . . . وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز حسب المقامات^(١) .

وهذا الكلامُ وجيهٌ وسديدٌ في عمومهِ ، وهو صادرٌ عن عَلمٍ من أعلام التّفسير والبيان ، ولكنّه لا يشفي غليل الباحث المتطلّع إلى سبر أغوار المتشابه اللفظي ؛ فلا يكفي القول بأنّ التّعابير المتشابهة التي تُعبّر عن الموقف الواحد ، وعن المشهد الواحد ، جاءت كذلك لبيان التّفنّن في العبارة القرآنيّة ، وتنشيط ذهن القارئ والسّامع كما ورد في التحرير والتنوير في مواضع^(٢) ، أو لاختلاف العبرة المسوق من أجلها الخبر أو القصّة ، أو أنّ هذا التّنوّع في العبارة هو لمراعاة مقامات الخطاب ، فالحديث الذي يُوجّه لأهل الكتاب ، غير الحديث الذي يُوجّه للمؤمنين ، وما يخاطبُ به المنافقون لا يُناسبُ أن يُخاطبَ به المؤمنون ، هذا صحيح ولكن لا يكفي .

والذي أراه ، وتحملُ هذه المقاربةُ البحثيّةُ جزءاً منه ، هو أنّ كثيراً من الأثواب التّعبيريّة المتنوّعة في البيان القرآني ، وكثيراً من أسرار المتشابه اللفظي مرّدها إلى مراعاة الجوّ العام للسّورة التي ورد فيها التعبير ، وإلى الخصائص التّعبيريّة التي تميّزُ بها السّورة التي ورد فيها

(١) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٢) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ١ ، ص ١١٦ .



التعبير ، وثوبها اللفظي العام ؛ فإذا جئنا إلى المقولات التي جاءت على لسان إبليس في الآيات السالفة الذكر ، فإنك حين تتدبر في فهم معانيها ، وتمعن في مدلولات ألفاظها ، وطريقة نظم تراكيبها اللغوية بأعين علوم البلاغة الثلاثة ، وبمنظار الرؤية الشاملة التكاملية للثوب اللفظي للسورة القرآنية ، فإنك واقفٌ بتوفيق الله وهدايته على مفصل الأمر ومحزه ، وفيما يأتي ذكرٌ لبعض أسباب اختلاف العبارات التي جاءت على لسان إبليس ؛ ففي سورة الحجر أقسم قائلًا : بسبب مما أغويتني ، لأزیننَّ لهم إلا عبادك منهم المخلصين ، ولا يخفى أن تزین الأعمال السيئة هي من تلبس إبليس ؛ فهو يجتهد في الوسوسة ، وإلقاء الخواطر الشيطانية ، وتزین كل ما من شأنه أن يجذب الإنسان المكلف إلى ما يغمسه في حماة المعاصي والمحرمات .

الذي يشدُّ انتباه القارئ في هذه الآية هو قسم إبليس على أن يُزین للناس ، فلماذا التزین في هذا المقام ؟ عند التدبر في سورة الحجر والنظر في آياتها نظرة شاملة ؛ يجد القارئ أن التزین ورد فيها في موضع آخر وهو تزین البروج للناظرين : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الحجر : ١٦] ، فكأن إبليس الذي طرد من رحمة الله تعالى يقول بلسان حاله ومقاله : إذا كنت يا الله زينت البروج للناظرين ، وطلبت من عبادك النظر والتأمل في هذا الكون العظيم للاستدلال به على وحدانيتك وعظمتك وتفردك بالخلق ، فإنني سأسعى جاهداً لإغواء عبادك ، وتزین ما حرمت عليهم في أعينهم ، ولا يخفى ما في هذا التصرف من إبليس من عناد وجحود ، وقد كان كفره كفر إباء واستكبار ، وقد أنظره الله تعالى بوعد منه جل ثناؤه إلى يوم يُبعثون .

وجاء في آية الحجر نفسها (٣٩) أنه في خطابه لله تعالى قال :



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

﴿رَبِّ﴾ ، وهذا يتناسبُ مع ذكر لفظ الرّبوبيّة في بدء قصّة آدم وإبليس في سورة الحجر التي مطلعها هو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]؛ بينما جاء في كلام إبليس في سورة (ص) أنّه أقسم بعزّة الله: ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَغْوَيْنَهُم أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿[ص: ٨٢ - ٨٣] ، والقسم بعزّة الله تعالى في هذا الموضع من سورة (ص) يتناسبُ مع العزّة والشقاق التي وصف الله تعالى بها أهل الكفر في مطلعها: ﴿صَّ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿[ص: ١ - ٢] ، ويتناسق ذلك أيضًا مع قول أحد الخصمين اللذين تقاضيا إلى داود عليه السّلام حيث قال أحدهم: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]؛ حيث استعمل لفظ (عزّني) ولم يقل: غلبني أو بزّني ، أو حاججني أو ما يقارب معناها. وجاء حلفه في هذه الآية على إغواء بني آدم لا على التزيين ، وهذا يتناسبُ مع دور إبليس العام ، وصفته التي يتميّز بها وهي الإغواء والوسوسة .

بينما جاء في حديثه في سورة الإسراء قوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾ ، وهنا يتبادرُ هذا السؤال: لماذا اعترض إبليس في هذا الموطن من سورة الإسراء وأبدى عدم رضاه عن تكريم الله تعالى لآدم عليه السّلام؟ أقول: لأنّ سورة الإسراء هي سورة تكريم الإنسان؛ حيث ورد فيها البيانُ الإلهيُّ العظيم الذي قرّر الله العليم الحكيمُ فيه تكريم بني آدم كلّهم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ ومن هنا أيضًا أمر الله سبحانه وتعالى المسلم في السّورة ذاتها أن يقول لوالديه أو لأحدهما إذا بلغ أحدهما أو كلاهما الكبرَ عنده ، أن يقول لهما قولًا كريمًا ، ولم يقل: قولًا معروفًا ، أو قولًا لينا ، وإنما يقول: (قولًا كريمًا) مُراعاةً للجو العام



لسورة الإسراء التي يُعَدُّ التَّكْرِيمُ أَيْقُونَةً من أَيْقُونَاتِهَا اللفظية ، وهذا هو عينُ التَّجاذب اللفظي الذي تُؤَصِّلُ له هذه المُقارِبَةُ التفسيرية .

ومن التَّجاذب اللفظي في الآية ذاتها (الإسراء: ٦٢) تحديد إبليس بأنه سيجتهد في إضلال ذرية آدم واحتناكها و«الاحتناك هو: الاستيلاء ، أي: لأستولينَّ عليهم بالإغواء والإضلال . قال الواحدي: أصله من احتناك الجراد الزرع ، وهو أن تستأصله بأحنأكها وتُفسِدهُ ، هذا هو الأصل ، ثُمَّ سُمِّيَ الاستيلاء على الشيء وأخذهُ كَلَّةً احتناكاً . وقيل: معناه: لأسوقنهم حيثُ شئت ، وأقودنهم حيثُ أردت»^(١) ، ﴿لَا أُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٢] . فلماذا تمَّ اختيارُ لفظ (ذُرِّيَّتَهُ) في هذا السياق تحديداً دون المواضع الستة الأخرى التي وردت فيها قصّة آدم وإبليس؟ والجواب أن في مطلع سورة الإسراء ، وجه الله تبارك وتعالى الخطاب إلى بني إسرائيل الذين كانوا في عهد موسى عليه السلام ، وأطلق عليهم عنوان (ذرية من حملنا مع نوح) في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾^(٢) ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿[الإسراء: ٢ - ٣] ، فكان إبليس العنيد ، انتقاماً من الذرية التي اصطفاها الله تعالى وبيّن لهم بأنهم من ذرية قوم صالحين ، والأولى بهم أن يُحافظوا على منهج سلفهم الصالح من الأنبياء والمرسلين ؛ عزم أن ينتقم من ذرية آدم ، واستعمل اللفظ ذاته (ذرية) . فانظر ، يا رعاك الله ، إلى عظمة الاتساق والتناسق في انتقاء الألفاظ واستعمالها ، بل انظر إلى تناغمها وتجاوبها فيما بينها .

وإذا جئنا إلى حديث إبليس في سورة الأعراف ، فإنه أقسم بأنه

(١) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ ،



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

يقعد للصالحين في صراط الله المستقيم ليُضِلَّهُمْ وَيُبْعِدَهُمْ عَنْهُ: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [١٦] ثُمَّ لَا تَبْتَهُهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿[الأعراف: ١٦ - ١٧].

ويستوقف كل قارئ عملية قعود إبليس في الصراط المستقيم ، ولماذا هذا الاختيار هنا؟ والجواب المؤكد الذي لا ريب فيه: هو أن هذا الاختيار - علاوة على أسرار أخرى الله يعلمها - يُلبّي ملمح التجاذب اللفظي ، الذي تتسرّب بها السور القرآنية جميعها حتى غدا ملمحاً هاماً وعاملاً أساساً في توضيح كثير من الفروق الدقيقة المتعلقة بالمتشابه اللفظي .

قلت: إن هذا الاختيار: أولاً يخدم المعنى المراد في سورة الأعراف ، وهو أن إبليس لا يألو جهداً في الإفساد بين المؤمنين وزرع الضغينة والشنآن بينهم ، فهو يقعد في طريقهم مُتَرَصِّداً لكل حركاتهم وسكناتهم ، وفي الوقت ذاته يتناغم ويتسق مع نظيره المستعمل على لسان نبي الله هود عليه السلام حين قال لقومه ناهياً ومؤدباً: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦] .

وهكذا يلحظ القارئ المُتدبِّر في كلام الله تعالى ، أن ظاهرة التجاذب اللفظي تُسهم في تجلية كثير من الإشكالات والمسائل العويصات ، التي ظلت رِدحا من الزمن تُورِّق كثيراً من التالين لكلام الله تعالى .

المثال الثاني: مادة (مزق)

تحدث كثير من الآيات في القرآن الكريم عن استنكار الكافرين للبعث ، وتعجبهم من أن يُعيدهم الله تعالى إلى الحياة يوم القيامة ،



وإحالتهم النشور بعد أن تصبح عظامهم بالية، ونخرة، ورميمًا، وترابًا. والملاحظ أن التعبير عن هذا المعنى جاء بأساليب متنوعة، وقوالب تعبيرية شتى؛ فتارة جاء على ألسنة الكافرين: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]، وطورًا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ [النازعات: ١١]، وثالثة قالوا: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ورابعة أخرى قالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧]، وهي كلها تعابير تصب في مورد واحد، ولكن - كما أسلفت - تختلف أثوابها اللفظية، ويتميز بعضها عن بعض بإضافات هي في مجملها تتوافق مع أجواء السور والمقامات الخطابية التي وردت فيها.

والذي يعنينا في هذا المقام ما تردّد على لسان الذين كفروا في سورة سبأ حيث قالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]؛ حيث استعمل الكافرون عبارة (مُرِّقًا كُلَّ مُمَرِّقٍ) للتعبير عن تفرّق عظامهم بعد الموت، ودخولها في مراحل البلى والتفتت والتحلل.

جاء في فتح القدير: «﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعض لبعض، ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمدًا ﷺ، أي: هل نُرشدكم إلى رجلٍ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: أي: يُخبركم بأمرٍ عجيب، ونبأ غريب هو أنكم ﴿إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾، أي: فرّقتم كل تفريق، وقطّعتُم كل تقطيع، وصيرتُم بعد موتكم رُفَاتًا وترابًا، ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تُخلقون خلقًا جديدًا، وتبعثون من قبوركم أحياء، وتعودون إلى الصور التي كنتم عليها»^(١).

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٣٥٩.



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

وهذا المعنى هو ذاته الذي عبر عنه المفسرون السابقون في أسفارهم^(١)، والذي يستوقف المتدبر في هذه الآية الكريمة هو البحث عن مسوغ توظيف عبارة ﴿مُزِقَّتُمْ كُلَّ مُزْقٍ﴾ في هذا السياق دون غيره من المواضع التي سبق ذكرها وأمثالها من الآيات المتحدثة عن استنكار الكافرين البعث بعد الموت.

والسبب، والله أعلم بأسرار التّزيل، أنّ الذين كفروا الذين جاء ذكرهم في سورة سبأ هم من أشدّ الكافرين كفراً وإنكاراً للبعث والنشور؛ فقد جاء وصفهم بأشدّ أوصاف الكفر وأعماله، وبأنّهم مُعاجزون؛ فقد جاء وصفهم بأنّهم سَعَوْا للتّعجيز بصيغة الماضي، ويسعون للتّعجيز بصيغة المضارع، أي: أنّ شأنهم المعاجزة، والبحث عن أيّ سبب أو مُسْتَنَدٍ يُمكنهم الاتّكاء عليه لدحض حجج الإسلام وآياته الناصعات: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٥]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وهم موقنون أنّ الساعة لا تأتيهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [سبأ: ٣].

وجاء وصفهم أيضاً بأنّهم لا يؤمنون بالآخرة، وبأنّهم منغمسون في ضلال بعيد: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨]، وهم يفتخرون بمتاع الدّنيا وحُطامها، وكثرة الأولاد والأموال: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] وغير ذلك من صفات أهل الكفر والإشراك؛ فمن الطبيعي أن يكونوا من الذين يستبعدون بشدّة العودة بعد الممات، والوقوف بين يدي الله الواحد

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٥٦٩، والجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٢٢٨.



الديان ، من هنا جاء قوله تعالى : ﴿ مُزَقِّمٌ كُلُّ مُزَقِّقٍ ﴾ مُعَبَّرًا عن شدة استبعادهم لأمر النشْر والبعث بعد الموت ، بأن وصفوا تفتت عظامهم وتعرُّضها للبلى بالتمزيق الذي تتعرَّضُ له الأوراقُ فيجعلها إربًا إربًا .

هذا من الناحية المعنوية ، أمّا من الناحية اللفظية ، فهذا التعبير يتجاذب كثيرًا مع النتيجة التي حاقت بأهل سبا حين دَعَوْا على أنفسهم قائلين : ﴿ رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [سبا : ١٩] ؛ فكان جزاؤهم أن عاقبهم سبحانه فقال : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُزَقِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبا : ١٩] .

جاء في التحرير والتنوير : « والتمزيق : تقطيع الثوب قطعًا ، استعير هنا للتفريق تشبيهًا لتفريق جامعة القوم شذر مذر بتمزيق الثوب قطعًا »^(١) .

فانظر كيف تجاذب التعبيران ، حديث الكافرين أنهم لا يرجعون بعد أن يُمزَّقوا كُلُّ مُزَقِّقٍ ، وحديث الله تعالى عن أهل سبا الذين مزَّقهم كُلُّ مُزَقِّقٍ ، وليس التشابه مقصورًا على المادّة المعجميّة فقط ، وإنما يكمن التّطابق في توظيف التركيب اللّغوي نفسه ، وإن شئت فانظر إلى ما يُحدثه التعبير بلفظ (كل) ، وإضافة المصدر الميمي (مُزَقِّق) إليها في الجملتين .

مِمّا سبق عرضه يتبيّن بجلاء لا يقبلُ إثارة من شك أن ظاهرة التّجاذب اللفظي ملمحٌ لفظي بارزٌ ، وسمّةٌ لفظيّة متأصّلةٌ في التعبير القرآني بشكل عام ، وفي كل سورة قرآنيّة بشكل خاص . وكما أن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن كله بلسانٍ عربيّ مبين ، وكلّ ألفاظه منتقاة

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٢٢ ، ص ١٧٨ .



أجواء الدلالة في المقارنات السور

من معين لسان العرب ، كذلك دلّ الاستقراء أنّه جلّ ثناؤه خصّ كلّ سورة بطابع أسلوبيّ خاص ، وبثوبٍ لفظيّ مُكوّنٍ من لبنات لفظيّة متّسقة مع جوّها العام ، متجاذبة فيما بينها ، وفي أحيان كثيرة تنفرد بها سورة بعينها دون أن تتكرّر في سور أخرى ، وهذا يؤدّي إلى إضفاء مسحة جماليّة على نصوص التّزيل المعجز .

والآن أخي القارئ ، أقول : أمّا بعد ، فإذا توصّلنا بالأدلة التي سبق عرض نماذج منها إلى أن كلّ سورة قرآنيّة تنفرد بثوب لفظيّ خاص ، يُعرّفُ بها ، ويُميّزها عن أخواتها ، فما بالنا حين نجد سورتين تتقاطعان في نفس الثوب اللفظيّ ، أي : تشتركان في كثير من الألفاظ ، والأنساق التعبيريّة التي لا توجد في غيرهما؟ وتشتركان في كثير من المضامين والموضوعات؟ ما قولنا حين نجد أن مجموعة من السّور تتقاطع وتشترك في كثير من الألفاظ والتعابير ، وفي الوقت ذاته تكون هذه السّور متشابهة في مطالعها ، أو متشابهة في فواصلها ، أو متشابهة في الأنماط التعبيرية التي تبدأ بها؟ أفلا يدعونا هذا التماثل في الأتواب اللفظيّة إلى مزيد من الدّراسة والتّدبر في هذه الأسر إلى أن نجد الخيوط التي تربط بينها ، وإلى أن نجد الهندسة التي تتحكم في أبنيتها وأنسجتها التعبيرية؟

هذه الأسئلة ومثيلاتها تُحاول الفصول والمباحث الآتية الإجابة عنها بإذن الله تعالى .



الفَصْلُ الْأَوَّلُ

السُّورُ الْمُتَشَابِهَةُ الْمُطَالَعُ





الْمَجْمَعُ الْأَوَّلُ سُورَةُ الْحَمْدِ

(الفاتحة، وفاطر، والأنعام، وسبأ، والكهف)

١ - أنزل الله تبارك وتعالى خمس سور افتتحها بإسناد الحمد لذاته العلية ، وهي الفاتحة (٥ نزولاً) ، وفاطر (٤٣ نزولاً) ، والأنعام (٥٥ نزولاً) ، وسبأ (٥٨ نزولاً) ، والكهف (٦٩ نزولاً) ، وفق ترتيب النزول المعتمد عند أئمة علوم القرآن^(١) :

والسور الخمس تتفاوت من حيث الطول والقصر؛ إذ تعدُّ فاتحة الكتاب من قصار السور لاشتمالها على سبع آيات ، وتعدُّ الأنعام من الطوال ، والكهف من المئين ، وسبأ وفاطر من المثاني .

٢ - وغني عن البيان ، والحديث يدور حول شخصية السورة القرآنية ، أن أقرّر ما سبق أن ذكره علماء التنزيل ، وقرّروه في أسفار علوم القرآن والتفسير من عظمة فاتحة الكتاب ، وعُلُو شأنها بين سور القرآن كلّها؛ فهي فاتحة الكتاب ، وأمّ الكتاب ، وأمّ القرآن ، والسبع المثاني ، وسورة الحمد ، وسورة الكنز ، والشافية ، والوافية ،

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .



والواقية ، والكافية ، وسورة الصّلاة ، وغيرها من الأسماء التي أفاض في عرضها علماء التنزيل^(١) ، وكثرة الأسماء دليلٌ على شرف المسمّى ، ويكفيها تقدّمًا على أخواتها المكيّات والمدنيّات أن قدّمها الله تعالى في المصحف الشريف على الزّهراوين وبقية سور القرآن الكريم ، ولا صلاة لمن لا يقرأ بها ، وكلُّ صلاة خلت من تلاوتها فهي خِدَاجٌ ، خِدَاجٌ ، خِدَاجٌ .

٣ - جمعت الفاتحة الكليات الإيمانية الكبرى لدين الإسلام ، فهي عناوينُ للدين الخاتم الذي اصطفاهُ الله للإنسانية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والكليات الإيمانية الكبرى هي :

الإيمانُ بالله تعالى ، وبكونه ربًّا للعالمين .

الإيمانُ بأسمائه الحسنَى وصفاته العلا .

الإيمانُ باليوم الآخر ، وإقامة الجزاء فيه .

إفراد الله بالعبادة والاستعانة ، فلا معبود بحق إلا الله ، ولا مُستعان به إلا الله تعالى .

الله تعالى هو الهادي إلى الصراط المستقيم .

الصراط المستقيم الذي أوضح القرآن الكريم والسنة الصحيحة معالمه هو صراطُ الأنبياء والمرسلين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

التنفير من سلوك السبل الملتوية التي سلكها المغضوب عليهم (اليهود) والضّالّون (النصارى) .

٤ - وهذه الكليات الإيمانية الكبرى جاء ذكرها وتفصيل القول فيها

(١) انظر السيوطي ، الإنقان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ٧٠ ، ٧١ .



في كثير من السور المكيّة والمدنيّة ، والذي يعيننا في هذا المقام هو بيان الخيوط الرّابطة ، والأعمدة الهندسيّة القويّة التي تقوم عليها سورُ الحمد الخمس: الفاتحة ، والأنعام ، والكهف ، وسبأ ، وفاطر . ولقد أسلفت القول: إنّ السور القرآنيّة ذات المطالع المتطابقة يُوحّدها ويربطُ بين نسيج كلٍّ منها رباطٌ قويٌّ من المضامين والمحتويات والألفاظ يجعلها تنتمي إلى أسرة واحدة ، وليس من قبيل الصدفة أن تبدأ سورٌ بعينها بيدايات متطابقة ، وتُفتَح سور أخرى بافتتاحيات مختلفة ، ثم لا ينتبه القارئ المتدبّر والمستمع المنصّت إلى ما يجمعها وما يربطها ، بل عين الحكمة والرّشاد أن يتطلّع الباحث إلى ما يجمع بين السور التي تكون مطالعها متشابهة ومتطابقة ، وعدم فعل ذلك هو مظنة التساؤل والاستفسار .

سورة فاطر تعريف ربّ العالمين:

٥ - فبعد أن يتلو القارئ سورة الفاتحة ، ويُقرّ بأنّ جميع المحامد ، وبأنّ جميع أنواع الشكر والثناء مُستَحَقّةٌ لله تعالى وحده لا شريك له ، إله العالمين وربّ العالمين ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ، جاءت فاتحة سورة فاطر تُعرّف ربّ العالمين بأنّه هو فاطر السّماوات والأرض: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١] .

٦ - والحمد لله ربّ العالمين ، فهو المتصرّف في شأن الملائكة: ﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحَةٌ مَّتَنَّى وَثُلُثُ رُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١] .

٧ - ولما قرّر القارئ في تلاوته ، وتقرّر في ذهن المستمع المتدبّر ووجدانه أنّ الله تعالى هو ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الفاتحة: ٣] ، جاءت



الآية الثانية من فاطر تُوضِّحُ مدى سعة رحمة الله وشمولها ووصولها للعالمين: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

٨ - ثمَّ توالى غالبية آيات سورة فاطر تُعَدُّ النِّعَمَ العظيمة ، والآلاء الجسيمة التي سخرها الله المُنْعِمُ الوهَّابُ في الكون ، يربُّ بها خلقه ، من إنسان ، وحيوان ، وجماد .

قال جلَّ شأنه: ﴿ يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَوْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣].

٩ - ثمَّ ذُكِرَتِ السُّورَةُ بتكذيب الأقوام السابقين لرُسُلِهِم السابقين ، وطمانت محمدًا ﷺ بأنه ليسَ أوَّلَ نبيٍّ يُكذِّبُ ، بل هو واحدٌ من كوكبة الأنبياء والمرسلين الذين كُذِّبُوا وأُذِّبُوا وازدُجِرُوا: ﴿ وَإِنْ يُكْذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [فاطر: ٤].

١٠ - ثمَّ جاءت إشارة خاطفة تُبَيِّنُ صِحَّةَ وعد الله بأنه واقعٌ لا محالة ، فاللهُ وعدَ في آياتٍ من الذكر بأنه باعثُ الخلق وجامعهم ليومٍ لا ريبَ فيه للحساب والجزاء ، ولا يتصرَّف حينئذٍ أحدٌ إلا بإذنه ، فهو الإلهُ الفردُ الأحدُ المَلِكُ المُتَصَرِّفُ في يوم الدين ، وهذا ما تُصَرِّحُ به آيةُ الفاتحة ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ؛ فلا مالِكَ سواه ، والكلُّ سوفَ يقفُ بين يديه لينالَ جزاءَ ما قدَّم ؛ فهذا الوعدُ حقٌّ لا مِرَّةَ فيه ، وهذه حقيقةٌ إيمانيةٌ كبرى ينبغي لكلِّ مؤمنٍ الإيمانُ بها ، بل يجبُ عليه أن يعتقِدَ يقينًا بوقوعها ، ويعقِدَ عليها في سويداء قلبه ، وهذا معنى كَوْنِ هذه الحقيقة رُكنًا من أركان العقيدة الإسلامية ، ومن ثمَّ جاءت الآية الخامسة من سورة فاطر تُنادي النَّاسَ جميعًا: ﴿ يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ



الْعُرُودُ ﴿ فاطر: ٥ ﴾ ، وكأني بالآية الكريمة تُنادي النَّاسَ جميعًا :
اعتقدوا اعتقادًا جازمًا بالبعث في اليوم الآخر ، وبالوقوف بين يدي
الله تعالى ؛ فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا فأنتم مُنتقلون إلى دار القرار
والخلود .

١١ - وبعدَ حديثٍ مُقتضبٍ عن الشَّيْطَانِ ، وإيضاحِ عداوتهِ
للمؤمنين ، وبيانِ سوءِ مصيرِ الكافرين ، ومُواساةِ الرِّسُولِ ﷺ بأنَّ كُفَرَ
مَنْ كَفَرَ لَا يَضُرُّهُ شَيْئًا : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨] ، بدأتِ جولةٌ كبيرةٌ على صفحاتِ سورةِ فاطر
تُعَدُّ نِعْمًا كثيرةً يُربُّ اللهُ تعالى بها عباده ، وهي في حقيقتها تفسيرٌ
لمعنى ربوبيةِ الله للعالمين : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ،
والقارئُ الرَّشيدُ يحمَدُ الله تعالى عندما يقرأ بيانَ كلِّ نعمة :

فالحمدُ لله ؛ فهو الذي ﴿ أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩] .

والحمدُ لله الذي أعزَّ عباده المؤمنين بالإيمان ؛ فهو العزيزُ
الغالبُ ، وَمَنْ ابْتَغَى الْعِزَّةَ فِي غَيْرِ شَيْءٍ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ سِوَاءِ
السَّبِيلِ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠] .

والحمدُ لله على أنْ خلقنا في أحسنِ تقويمٍ أسوياء : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا
يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ١١] .

والحمدُ لله الذي سَخَّرَ البحرين ، وجعلَ فيهما نِعْمًا وخصائصَ
يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ أَجمعون : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ
وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢] .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ النُّجُومِ

والحمدُ لله على بديع خلقه في الكون ، وتسخيره للشمس والقمر ، وجعل الخلق يذوقون برْدَ الليل وراحةَ الجسم في جُحِ الظلام ، وينتفعون بوهج الشمس ، ويستثمرون ضياءها وطاقاتها في إعمار الأرض في النهار: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

١٢ - ثُمَّ شرعت الجولة الثانية في بيان فقر الخلائق كلها لله الغني الحميد: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ، وهو العليمُ الحكيمُ علامُ الغيوب ذو المشيئة المطلقة: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [فاطر: ١٦-١٧].

١٣ - ثُمَّ عاد السياق من جديد إلى تعداد النعم؛ حيث ذكر الله تبارك وتعالى نعمة البصر ، ونعمة الظلمات والنور ، ونعمة الظل والحرور ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢١] ، ونعمة إرسال محمد ﷺ بشيراً ونذيراً: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ثُمَّ جاء دورُ ذكرِ نعمة إنزال الماء من السماء: ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: ٢٧] ، ونعمة اختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام ، وذكر نعمة العلم ، وخشية العلماء من الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

١٤ - ثُمَّ عرّج السياق على النعم المعنوية ، وجاء دورُ ذكرِ نعمة



إنزال الكتاب الخاتم ، الذي يتضمّن المعجزة العقلية الخالدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْثُرَ﴾ [٢٩ - ٣٠] ، وبيان أن القرآن هو الحقُّ جاء مُصدّقاً للرّسول الذي بين يديه: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١] .

١٥ - ثمّ توالى سورة فاطر تُعدّد النعم التي يرُبُّ بها ربُّ العالمين عباده في الدنيا ، وعرّجت على ذكر ما يُجازيهم به إن هم اتقوا وآمنوا وعملوا عملاً صالحاً ، وهي آياتٌ تُشوّق المؤمنين إلى الدار الآخرة حيثُ يجزيهم الله تعالى بالجنّات والنّعيم المقيم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣] .

ومن بين الترابط الذي يلمحُه القارئ المُتدبّر من باب تكامل آيات الموضوع الواحد ، ومن قبيل الترابط الموضوعي بين السّور المتشابهة المطالع ، نجدُ أنّ جنّات عدنٍ جاء ذكرُها في سورة فاطر بشيءٍ من الاقتضاب والإيجاز ، وجاء ذكرُها في نظيرتها سورة الكهف بشيءٍ من الإطناب المفيد والتفصيل الواصف حيثُ جاء فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [٣٠] أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا [الكهف: ٣٠ - ٣١] .

فمن الواضح أنّ آيتي الكهف بيّنتا النّعيم ، ووصفتا ما يجده المؤمنون في جنّات عدنٍ ، وكيف أنّ الأنهار تجري من تحتها ، وبيان ما يلبسون فيها ، والذهب الذي يُحلّون به فيها ، ووصف الأرائك والفرش التي يتكئون عليها ، وهذا هو ما لم تُفصّل فيه القول آيةُ فاطر؛ فأيةُ فاطرٍ مُمهّدةٌ مُوصّلةٌ ، وآيةُ الكهف مُبيّنةٌ مفصّلةٌ .



١٦ - ثُمَّ تَوَالَتْ آيَاتُ تَصِفُ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّارَ الَّتِي يَصْطَرِخُ فِيهَا الْكَافِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَنْفِيرًا لَهُمْ مِنْهَا ، فَمَنْ خَافَ النَّارَ ، أَعَدَّ إِيْمَانًا وَعَمَلًا صَالِحًا يَقِيهِ مِنْهَا : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

١٧ - ثُمَّ عَرَّجَ الْبَيَانُ الْقِرْآنِيَّ مُتَحَدِّثًا عَنْ نِعْمَةِ جَعَلَ اللَّهُ الْخَلْقَ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ، مُفْنِدًا وَدَاحِضًا أَفْكَارَ الْمُشْرِكِينَ ، وَمُبَيِّنًا شِنَاعَتَهَا ، ثُمَّ بَيَّنَّتْ رِعَايَةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ بِإِمْسَاكِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

١٨ - ثُمَّ خَتَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ السُّورَةَ بِتَوْجِيهِ النَّاسِ جَمِيعًا إِلَى دِرَاسَةِ التَّارِيخِ ، تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ ، وَدِرَاسَةِ أَسْبَابِ تَطَوُّرِهِمْ وَتَعْمِيرِهِمُ الْأَرْضِ ، وَأَسْبَابِ نُزُولِ التَّدْمِيرِ وَالْعِقَابِ بِهِمْ .

وهكذا يتجلى بوضوح لا مجال لأثارة من شكٍّ لكل قارئٍ مُتَدَبِّرٍ كَيْفَ أَنَّ سُورَةَ فَاطِرٍ وَهِيَ الثَّانِيَةُ نَزُولًا مِنَ السُّورِ الْمَفْتُوحَةِ بِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ، جَاءَتْ لِبَيَانِ آيَاتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ لِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ٢ - ٣] .

روابط سورة فاطر بأخواتها من سور الحمد:

١٩ - خَصَّصَتْ سُورَةُ فَاطِرٍ الْحَمْدَ بِاللَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ١] ، وَذَكَرَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ بِأَنَّ الْحَمْدَ مُسْتَحَقٌّ لِلَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام : ١] ، وَذَكَرَتْ سُورَةُ سَبَأٍ بِأَنَّ الْحَمْدَ مُسْتَحَقٌّ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَزَادَتْ عَلَى اخْتِيَارِهَا بِأَنَّ



قَرَّرْتُ بَأَنَّ لَهُ الْحَمْدَ فِي الْآخِرَةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١].

ولا يخفى أَنَّ ذِكْرَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ فِي الْآخِرَةِ ، يتناسقُ مع حديث سورة سبأ المستفيض عن الآخرة ولقاء الله تعالى فيها .

٢٠ - ذكرت سورة فاطر هذا الاستفهام الذي الغرض من ورائه تقرير الكافرين بالنفي ، أي: أَنَّهُ لَا رَازِقَ لَهُمْ وَلَا لغيرهم إِلَّا اللَّهُ ، فلماذا يتوجه الناسُ إلى سواه؟ ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣] ، وزادت سورة سبأ مسألة الرزق إيضاحاً بحث الرسول ﷺ بأن يسأل الناس جميعاً: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

٢١ - جاء في سورة فاطر في موضعين حديثٌ فيه تسليّةٌ للرسول ﷺ بأنَّ كثيراً من الأقبام السابقين كذبوا رسل الله من قبل قريش: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤] ، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥].

وبالمقابل قرّرت سورة الأنعام الثالثة نزولاً من سور الحمد هذا المعنى ، وصدّرتَه بلام التوكيد وحرف التحقيق (قد): ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] . وقرّرت تكذيبهم بصيغة المضى مُنبّهةً إلى المصير الشنيع الذي حاق بالمكذّبين في الدنيا ، ويحيقُ بهم في الآخرة: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ: ٤٥].



٢٢ - نظير التّكذيب الاستهزاء ، حيث جاء في سورة الأنعام حديث عن استهزاء الأقوام برسل الله تعالى . قال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠] ، ثُمَّ جاء بيان نوع من أنواع استهزاء الكافرين وتهكمهم بيوم البعث في سورة سبأ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٧] .

٢٣ - قرّرت سورة فاطر أنّ وعد الله الذي جاء ذكره في فاتحة الكتاب في قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] ، هو حقٌّ وواقع لا مرية فيه ولا ارتياب . قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر: ٥] ، أمّا سورة سبأ فأظهرت تساؤل الكافرين عن هذا الوعد : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سبأ: ٢٩] ، فأجابهم الله تعالى : ﴿ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْدِمُونَ ﴾ [سبأ: ٣٠] .

ثُمَّ جاءت سورة الكهف في نهاية جولات سور الحمد تقرّر أنّ وعد الله حقٌّ ، مُرْسَخَةٌ هذا المبدأ الإيمانيّ العظيم (مبدأ الرجوع إلى الله) عبر تفصيل القول في قصّة أهل الكهف الذين أنامهم الله تعالى فترة طويلة ثُمَّ بعثهم : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [الكهف: ٢١] .

٢٤ - حذّرت سورة فاطر من الشّيطان ، وقرّرت بأسلوب مؤكّد أنّ الشّيطان عدوّ مبينٌ للجنس البشريّ ؛ وعليه فعلى الناس جميعاً أن يحذروه ويتّخذوه عدوّاً : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦] ، ثُمَّ جاءت سورة الأنعام بعدها فعمّقت هذا المعنى في نفوس المؤمنين ، وزادتهم تحذيراً من مكر



الشَّيْطَانُ ، وأيقظتهم إلى عدم الوقوع في مصايده وأحابيله ، وبيّنت أنَّ الشَّيْطَانَ هو الذي زَيَّنَ للمنحرفين والمُجرمين ما يعملون : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣] ، ثمَّ جاءت الآية (١٤٢) من الأنعام تُبيِّنُ أنَّ للشَّيْطَانَ خُطواتٍ مُمهَّدة وجاذبة ومُغرية تُوقِعُ الغافلين ، وتُزِلُّ أقدامهم : ﴿ وَمِنَ الْآتَعَمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٢] .

ثمَّ جاءت سورة سبأ ضاربةً المثل بقوم سبأ الذين أنعم الله تعالى عليهم بنعمٍ شتى ، ولكنَّهم أَعْرَضُوا ، فجازاهم الله بما صنعوا ، وضرب بهم المثل ، ثمَّ علَّقَ البيانُ القرآنيُّ مُوضِحًا استمالةَ إبليسَ لهم ، وجذبهم إلى حزبه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

٢٥ - ذكرت سورة فاطر جزاء الذين كفروا ، وجزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وبدأت بذكر الذين كفروا نظرا لقرب الحديث عن الشَّيْطَانِ الذي يسعى جاهداً ليجعل مُتَّبِعِيهِ في عذاب السَّعِيرِ : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [فاطر: ٧] ، وجاء فيها أيضاً ذكرُ لعذاب الذين كفروا منفردين : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: ٣٦] .

ثمَّ جاء في سورة سبأ حديثٌ عن الفريقين ، ولكنها تحدّثت عن فريق الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثمَّ عن الذين كفروا وبيّنت وجهًا من وجوه كفرهم أنَّهم سَعَوْا مُعَاجِزِينَ في آيات الله ، وأنَّى لهم ذلك : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ [سبأ: ٥].

٢٦ - بَيَّنَّتْ سُورَةُ فَاطِرُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى، وَآثَرُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، قَدْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، فَرَأَوْهَا حَسَنَةً، ثُمَّ نَهَاةً أَنْ يَكْتَرِبَ لِحَالِهِمُ السَّيِّئَةُ، فَهَمُّ الْمَسْئُولُونَ عَنْ اخْتِيَارَاتِهِمْ: ﴿فَلَا نَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، وَأَتَمَّتْ سُورَةُ الْكَهْفِ هَذَا الْمَعْنَى، وَزَادَتْهُ إِضَاحًا، وَخَاطَبَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ قَائِلًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسُكَ عَلَىٰ عَآثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]: فَلَا تُهْلِكْ نَفْسُكَ مِنْ أَجْلِهِمْ، فَلَقَدْ أَتَضَحَّتْ مَعَالِمُ الْحَقِّ فِي أَعْيُنِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَحَمَّلُونَ وَزَرَ مَا اخْتَارُوا.

٢٧ - بَيَّنَّتْ سُورَةُ فَاطِرُ جَانِبًا مِنْ مَرَاهِلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ إِرْشَادًا لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعُودَ إِلَى رَبِّهِ، وَيُفِيءَ إِلَى دَائِرَةِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، وَأَوْضَحَتْ سُورَةُ الْكَهْفِ إِضَاحًا عَمَلِيًّا إِلَى ضَرُورَةِ انْتِبَاهِ الْإِنْسَانِ إِلَى أَصْلِ خَلْقِهِ، وَعَدَمِ اغْتِرَارِهِ بِحَالِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا الْآنَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ حَالَةَ خَلْقِهِ يَوْمَ انْتَقَلَ مِنَ الْمَرَحَلَةِ التَّرَابِيَّةِ إِلَى مَرَحَلَةِ النُّطْفَةِ فَالْعَلَقَةِ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُوقِظُ فِيهِ رُوحَ الْإِيمَانِ، وَجِدْوَةَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ. تَمَثَّلَ ذَلِكَ عَمَلِيًّا فِي مُحَاوَرَةِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الْكَافِرِ الْجَاهِدِ: ﴿قَالَ لِمَ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

وَالْمَلَاخِظُ أَنَّ الْآيَتَيْنِ تَحَدَّثَتَا عَنْ مَرَحِلَتِي التُّرَابِ وَالنُّطْفَةِ فَقَطْ، وَهَذَا تَوَافُقٌ دَقِيقٌ، بَيْنَمَا تَحَدَّثَتَا آيَاتٍ أُخْرَى كَمَا فِي (الْمُؤْمِنُونَ) وَ(الْحَجِّ) وَغَيْرَهُمَا عَنْ مَرَاهِلَ مُتَعَدِّدَةٍ لِأَطْوَارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ.



٢٨ - ذكرت سورة فاطر أن كل ما يقع في الكون ، وما يُولد من مولود ، وما يُعمر من مُعمر ، ولا يُنقص من عمره ، إلا وهو مُسجل في كتاب مبين : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ١١] ، وقررت سورة الأنعام هذا المبدأ الإيماني ذاته مبينة أن الله تبارك وتعالى عنده مفاتيح الغيب ، ولا يعزبُ عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، وتناولت سورة سبأ الموضوع ذاته بمزيد من التقرير والإيضاح ذاكراً أن الله تبارك وتعالى لا يعزبُ عن علمه ما هو أقل من الورقة والحبة ؛ فهو العليم بما هو أقل من الذرة وأصغر منها : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣] .

٢٩ - عرفت سورة فاطر رب العالمين يذكر أشياء مما خلق وأبدع ، منها أنه : ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣] ، وذكرت سورة الأنعام أنه هو الذي خلق السماوات والأرض ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١] ، وأبدعهما من عدم : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

٣٠ - ذكرت سورة فاطر أن الله عالم غيب السماوات والأرض : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [فاطر: ٣٨] ، وذكرت سورة سبأ أمثلة دقيقة لعلمه الشامل المحيط



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَا زَادَ السُّورَةُ

الذي لا يعزبُ عنه شيء في الكون كله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢] ، وذكرت سورة الأنعام أنه سبحانه وتعالى يعلمُ سرَّ الناس وجهرهم جميعاً: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] ، وذكرت سورة الكهف مثلاً تطبيقاً لعلم الله المحيط الأزلي ، الذي لا يغيب عنه شيء حين عرج السياق على ذكر عدد فتية الكهف ، وعدد السنين التي قضوها في كهفهم: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ، ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: ٢٦] .

٣١ - قرّرت سورة فاطر أن الكافرين أقسموا أيماناً مغلظةً أنهم لن جاءهم نذيرٌ لا تبعوه وكانوا من أهدي الأمم ، ولكنهم لفرط جحودهم وضلالهم ، لما جاءهم نذيرٌ ما زادهم إلا نفوراً: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] ، وأتمت سورة الأنعام بيان هذا المعنى ، وأوضحت أن مشركي مكة أقسموا لمحمد ﷺ أنه لن جاءتهم آيةٌ حسنةٌ يرونها ليؤمنن بها ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩] ، فأجابهم القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] .

٣٢ - قرّرت سورة فاطر أن كل إنسان يتحمل مسؤولية ما يصدرُ عنه من أفعال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] ، وزادت سورة الأنعام هذه القاعدة الإيمانية تقريراً وترسيخاً في وجدان المؤمنين: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤] .

٣٣ - جاء في سورة فاطر نفي أن يستوي الأعمى والبصير ، فشتان



ما بين الرّجلين: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا نَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨] ، ووجه الله تعالى رسوله ﷺ في الأنعام إلى أن يُلقَى في أسماع العالمين هذا السؤال الذي يهز القلوب والألباب: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠] بغرض زيادة تقرير النفي .

٣٤ - قرّرت سورة فاطر أن الله تبارك وتعالى هو الذي جعل الناس خلائف في الأرض ، ووجّهم إلى الإيمان بالله تعالى وبسط أدلّة التّوحيد بين أيديهم ، وتوعّدهم بنار جهنّم في حال الكفر والإشراك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩] ، ثمّ جاءت سورة الأنعام تقرّر المعنى ذاته ، وتبيّن أن البشر هم خلائف الأرض ، وأن الله رفع بعضهم فوق بعض درجات لیبْلُوهم أيّهم أحسن عملاً: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّبَلِّوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] .

٣٥ - ذكرت فاتحة الكتاب أن الله ربّ العالمين هو وحده المُستحقّ لجميع المحامد ، ويتضمّن هذا إحقاق كل أركان التّوحيد ، وذكرت سورة فاطر أن الشّركاء الذين يدعوهم المشركون لا يملكون شيئاً ولو كان قطميراً: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] ، وأوضحت أن الشّركاء المزعومين لا يسمعون ، ولا يُجيبون سائلاً فضلاً عن قضاء حاجته: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ، وتحدّتهم الآية (٤٠) بأن الشّركاء المزعومين لم يخلقوا شيئاً من الأرض: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ



بِجَوَاهِرِ الذَّرَىٰ فِي عِلْمِهِ مَقَارِنُ السُّورِ

الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ [فاطر: ٤٠] ، ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ فَأَمَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ كَافَّةً: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] ، وَأَوْضَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْلُوبِ الْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِطْلَاقًا فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩] ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَمُّ حَشْرُهُمْ مَعَ شُرَكَائِهِمْ ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ وَالتَّبَكُّيْتِ وَالتَّقْرِيعِ: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢] .

ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ سَبَأٍ (الرَّابِعَةُ مِنْ سُورِ الْحَمْدِ نَزُولًا) وَتَهَكَّمَتْ بِالْكَافِرِينَ ، وَأَمَرَتْهُمْ بِأَنْ يَدْعُوا شُرَكَاءَهُمَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] ، ثُمَّ صَوَّرَتْ سُورَةُ الْكَهْفِ الْمَشْهَدَ نَفْسَهُ عِنْدَمَا يَكُونُ الْمُشْرِكُونَ مَوْقُوفِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكَهف: ٥٢] ، وَبَيَّنَّتْ بِطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ إِيْمَانَ أَهْلِ الْكَهْفِ الَّذِينَ فَارَقُوا دِيَارَهُمْ ، وَهَجَرُوا قَوْمَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْضُوا الْعَيْشَ تَحْتَ رَايَةِ الشَّرْكِ ، وَآثَرُوا الْإِعْتَزَالَ لِلْعَيْشِ فِي ظُلَالِ التَّوْحِيدِ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١١﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُوا عَلَيْهِمُ الْبُتُنُ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكَهف: ١٤ - ١٥] .

٣٦ - وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا آخَرَ لِقَضِيَّةِ عَدَمِ انْتِفَاعِ الْمُشْرِكِينَ بِشُرَكَائِهِمْ ، وَبَيَّنَّ مَصِيرَهُمُ الشَّنِيعَ ، بِضَرْبِ مِثْلِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي



نصح صاحبه الكافر الذي اعتدّ بماله وجاهه ونسي ربّه ، بل كفر به ، ثم لما طاف على جنته طائف الهلاك ندّم وأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢] ، أي : أن البيان العملي لعاقبة الإشراف جاء ذكره في آخر سورة من سور الحمد حتى يتعظ المتدبرون الذاكرون ، ويعتبر المعبرون .

٣٧ - قررت سورة فاطر أن الله تبارك وتعالى أرسل محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] ، وقررت سورة سبأ المعنى ذاته بأسلوب الحصر المكوّن من أداة النفي (ما) ، وأداة الاستثناء (إلا) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] ؛ فآية فاطر قرّرت أن الله تعالى أرسل محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا بالحق ، وأضافت آية سبأ بأنه مُرسلٌ إلى جميع الناس ﴿ كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ .

وكما تحدّث سورتا فاطر وسبأ عن إرسال رسولنا محمد ﷺ بشيرًا ونذيرًا للعالمين ؛ فإن سورتي الأنعام والكهف قرّرتا بأن جميع الأنبياء والمرسلين أرسلهم الله تعالى مُبشرين ومنذرين . قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٨] ، وقال جل ثناؤه : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمُجَدِّدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزُوءًا ﴾ [الكهف: ٥٦] .

وإذا كان المرسلون قد زاولوا وظيفة التبشير والإنذار مع أقوامهم ؛ فإن لُحمة رسالة محمد ﷺ ولبها هو التبشير والإنذار ؛ ولأنه جاء مرسلًا للناس جميعًا ، جاء التعبير عن هذا المعنى بالعدول من صيغة



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة ، التي تدلّ على المبالغة في التبشير والإنذار ، وتدلّ أيضا على كثرة المُبَشِّرِينَ والمُنْذِرِينَ .

تجدُرُ الإشارةُ إلى أنّه ورد وصفُ رسول الله ﷺ بصيغة اسم الفاعل (مبشّر) و(منذر) في مواضع أخرى ، اقتضى فيها فنُّ القول استعمالها دون صيغة المبالغة .

٣٨ - قَرَّرَ اللهُ تبارك وتعالى في سورة فاطر أن الذي أوحاهُ الله إلى نبيه محمد ﷺ هو الحقُّ مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتب : ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١] ، والمؤمنون الذين أوتوا العلمَ أيضًا شهدوا في سورة سبأ بأن الذي أنزلَ على محمد هو الحقُّ : ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] . أما الذين كفروا فقالوا في تبجحٍ وغرورٍ : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١] ، وكانوا إذا تتلى عليهم آياتُ الله أنكروا وكذبوا : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْمِنٍ﴾ [سبأ: ٤٣] .

والشأنُ ذاته في سورة الأنعام التي نزلت قبل سورة سبأ ، حيث قرّر فيها المولى تعالى أن الكتاب ، والمرادُ به القرآن الكريم ، أنزله الله مُصَدِّقًا للذي بين يديه : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] . أما الذين كفروا فقد كذبوا به : ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥] ، وأشارت الآية (٦٦) من الأنعام بأن قريشًا قومَ محمد ﷺ كذبوا به جهارًا نهارًا : ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦] ،



وتوعدت آيات أخر الذين كذبوا بآيات الله المنزلة بسوء المصير:
﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرَ بُعْدُكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ٣٩] ، ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٩].

٣٩ - جاء في مطلع فاطر إنباء الناس جميعاً بأن وعد الله حق ،
وتلاهُ النَّهْيُ عن الاغترار بالحياة الدنيا: ﴿فَلَا تَعْرَتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا
يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥] ، ثم جاءت سورة الأنعام ، وقررت هذا
المعنى في جملة آيات منها: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ
الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] ، وخاطب البيان القرآني
محمداً ﷺ ، ووجهه إلى أن يُعرض عن الذين اتخذوا دينهم لعباً
ولهواً ، وغرَّتْهم الحياة الدنيا: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] ، ووصفت الآية (١٣٠) مشهد
الذين شهدوا على أنفسهم بعد فوات الأوان ، وهم موقوفون عند
ربهم ، وقد وجه لهم السؤال: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] ،
ثم قالوا: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] ، ثم جاء موعد التقرير
الإلهي بأنهم غرَّتهم الحياة الدنيا: ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

ثم جاءت سورة الكهف مؤكدة معنى كون الحياة الدنيا لعباً
ولهواً ، ووجوب حذر المؤمنين منها ، وعدم الانصياع والانجذاب
إلى ما فيها من متاع وزينة: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِن
السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
مُّقَدِّرًا﴾ [الكهف: ٤٥] ؛ فسورتا فاطر والأنعام نهتا عن الاغترار بالحياة
الدنيا ، وسورة الكهف ضربت مثلاً حياً لكل عاقلٍ متدبرٍ ، وزادت
الأمر وضوحاً بتشبيه تمثيلي جليّ صوّرت فيه الحياة الدنيا ، وقررت



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

في موضع آخر أَنَّ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقَدْ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] .

٤٠ - قَرَّرَتْ سُورَةُ فَاطِرٍ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا جَزَاؤُهُمُ الَّذِي يَسْتَحَقُّونَهُ حَقًّا وَعَدْلًا هُوَ نَارُ جَهَنَّمَ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافٍ﴾ [فاطر: ٣٦] ، وَهُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي يَجْزِي بِهِ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ كَافٍ ، ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ سَبَأٍ وَصَوَّرَتْ تَصْوِيرًا حَيًّا مَا وَقَعَ لِقَوْمِ سَبَأٍ عِنْدَمَا كَفَرُوا وَجَحَدُوا نِعَمَ رَبِّهِمْ ، وَتَكَرَّرَ التَّعْلِيقُ الْقُرْآنِيُّ نَفْسَهُ: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ [سبأ: ١٧] ، ثُمَّ جَاءَ دَوْرُ الْأَمْثَلَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ ، وَبَيَّنَّتْ مُصِيرَ الَّذِي كَفَرَ بِرَبِّهِ ، وَجَحَدَ أُلُوهِيَّتَهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى جَنَّتِهِ؛ حَيْثُ صَوَّرَتْ جَزَاءَ كَفَرِهِ فِي الدُّنْيَا خَسْرَانًا مَادِّيًّا مَبِينًا ، وَنَدَمًا وَحَسْرَةً لَا يَحْمِلُهَا الْوَصْفُ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّيٰ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] ، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَجَزَاؤُهُ أَنَّهُ مُهَانٌ لَا نَصِيرَ يَنْصُرُهُ: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لِمُؤْنَةٍ يُصْرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣] ، ثُمَّ قَرَّرَ الْمَوْلَى تَعَالَى فِي نَهَايَةِ الْكَهْفِ مُصِيرَ كُلِّ كَافٍ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢] ، وَجَاءَ التَّصْرِيحُ الْوَاضِحُ بِأَنَّ سَبَبَ دُخُولِ الْكَافِرِينَ النَّارِ هُوَ كُفْرُهُمْ وَاسْتَهْزَاؤُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَخَّوْا إِلَيْنِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ [الكهف: ١٠٦] .

سورة الأنعام مَفْصَلَةٌ لِقَضَايَا أَمِّ الْكِتَابِ:

٤١ - ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَهِيَ ثَالِثَةُ سُورِ الْحَمْدِ نَزُولًا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ وَفَاطِرٍ ، فَزَادَتْ الْكَلِمَاتُ الْإِيمَانِيَّةَ الْكُبْرَى إِضَاحًا وَتَفْصِيلًا ،



ويعودُ القارئُ ليقول: مَنْ هو ربُّ العالمين؟ ولماذا يستحقُّ الحمدَ كله على وجه الاستغراق والشمول؟

وتأتي افتتاحية الأنعام مُعرِّفةً بحقيقة ربِّ العالمين من خلال إبداعه للخلق بتقدير وإحكام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

٤٢ - وربُّ العالمين هو الخالق: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

٤٣ - وربُّ العالمين هو العليمُ العَلامُ الذي لا يعزُبُ عن علمه مثقالُ ذرَّةٍ في السماوات والأرض: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

٤٤ - انتهت سورة فاطر بالحثِّ على السير في الأرض ، والنظر في عاقبة السابقين: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] ، وجاءت مقدِّمة الأنعام مُنبِّهةً وحاثَّةً على دراسة تاريخ القرون والأقوام التي أهلكها الله تعالى حين حادت عن نهج الله ، وعصت رُسُلَه ، وأعرضت عن الإيمان الحق: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]. وإذا كانت آية فاطر أمرة وحاثَّةً على السير في الأرض ، فإن آية الأنعام جاءت في ثوب الاستفهام التقريري: ﴿أَلَمْ يَرَوْا...﴾ ، ولا يسعُ القارئُ ولا السامعُ إلا أن يقول: بلى رأيت ، بلى سمعت ما كان من شأن المُهلكين.

٤٥ - ثُمَّ شرعت سورة الأنعام تُفصِّلُ القولَ في التعريف بالله ربِّ



العالمين ؛ ولذا يُعَدُّها علماء التفسير بأنها سورة العقيدة ، سورة تثبيت قواعد التوحيد ، وإفراد الله جل ثناؤه في ألوهيته وربوبيته ، وبالتصريف في أمر الكون كله .

وأخذ هذا الموضوع الخطر مساحة واسعة في آيات السورة الكريمة ، من الآية الأولى إلى الآية الثانية والثمانين ، أي : من قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] إلى قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

أ - فالله هو خالق السماوات والأرض : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام : ١] .

ب - وهو خالق الإنسان : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢] .

ج - وهو العليم والعلام بكل ما في الكون : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] .

٤٦ - ثُمَّ وَلِيَّ ذَلِكَ حَدِيثٌ يُطْمِئِنُّ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ مَلْمُوسٍ وَمَرْتِيٍّ ، فَقَرَّوْهُ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ، مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا لِفِرْطِ عِنَادِهِمْ وَجَحُودِهِمْ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ مُتَعَلِّقًا بِكِفَايَةِ الْحَجَجِ وَالْأَدَلَّةِ ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ جَحُودٌ وَإِنْكَارٌ ، وَكُفْرٌ وَاضِحٌ بَوَاحٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام : ٧] .

٤٧ - ثُمَّ طَمَأنَهُ وَحْتَهُ عَلَىٰ آلَا يَكْتَرِثُ بِمَكْرِهِمْ وَاسْتَهْزَائِهِمْ ؛ فَذَلِكَ شَأْنُ الْكَافِرِينَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ رِسلِ اللَّهِ السَّابِقِينَ : ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠] ،



وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

٤٨ - ثُمَّ عاد الحديث إلى التعريف برب العالمين ببيان مُلكه لكل شيء ، ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢].

ثُمَّ تَوَالَتِ الْآيَاتُ تَوْضِيحُ جَانِبًا مِّن مِّلْكِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِشَيْءٍ مِّن التَّفْصِيلِ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣].

٤٩ - ثُمَّ جَاءَتْ آيَةٌ مُّكَمَّلَةٌ لِّبَدَايَةِ سُورَةِ فَاطِرٍ؛ حَيْثُ إِنَّ أَوَّلَ آيَةٍ مِّن سُورَةِ فَاطِرٍ بَيَّنَّتْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُهُمَا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] ، وَمَا دَامَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ عَدَمٍ ، وَهُوَ يَمْلِكُهُمَا ؛ فَلِمَ يَتَّخِذِ النَّاسُ إِلَهًا غَيْرَهُ أَوْ وَلِيًّا غَيْرَهُ؟! . قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

ثُمَّ تَوَالَتِ الْآيَاتُ الْمُعَرِّفَةُ بِاللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

٥٠ - ثُمَّ جَاءَ حَدِيثٌ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ضَمَّنَ السِّيَاقِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْ ضَرُورَةِ التَّبَرُّؤِ مِنَ الشِّرْكِ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْنُكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَـۥةَ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

٥١ - ثُمَّ تَحَوَّلَ السِّيَاقُ إِلَى وَصْفِ مَشْهَدٍ مِّن مَّشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي ثَوْبٍ لُّغَوِيٍّ بَلِيغٍ يُخَاطَبُ مُحَمَّدًا ﷺ ، وَيُخَاطَبُ كُلَّ عَاقِلٍ يَتَأَتَّى خِطَابُهُ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] ، ثُمَّ تَكَرَّرَ الْخُطَابُ بِالثَّوْبِ اللَّغَوِيِّ ذَاتِهِ: ﴿وَلَوْ



تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿الأنعام: ٣٠﴾ .

والآية الكريمة الْمُفْتَتَحَة بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ...﴾ هي إحدى الأيقونات الدالة على جانب من الترابط الوثيق بين سورتي الأنعام وسبأ التي تليها في النزول؛ حيثُ جاء في سورة سبأ تفصيل للمشهودين السابقين المبدوءين بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ...﴾. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿سبأ: ٣١ - ٣٣﴾؛ ففي هذه الآيات تفصيل للحوار الذي دار بين المُسْتَضَعَفِينَ والمُسْتَكْبِرِينَ وهم موقوفون على شفير النار، وبيان للعاقبة السيئة التي ألحقها الله بالظالمين.

ومن بين اللطائف البَيَانِيَة في آيتين أن آية الأنعام عرضت لمحة قصيرة جدًا عن إيقاف الظالمين بين يدي الله تعالى، وجاء التعبير بالصيغة الفعلية المؤقتة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]؛ بينما رصدت آية سبأ المشهد مُطَوَّلًا، وكان استعمال اسم المفعول أنسب ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ [سبأ: ٣١]، وجاء وصف المشهد بعبارات مُطَوَّلَة تعكس تفاصيل دقيقة للحوار الذي دار بينهم.

وجاء التعبير ذاته في نهاية سورة سبأ يُعْجِبُ من فزع الكافرين يوم

لا نَجاةَ ولا عصمةَ إلَّا من أنجاه الله وعصمه ، والخطابُ - دومًا -
مُوجَّهٌ إلى رسول الله ﷺ بالأصالة ، وإلى كلِّ من يتأتَّى خطابه بالتَّبَعِ :
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبا: ٥١] .

وهذا التَّطابُّقُ في الكلمات المفتاحية ﴿ وَلَوْ تَرَى ﴾ ... هو أحد
الحوال القويّة المحكّمة التي تربط بين سورتي الأنعام وسبا التي نزلت
بعدها بزمان ، واشتركتا في المطلع الموحّد: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ؛ فهذا
التشابه في بعض العبارات المفتاحية يدلُّ على الصَّبْغة والوشيجة القويّة
التي تربط بين السور المتشابهة المطالع .

٥٢ - وبعد تعريفٍ مُطوّلٍ بالله ربِّ العالمين ، وبيان ما سخره
للخلق ، وإرساله للرسل ، وإنزاله للكتب ، وبيان عاقبة المشركين ،
وبيان علمه بالغيب ، وقاهرته فوق عباده ، وقدرته على بعث العذاب
على الكافرين الظالمين ، قلت: بعد سرد ما يشرح جوانب من العقيدة
الإسلامية الناصعة في تصوّر الإله المعبود بحقّ ، وأفعاله القائمة على
العلم والحكمة والمشئّة المطلقة ، تأتي الآية تُصرِّحُ أنّ كلّ ما سبق
هو تعريفُ ربِّ العالمين وهي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .
ثمّ استمرّ التعريفُ بذات الله ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

٥٣ - وأثناء التّعريف بالإله الحقّ ، والمعبود بحقّ ، الخالق
الفاطر ، القاهر فوق عباده ، جاء ذكرٌ مُفصّلٌ لزمره الأنبياء والمرسلين
الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم ، وساروا عليه مهتدين بما
أوحى إليهم من ذكرٍ وشرائعٍ ، وذكر المركّب الاسمي ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
خمس مرّات ، وهو تفصيل للمراد بقوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ



الْمُسْتَقِيمَ ﴿الفاتحة: ٦﴾ في أم الكتاب ، أي: أن سورة الأنعام بلورت وشرحت وفصلت القول في معنى الصراط المستقيم ، وصرحت بجملة من أسماء الأنبياء والمرسلين الذين هداهم الله تعالى لسلوكه ، وجاء في نهاية الجولة دعوة صريحة لمحمد ﷺ ليُبين للعالمين بأنه على صراط مستقيم. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٦٦].

٥٤ - وجاء الحديث عن الصراط المستقيم في سورة الأنعام كآلاتي:

(١) المهتدي قولاً وفعلاً هو الذي هداه الله تعالى ، وجعله على صراط مستقيم: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

(٢) جاء ذكر طائفة الرسل الذين جعلهم الله تعالى على صراط مستقيم ، ووفقهم إلى سلوكه: ﴿وَنِلَّكَ حُجَّتْنَا أَتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٧]؛ فالصراط الذي ندعو الله تعالى أن يهدينا إليه هو الصراط المستقيم ، الذي وفق الله تعالى إليه كوكبة الرسل ، وهداهم إليه ليقتدي بهم رسول الله ﷺ ، ونقتدي نحن - المسلمين - بهم أيضاً؛ فهم خير أسوة في سلوكهم صراط الله المستقيم ، وعلى رأسهم أبو الأنبياء إبراهيم الخليل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَمُ﴾ [الأنعام: ٩٠].



(٣) ثم أشار الله تعالى إلى أن صراط الإسلام هو الصراط المستقيم ، وهو المؤدي إلى دار السلام ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

(٤) ثم أكد على صفة استقامة الصراط ، وضرورة اتباعه: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(٥) أمر الله تعالى محمداً ﷺ بأن يعلن للعالمين أنه يسير على صراط الله المستقيم ، الذي سار عليه أبوه إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

٥٥ - ثم عاد السياق ليُعرّف بالله رب العالمين ، ويوجّه القلوب إلى توحيده ، وعدم الإشراك به ، وبيان عاقبة الذين لا يؤمنون في آيات بينات من (١٠٧) إلى (١١٧).

٥٦ - ثم بدأت جولة عقديّة مطوّلة تُعالج موضوع التّحريم والتّحليل ، وهو فرعٌ من فروع العقيدة الإسلامية؛ فلا ينبغي لمسلم أن يخضع في مجال التّحليل والتّحريم إلاّ لله الواحد الأحد العليم الحكيم الذي يُشرّع للنّاس أجمعين؛ فبعد أن يُقرّر المؤمن بأنّ الله هو الإله الحقّ الذي لا معبود بحقّ سواه ، وبأنّه هو الرّبّ الخالق الرّازق الذي بيده ملكٌ كلّ شيءٍ ، ومفاتيحُ كلّ شيءٍ ، وبعد أن يُوحّده ولا يُشرك به غيره ، يأتي مجالُ إسناد الأمر إليه في التّشريع؛ فلا مُشرّع إلاّ الله ، ولا مَنْ يُحلُّ ولا مَنْ يُحرّم إلاّ الله ، ومن القرآن الكريم ، وسنة رسول الله ﷺ الصّحيحة ، وما يتبعهما من مصادر التّشريع المُتفق عليها ؛ يأخذ العلماءُ المستنبطون التّشريعات الخاصّة بالتّحليل والتّحريم ، وما يُذكرُ في أبواب المطاعم والأشربة ، والذبائح ،



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

ومسائل الزواج والطلاق وغيرها ، وبالجمله كل ما يتعلق بحياة المسلم والمسلمة في نواحي حياتهم المختلفة ، ويتم التطبيق العملي لقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْآمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وشرح كل ما يتعلق بموضوع التحليل والتحرير ، وما يجوز وما لا يجوز في المواضيع الآتية الذكر وغيرها هو تفصيل لقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ؛ فرب العالمين الخالق الفاطر هو المشرع ، وهو الذي توجه إليه القلوب بالعبادة والدعاء والتضرع ؛ فلا طاعة لمخلوق في شريعة الإسلام إلا إذا كانت أوامره مبنية على قواعد أصول الإسلام وأحكامه ، وتؤول بذلك إلى أنها من طاعة شرع الله تعالى .

٥٧ - وأذكر من باب التمثيل لموضوع التحليل والتحرير مما ورد في سورة الأنعام الآيات الآتية :

﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِشَايئِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٨] .

﴿ وَمَالَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٩] .

﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٠] .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ



وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهْوٌ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾
[الأنعام: ١٣٦].

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

فالمؤمنُ يعودُ بموضوع التشريع في كلِّ مسألةٍ من مسائل حياته الشخصية والاجتماعية، الخاصة والعامة، الروحية والنفسية، ما يتعلق بجانب العبادات وجانب المعاملات، وفي كلِّ أمره؛ إلى المشرِّع الأوحد العليم الحكيم الذي لا يعزُبُ عن علمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهذا معنى الجملة الموجزة المحكمة التي يُردِّدها في كلِّ صلاة، وفي كلِّ قراءته لأَمِّ الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

ويتوجَّه إليه بطلب الإعانة والاستغاثة وطلب الهداية والتوفيق، والتضرُّع والدُّعاء، والنَّصر والتأييد، ولسانه يردِّد ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

٥٨ - وجاءت الآية المُلخَّصة لحياة المؤمن المنضبطة بشرع الله تعالى في كلِّ شيءٍ مُمثلةً في حياة رسول الله ﷺ الذي أمره ربُّه جلَّ ثناؤه أن يُعلنَ للعالمين في صراحةٍ ووضوح: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريكَ لهُ وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ الشُّرُوحِ

٥٩ - هذا ، وعلى الرغم من أن سورة الأنعام مكيّة ، والقرآن المكي ليس موضع تفصيل الشرائع إلا أن ما تضمنته سورة الأنعام هو تأصيل لقضية التشريع ، وتفتيح لأعين المؤمنين إلى أن هذه المسائل (الذبايح والأطعمة ، والأشربة ، وقتل الأولاد ، والإثم ، وما في بطون الأنعام ، وغيرها ...) كلها مسائل لا بُدَّ من الرجوع فيها إلى مصدر التشريع الحق ، وهو المشرّع العدل الذي بيده الخلق والأمر ، وبلغه سورة الزخرف : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، ثم في المضمار نفسه ، جاءت أواخر الأنعام تبين للمسلمين جميعاً ما حرّم عليهم في آيات مُحكمات تتضمن الوصايا العشر في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [١٥١] وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ - ١٥٢] .

٦٠ - ثم عاد الحديث إلى بيان أن كل ما سبق ذكره والإشارة إليه في بيان مقومات الاعتقاد الصحيح ، ومقومات التشريع الصحيح ؛ هي معالم وركائز صراط الله المستقيم الذي يدعونا القرآن الكريم إلى اتباعه ، والأخذ به بقوة : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

٦١ - ثم تلت ذلك دعوة صريحة لتطبيق جميع أوامر القرآن



ونواهيهِ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ، ثُمَّ الدَّعْوَةُ إِلَى إِعْلَامِ الرَّسُولِ الْخَاتَمِ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ السَّوِيِّ ، الَّذِي قَامَتْ عَلَيْهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَقَوْمُ عَلَيْهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ .

٦٢ - ومن الارتباط المعنوي الوثيق بين فاتحة الكتاب وسورة الأنعام أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ذَكَرَتْ الْفِرْقَ الثَّلَاثَ الْكُبْرَى: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، وَسَارُوا عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي انْتَهَجَهُ مِنْ قَبْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ وَالصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ ، وَالْيَهُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ تُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا عُذَرَ لِلْمُشْرِكِينَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَحْتَجُّوا بِعَدَمِ إِنْزَالِ كِتَابٍ عَلَيْهِمْ؛ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْ كِتَابٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْ رَسُولٍ؛ فَلَا عُذَرَ لِمُعْتَذِرِيهِمْ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٥٥] أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَكْثَرُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿ [الأنعام: ١٥٥-١٥٦] .

وَيُمَثِّلُ هَذَا الْوُضُوحَ ، يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بِصِيغَةِ الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ: إِنَّ سُورَةَ الْأَنْعَامِ هِيَ سُورَةُ رِشْمِ مَعَالِمِ الْإِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ بِحَقٍّ ، يَبَيِّنُ مَعَالِمَهُ ، وَفَصَّلَتْ شَأْنَهُ ، وَأَوْضَحَتْ قَضَايَاهُ ، وَهِيَ تَفْصِيلٌ تَعْرِيفِيٌّ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَبَيَانٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَتَعْدَادٌ لِبَعْضِ مَنْ سَالَكِيهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَتَفْصِيلٌ لَوُجُوهِ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ كُبْرَى الْيَقِينِيَّاتِ الْعَقْدِيَّةِ الَّتِي جَاءَ ذِكْرُهَا فِي أَمِّ الْكِتَابِ .

ارتباط سورة سبأ بما قبلها وما بعدها نزولاً من سور الحمد:

٦٣ - عند التدبر في سورة سبأ من حيث المحتوى والثوب



جواهر الدرر في علم مقارن السور

اللغوي ، يتبين للقارئ المُتدبر أنها تكملة لما شرعت سور الحمد قبلها في تقريره ، وتثبيته من مبادئ إيمانية ، تمثل في جملتها نسيجاً لجسم العقيدة الإسلامية ، التي أنزلت السور المكية بغرض غرسها في قلوب المؤمنين ، وتوطيدها في وجدانهم وحياتهم .

٦٤ - فإذا كانت سورة فاطر قد شرحت وفصلت القول في تفسير : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الرحمن الرحيم] [الفاتحة: ٢ - ٣] ؛ فإن سورة سبأ بسطت القول في بيان يوم الدين الذي هو واقع لا محالة ، وتحدث عنه قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] ؛ حيث إنها تضم جملة من الآيات التي تقرّر البعث بعد الممات ، والنشور بعد مرحلة القبور ، وتنعي على الكافرين كفرهم ، وتبين تهاوت تكذيبهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣] .

٦٥ - تهكم الكافرون بمن يُخبرهم بأنهم مردودون بعد مرحلة القبور : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٧] .

وقبلها نزولاً ، روت سورة الأنعام أن الكافرين يُكذّبون بالبعث ، ولا يؤمنون سوى بالمادة التي يرونها ويلمسونها ويحسونها : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩] ، وقررت خسران الكافرين الذين يُنكرون البعث ولقاء الله تعالى ، وصوّرت ندمهم الشديد حيث لا ينفع ندم ولا تحسّر : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْشَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١] .



٦٦ - ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ التَّطبيقاتِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْقَصَصِ الْوَاقِعِيَّةِ (سُورَةُ الْكَهْفِ) فَبَيَّنَتْ ، مِنْ خِلَالِ كَلَامِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَكْفُرُ بِالْبَعْثِ ، نَدَمَهُ وَتَحَسُّرَهُ وَخُسْرَانَهُ ، وَتَعْجِيلَ الْعَذَابِ لَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، وَوَصَفَتَهُ بِأَنَّهُ كَانَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ حِينَ أَنْكَرَ السَّاعَةَ وَكَفَرَ بِلِقَاءِ رَبِّهِ : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأُصْبِحَ يُقَلَّبُ كَفْنِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف : ٣٥ - ٤٢] .

وكان جزاؤه أنه : ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف : ٤٣] .

٦٧ - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ بِأَنْ يَسْأَلَ : ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴿١٢﴾﴾ ، ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ سَبَأٍ (بَعْدَهَا نَزُولًا) وَقَرَّرَتْ فِي مَطْلَعِهَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ : ١] .

٦٨ - لَمْ يَرِدِ الْأَسْمَانُ الْكَرِيمَانِ ﴿الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ بِصِغَةِ التَّعْرِيفِ وَبِهَذَا التَّرْتِيبِ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ إِلَّا فِي سُورَتِي الْأَنْعَامِ مَرَّتَيْنِ : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ ، وَقَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَلِمِ الْغَيْبِ



وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ ﴿[الأنعام: ٧٣].

وجاء الاسمان الكريمان بهذا التتابع في مطلع سورة سبأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ [سبأ: ١] ، وهو اختيار لا محالة مقصود ، يُشير إلى أن بينهما ارتباطاً وثيقاً في كثير من القضايا والمواضيع .

٦٩ - حذرت سورة الأنعام الذين كذبوا بقاء الله تعالى بأنهم إذا جاءتهم الساعة بغتة ، سوف يتحسرون ، ولات حين تحسّر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١] ، وحاولت الآية الأربعون من السورة نفسها تحريك ضمير المكذبين والكافرين ، وحثت محمداً ﷺ على أن يقول لهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ٤٠] ؛ فَمَنْ غَيْرُ اللَّهِ يَنْصُرُكُمْ ، وَمَنْ غَيْرُهُ تَدْعُونَ إِذَا جَاءَكُمْ الْعَذَابُ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ .

أما سورة سبأ فأكدت أن الذين كفروا يقولون بملء أفواههم أنهم لا يؤمنون بالساعة ، ولكن الله تبارك وتعالى يؤكد مجيئها على لسان رسوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] .

٧٠ - أكدت سورة الأنعام على ضرورة الإيمان بالآخرة ، وبيان أنها دار القرار: ﴿وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] ، وبيّنت أن الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بالقرآن وهم على صلاتهم يحافظون: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢] ، وشددت النكير على الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ووسمتهم بالكفر ، وبأن قلوبهم تصغى إلى زخرف القول ، وبأن



أصحابها يقتربون من المعاصي والآثام ما يقتربون لأنهم لا إيمان لهم
 باليوم الآخر يزعمهم ويحجزهم عن العصيان: ﴿وَلِصَفَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣] ،
 ثم جاءت سورة سبأ بعدها وذكرت بأن الله تعالى له الحمد في
 الآخرة: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] ، وأوضحت بأن الذين
 لا يؤمنون بالآخرة مصيرهم هو العذاب والضلال البعيد: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] ، وبيّنت بأن الذين
 لا يؤمنون بالآخرة هم الذين يستولي عليهم الشيطان ، ويستحوذ على
 قلوبهم ، أما المؤمنون الصادقون فليس له عليهم سلطان: ﴿وَمَا كَانَ
 لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [سبأ: ٢١] .

٧١ = ومن الروابط المعنوية المحكمة التي تجعل سورة الكهف
 سورة التطبيق العملي لما جاء في سور الحمد الأخرى ؛ قضية الأموال
 والأولاد ، واعتزاز الناس بهما ؛ حيث قرّر القرآن الكريم في مواضع
 منه أن مقدار وزن الإنسان لا يكون بما يملك من مال ، وما رزقه الله
 من ولد ، وإنما مقياس المفاضلة عند الله تبارك وتعالى هو الإيمان
 والتقوى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] .
 وقد جاء تقرير هذا المبدأ من مبادئ الإسلام في سورة سبأ ودحض
 عكسه ؛ حيث ذكرت السورة بأن من اختلال الموازين عند المترفين
 أنهم يعتزون بكثرة أموالهم وأولادهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا
 وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] ، ثم دحضت هذا المعنى ، وقرّرت بأن
 قيمة الإنسان بإيمانه وعمله الصالح ، وليست الأموال والأولاد هي
 التي تقرّبهم من الله زلفى : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ
 إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ



ءَامِنُونَ ﴿سبأ: ٣٧﴾ ، ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ الْكَهْفِ ، وَبَيَّنَتْ عَمَلِيًّا جَزَاءَ مَنْ يَعْتَزُّ بِمَالِهِ ، وَيَغْتَرُّ بِأَوْلَادِهِ ، وَيُنْكِرُ فَضْلَ رَبِّهِ ، وَيَسْتَبْعِدُ الْبَعْثَ وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ : ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كُلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٢ - ٣٨] ؛ فَكَانَتْ عَاقِبَةُ إِنكَارِهِ وَكُفْرِهِ وَعَدَمُ اعْتِقَادِهِ بِالْبَعْثِ وَالنَّشُورِ أَنَّهُ خَابَ سَعْيُهُ فِي الدُّنْيَا ، وَسَاءَ مَصِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

سُورَةُ الْكَهْفِ مُكَمَّلَةٌ لِسُورَةِ الْأَنْعَامِ:

٧٢ - وَمِنَ الرِّبَاطِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي تَجْعَلُ سُورَةَ الْكَهْفِ مُكَمَّلَةً لِسُورَةِ الْأَنْعَامِ ، عِلَاوَةً عَلَىٰ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ ، دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْمُصَابِرَةِ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، وَبَسْطِ الْجَنَاحِ لَهُمْ حَتَّى يَزْدَادَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ تَمَكُّنًا ، وَتَزْدَادَ قَدَمُهُمْ فِي سَاحَةِ الْإِسْلَامِ رَسُوخًا :

جَاءَ فِي الْأَنْعَامِ حَدِيثٌ عَنْ عَدَمِ طَرْدِهِمْ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأَنْعَامُ: ٥٢] ، وَجَاءَ فِي الْكَهْفِ نَصْحٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ مَعَهُمْ : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] .



٧٣ - قرّرت سورة الأنعام أنَّ الناس يرجعون إلى الله فرادى لا يصحبهم مالٌ ، ولا بنون ، ولا سلطانٌ ، ولا شرفٌ ، ولا جاهٌ ؛ إِلَّا ما قدّموا من عملٍ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤] ، والمعنى ذاته تكرر في سورة الكهف بمزيد من التفصيل في ثوب لغوي قريب من سابقه : ﴿ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨] ، ولم يتكرر هذا الأسلوب المقرر لمجيء الناس فرادى بهذا العرض اللغوي في غير هذين الموضعين ، وهو دليل على شدة الترابط بين السورتين .

٧٤ - جاء وصفُ الله تبارك وتعالى في الأنعام بأنه الغنيُّ ذو الرحمة : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام: ١٣٣] ، وبأنه ﴿ كَنَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ [الأنعام: ١٢] ، وجاء وصفه جلّ جلاله في الكهف بأنه : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨] ، ولم يتكرر هذا الأسلوب بهذه الألفاظ في القرآن الكريم في غير هذين الموضعين ، على كثرة ما جاء وصفه جلّ ثناؤه بالرحمة في القرآن .

ومن لطائف الاستعمال ودقة التعبير في هذا السياق ، وصفُ ربِّ العالمين في سورة الأنعام بالغنيِّ ، ووصفه في الكهف بالغفور ، فالغنيُّ في الأنعام مُوافقٌ للسياق الذي ورد فيه ؛ حيثُ إنَّه غنيٌّ عن عباده ، وغنيٌّ عن أعمالهم ، ولو شاء لأذهبهم واستخلف من بعدهم قوما آخرين : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٣] . أمّا اسمه (الغفور) في الكهف فهو يتناسبُ مع ظلم



جَاهِ الدَّرَجَاتِ عَلَيْهِ مَقَارِنُ السُّورِ

العباد لأنفسهم ، واكتسابهم السيئات ؛ فهو الغفور الذي لا يعجلُ عليهم بالعقوبة حتى يتمادوا ، ويفتح لهم أبواب التوبة والأوبة : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴾ [الكهف : ٥٨] .

٧٥ - قررت سورة الأنعام أن ثمة من الكافرين المشركين من يستمع إلى الرسول وهو يقرأ القرآن ، ولكن لفرط كفرهم وجحودهم جعل الله على قلوبهم أغشية مانعة لهم من الفهم والإدراك جزاءً وفاقاً على توجُّههم الفكري ، وتعمُّدهم في سلوك طريق الجحود : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام : ٢٥] ، ووصفت سورة الكهف بالظلم المبين من ذكرَ آيات ربّه ، وأعرض عنها ، ونسي ما قدّمت يدها ، وبيّنت أن ذلك مردّه أن الله تعالى جعل على قلوبهم أكنة مانعة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧] .

٧٦ - أكدت سورة الأنعام خسران الذين كذبوا بقاء الله ، وخسران الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ ﴾ [الأنعام : ٣١] ، وقال جل شأنه : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفْهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٠] ، وجاءت سورة الكهف مُعلّقة ودالة على الأخسرين ، مُنبّهة العالمين على سوء مصيرهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهم يُخْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٤] ، وبيّنت أن الذي جعلهم الأخسرين هو كفرهم بآيات ربهم ، وكفرهم ببقائه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ



وَلِقَائِهِ فَحِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿[الكهف: ١٠٥].

٧٧ - لا طفت سورة الأنعام رسول الله ﷺ ، وقال له مولاه جل ثناؤه: ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِثَانِتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] ، وقال جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَنْتَهُمْ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمُوسَلِيكِ ﴾ [الأنعام: ٣٤] ، وأوضحت له الآيات أن الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى ، وأنه إنما يستجيب لدعوة الحق الذين يسمعون ، وأتمت سورة الكهف المعنى نفسه ، ودعته الآية السادسة منها إلى عدم إهلاك نفسه من أجل أناس عطلوا وسائل الإدراك لديهم ، وانغمسوا في حماة الكفر: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

٧٨ - قرّرت سورة الأنعام أنه لا أظلم ممّن افترى على الله كذبًا . قال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِثَانِتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١] ، وقال تبارك اسمه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣] ، وقرّرت سورة الكهف أنه لا أظلم ممّن ذكرّ بآيات ربه ثمّ أعرض عنها: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧].

٧٩ - قرّرت سورة الأنعام أنه لا مُبَدِّلَ لكلمات الله ، وأن كلمة الله تمت صدقًا وعدلًا بأنه لا مُبَدِّلَ لكلمات الله: ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمُوسَلِيكِ ﴿ [الأنعام: ٣٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥] ، ثم جاءت سورة الكهف تُقرّر المعنى ذاته ، وتأمّر محمدًا ﷺ بأن يتلو



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

ما أَوْحِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَتَرَسَّخَ مَعْنَى أَنَّهُ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا : ﴿ وَأَتْلُ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ﴾ [الكهف: ٢٧] .

٨٠ - قَرَّرَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ أَنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ فِي خُسْرَانٍ مُبِينٍ ، وَأَنْذَرَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِعْدَادَ الْعُدَّةِ لِذَلِكَ الْيَوْمِ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١] ، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ يَمْعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ، ثُمَّ أَوْضَحَتْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَكُونَ كِتَابَ هِدَايَةٍ وَرَحْمَةٍ ، لَعَلَّ ذَلِكَ يَقُودُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤] . ثُمَّ جَاءَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ تَكْمِلُ هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمَ ، وَالرُّكْنَ الْإِيمَانِيَّ الرَّكِينَ ، وَتُبَيِّنُ أَنَّهُ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَعَلِيهِ أَنْ يُحَسِّنَ الْعَمَلَ ، وَيُسْتَعِدَّ لِذَلِكَ اللَّقَاءِ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

٨١ - حَثَّتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ كُلَّ مُؤْمِنٍ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَسَلَّحَ بِسِلَاحِ الْإِيمَانِ ، وَيَتَدَرَّعَ بِخُصُوفِ الذِّكْرِ ، وَيَتَغَلَّبَ عَلَىٰ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَعْمَلُ عَلَىٰ تَنْسِيَتِهِ لِلْحَقِّ ، وَالَّذِي هُوَ أَحَدُ الْعَوَامِلِ الَّتِي تَوْدِي إِلَى النَّسْيَانِ : ﴿ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] ، وَجَاءَتْ سُورَةُ الْكَهْفِ بَعْدَهَا تَبَيِّنُ عَنْ طَرِيقِ الْمَثَالِ الْعَمَلِيِّ أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي أَنْسَىٰ فَتَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْحَوْتَ :



﴿وَمَا أُنْسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرْهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

٨٢ - ومن اللطائف في هذا الباب أن سورة الكهف هي آخر سور الحمد نزولاً حيث أسلفنا أن ترتيب نزول سور الحمد وفق الرواية الصحيحة التي نقلها الفيروزآبادي عن الإمام الزركشي هي كالآتي: الفاتحة (٥ نزولاً) ، وفاطر (٤٣ نزولاً) ، والأنعام (٥٥ نزولاً) ، وسبأ (٥٨ نزولاً) ، والكهف (٦٩ نزولاً)؛ فالكهف هي آخر سور الحمد نزولاً ، وفيها كثير من مظاهر التطبيق العملي لكثير من المعاني الإيمانية والقضايا العقدية ، التي جاء بسطها في نظيراتها من سور الحمد؛ وهذا فيه إيماء إلى أن من منهج التعليم والدعوة في التربية الإسلامية البدء بالجانب النظري أولاً ثم إلحاقه ببيان الجانب التطبيقي للأمر أو القضية المتحدّث عنها ، والله أعلم ، وله الحمد في الأولى والآخرة.

* * *



الْمِجَنَّتِ الثَّانِي سورتا النساء و الحج

١ - تتميز سورتا النساء والحج بتشابه مطلعيهما؛ فمطلع سورة النساء هو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ، ومطلع سورة الحج هو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عِنْدَهُ خَائِفِينَ﴾ [الحج: ١].

من حيث تاريخ النزول ، تعدُّ سورة الحج (١٠٣) نزولاً بعد سورة النور ، وقبل سورة (المنافقون).

سُمِّيت «سورة الحج» تخليداً لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام حين انتهى من بناء البيت العتيق ، ونادى في الناس لحج بيت الله الحرام ، فرددت الجبال صوته حتى بلغ أرجاء الأرض ، فأسمع الله نداءه من في الأصلاب والأرحام. وسورة النساء مدنية. هي (٩٢) نزولاً) بعد سورة الممتحنة ، وقبل سورة الزلزلة.

٢ - سورة الحج مكية ومدنية، حيث إنها تناولت جملةً من القضايا العقديّة في جانبها المكيّ ، وتناولت جزءاً من قضايا التشريع في جانبها المدني ، ولكن يغلب عليها جوُّ السُّور المكيّة؛ فموضوع الإيمان والتّوحيد والإنذار والتّخويف ، وموضوع البعث والجزاء



جواهر الدرر في علم مقارن السور

ومشاهد القيامة وأهوالها هو البارز في السورة الكريمة ، حتى ليكاد يُخَيَّل للقارئ أنَّها من السور المكيَّة ، هذا إلى جانب الموضوعات التشريعيَّة من الإذن بالقتال وأحكام الحج والهدي والأمر بالجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك من المواضع التي هي من خصائص القرآن المدني ، حتى لقد عدَّها بعض العلماء من السور المشتركة بين المدني والمكي^(١).

تربط بين سورتي النساء والحج جملة من المعاني المتشابهة ، تكررت في التعبير عنها عبارات وألفاظ متطابقة أحياناً ، ومتقاربة أحياناً آخر ، وفيما يأتي إيضاح لذلك :

٣ - تتضمَّن السورتان عدداً من الآيات يُنادي الله تبارك وتعالى فيها الناس بقوله : (يا أيُّها الناس) ، فقد جاء في سورة الحج :

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج : ١].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ...﴾ [الحج : ٥].

﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج : ٤٩].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج : ٧٣].

وجاء في سورة النساء :

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا...﴾ [النساء : ١].

(١) انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ١ .



﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٠].

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

٤ - تكررَ لفظ (الناس) في السورتين تكريرًا لافتًا للانتباه:

﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى ﴾ [الحج: ٢].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾ [الحج: ٣].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ... ﴾ [الحج: ١١].

﴿ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ... ﴾ [الحج: ١٨].

﴿ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ... ﴾ [الحج: ٢٥].

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧].

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هَلَكَمَتْ... ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُفْرٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الحج: ٤٩].

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥].

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ... ﴾ [الحج: ٧٥].

﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ... ﴾ [الحج: ٧٨].



وجاء في سورة النساء الآيات التالية :

- ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ٥٣] .
 - ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . . . ﴾ [النساء : ٥٤] .
 - ﴿ وَإِذَا حَكَّمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . . . ﴾ [النساء : ٥٨] .
 - ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ . . . ﴾ [النساء : ٣٧] .
 - ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ . . . ﴾ [النساء : ٣٨] .
 - ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً . . . ﴾ [النساء : ٧٧] .
 - ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ . . . ﴾ [النساء : ١٠٥] .
 - ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ . . . ﴾ [النساء : ١٠٨] .
 - ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ . . . ﴾ [النساء : ١١٤] .
 - ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٣] .
 - ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .
 - ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦١] .
- ٥ - جاء في السورتين وصف الشيطان بأنه مريد ، ولم يرد هذا الوصف في القرآن كله إلا في هذين الموضعين :



﴿وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾

[النساء: ١١٧].

والمريد: «المتمرّد العاتي الخارج عن الطّاعة»^(١).

٦ - بيّنت سورة الحج أنّ الشّيطان يسعى بكلّ الحيل والسُّبل لإضلال بني آدم ، وبيّنت سورة النساء سُبُلًا من أنواع إضلاله ، وطُرُقًا من طرائق تسويله وتزيينه :

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾^(١١٧)
لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا اخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا^(١١٨) وَلَا ضِلَّكُمْ وَلَا مُنِيبَهُمْ^(١١٩)
وَلَا مُرْتَهَنَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ أَذَاتَ الْإِنْعَمِ وَلَا مُرْتَهَنَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ
يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا^(١٢٠)
يَعِدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا^(١٢١) [النساء: ١٢٠].

٧ - أوضحت سورة الحج أنّ من اتّخذ الشّيطان وليًّا من دون الله ، وأطاع مكرهه ، واتبع خطواته ؛ فإنّه يهديه إلى عذاب السّعير ، وجاءت سورة النساء بعدها وذكرت بعض الخطايا التي تزجي بصاحبها إلى عذاب السّعير من مثل: أكل أموال اليتامى ، والصّدّ عن سبيل الله تعالى :

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

(١) البغوي ، محيي السنّة ، أبو محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ج ٢ ، ص ٢٨٨.



جَوَاهِرُ الدَّرَكَةِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠].

﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٥٥].

٨ - ذكرت سورة الحج مراحل خلق الإنسان ، من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقه ، ... ثم ذكرت بأن الله هو الذي يُقرُّ في الأرحام ما يشاء إلى أجل مسمى ، ثم يُخرج الجنين الذي كتب الله له الحياة فيكبر إلى أن يحين أجله . أمّا في سورة النساء ، فقد ذكر الله تعالى اسمه أنه خلق الناس كلّهم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها: أي: آدم وحواء ، وذكرهم بضرورة التحليّ بخلق التقوى ، أي: تقوى الله تعالى ، واتقاء الأرحام التي يتساءلون بها .

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِي وَمِنْكُمْ مَّنْ يُردُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [الحج: ٥].

وقال تبارك اسمه من سورة النساء: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءٍ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

٩ - ذكرت سورة الحج أن ثمة أناسا يعبدون الله على حرف ، متحفزين لنيل المصالح والمنافع من وراء تعبدهم وتنسكهم ، فإن جرت الرياح بما يشتهون اطمأنت أنفسهم ، وإن أصابتهم فتنة وبلاء أركسوا ، وتمرغوا في حماة الكفر والنفاق الآسن ، ثم وصمهم البيان القرآني بأنهم هم أهل الخسران المبين . ومن جانب آخر ، وصفت

سورة النساء الذين يتخذون الشيطان وليًا بأنهم خسروا خسارًا مبینًا .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] ، وقال جل شأنه في سورة النساء : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩] .

١٠ - وَصَمَتْ سورة الحج الذي يدعو من دون الله آلهة لا تنفعه ولا تضره ؛ بأنه مُنغمِسٌ في ضلال بعيد ، وقد جنح عن طريق الاستقامة ، وتردّى في مهاوي الضلال البعيد ، ثم جاءت سورة النساء وأوضحت أن الشيطان يريد أن يضلّ أوليائه ضلالاً بعيداً ، وأن من يُشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ، وبيّنت أن من يكفر بالله وملائكته ورُسله وأركان الإيمان الأخرى فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ، وذكرت في موضع آخر أن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله قد ضلّوا ضلالاً بعيداً أيضاً ، فكأنّي بسورة النساء تفصّل القول تفصيلاً في كل ما جاء موجزاً ومقتضباً في سورة الحج .

قال تعالى : ﴿ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [الحج: ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٧] .



جَاءَ الذِّكْرُ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ السُّورَةِ

ملحوظة: لم يأت في القرآن المركب الوصفي (ضلالاً بعيداً) في حالة النصب إلا في سورة النساء أربع مرات ، وورد (ضلالاً مبيناً) في حالة النصب مرة واحدة في سورة الأحزاب .

١١ - ذكرت سورة الحج أن الله يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَرَّتَيْنِ ، في الآية (١٤) والآية (٢٣) . وأوضحت الآية (٢٣) أَنَّهُمْ يُكْسَوْنَ فِيهَا لِبَاسًا مِنْ حَرِيرٍ ، وَيُحَلَّلُونَ فِيهَا أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا ، وذكرت الآية (٥٠) أَنَّ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا ، وَقَرَّرَتِ الْآيَةُ (٥٦) أَنَّ الْجَنَّاتِ الَّتِي يَدْخُلُونَهَا هِيَ جَنَّاتُ النَّعِيمِ .

بينما أوضحت سورة النساء في الآية (٥٧) أَنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَذَكَرَتْ بِأَنَّهُمْ فِيهَا مِنَ الْخَالِدِينَ ، وَأَنَّ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجًا مُطَهَّرَةً ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمِيتُهُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا نِعَمَهُ ، وَيَبْسِطُ عَلَيْهِمْ ظِلًّا ظَلِيلًا . وذكرت الآية (١٢٢) أَنَّ ذَلِكَ الْإِدْخَالَ هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، وَذَكَرَتْ الْآيَةُ (١٧٣) أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُؤَفِّي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَجُورَهُمْ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ .

وهكذا نرى أَنَّ السُّورَتَيْنِ تَكْمِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فِي الْحَدِيثِ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَحْدِيدِ بَعْضِ أَوْصَافِ الْمَصِيرِ الْحَسَنِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

جاء في سورة الحج الآيات التالية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج: ١٤] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَرُ يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾
[الحج: ٢٣].

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠].

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦].

وجاء في سورة النساء:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفَوْا وَاسْتَكَبرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣].

١٢ - ذكرت سورة الحج بأن الله الحَكَمَ العدلَ هو الذي يفصل بين الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والمجوس والذين أشركوا يوم القيامة ، وذكرت سورة النساء نماذج من أعمال الذين هادوا ، أي: أنها أسقطت القناعَ عن أعمالهم الشنيعة ، وخطاياهم الفظيعة من مثل: تحريف الكلم عن مواضعه ، ومحاولة سبِّ الرِّسُولِ ﷺ بِلِيٍّ أَلَسْتَهُمْ بالكلام ، وبطعنهم في الدين ، وباتِّصافهم بصفة الظلم .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧] ، وقال جل شأنه في سورة النساء: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالسِّنِّهِمْ



وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْتَعْنَا وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ [النساء: ٤٦] ، وقال تبارك اسمه : ﴿ فِظْلِمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠] .

١٣ - قرّرت سورة الحج بأن الله هو الذي يفصل بين جميع الطوائف يوم القيامة ، وذكرت بأنه على كل شيء شهيدٌ ، وتكرّرت الجملة ذاتها في سياق حديث القرآن عن ضرورة إيتاء الموالى ممّا ترك الوالدان والأقربون .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَكَاثُوهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٣٣] .

١٤ - ذكرت سورة الحج أن الذين كفروا أعدّ الله لهم عذاباً عظيماً ، ومن أوصاف هذا العذاب أنه تُقَطَّعُ لهم ثيابٌ من نار ، ويُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم ، وأن بطونهم وجلودهم تنصهر من شدة غليان الحميم وحرارته . وذكرت سورة النساء بأن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً وعدواناً إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وأن السّعير هي مصيرهم المحتوم .

وقرّرت الآية (٥٦) من سورة النساء أن الذين كفروا يُحَرَّقُونَ بالنار إلى درجة أن تنضج جلودهم من شدة حرارة النار ، وأكدت الآية أنه كلما نضجت جلودهم ، بدّل الله لهم جلوداً غيرها ليزوقوا العذاب في إشارة علميّة دقيقة إلى أن الجلد هو موضع الإحساس من مكوّنات جسم الإنسان .



هذا ، ولم يأت في القرآن كله ذكرٌ للجلود في سياق التعذيب إلا في هذين الموضعين ، وهذا دليلٌ آخرٌ على شدة التلاحم المعنوي والموضوعي بين السورتين .

قال تعالى : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج : ١٩ - ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] .

١٥ - جاء في سورة الحج أن زبانية النار يُعيدون الذين كفروا فيها ، ويؤبّخونهم قائلين : ذوقوا عذاب الحريق ، وذكرت سورة النساء أن الله تبارك وتعالى يُبدّل لهم الجلود ليدوقوا العذاب .

قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ... ﴾ [النساء : ٥٦] .

١٦ - ذكرت سورة الحج أن الذين آمنوا يهديهم الله إلى الطيب من القول ، ويهديهم إلى صراط الحميد ، وأتمت سورة النساء المعنى المقابل ، حيث ذكرت أن الله تبارك اسمه لا يُحبّ الجهر بالسوء من القول إلا إذا صدر ممّن ظلم .

قال جل شأنه : ﴿ وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ [الحج : ٢٤] ، وقال تبارك اسمه : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٨] .



جَوَاهِرُ الدَّرَكَةِ فِي تِلْكَ مَقَارِنِ السُّورِ

١٧ - قَرَرْتُ سورة الحج في الآية (٢٥) في كلام مؤكّد بأنّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله باستمرار وإصرار ، ويصدّون عن المسجد الحرام الذي جعله الله مثابةً وأمنًا ، سوف يُذيقهم الله عذابًا أليمًا ، ووصمتهم الآية (١٦٧) من النساء بأنهم قد ضلّوا ضلالًا بعيدًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَلَمِ نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧].

١٨ - جاء في سورة الحج حديثٌ عن تمكين الله تبارك وتعالى لإبراهيم الخليل ، وتمهيد أرض الحرم له ليتخذ فيها مصلًى ، ويُقيم البيت الحرام على قواعده ، وأن يُرسي أركان التوحيد بين الناس ، ويؤدّن للناس فيها ليحجّوا بيت الله الحرام ، وذكرت الآية (٧٨) أنّ إبراهيم الخليل هو الذي أطلق اسم (المسلمين) على أبناء الأمة الإسلامية ، وبأنّ هذا الدّين هو قائمٌ على أسس ملة إبراهيم عليه السلام ، ثم جاءت سورة النساء مُتمّمة لهذه المعاني ، تُركي من اتّبع ملة إبراهيم حنيفًا ، وأسلم وجهه لله تعالى :

قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] ، وقال جلّ شأنه: ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨] . وجاء في سورة النساء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].



١٩ - حذرت سورة الحج - مثل أخواتها المكيّات والمدنيّات - من عاقبة الإشراف بالله تعالى ، وشبّهت الذي يُشرك بالله بالذي يَخِرُّ من السّماء فتخطفه الطيرُ ، أو تهوي به الرّيح في مكانٍ سحيقٍ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] ؛ والأمرُ ذاته نجده في سورة النساء التي بيّنت أن الشّرك بالله افتراءٌ عظيم ، وأن صاحبه يكون في ضلالٍ بعيد . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨] ، وقال جل شأنه : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] .

هذا ، ولم يأت هذا القالب التعبيري (ومن يشرك) المكوّن من حرف العطف (الواو) ، واسم الموصول (مَنْ) ، والفعل المضارع في حال الأفراد (يشرك) إلا في هاتين السورتين المتشابهتين في مطلعيهما على كثرة ما ورد النهي عن الإشراف بالله تعالى في القرآن الكريم ، وهذا أيضًا دليل قاطع على شدّة التلاحم بين التوبين اللفظيين للسورتين .

٢٠ - وردت صيغة المبالغة (خَوَان) مرّتين في القرآن الكريم كلّهُ ، أولاها في الحج في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] ، والثانية في النساء في سياق الحديث عن الذين يُجادلون عن الذين يختانون أنفسهم : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٧] .

تجدد الإشارة إلى أن وصف الخَوَّان بأنه كفور في سورة الحج يتناسق ويتناغم مع وصف الإنسان بأنه كفور في السّورة ذاتها . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج : ٦٦] .



هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد أن وصف الخوآن بأنه (أثيم) في سورة النساء؛ يتناسق ويتسق مع لفظ (الإثم) الذي تكرر في سورة النساء ست مرات ، ولم يأت لهذه الكلمة ذكر في سورة الحج :

﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٢٠].

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٥٠].

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١١].

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٢].

٢١ - جاء في سورة الحج الإذن لأول مرة للمؤمنين الذين ظلموا بأن يدافعوا عن أنفسهم ، وجاء تبشيرهم بأن الله على نصرهم لقدير :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [٣٩] الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُكُمْ وَصَلَوَاتُكُمْ وَمَسَجِدُكُمْ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَكِنْ صُرْتُ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ [الحج: ٣٩ - ٤٠] ، وجاءت سورة النساء داعية إلى قتال الذين كفروا ، ومُحفزة المؤمنين لخوض معركة الحق معهم لنصرة دين الله تعالى ، ومبشرة للمقاتلين في سبيل الله بالأجر العظيم : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٧١] وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ [٧٥] الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ



فَقِيلُوا أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٤﴾ [النساء: ٧٤ - ٧٦].

٢٢ - جاء استعمالُ مادة (مشيد) و(مُشيدة) في القرآن الكريم مرتين اثنتين: أولاهما في الحج في قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مُعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] ، والثانية في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ...﴾ [النساء: ٧٨] ، وفي استعمال هذه المواد اللغوية النادرة مثل (خَوَان) و(مَشِيد) و(مُشيدة) في السورتين دليلٌ على التلاحم اللَّفْظي بين الثوبين اللغويين للسورتين.

.. قال مكي: «والمُشيدة عند أهل اللغة المُطوّلة ، والمشيّدة بالتخفيف المُزَيّنة ، وقيل: هي المعمولة بالشيّد وهو الجصّ.

... وقال بعض الكوفيين: التخفيف والتثقيل أصلهما واحد ، والتشديد يُرادُ به الجمع كقولهم: غنمٌ مُذْبَحَةٌ ، وقبابٌ مُصَنَّعة ، فيقال: قصور مُشيدة على ذلك ، ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] مثل: كبش مذبوح ، وكباش مُذْبَحَةٌ»^(١).

٢٣ - كذلك من المواضع المطروقة في السورتين ، التأكيد على مضمون رسالات الرّسل؛ حيث جاء في سورة الحج التأكيد على حماية الله تعالى للأنبياء والمرسلين من إلقاء الشياطين ونفثهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْتِيَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] ، وجاء في سورة النساء بيان أن رسل الله بُعثوا ليطاعوا ، وليتبعوا بإذن الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ

(١) ... مكي ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج ٢ ، ص ١٣٩٠ .



حَوَاهِلُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِهِ مَقَارِنُ السُّورِ

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ
تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿النساء: ٦٤﴾ .

٢٤ - وصف الله ذاته العلية بأنه عليمٌ حكيمٌ في سورة الحج في معرض التعقيب على حفظه رسله وأنبياءه وتسديدهم ، وإبعاد إضلال الشيطان عنهم . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ عَيْنَهُ وَاللَّهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] ، وجاء ذكر الاسمين الكريمين (عليمًا حكيمًا) بالترتيب نفسه في حالة النصب في سورة النساء ٧ مرات في التعليق على الميراث وقضايا تشريعية أخرى ، كلها صادرة عن علمٍ وحكمة .

﴿ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١١] .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٧] .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٢٤] .

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٩٢] .

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٤] .

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١١١] .

٢٥ - ذكر جل شأنه أنه هو الذي يهدي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٤] ، وجاء



في سورة النساء حديثٌ في موضعين اثنين عن هداية الله تعالى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ، في سياق الحديث عن الذين يتعظون ويفعلون ما يؤمرون به : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨] ، وفي سياق الحديث عن الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، وتبشيرهم بأنه جل ثناؤه يُدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٥] .

٢٦ - ذكرت سورة الحج أن الذين كفروا بالله تعالى ، وكذبوا بآياته ، أعدَّ الله لهم عذابًا مهينًا . قال جلَّ شأنه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيتٌ ﴾ [الحج: ٥٧] ، وجاء في سورة النساء أن العذاب المهين أعدّه الله لمن يعصيه ويتعدى حدوده ، ولمن يبخل ويأمر بالبخل ، ويكتم ما آتاه الله من فضله ، ويكون فضلًا على ذلك كله من الكافرين : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِيتٌ ﴾ [النساء: ١٤] ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ٣٧] ، وجاء في التّعقيب على صلاة الخوف تأكيدٌ بأن الله تبارك وتعالى أعدَّ للكافرين عذابًا مهينًا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢] ، وجاء في الآيتين (١٥٠/١٥١) بأن الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويفرقون بين الله ورسوله ، هم الكافرون الحقيقيون ، وهم الذين يستحقون العذاب المهين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي تَرْجُمَاتِ السُّورِ

يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿النساء: ١٥٠ - ١٥١﴾.

٢٧ - ذكرت سورة الحج أن الله تبارك وتعالى يُثِيبُ الذين هاجروا في سبيل الله ، وأبلوا بلاءً حسناً بأن يرزقهم رزقاً حسناً ، وبأن يُدْخِلَهُمْ مُدْخَلَاً يَرْضُونَهُ : ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلَاً يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩] ، وذكرت سورة النساء بأن الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش يكون جزاؤهم أن الله يُدْخِلَهُمْ مُدْخَلَاً كريماً : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١].

٢٨ - جاء ذكرُ الاسمين الكريمين (عليم) و(حليم) بهذا الترتيب في حالة الرفع في موضعين اثنين فقط وهما : ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلَاً يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

ولم يردا إلا مرةً واحدةً في حالة النصب في سورة الأحزاب في قوله تعالى : ﴿تُرْجَىٰ مِنْ نِّشَاءِ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَىٰكَ مِنْ نِّشَاءِ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْكَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١] ، وفي غير هذه المواضع الثلاثة ، لم يرد الاسمان الكريمان (عليم حليم) بهذا الترتيب في القرآن كله ، وهذا يدلُّ أيضاً على التلاحم اللغوي ، وتطابق النسيج اللفظي بين سورتي الحج والنساء .

٢٩ - جاء ذكرُ الاسمين الكريمين (عفو) و(غفور) بهذا الترتيب في حالة الرفع في سورتي الحج : وفي سورة المجادلة : ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ



مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ زُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ [المجادلة: ٢] ، وجاء ذكرهما في حالة النصب في موضعين من سورة النساء ، وهما قوله تعالى : ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوءًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣] ، وقوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوءًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩] .

هذا ، ولم يأت ذكرهما بهذا الترتيب في غير هذه المواضع الأربعة ، ثلاثة منها في سورة الحج والنساء ، وهذا دليل على شدة التلاحم في البناء اللفظي للسورتين .

٣٠ - جاء وصف الله تبارك وتعالى بأنه (سميع بصير) مرتين في الحج في حالة الرفع ، وهما : ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] ، وقوله جل ثناؤه : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] ، وجاء ذكرهما في سورة النساء بالتوالي نفسه في حالة النصب مرتين : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] ، وقوله : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] .

٣١ - جاء ذكر الاسمين الكريمين (العلي) و(الكبير) متواليين في سورة الحج في حالة الرفع في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] ، وجاء في حالة النصب في سورة النساء في قوله : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤] .



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مُقَارَنَةِ السُّورِ

فانظر إلى مدى التَّنَاسُقِ ، وشدة التَّلَاحُمِ بين السُّورتين في عرض أسماء الله الحسنی وصفاته العلا؛ حيثُ إنَّ أغلب ما جاء ذكره في حالة الرَّفْعِ في سورة الحج ، جاء ذكره في حالة النَّصْبِ في سورة النساء ، ومثل هذين الاسمين جاء ذكرهما في حالة الرَّفْعِ في سور أخرى مثل لقمان وسبأ و غافر ، وهذا لا يغضُّ من قيمة المقارنة التي نُجريها بين سورتي الحج والنساء .

٣٢ - جاء في سورة الحج ذكرُ الاسمين الكريمين (الغنيَّ الحميد) في معرض التعليق على أنَّ الله تعالى له ملكٌ ما في السماوات وما في الأرض: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤] ، وجاء تكريرٌ لهذا المعنى مع توكيده في سورة النساء ، وجاء التَّذْيِيلُ بالاسمين الكريمين في حالة النَّصْبِ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١] .

والملاحظُ أنَّ آيات سورة الحج بشكلٍ عام جاءت في قالب موجزٍ ومختصر ، وكأنَّها تُطلُّ على القرآن المكي ، وآيات سورة النساء جاء فيها توسيعٌ للمعاني المعروضة ، وتأكيدٌ لها ، وبسطٌ بطريقة القرآن المدني الذي يتَّسم في غالبه بالتَّفصيل والبسط للتناسب مع جوِّ التشريع .

٣٣ - جاء في سورتي الحج والنساء بأنَّ الله تبارك وتعالى يحكم بين عباده يوم القيامة ، مُبَيِّنًا لهم ما كانوا فيه يختلفون . قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٩] ، وجاء في النساء: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ



بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿النساء: ١٤١﴾.

٣٤ - جاء في سورة الحج ذكر علم الله الواسع ، وبأنه محيط بكل شيء ، وأن ذلك يسير عليه جل جلاله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] ، وجاء في سورة النساء في موضعين ذكر معنى أن كل شيء يسير على الله تعالى أيضا ؛ فتعذيب الكافرين على الله يسير : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ٣٠] ، وإدخال الكافرين في النار وهدايتهم إليها يسير عليه أيضا ، وجاء ذلك في أسلوب تهكمي بليغ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٩] .

والملاحظ أيضا أن صفة (يسير) جاءت في حالة الرفع في سورة الحج ، وجاءت في حالة النصب مرتين في سورة النساء في باب خبر كان .

٣٥ - جاء في سورة الحج بيان أن المنهج الذي أنزله الله تعالى على قلب محمد ﷺ هو المنهج الميسور العدل ، الذي ليس فيه حرج على أحد ، وهو من لُحمة ملة إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وجاء في سورة النساء بيان أنه لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ، وأخلص دينه لله ، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

٣٦ - جاء في الآية الأخيرة من سورة الحج تقرير أن الله تبارك



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ الشُّرُوحِ

وتعالى جعلَ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ شهيدًا على الأمة الإسلامية ، وتقريرُ
بأنَّ الأُمَّةَ الإسلامية تكونُ شهيدة على الأمم السابقة: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ
الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] ، وقررت
سورة النساء المعنى ذاته بصيغة الاستفهام التعجبي الذي يلفت الناس
جميعا إلى مكانة رسول الله ﷺ عند ربّه ، ومكانة الأنبياء عند ربهم
وذكر شهاداتهم على الأقوام: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] ، هذا ، والله أعلم بأسرار
قرآنه .





الْبَحْثُ الثَّلَاثُ

سور ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

المائدة ، والحجرات ، والممتحنة

تشارك ثلاث سور في مطلع مناداة الذين آمنوا ، وهي المائدة ،
والحجرات ، والممتحنة.

من بين سور ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، نزلت سورة الممتحنة^(١)
(٩١ نزولاً) بعد الأحزاب وقبل النساء ، ثم تلتها سورة الحجرات
(١٠٦ نزولاً) ، ثم تلتها سورة المائدة (١١٢ نزولاً) ، وينطبق على
هذه السور الثلاث ما ينطبق على جميع السور المتشابهة المطالع؛
فليس ثمة في القرآن شيء جاء بشكل عفوي غير مقصود ، بل كل
ما في القرآن الكريم يخضع للقاعدة القرآنية العظيمة: ﴿الرَّ كِتَبٌ
أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]؛ فكل ما في القرآن ،
كما أسلفت ، محكم ومفصل في وضعه وترتيبه أثناء النزول ، وفي

(١) ... ذكر القرطبي والسهيلي أنّ المشهور على الألسنة النطق في كلمة
(الممتحنة) بكسر الحاء ، ووجه تسميتها باسم الفاعل من الفعل (امتحن) هو
ورود آية امتحان النساء فيها. وثمة من سماها باسم المفعول ، أي بفتح الحاء
(الممتحنة) إشارة إلى المرأة التي تمّ امتحانها وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي
معيط .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

موضعه من المصحف الشريف ، وكل سورة تشترك مع أختها في مطلع مُعَيَّن فهي ترتبطُ معها بوشائج وروابط أخرى دلالية أحيانا ، وأحيانا لفظية وصوتية ، تجعلهما حريتين بالبداية الموحدة ، وإلا فقل لي برّبك كيف تشترك ثلاث سور في بداية واحدة ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، خلافا لـ ١١١ سورة تبدأ بمطالع مختلفة عنها ، ثم لا يلتفت الذهنُ الباحث إلى سرّ ذلك؟

وإليك إيضاحاً لأهمّ الروابط التي تربط بين السور المدنية المفتحة بالنمط التعبيري: يا أيّها الذين آمنوا:

١ - التحذير من اتّخاذ أعداء الله أولياء:

أنزل الله تبارك وتعالى في بداية سورة الممتحنة تحذيراً للذين آمنوا ينهاهم فيه عن اتّخاذ أعداء الله وأعدائهم أولياء: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١] ، ولمزيد من التوضيح والبيان جاءت سورة المائدة تُعرِّفُ المؤمنين بأعداء الأمة الحقيقيين الذين لا ينبغي للمؤمنين أن يتّخذوهم أولياء؛ فهم اليهود والنصارى ، وهم الذين يتّخذون دين الإسلام هُزُواً. قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] ، وقال جلّ شأنه: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مَوْءِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧] .



٢ - التحذير من عداوة الكافرين من المشركين وأهل الكتاب:

حذرت سورة الممتحنة الذين آمنوا من أن يُسرّوا ويُخلصوا المودة لأعداء الإسلام ، وبيّنت أن مَنْ يفعل ذلك من المسلمين يكون قد ضلّ سواء السبيل ، وهو يخطئ خطئاً عسواء في دنيا الفتن والأهواء : ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١] ، ثمّ جلّت سورة المائدة صفات الذين ضلّوا عن سواء السبيل بأنّهم هم الذين حاقت بهم لعنة الله ، وغضبه ، وجعل منهم القردة والخنازير ، زيادة في تخويف الذين آمنوا حتّى يتّقوا أحابيلهم ، ويتجنّبوا سبلهم . قال جلّ شأنه : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] .

٣ - بسط الكفار أيديهم وألسنتهم بالسوء إلى المؤمنين:

يُبيّن الله تبارك وتعالى للمؤمنين في سورة الممتحنة حقيقة أعدائهم وأنّهم لا يتوانون في الإضرار بهم ، فيقول لهم : لا تظنّوا أعداء الله وأعداء رسوله هؤلاء يبذلون لكم المودة؛ فإنّهم إن يثقفوكم ويتمكّنوا منكم فإنّهم يظهرون على حقيقتهم من العداوة والبغضاء ، ويمارسوا العداوة فيكم بما يضرّكم ويؤذيكم ، ويسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء قتلاً وأسراً وهجاءً ، ولا تنتظروا منهم ودادة ، إلّا ودادةً مُعَيّنة هي دخولكم في الكفر^(١) . قال جلّ شأنه : ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢] .

من ناحية أخرى ، يمتنّ الله جلّ شأنه على المؤمنين في سورة

(١) انظر: فرهود ، لباب التفاسير ، ج ٥ ، ص ٢٦٣٠ .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

المائدة ، بأن كفَّ أيدي اليهود عنهم في الزمن الذي هم جماعةٌ من بني النضير ، وعزموا وخططوا لقتل محمد ﷺ ، حين قصد ديارهم ليستلّف منهم دية رجلين كان قد قتلتهما عمرو بن أمية الضمري خطأ ، فرحبَ به بنو النضير في الظاهر ، وبيتوا قتله في بواطنهم ، وندبوا لذلك أحدهم ، فأعلم الله رسوله فخرج ، وخرج معه أصحابه من ديارهم فجاءه^(١) . فالله تعالى يُذكرُ المؤمنين بهذه النعمة ، نعمة إنجاء نبيهم من كيد اليهود ، الذين أرادوا أن يسطوا إليه وإليهم أيديهم بالسوء ، وفي ذلك قال جلّ شأنه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

يجمع بين الحادثتين أن آية الممتحنة أوضحت أن أعداء الإسلام بشكل عام ، لن يستنكفوا أن يسطوا أيديهم بالسوء للبطش بالمسلمين وإلحاق الضرر بهم حيثما أُتيحت لهم الفرص ، وتيسرت لهم الأسباب ، ثم جاءت آية المائدة (١١) فضربت مثالا لحقيقة ما يُضمّره أعداء الإسلام ، ومنهم اليهود ، وبيّنت نعمة الله على المسلمين جميعاً حين كفَّ أيديهم عن نبيهم وعنهم .

ومن اللطائف البيانية في هذا المقام ، أن الآيتين استعملتا تقنيةً من تقنيات لغة الجسم ، حيث جاء التعبير عن إلحاق الأذى والضرر ببسط اليد واللسان بالسوء : ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾ ، وهو من ناحية علم البيان مجازٌ في البطش والإضرار بالآخرين^(٢) .

(١) انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ، ص ٣٧٥ ، وفرهود ، لباب التفاسير ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .

(٢) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٦ ، ص ١٣٨ .



٤ - البراءة من الشرك وأهله:

تحدثت سورة الممتحنة عن تبرئ إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه من قومهم حين علموا وأيقنوا أن قومهم على الشرك ، وأنهم مُستمرّون في عبادة الأصنام ، وقالوا لقومهم في صراحة المؤمنين الصادقين: «بدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده»: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

المُلاحَظُ أنَّ العداوة والبغضاء نفسها تحدث عنها سورة المائدة في ثلاثة مواضع:

أ: العداوة والبغضاء بين النصارى فيما بينهم:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

ب: العداوة والبغضاء بين طوائف اليهود:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَنًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ج: اجتهد الشيطان لإلقاء العداوة بين المسلمين:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].



.. هذا ، ولم يرد هذا المركب العطفى (العداوة والبغضاء) إلا في هذه المواضع الأربعة من سورتي المائدة والممتحنة ، وهذا دليل قطعي واضح على شدة التلاحم بين السورتين في الناحية اللفظية والمعنوية .

٥ - إلى الله وحده المصير:

قررت آية المائدة (١٨) أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَصِيرُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨] ، وجار المؤمنون في سورة الممتحنة بدعائهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤] .

٦ - الله هو العزيز الحكيم:

جاء وصفُ الله تعالى في السورتين بكونه هو العزيز الحكيم بصيغة مؤكدة: بتوظيف أداة التوكيد (إن) والتوكيد اللفظي بالضمير (أنت) والجملة الاسمية التي هي أوكد من الجملة الفعلية:

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] .

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥] .

٧ - رحمة الله الواسعة:

وردت آيات في المائدة والحجرات والممتحنة تبشرُ برحمة الله المُخطئين ، الذين يتوبون ويستغفرون من ذنوبهم ، وجاء وصف الله



باسميه الكريمين الجميلين: غفور رحيم في عدد من الآيات منها:

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المائدة: ٣].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المائدة: ٣٤].

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المائدة: ٣٩].

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المائدة: ٧٤].

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٩٧] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧ - ٩٨].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الحجرات: ٥].

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الحجرات: ١٤].

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المتحنة: ٧].

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].



٨ - العدل أساسُ الملك:

الذين آمنوا بالله تعالى هم أولى الناس بتطبيق أسس العدل ، وأن يحكموا بين الناس بالقسط ؛ لذلك جاءت ثلاث آيات تصرّح بأن الله تعالى يُحبُّ المقسطين في السور الثلاث المُفتحة بنداؤ الذين آمنوا: فمحمّد ﷺ مُطالبٌ بأن يحكم بين الناس جميعاً ، وبين أهل الكتاب إن احتكموا إليه ؛ بالقسط : ﴿ سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤٢] .

والأمر ذاته ينطبقُ على المؤمنين ، فهم مُطالبون أن يُصلحوا بين إخوانهم إذا تخاصموا ، وأن يحكموا بينهم بالقسط في المنازعات والخصومات : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَعِّلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

حتى الكفار وأهل الكتاب الذين لم يقاتلوا المسلمين ، ولم يُخرجوهم من ديارهم ، فقد حثّ الإسلام على حسن معاملتهم والإقساط إليهم ، وذلك ما أتمّت تصويره آية الممتحنة : ﴿ لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

٩ - الحديث عن الظالمين ، وتوكيد وصفهم بالظلم المهلك:

بيّنت آية المائدة (٤٥) أن الذين لا يحكمون بما أنزل الله تعالى ، ويُعطلون شرعه ؛ هم الظالمون الجديرون بوصف الظلم : ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] .

وأوضحت آية الحجرات (١١) في سياق نهى الذين آمنوا عن اقتراف القبائح الست ، أن الذين لا يتوبون إلى الله تعالى بعدما جاءهم النذير ، وأوضح لهم ما يحلُّ لهم فعله وما يحرم عليهم ، بأنهم هم الظالمون حقاً وصدقاً: ظالمون لمجتمعهم لأنهم يتعاطون خطايا وذنوباً تعود بالوبال والسوء والفتنة على المسلمين فيما بينهم ، وظالمون لأنفسهم بإيرادها المهالك: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

والظلم ذاته هو وصف للذين يتولَّون الذين قاتلوا المؤمنين وأخرجوهم من ديارهم: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

١٠ - الله هو العليم الحكيم:

قررت آية الحجرات (٨) بأن الله هو العليم العلّام ، الذي لا يعزبُ عن علمه شيء في الكون كلّ ، وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في الموضع الصحيح الذي يليق به ، والأمر ذاته قرّره قبلها سورة الممتحنة في آيتها (١٠):

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨].

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَخَكِّمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠].

١١ - التذكير بعقد الإيمان:

الذي يحث المسلمين ويحفّزهم على تطبيق أحكام الشرع ، وعدم التفريط في أي جزء منها ، هو الإيمان الصادق القوي بقاء الله تعالى ،



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

الذي بدوره يدعو المسلمين إلى تجنب محارم الله ، وإتيان محابه ومراضيه ، والوقوف عند حدوده؛ من هنا تكررت في القرآن جمل وعبارات تحفز على تقوى الله ، وتوقظ شعلة الإيمان في نفوس المؤمنين :

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ٨٨] .

﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابِقْتُمْ فَاتَاوُا الَّذِيكَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المتحنة : ١١] .

علماً أن هذه العبارة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ لم تكرر بهذا البناء في القرآن كله إلا في هذين الموضعين من المائدة والممتحنة ، وهذا يدل على وثيق التلاحم وشدة الارتباط بين السورتين .

١٢ - مناداة الذين آمنوا في السور الثلاث:

من الروابط المضمونية واللغوية اللفظية التي تكررت في السور الثلاث : تكرير مناداة المؤمنين بالنداء المحبب إليهم ، الذي يذكرهم بالعقد العظيم الذي دخلوا فيه مع الله مولاهم الحق ، وهذه أشد الروابط التي تجعل السور الثلاث كأنها سلسلة آيات متواصلة المعاني والدلالات المتقاربة ، والقوالب اللغوية المتشابهة :

المائدة :

● ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] .

● ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] .



• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنَكُمْ اللَّهُ شَيْءً مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَرَمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْنَلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن نَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].



- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾
[المائدة : ١٠٦].

الحجرات :

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
[الحجرات : ١].

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢].
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ ۚ فَتُصِيبُكُمْ أَوْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرٌ﴾ [الحجرات : ٦].

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات : ١١].

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات : ١٢].

المتحنة :

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة : ١].
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المتحنة : ١٠].

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة : ١٣].

١٣ - الوعد بالمغفرة والأجر العظيم :

جاء في سورة المائدة وعدُّ من الله الكريم الوهاب أنَّ الذين آمنوا



وعملوا الصالحات أعدّ لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩] ، والثواب نفسه أعدّه الله للذين يغضون أصواتهم تأذّبًا مع رسول الله ﷺ في سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣] .

وهذه الجملة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في حالة الرفع لم تكرر في القرآن الكريم كله إلا في هذين الموضعين. وجاءت في حالة النصب في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِظِينَ وَالْخَافِظَاتِ فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

أما جملة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ فجاءت في سورة هود (١١) ، وفي سورة فاطر (٧) ، وفي سورة الملك (١٢) .

١٤ - أصناف البشر الذين عطّلوا عقولهم، فوصمهم البيان القرآني

بأنهم لا يعقلون:

حكمت آية المائة (٥٨) على الذين اتخذوا الصلاة هزواً ولعباً بأنهم قومٌ عطّلوا ألبابهم فهم لا يعقلون: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨] ، ووصمت الآية (١٠٣) أكثر الذين كفروا ويفترون على الله الكذب أيضاً بأنهم قومٌ لا يعقلون: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣] .

وعلى نفس المنوال ، نعت آية الحجرات (٤) الذين يُنادون



أَجْمَعُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

رسول الله ﷺ من وراء الحجرات ، ولا يوقرونه التّوقير الذي يستحقّه ، ويتجاوزون حدود الأدب مع مقام النبوة بأنهم قومٌ لا يعقلون : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤] . وبمثل هذا الوضوح نرى أن سورتي المائدة والحجرات اشتركتا في ذكر الذين عطلوا عقولهم وارتكسوا في حماة الحيوانية التي لا يعقل أفرادها .

١٥ - الأمر بتقوى الله :

حفلت السّور الثلاث بالحثّ على التّقوى ، فهي السّلاح الأقوى ، والحصن الحصين ، والمُحفّز الدّاخلي الذي يحرسُ التّشريعات والتّوجيهات الرّبّانيّة ، وبما أن السور الثلاث مدنية ، وهي حافلة بأنواع القضايا التّشريعيّة ما يتعلّق منها بالخلق العام ، وما يتعلّق بالعلاقات بين المؤمنين فيما بينهم ، وما بينهم وبين الطوائف الأخرى ، فقد جاءت مُذيلةً بالاسمين الكريمين : العليم الحكيم ، وبأنّه جلّ ثناؤه خيرٌ بما يعملون : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [المائدة : ٤] .

﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة : ٧] .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .



الفصل الأول: المبحث الثالث: سور ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٨].

﴿ أُحِلَّ لَكُم صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلنَّاسِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المائدة: ٩٦].

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيكُمُ الْآلَبَسُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمِعُوا وَأَلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٨].

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢].

الحجرات:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].



المتحنة :

﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِيكَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المتحنة : ١١] .

١٦ - العلمُ بما في السَّمَاوَاتِ وما في الأَرْضِ :

ورد في سورتي المائدة والحجرات حديثٌ عن علم الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء ، والعليم بما في السَّمَاوَاتِ وما في الأرض : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] ، وجاء في الحجرات : ﴿ قُلْ أَنْتَعِلْمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٦] .

وقد جاءت آيةُ المائدة متحدثةً عن جعل الله تعالى الكعبة وتصييرها منذ أن أمر نبيه إبراهيم عليه السلام ببنائها أن تكون قياماً للناس ، أي : عليها يقوم أمرُ دينهم ودنياهم ، يقومون بين يدي ربهم حولها مُصلِّين ، وطائفين ، وعاكفين ، وتنتعشُ تجارتهم وشؤونهم الدنيوية في الرحلة إليها ، وكذا جعل الشهر الحرام زمناً مُعظماً للعبادة ، وجعل الهدى والقلائد وسائل لإظهار المؤمن طاعته ، ويقرب نسكه بين يدي مولاه في ساحة الانكسار والعبودية . ثم علل الله جل شأنه هذا التقرير الإلهي مخاطباً المسلمين : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا . . . ﴾ ، ونلاحظ أن جملة التعليل جاءت مؤكدة في شطريها : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، و ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وهو أمرٌ يتعلق بالتشريع ، يستحق التوكيد والتقرير من حيث الأهمية والخطر ، فجاءت (أن) حاملةً لذلك المعنى .



أَمَّا آيَةُ الْحَجَرَاتِ ، فَخَطَابٌ لِلْأَعْرَابِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ظَاهِرِيًّا ، وَلَمْ يَتَجَذَّرِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ مُوجِّهًا مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ وَتُعَرِّفُونَهُ مَا لَا يَعْلَمُ مِنْ أَحْوَالِكُمْ؟! وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، وَبِمَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حَالَهُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، وَدَرَجَةِ إِيْمَانِهِمْ ، أَيْ أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ أَذْهَانُهُمْ خَالِيَةً مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي تَمَّ مُوَاجَهَتُهُمْ بِهِ ، فَقَدْ جَاءَ الْكَلَامُ غَيْرَ مُؤَكَّدٍ .

قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: «وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ ، وَقَدْ أُيِّدَ التَّوْبِيخُ بِجُمْلَةِ الْحَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، وَفِي هَذَا تَجْهِيلٌ إِذْ حَاولُوا إِخْفَاءَ بَاطِنِهِمْ عَنِ الْمُطَّلِعِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(١) .

مِنْ خِلَالِ السَّرْدِ السَّابِقِ لِلآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ ، وَالْمَشْتَرَكَةِ بَيْنِ الْمَائِدَةِ ، وَالْحَجَرَاتِ ، وَالْمَمْتَحِنَةِ ؛ يَتَبَيَّنُ بِجَلَاءٍ وَوُضُوحٍ جُمْلَةُ الرِّوَابِطِ وَالْعِلَاقَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَاللَّفْظِيَّةِ الَّتِي تَرْبُطُ ثَوْبِي السُّورَتَيْنِ ، وَهَذَا يُفَسِّرُ جَانِبًا لظَاهِرَةِ تَشَابِهِ مَطَالَعِ بَعْضِ السُّورِ دُونَ بَعْضٍ ، وَلَعَلَّ ثَمَّةَ حِكْمًا أُخْرَى سَيُظْهِرُهَا اللَّهُ فِي حِينِهَا عَلَى يَدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ مُتَدَبِّرِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ .



(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٢٦ ، ص ٢٦٩ .



الْبَحْثُ الرَّابِعُ

السُّورُ الْمُسَبِّحَاتُ

(الإسراء ، والحديد ، والحشر ، والصف ،
والجمعة ، والتغابن ، والأعلى)

السُّورُ الْمُسَبِّحَاتُ هي: الأعلى (٨ نزولاً) ، والإسراء (٥٠ نزولاً) ، وهما مَكِّيَّتان ، ثم نزل في المدينة سور الحديد (٩٤ نزولاً) ، ثُمَّ الحشر (١٠١ نزولاً) ، ثُمَّ التغابن (١٠٨ نزولاً) ، فالصَّفُّ (١٠٩ نزولاً) ، فالجمعة (١١٠ نزولاً).

تسمّى هذه السُّور الْمُسَبِّحَاتُ لأنها افْتُتِحَتْ بِمَادَّةِ التَّسْبِيحِ ؛ حيثُ جاء بصيغة الأمر ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ، وبصيغة الماضي ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ ، وبصيغة المضارع: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ، وبصيغة المصدر ﴿سُبِّحَنَ الَّذِي﴾.

سورة الأعلى:

تُعَدُّ سورة الأعلى من قصار المفصل ، وهي في جملتها دعوةٌ إلى تنزيه الله تعالى ، وإفراده بالألوهية والربوبية ، وتوحيده في أسمائه وصفاته ؛ فهو الإله الربُّ الذي خلق فسوّى ، والذي قدّر فهدى ، وأيّدَ نبيّه محمداً بمعجزة القرآن العقلية الخالدة ، وأقرأه إياها فوعاها



وكتبها في قلبه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿[الأعلى: ٦ - ٧] ، وفيها تثبيتٌ لمحمد ﷺ بأنَّ الله خالقه وهاديه سيِّسْرُهُ لليسرى ، وأنَّ ما أُرْسِلَ به تُصَدِّقُهُ الكتب السابقة وصحف إبراهيم وموسى ، تهويناً للأمر على قلبه ، ومواساةً له .

سورة الإسراء:

سُمِّيَتْ سورة الإسراء بهذا الاسم لأنَّ حادثة الإسراء العظيمة ذُكِرَتْ في مطلعها: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] ، وكانت تُسمَّى في عهد الصحابة رضوان الله عليهم: سورة بني إسرائيل؛ للحضور القوي الظاهر لجانب من قصة بني إسرائيل في مطلعها؛ ابتداءً من الآية الثانية: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢] إلى قوله تعالى ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] .

ثمَّ عاد السياق بعد جولات من شرح المسائل العقدية وأصول قضايا التشريع ، وذكرٍ لبعض جوانب المعجزة القرآنية الخالدة ، وجانب من قصة امتناع إبليس من السجود لآدم ، وذكرٍ لخصائص محمد ﷺ وما ميَّزه الله تعالى به عن غيره من الأنبياء والرسل وغير ذلك ، عاد السياق يتحدث عن إتياء موسى البينات التسع ، وحواره مع فرعون ، وعن بني إسرائيل والمجيء بهم في وعد المرة الآخرة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْمُوسَى مَسْحُورًا﴾ ١٠١ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَايِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْفُرُونَ مَثْبُورًا﴾ ١٠٢ فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ ١٠٣ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جُنَابِكُمْ لَفِيضًا﴾ [الإسراء: ١٠١ - ١٠٤] .



فسبب تسميتها بسورة بني إسرائيل ، على الرغم من أن قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل جاءت مفصلة ، وبأثواب لغوية متنوعة في سور كثيرة مثل البقرة ، والمائدة ، والأعراف ، وطه ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، وغيرها ، قلت : السبب يعود - والله أعلم - إلى أنه ذُكر فيها ما لم يُذكر في غيرها مما يتعلق بأحوال بني إسرائيل في الشوط الأخير من قصة تاريخهم ؛ حيث ذكرت السور الأخرى قصة موسى عليه السلام ومعجزاته ، وما لقيه من فرعون ، والأحداث التي مرت ببني إسرائيل في تاريخهم الأول ، وأبرزت الدروس المستفادة من ذلك ، ولكن سورة بني إسرائيل كشفت القناع عن جانب المستقبل المحجوب مما يتصل بهذه الأمة التي تنسب إلى إسرائيل ، ويتعلق بخصائص تكوينها .

علاوة على ذلك فقد جاءت جملٌ صريحة في السُنن الصحيحة أن رسول الله ﷺ سماها كذلك ؛ فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ »^(١) ، وجاء في صحيح البخاري أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : « إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ تِلَادِي »^(٢) .

وسورة الإسراء مكية في مجملها إلا أربع آيات أو خمساً على اختلاف بين علماء التنزيل^(٣) .

والذي يعنينا في هذا المقام هو بيان وجه ارتباط سورة الإسراء

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الدعاء .

(٢) أخرجه البخاري .

(٣) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٢٠٣ .

بأخواتها المسبّحات ، أو بعض منها ، والذي يظهر بعد التدبّر في مضامين سورة الإسراء والمسبّحات الأخر ؛ أنّها تشترك مع الجميع في مقومات منها :

١ - الحضور المكثف لمادة التّسبيح في مواضع منها :

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء : ١] .

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿[الإسراء : ٤٣ - ٤٤] .

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعًا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء : ٤٦] .

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء : ٩٣] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿[الإسراء : ١٠٨] .

الأسماء الحسنی :

أمر الله تعالى المسلمين أن يدعوه بأسمائه الحسنی : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، ولا توجد سورٌ ذكّرت فيها أعدادٌ كثيرةٌ من الأسماء الحسنی مجتمعةً كما جُمِعت في السُّور المُسَبِّحات ؛ حيثُ جاء فيها ٣٥ اسمًا من الأسماء موزعة على المسبّحات السبع من غير عدّ ما جاء ذكره مكرّرًا .

والجدير بالذكر أنّ المَرَكَّبَ الوصفِيّ (الأسماء الحسنی) ورد ذكره في القرآن الكريم أربع مرّات : في الأعراف ، وفي الإسراء : ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا﴾



وَأَبْتَعُ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿ [الإسراء: ١١٠] ، وفي طه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨] ، وفي الحشر: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

ولا أظنُّ أنَّ أحدًا يستطيعُ أن يُخالفَ أو أن يُجادلَ في الحكمة البينة الجليلة في ذكر هذا المركب الوصفي ﴿ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ في سورتين من المسبحات السبع وهما الإسراء والحشر ، وهذا دليل قويُّ على الترابط الوثيق الذي يجمع بين هذه السور ويوحدُها .

٢ - الأسماء الحسنی في المسبحات :

في سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] .
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧] .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠] .

﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥] .

﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [الإسراء: ٦٦] .

﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٦] .



﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٩٩].
﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾
[الإسراء: ١١٠].

الأسماء الحسنى في سورة الحديد:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحديد: ١].
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢].
﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩].
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الحديد: ٢٤].
﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ
لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨].

سورة الحشر:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ١].
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦].
﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].
﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].
﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ﴾ [٢١] ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ



الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[الحشر: ٢٢ - ٢٤]﴾.

سورة التغابن:

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

هذا وقد وردت كلمة التوحيد في سورتي الحشر والتغابن على التوالي:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

وتجدد الإشارة إلى أن الاسمين الكريمين (الملك والقدوس) لم يردا بهذا الترتيب في القرآن كله إلا في سورتي الحشر والجمعة:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١].

الأسماء الحسنی التي وردت في المسبحات مع حذف المكرر: (الله، السميع، البصير، الخبير، الحليم، الغفور، الوكيل، الرحمن، الرحيم، الشهيد، القادر، العزيز، الحكيم، القدير، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العليم، الرؤوف، الغني، الحميد، القوي، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الشكور، الأعلى).



٣ - حديث الإسراء والحشر والصف والجمعة عن بعض أنبياء بني إسرائيل :

وَمِنَ الرِّوَابِطِ الْمَضْمُونَةِ الَّتِي تُوحِّدُ بَيْنَ الْمَسَبِّحَاتِ ، حَدِيثُهَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ ، فَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَكْبَرِ ، فِي الْإِسْرَاءِ : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٢] ، وَجَاءَ ذِكْرُهُ فِي الصَّفِّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصَّف : ٥] .

وَجَاءَ ذِكْرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ : ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ دَبْزُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

وَجَاءَ ذِكْرُ لَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَبَيَانُ كَوْنِهِ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ، وَبَيَانُ كَوْنِهِ أَيْضًا مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ اسْمُهُ أَحْمَدُ ﷺ فِي الصَّفِّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْوَرَى وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصَّف : ٦] .

وَالْقَارِئُ يَتَمَلَّكُهُ الْعَجَبُ ، حِينَ يَتَدَبَّرُ فِي هَذَا الْاِخْتِيَارِ الرَّبَّانِيِّ لِهَذِهِ الْكُوكَبَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَيْفَ جَاءَ ذِكْرُهُمْ فِي سُورَتِي الْإِسْرَاءِ وَالصَّفِّ ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ مِنْ جَوَابٍ إِلَّا الْقَصْدُ وَالْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ الْعَالِيَةُ لِبَيَانِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ مَشْكَاتٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ هُوَ مَصْدَرُ التَّوْحِيدِ ، وَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ مُبَشِّرًا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ ، وَسَلَّمَتْ

إلى محمد عليه السلام ، وأوحى الله إليه القرآن الكريم ، وأرسله للعالمين بشيراً ونذيراً.

وجاء في خاتمة سورة الصف نداءً للمؤمنين ، ودعوة لهم لكي يصطفوا مؤمنين مجاهدين ، ومناصرين لدعوة محمد ﷺ ، وضرب لهم مثلاً بالذين ناصروا عيسى عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَثَامَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

٤ - إرسال الرسل ترى ، وحديث سورتي الحديد والصف عن عيسى ابن مريم:

وجاءت سورة الحديد وقررت أن الله تبارك وتعالى أرسل إلى الأقوام الرسل ، وقفى بعضهم ببعض ، وطوى أسماء جميع الأنبياء والرسل وذكرهم تحت مسمى: ﴿رُسُلَنَا﴾ ، وذكر اسم عيسى عليه السلام صريحاً ، فانظر إلى عظمة التوافق في ذكر نبي الله عيسى عليه السلام في سورة التيسيح الثانية (الحديد) ، بعد ذكر أخويه موسى وداود عليهما السلام في سورة التيسيح الأولى (الإسراء). قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

٥ - حديث عن أهل الكتاب:

على أن الموضوع الخطر الذي يربط بين السور المسبحات هو موضوع ضرورة إخراج بني إسرائيل من الأراضي المقدسة ، وقتالهم



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

إِنَّ هُمْ أَبَوَا ذَلِكَ ؛ حَيْثُ إِنَّ سُورَةَ الْحَشْرِ أَوْضَحَتْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَهُمْ فِي السَّيْرِ بَنُو النَّضِيرِ ، وَأَجْلَاهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، بَعْدَمَا تَحَصَّنُوا فِي بَيْوتِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّهَا مَانِعُهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَسَلَّطَ اللَّهُ الْقَوِيَّ الْعَزِيزُ عَلَيْهِمْ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ ، تَحْتَ رَايَةِ قَائِدِهِمُ الْعَظِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَأَجْلَاهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ قَسْرًا وَعُنُوةً ، فَخَرَجُوا مِنْهَا وَهُمْ يَتَحَسَّرُونَ ، وَأَبَتْ نَفْسُهُمُ الْخَبِيثَةُ إِلَّا تَخْرِيبَ الْبُيُوتِ حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ مِنْهَا الْمُؤْمِنُونَ ، وَصَوَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذَلِكَ بِأَبْلَغِ بَيَانٍ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر : ٢] .

وَأَوْضَحَتْ سُورَةُ الْحَشْرِ فِي مَقَامٍ آخَرَ مِنْهَا أَنَّ الْمُنَافِقِينَ الْمَذْبُذِينَ هُمُ الَّذِينَ يَتَعَاوَنُونَ مَعَ الْيَهُودِ ، وَهُمْ الَّذِينَ دِيدَنُهُمُ الْكُفْرُ وَالْإِرْجَافُ ، وَتَبْدِيلُ الْمَوَاقِعِ وَالْمَوَاضِعِ ، وَالتَّخَنُّدُ مَعَ حَزْبِ الْكُفْرِ أَيَّا كَانَ لَوْنُهُ وَشَكْلُهُ ، حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ مَصَالِحُهُمْ وَمَنَافِعُهُمُ الدُّنْيَوِيَّةُ الْعَاجِلَةُ ، فَلَا ثَوْبَ لَهُمْ دَائِمًا يَلْبَسُونَهُ ، وَيُظْهِرُونَ بِهِ لِلْعِيَانِ ، وَإِنَّمَا يَلْبَسُونَ لِكُلِّ حَالَةٍ لِبَوسَهَا ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ ثَوْبَهُ الْبَرَّاقِ ، وَهَذَا شَأْنُ النِّفَاقِ الْعَقَائِدِيِّ فِي كُلِّ عَصْرِ وَمَصْرٍ ، وَفِي كُلِّ آيٍ وَحِينٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر : ١١] .

وَلَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِمُعَاجِزِينَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُوقِفُوا مَدَّ تَحْرِيرِ الْعِبَادِ ، وَتَعْبِيدِهِمْ لِخَالِقِهِمْ وَالْهَمُّ الْحَقُّ ، وَقَدْ أَوْضَحَتْ سُورَةُ

الحديد أَنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ دِينَهُ ، وَمُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، حَيْثُ قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٩] .

ثُمَّ جَاءَتْ سُورَةُ الْجُمُعَةِ وَضُرِبَتْ مَثَلًا رَائِعًا يُقَرِّبُ صُورَةَ الْأَحْبَارِ ، الَّذِينَ اسْتَحْفِظُوا الْكِتَابَ فَلَمْ يَحْفَظُوهُ ، وَحُمِّلُوا التَّوْرَةَ فَلَمْ يَحْمِلُوهَا ، صَوَّرَهُمُ الْبَيَانُ الْقِرَائِي الْبَلِيغُ بِحِمَارٍ يَحْمِلُ كِتَابًا عَظِيمَةً ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ مِمَّا فِيهَا مِنْ مَنَافِعٍ وَحُكْمٍ وَعِلُومٍ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥ - ٧] .

وفي روعة هذا التشبيه التمثيلي ما يُجَلِّي حقيقة الخبر اليهودي ، ويبين شناعة جُرمه في حق نفسه وحق أمته ؛ فقد شَبَّهَ الخبر اليهودي الذي كُفِّ حَمْلُ التَّوْرَةِ ، وبيان ما فيها من هدايات وأحكام ، وآداب ، إلى قومه ؛ بمثل الحمار الذي يحمل كتب العلم النافع ، ولا ينتفع بها ، وفضاعة التشبيه تأتي من تشبيه اليهودي بالحمار دون سواه من الحيوانات التي لا تعي ، ولا تعقل ، وجليُّ أَنَّ المراد هو إظهار البلادة والجهل المطبق ، ولم يقل : بحمار يحمل أثقالاً ، وإنَّما يحمل أسفاراً من العلم النافع ، وثَلَّثَ ذلك كله بأنَّه لا ينتفع بها بتاتاً ؛ فوجَّه الشَّبهَ منتزِعٌ من متعدّد ، وهو الذي يقرَّب الصورة للقارئ كأنَّه يراها رأي العين . «وهذا التَّمثِيلُ مقصودٌ منه تشييعُ حالهم ، وهو من



تشبيه المعقول بالمحسوس المتعارف»^(١).

٦ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ وَشَأْنُهَا مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ :

أما سورة الإسراء ، فشأنها مع بني إسرائيل شأنٌ عظيم ، وحديثها عنهم حديثٌ يحملُ الكثيرَ من الإرهاصاتِ المُبَشِّرَةِ للمؤمنين ، ويحملُ الشُّؤْمَ والخزيَ لبني إسرائيل ، جزاءً وفاقاً على تكبرهم على الله تعالى ، وقتلهم الأنبياء ، وتحريفهم كتب الله ، وإفسادهم في الأرض .

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَعَنَّا عُثُلًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٤] .

وقد تعددت أقوال المفسرين في الإفسادتين المذكورتين في هذه الآية الكريمة ، هل وقعتا؟ ومتى وقعتا؟ أم لم تقعا بعد؟ ومن المراد بقوله ﴿عِبَادَنَا﴾؟ :

القول الأول :

قال الألوسي : واختلف في تعيين هؤلاء العباد - الذين بعثهم الله لمُعاقبة بني إسرائيل بعد إفسادهم الأول - فعن ابن عباس وقتادة : هم جالوت وجنوده ، وقال ابن جبير وابن إسحاق : هم سنحاريب ملك بابل وجنوده ، وقيل : هم العمالقة ، وقيل : بختنصر^(٢) .

القول الثاني :

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : «فالمرّة الأولى هي مجموع حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالأسر البابلي ، وهي غزوات

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٢٨ ، ص ٢١٤ .

(٢) الألوسي ، روح المعاني ، ج ١٥ ، ص ٢٤ .



بختنصر ملك بابل وآشور بلادَ أورشليم ، والغزو الأول كان سنة ٦٠٦ قبل المسيح ، أسَرَ جماعات كثيرةً من اليهود ، ويُسمى الأسر الأول ، ثم غزاهم الغزو الثاني ، وهو أعظم من الأول ، كان سنة ٥٩٨ قبل المسيح ، وأسر ملكَ يهوذا وجمَعًا غفيرًا من الإسرائيليين . . . والأسر الثالث المبرر سنة ٥٨٨ قبل المسيح ، غزاهم (بختنصر) وسبى كلَّ شعب يهوذا ، وأحرق هيكل سليمان ، وبقيت أورشليم خرابًا يابًا ، ثم أعادوا تعميرها .

وأما المرّة الثانيةُ فهي سلسلةُ غزوات الرومانيين بلادَ أورشليم^(١) . وفي كل إفسادة كان الله تعالى يبعثُ عليهم عبادًا أولي بأس شديد يسومُونهم سوءَ العذاب ، يقتلون رجالهم ، ويسبون نساءهم ، ويجوسون خلال ديارهم .

ثم ردَّ الله الكرةَ لهم ، وتابوا وندموا ، وتغلب ملك فارس على ملك بابل ، وتحقَّق لهم الدُّخول إلى أورشليم من جديد سنة ٥٣٠ قبل المسيح ، وجدّدوا دولتهم ، وذلك نصر انتصروه على البابليين إذ كانوا أعوانًا للفرس عليهم^(٢) .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧] ، «المشارُ إليه بهذه المرّة الآخرة هو ما اقترفه اليهودُ من المفساد والتمرد وقتل الأنبياء والصالحين والاعتداء على عيسى وأتباعه . . . وقد أُنذِرهم زكرياء ويحيى وعيسى فلم يراعوا ، فضرَبهم الله الضربةَ القاضيةَ بيد الرومان .

(١) ابن عاشور ، المرجع نفسه ، ج ١٥ ، ص ٣٠/٢٩ .

(٢) انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ١٥ ، ص ٣٢ .



وبيان ذلك: أَنَّ اليهودَ بعد أن عادوا إلى أورشليم ، وجدّوا مُلكَهُم ومسجدهم في زمن (داريوس) ، وأطلق لهم التّصَرّف في بلادهم التي غلبهم عليها البابليّون ، وكانوا تحت نفوذ مملكة فارس ، فمكثوا على ذلك مائتي سنة من سنة ٥٣٠ إلى ٣٣٠ قبل المسيح ، ثم أخذ ملكُهُم في الانحلال بهجوم البطالسة ملوك مصر على أورشليم ، فصاروا تحت سلطانهم إلى سنة ١٦٦ قبل المسيح؛ إذ قام قائدٌ من إسرائيل اسمه (ميثا) ، وكان من اللاويين فانتصر لليهود ، وتولّى الأمرَ عليهم ، وتسلسل الملكُ بعده في أبنائه في زمن مليء بالفتن إلى سنة أربعين قبل المسيح. دخلت المملكة تحت نفوذ الرّومانيين وأقاموا عليها أمراء من اليهود كان أشهرهم (هيرودس) ، ثمّ تمرّدوا للخروج على الرّومانيين ، فأرسل قيصرُ روميّة القائد (سيسيانوس) مع ابنه القائد (طيّطوس) بالجيوش في حدود سنة أربعين بعد المسيح فخُرّبت أورشليم ، واحترق المسجد ، وأسر (طيّطوس) نيفاً وتسعين ألفاً من اليهود ، وقُتِل من اليهود في تلك الحروب نحو ألف ألف ، ثم استعادوا المدينة ، وبقي منهم شِرْذمةٌ قليلةٌ بها إلى أن وافاهم الأمبراطور الرّومانيّ (أدريانوس) فهدمها وخرّبها ، ورمى قناطير الملح على أرضها كيلا تعود صالحةً للزّراعة ، وذلك سنة ١٣٥ للمسيح. وبذلك انتهى أمرُ اليهود وانقرض ، وتفرّقوا في الأرض ولم تخرج أورشليم من حكم الرّومان إلّا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطّاب سنة ١٦ صلحاً مع أهلها ، وهي تسمّى يومئذٍ (إيلياء)»^(١).

الرأي الثالث:

أمّا الشيخ الشعراوي فيرى أن الإفسادتين وقعتا في عصر صدر

(١) ابن عاشور المرجع نفسه ، ج ١٥ ، ص ٣٧ / ٣٨ .



الإسلام ، فإذلالهم وتعذيبهم في المرة الأولى وقع على يدي رسول الله ﷺ والصّحابة رضوان الله عليهم معه ، حين غدر اليهود في المدينة ، ونقضوا المعاهدة التي أبرموها مع رسول الله ﷺ .

قال الشيخ الشعراوي: «فلما غدروا هم ، واعتدوا على حرّمات المسلمين وأعراضهم ، جاس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلال ديارهم ، وقتل منهم من قتل ، وأجلاهم عن المدينة إلى الشام وإلى خيبر ، وكان هذا بأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ . . . وهذا هو الفساد الأول الذي حدث من يهود بني النضير ، وبني قينقاع ، وبني قريظة ، الذين خانوا العهد مع رسول الله ، بعد أن كانوا يستفتحون به على الذين كفروا»^(١).

والدليل لدى الشيخ الشعراوي أنّ الإفسادتين وقعتا في حضن الإسلام هو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥] ، حيث إنه من المعلوم أنّ (إذا) ظرف لما يُستقبل من الزمان ، وسورة الإسراء مكيّة نزلت بعد حادثة الإسراء: «فهذا دليل على أنّ أولى الإفسادتين لم تحدث بعد ، فلا يستقيم القول بأنّ الفساد الأول وقع في قصّة طالوت وجالوت ، وأنّ الإفساد الثاني جاء في قصّة بختنصر»^(٢).

وفي قوله ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا . . .﴾ [الإسراء: ٥] دليل آخر على أنّ الإفسادتين كانتا في حضن الإسلام؛ لأنّ كلمة (عبادًا) لا تُطلق إلّا على المؤمنين ، أمّا جالوت الذي قتله طالوت ، وبختنصر فهما كافران .

(١) تفسير الشعراوي ، ج ١٣ ، ص ٨٣٥٢ .

(٢) تفسير الشعراوي ، ج ١٤ ، ص ٨٣٥٣ .



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

ثُمَّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦] ، «الخطابُ في هذه الآية مُوجَّهٌ لبني إسرائيل ، والآيةُ تُمثِّلُ نقطةَ تحوُّلٍ وانقلابٍ للأوضاع ، فبعد ما تحدَّثنا عنه من غلبة المسلمين ، وأنَّ الله سلَّطَهُم لتأديب بني إسرائيل ، نرى هنا أنَّ الوضعَ لم يستمرَّ؛ لأنَّ المسلمين تخلَّوا عن منهج الله الذي ارتفعوا به ، وتنصَّلوا من كونهم عبادًا لله ، فدارت عليهم الدَّائرةُ ، وتسَلَّطَ عليهم اليهود ، وتبادلوا الدَّورَ معهم؛ لأنَّ اليهودَ أفاقوا لأنفسهم بعد أن أدَّبهُم رسولُ الله والمسلمون في المدينة ، فأخذوا ينظرون في حالهم وما وقعوا فيه من مخالفات .

ولا بُدَّ أنَّه قد حدثَ منهم شبه استقامةٍ على منهج الله ، أو على الأقل حدثَ من المسلمين انصرافٌ عن المنهج ، وتنكُّبٌ للطريق المستقيم ، فأنحلتِ الأمورُ الإيمانيَّةُ في نفوس المسلمين ، وانقسموا دُورًا ، لكلٍّ منها جغرافيا ، ولكلٍّ منها نظامٌ حاكمٌ ينتسبُ إلى الإسلام ، فأنحلت عنهم صفةُ عباد الله .

فلم يحدثْ بيننا وبينهم حروبٌ لعدَّةِ قرون ، منذ عصر الرِّسول إلى أن حدثَ وعدٌ بلفور ، الذي أعطى لهم الحقَّ في قيام دولتهم في فلسطين ، وكانت الكرَّةُ لهم علينا في عام ١٩٦٧م ، فناسب العطفُ به (ثُمَّ) التي تفيد التراخي .

﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦] ، وفعلاً أمدهم الله بالمال حتَّى أصبحوا أصحابَ رأس المال في العالم ، وأمدهم بالبنين الذين يُعلِّمونهم ويُثقِّفونهم على أعلى المستويات ، وفي كلِّ المجالات . ولكن هذا كلُّه لا يُعطيهم القدرةَ على أن تكونَ لهم كرَّةٌ على المسلمين ، فهم في ذاتهم ضعفاءٌ رغم ما في أيديهم من



المال والبنين ، ولا بُدَّ لهم لكي تقوم لهم قائمة من مُساندة أنصارهم وأتباعهم من الدّول الأخرى ، وهذا واضح لا يحتاجُ إلى بيان منذ الخطوات الأولى لقيام دولتهم ووطنهم القومي المزعوم في فلسطين .

وما زالت الكرةُ لهم علينا ، وسوف تظلُّ إلى أن نعود كما كنا ، عباداً لله مُستقيمين على منهجه ، مُحَكِّمين لكتابه ، وهذا وعدٌ سيتحقَّق إن شاء الله ، كما ذكرت الآية التالية :

﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا ﴾ [الإسراء : ٧] .

في الآية بشارةٌ لنا أننا سنعودُ إلى سالف عهدنا ، وستكون لنا يقظةٌ وصحوةٌ نعودُ بها إلى منهج الله وإلى طريقه المستقيم ، وعندها ستكون الغلبةُ والقوَّةُ ، وستعودُ الكرةُ لنا على اليهود ، ونُلحقُ بهم من الأذى ما يظهر أثره على وجوههم .

والمتمائلُ في هذه العبارة : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء : ٧] ، يجدُ أن دخولَ المسلمين للمسجد الأقصى أوَّلَ مرّةٍ كان في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، ولم يكن الأقصى وقتها في أيدي اليهود ، بل كان في أيدي الرّومان المسيحيين . فدخوله الأوَّلُ لم يكن إساءةً لليهود ، وإتّما كان إساءةً للمسيحيين ، لكن هذه المرّة سيكون دخولُ الأقصى ، وهو في حوزة اليهود ، وسيكون من ضمن الإساءة لوجوههم أن ندخل المسجد الأقصى ، ونُظهره من رجسهم .

ونلاحظُ كذلك في قوله تعالى : ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أن القرآن لم يقلْ ذلك إلّا إذا كان بين الدّخولين خروج .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي تَرْجُمَانِ السُّورَةِ

إذن ، فخرجنا الآن من المسجد الأقصى تصديقاً لنبوءة القرآن ، وكأن الحق سبحانه يريد أن يلفتنا: إن أردتم أن تدخلوا المسجد الأقصى مرة أخرى ، فعودوا إلى منهج ربكم وتصالحووا معه .

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ ، كلمة (الآخرة) تدل على أنها المرة التي لن تتكرر ، ولن يكون لليهود غلبة بعدها . . فهو وعد آت لا شك فيه ، بدليل أن هذه العبارة جاءت بنصها في آخر السورة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] . ومعنى هذا أن الله أراد لهم أن يظلوا مُبْعَثَرِينَ في جميع الأنحاء ، مُفَرَّقِينَ في كل البلاد ، كما قال عنهم: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] ، فتجدهم منعزلين عن الناس منبوذين بينهم ، كثيرا ما تُثارُ بسببهم المشاكل ، فيشكو الناس منهم ويقتلونهم ، . . . وهكذا سيظل اليهود خميرة عكنة ونكد بين سكان الأرض إلى يوم القيامة .

وبعد أن أسكنهم الله الأرض وبعثرهم فيها ، أهاج قلوب أتباعهم من جنود الباطل ، فأوخوا إليهم بفكرة الوطن القومي ، وزينوا لهم أولى خطوات نهايتهم ، فكان أن اختاروا لهم فلسطين ليتخذوا منها وطناً يتجمعون فيه من شتى البلاد .

وقد يرى البعض أن قيام دولة إسرائيل وتجمع اليهود بها نكايّة في الإسلام والمسلمين ، ولكن الحقيقة غير هذا ، فالحق سبحانه وتعالى حين يريد أن يضربهم الضربة الإيمانية من جنود موصوفين بأنهم ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ ، يلفتنا إلى أن هذه الضربة لا تكون وهم مُفَرَّقُونَ في العالم كله ، ولن نُرسل عليهم كتية إلى كل بلد لهم فيها حارة أو حي ، فكيف لنا أن نتبعهم وهم مُبْعَثَرُونَ ، في كل بلد شُرذمة منهم؟!



إذن ففكرة التّجمّع والوطن القومي التي نادى بها بلفور ، وأيدتها الدّول الكبرى المُساندة لليهود والمُعادية للإسلام ، هذه الفكرة في الحقيقة تُمثّل خدمةً لقضيّة الإسلام... وليس بيننا وبين هذا الوعد إلا أن نعود إلى الله ، ونتّجه إليه»^(١).

ترجيح وموازنة:

من خلال دراسة الأقوال السّابقة ، وتحليلها ، ومقارنتها بالأحداث التاريخية ، ومنطوق الآيات ، ودلالاتها اللزوميّة والإيمائيّة ، يتّرجح لديّ - والله أعلم بأسرار قرآنه - أن رأي الشيخ الشعراوي هو الأكثر صواباً في تحديد العباد الموسومين بأنّهم عبادٌ لله تعالى ، وأوّلو بأس شديد ، الذين سلّطهم الله تعالى على اليهود بعد إفسادتهم الأولى ، وبأنّ اليهود يعيشون اليوم في عهد الإفسادة الثانية ، فالكرة اليوم هي لهم ، وهم أكثر نفيراً وإعلاماً وصخباً في المحافل والمجامع العالمية بسبب أخذهم بأسباب وسائل الإعلام ذات الحدين القاطعين: فهي فتانة ومغرضة وهادمة ، وهي بانية وموجّهة وهادية إذا أحسن أهل الحقّ استعمالها ، وبامتلاكهم أيضاً رؤوس الأموال المغرية ، وبأخذهم بأسباب العلم. ثم سوف يأتي وعد الآخرة ، أي المرّة الثانية التي يُخرجهم فيها المسلمون الصّادقون المنضبطون بشرع الله ، والمقاتلون تحت راية التّوحيد ، ذوو الأيدي المتوضّئة ، والوجوه المشرقة ، والقلوب الطّاهرة ، والأنفس التّقيّة المؤمنة المخلصة ، ويُخرجونهم من المسجد الأقصى الذي عاثوا فيه فساداً وإحاداً وظلماً.

(١) تفسير الشعراوي ، بتصرف واختصار ، ج ١٤ ، من ص ٨٣٥٣ إلى ٨٣٦٩.



وجملة القول: إِنَّ سورة الإسراء تحدثت عن أمر إخراج اليهود من المسجد الأقصى ، والأراضي المباركة حوله بسبب إفسادهم في الأرض ، وعلوهم فيها ، وفي هذا الإخبار في القرآن عن طبائعهم ، وعن الإخراج الأول والإخراج الثاني لهم ، وفي إقرار القاعدة الاجتماعية العظمى التي أخذهم الله تعالى بها: ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدًّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨] خزي لهم ، وتعذيب نفسي لهم حيثما حلوا ، وإلى أي مكان ارتحلوا ، وفيها بشارة عظيمة للمسلمين الصادقين أَنَّ العاقبة لهم ، وأنهم هم الغالبون والمنصورون على اليهود المفسدين ؛ حين يأخذون بأسباب النصر وشروط التمكين ، التي لخصتها آية النور في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

من هنا أقول: إِنَّ الارتباط وثيق بين سورة الحشر التي تحدثت عن إجلاء بني النضير من المدينة المنورة في عهد المصطفى ﷺ ، وهي الكثرة الأولى - كما هو تحليل الشيخ الشعراوي - ، وبين سورة الصف التي تحدثت عن حب الله تعالى للمقاتلين الذين يُقاتلون في سبيله صفًا موحدًا كأنهم بُنيانٌ مَرصُوصٌ قبيل الحديث عن رسالة موسى وعيسى عليهما السلام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤] ، وبين سورة الحديد التي أوضحت أَنَّ أهل الكتاب لا يتدبرون على شيء ، وأنَّ الفضل كلَّ الفضل بيد الله تعالى يؤتیه من يشاء من عباده ، وبين سورة الإسراء التي صوّرت تاريخ إذلال اليهود وقهرهم من قبل الملوك السابقين بسبب إفسادهم وعلوهم في الأرض ، وتنكّبهم عن الصراط المستقيم ، والمبشرة



أيضا بإعادة تعذيبهم على أيدي المؤمنين الصادقين ؛ كلما عادوا إلى الإفساد والتبّير .

بقي أن أشير إلى أن ثمة أيقونتين لغويتين تؤيدان التأويل الذي ذهب إليه الشيخ الشعراوي ، بأن إخراج المسلمين لبني النّضير وبني قينقاع وبني قريظة من المدينة هو وعد المرّة الأولى ، وأن المسلمين سيُخرجونهم في المرّة الثانية ، وتكون هي المرّة الآخرة ، قلت : في سياق آية الحشر ثمة كلمة لافتة للانتباه ، وهي قوله تعالى : ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾ ، فما المقصود بأول الحشر إذا لم يكن ثمة حشر ثانٍ؟ ولا يمكن لغة لقائل أن يقول: هذا أول الشيء أو أول الأمر إلا إذا كان ثمة شيء ثان يتبعه ، وأمر ثان يشفعه . فهذه العبارة تُشير إلى أن إخراج اليهود وإجلاءهم من المدينة كان هو وعد المرّة الأولى ، وقد حشرهم الرّسول ﷺ والمؤمنون معهم ، وأخرجوهم من ديارهم عنوة وقسراً لنقضهم العهد .

والتّعبير الثاني المعبر به عن الحشر الثاني هو كلمة (لغيفاً) ، التي أجمع المفسرون أن معناها: جئنا بكم جميعاً ، وهي كلمة مقاربة لمعنى الحشر مرادفة له ، والله أعلم .

٧ - التعريف بالصّادقين الحقيقيين ، والتصريح بأن اليهود ليسوا من الصّديق في شيء :

تحدّث سورة الجمعة اليهود أن يتمنّوا الموت إن كانوا صادقين : ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦] ؛ فهم كاذبون ، وهم أحرصُ الناس على حياة ، وبيّنت سورة الحشر الصّادقين الحقيقيين ، وأوضحت أوصافهم بأنهم أُخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً ، وهاجروا إلى



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَا رَأَى السُّورُ

المدينة ليعبدوا الله تعالى ، ويفردوه بالألوهية والعبادة الحقّة ، واجتهدوا لنصرة الإسلام ، مبتغين الفضل والأجر منه جلّ ثناؤه؛ فأولئك هم الصادقون قولاً وفعلًا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

٨ - العلاقة بين الواقعة والحديد:

جاء في ختام سورة الواقعة الأمر بالتسبيح: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿الواقعة: ٩٥ - ٩٦﴾ ، ثم وليتها سورة الحديد مباشرة في المصحف الشريف تُقرّر وتؤكد أن كلّ ما في السّماوات والأرض سبّح لله تعالى ، وصيغة المضى تفيّد تحقق وقوع الفعل.

هذا ، ويربطُ بين السّور المُسَبّحات أنّها كلّها افتتحت بفعل التسبيح في الصّيغ الثلاث: الماضي ، والمضارع ، والأمر:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١].

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[الجمعة: ١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].



﴿سَيِّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

٩ - وصف الله تعالى بأنه على كل شيء قديرٌ:

جاء في سور الحديد ، والحشر ، والتغابن ، وَصَفُ الله جلّ ثناؤه بأنه على كل شيء قديرٌ ، وهي من العبارات التي وردت في كثير من السور القرآنية ، إلا أنها تُعَدُّ في هذه السور المتشابهة المطالع من الأثواب اللغوية الرابطة بينها ، والمُوَحِّدة لعبارات التذييل والتعقيب فيها:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢].

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[الحشر: ٦].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

١٠ - وصف الله تعالى بأنه بكل شيء عليمٌ:

نظير ما سبق ، وصفه جلّ شأنه بأنه بكل شيء عليمٌ في سورتي الحديد والتغابن: الموضع الأول في سياق تعداد بعض أسمائه الحسنی في الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] ، والموضع الثاني في سياق الحديث عن كون ابتلاء الناس بالمصائب هو من تقدير الله تعالى وبإذنه؛ فهو المحيطُ علمه بكل شيء ، لا يعزُبُ عن علمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، بل هو بكل شيء عليم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].



١١ - خلق السماوات والأرض :

ورد في سورتي الحديد والتغابن حديثٌ عن خلق الله للسماوات والأرض ، وذلك من المضامين المتكررة للتوكيد ، ومزيد التقرير ، وفيها دلالة على أن السورتين (الحديد ، والتغابن) تصدران عن مشكاة واحدة :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [التغابن : ٣] .

كما ذكرت سورة الحديد أن الله تعالى له ملك السماوات والأرض ، وذكرت سورة التغابن أنه يعلم ما في السماوات والأرض ، والقضيتان متلازمتان ، فالذي يملك يعلم ماذا يملك .

١٢ - وصفه تعالى بأنه بصير بما يعملون :

ومثل ذلك وصفه جل ثناؤه بأنه بما يعملون بصير . ورد ذلك في موضعين : في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن : ٢] .

١٣ - العلم بذات الصدور :

ورد في سورتي الحديد والتغابن أيضًا ، حديثٌ عن علمه جل ثناؤه بذات الصدور بالعبرة ذاتها إلا أن آية الحديد جاء فيها ذكر الضمير المنفصل (هو) ، وآية التغابن جاء فيها ذكر لفظ الجلالة صريحاً (الله) :



﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

[الحديد: ٦].

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

[التغابن: ٤].

١٤ - الحديث عن ضرورة الإيمان بالله ورسوله:

اشتركت سور الحديد والصف والتغابن في دعوتها إلى ضرورة الإيمان بالله ورسوله ، وهي من المضامين التي تقوي الروابط المعنوية بينها:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَى تَحْزِرٍ تُنَجِّيْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [التغابن: ١٠] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَاعِمُونَ﴾ [الصف: ١١].

﴿فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَاسْكُفُوا يَوْمَ الْحَصَادِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٨].

١٥ - حديث سورتي الحديد والتغابن عن الإنفاق:

من الروابط المضمونية الواضحة أيضا بين سورتي الحديد والتغابن حديثهما عن الإنفاق في سبيل الله تعالى ، وحثهما عليه ، واستعمال ما دتني الإنفاق والإقراض ، ودعوتهما إلى إقراض الله القرض الحسن ، الذي يعود عليهما بالمضاعفة والنفع والمثوبة في الدنيا والآخرة:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ

وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ



بِحُجَّتِهِ الدَّرَكِ فِي عِلْمِهِ مَقَارِنُ السُّورِ

أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۖ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحديد: ١٠ - ١١].

﴿ فَانْفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ إِنْ تَقَرَّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۖ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠﴾ [التغابن: ١٦ - ١٧].

١٦ - وصف الله بالرحمة والرفقة:

من الأسماء الحسنی التي جاءت في سورتي الحديد والحشر الاسمان الكريمان: (رؤوف)، و(رحيم) بالترتيب نفسه:

الموضع الأول هو موضع الامتنان على الخلق، فالله هو الذي أنزل على عبده الآيات البينات لهداية الخلق أجمعين، وهذا من آثار رأفته ورحمته: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَتَّبِعِ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩].

والموضع الثاني هو سياق الدعاء؛ حيث ورد الاسمان الكريمان في تضرع المؤمنين الصادقين الذين جاؤوا بعد المؤمنين السابقين، ويدعون ربهم بأن يغفر لهم ولاخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

١٧ - وصف الله تعالى بأنه خير بكل ما تعملون:

من الروابط المضمونية واللفظية أيضا وصف الله جل ثناؤه في سورتي الحديد والتغابن بأنه خير بما يعمل المخاطبون:

﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

﴿ فَءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨].



١٨ - التبشير بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار:

جاء في سورة الحديد حديثٌ عن تبشير الملائكة للمؤمنين بعاقبتهم الحسنة: ﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢] ، وجاء في سورة التغابن وعدٌ كلٍّ من يؤمن بالله ويعمل صالحًا ؛ بأنَّ جزاءه أن يُدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

١٩ - ذِكْرُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ:

جاء ذكرُ للفوز العظيم الذي يناله المؤمنون الصادقون في الجنات في سور الحديد والصف والتغابن ، والملاحظ أنَّ الجملة جاءت مؤكدةً بضمير الفصل (هو) في الحديد ، ووردت غير مؤكدة في الموضوعين الآخرين:

﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَى مِحْرَقٍ يُحْجِمُكُمْ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

وقضية تأكيد العبارات والأسلوب في سورة الحديد ليست مقصورةً على هذا الموضع فقط ، بل وردت في عبارات أخر كما سيأتي بيانه .



٢٠ - حديثٌ عن المنافقين :

جاء في سورة الحديد ذكرٌ للمنافقين الذين يتحسرون حيث لا ينفع التحسُّرُ ، ويقولون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣] .

ثم جاءت سورة الحشر وبيّنت سبب عدم تواجد المنافقين مع المؤمنين ، وذكرت أنواعاً من فظائع أعمالهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [١١] لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ لَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ [١٢] لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [١٣] لَا يُقَالُونَ كُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر : ١١ - ١٤] .

٢١ - الحديث عن مصير أهل النار :

جاء في سورتي الحديد والتغابن حديثٌ عن أصحاب النار ومصيرهم البائس بأسلوبين متقاربين : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد : ١٥] .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التغابن : ١٠] .

٢٢ - حديثٌ مستفيضٌ عن الفاسقين :

ورد في سورة الحديد حديثٌ مفصّلٌ عن أحوال الفاسقين :



﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٦].

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَءَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

وذكرت سورة الحشر أن إجلاء المسلمين لبني النضير وأشياعهم هو بإذن الله تعالى ، ومن أغراضه أيضا إلحاق الخزي بالفاسقين : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُسُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥].

ثم بيّنت السورة في ختامها أن الفاسقين هم الذين نسوا الله تعالى ، فكانت النتيجة أن أنساهم الله أنفسهم : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩] ، ثم جاءت سورة الصف وبيّنت أن الله لا يهدي القوم الفاسقين : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

٢٣ - حديث عن فضل الله الذي يؤتيه من يشاء أربع مرات:

جاء ذكر فضل الله تعالى الذي يؤتيه من يشاء من عباده في أربعة مواضع: مرتين في سورة الحديد ، ومرتين في سورة الجمعة:

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَعَارِزِ الشُّرُورِ

﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وهذا كله يدلُّ على أنَّ هذه السُّور تصدرُ عن معين واحد ، وتفيض بمضامين متقاربة في أشكال وأثواب لغوية متوافقة ومتقاربة ومتناسقة ، ومن أجل هذا نالت شرف المطالع الموحدة .

٢٤ - التذييل بعبارة ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ :

ورد هذا التذييل في سورة الحديد في قوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] ، وفي التغابن في قوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

٢٥ - وصفُ الله تبارك وتعالى ذاته العلية بأنه غنيٌّ حميد :

جاء وصفُ الله جلَّ ثناؤه بأنه غنيٌّ حميد ، والملاحظ أنَّ عبارة آية الحديد جاءت مؤكدةً بالضَّمير (هو) على شاكلة كثير من الآيات والعبارات التي صاحبها التوكيد في سورة الحديد ، وخلت آية التغابن من الضَّمير (هو) :

جاء في الحديد : ﴿الَّذِينَ يَخْلُوتُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤].

وجاء في التغابن : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَّهْدُونَا



الفصل الأول: المبحث الرابع: السور المسبّحات

فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ [التغابن: ٦].

٢٦ - البأس الشديد:

من الأثواب اللغوية المشتركة بين السور المسبّحات ؛ المركّب الوصفي (بأس شديد) ، حيثُ تكرر ذكره في سورة الحديد بوصف كون الحديد فيه بأسٌ شديد ، وجاء في سورة الإسراء وصف العباد الذين بعثهم الله تعالى على اليهود إثر الإفساد الأولى بأنهم عبادٌ أولو بأس شديد ، وجاء في سورة الحشر وصف الذين كفروا من أهل الكتاب بأنّ بأسهم بينهم شديد ، وقلوبهم شتى ، وديدنهم الفرقة والخلاف:

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥].

﴿لَا يُقْبِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

٢٧ - الدّعوة إلى تقوى الله تعالى:

من الرّوابط المضمونيّة أيضا بين المسبّحات ؛ الأمر بتقوى الله تعالى وطاعته:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

﴿ فَالْتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

٢٨ - وصف الله تعالى بالاسمين الكريمين: ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨].

﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤].

٢٩ - التحذير من الشُّحِّ :

ومن الرِّوَابِطِ المعنوية واللفظية القويّة ؛ حديثُ سورتي الحشر والتّغابن عن الإنسان الذي يقيه الله شُحَّ نفسه ، وهي من الرِّوَابِطِ القويّة لأنّها أخذت نفس القلب اللّغوي والتّعبيري ، ولم ترد في القرآن كلّهُ إلّا في هاتين السورتين :

﴿ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

﴿ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

«والشُّحُّ : اللُّؤْمُ ، وأن تكون نفسُ الرّجل كزّة حريصةً على المنع ، وقد أضيفَ إلى النفس لأنّه غريزةٌ فيها ، وأمّا البُخلُ فهو المنعُ نفسُهُ ، وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ ، وَمَنْ غَلَبَ ما أَمَرَتْهُ به منه ، وخالفَ هواها بمعونة الله وتوفيقه فأولئك هم المفلحون الظّافرون بما أرادوا» (١).

٣٠ - الحديث عن الكافرين بأنهم ذاقوا وبال الأمر :

من الرِّوَابِطِ اللفظيّة عبارة ﴿ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، حيثُ تَكَرَّرَتْ في الحشر والتّغابن :

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٥٠٥ .



﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[الحشر: ١٥].

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[التغابن: ٥].

أثبتت الآيتان السابقتان أن الذين كفروا ذاقوا وبال أمرهم ، وأعد الله لهم عذاباً أليماً ، وجاءت سورة الصف ترشد الذين آمنوا إلى ما يُنجيهم من عذابٍ أليم :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ بَحْرَةٍ مَحِيضَةٍ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].

٣١ - نداء الله الذين آمنوا في المسبحات :

اشتركت المسبحات الخمس المدنيات : الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن ؛ في نداء الذين آمنوا ، وهذا متناسقٌ مع ديدن القرآن المدني ، الذي جاءت فيه معظم التشريعات الإسلامية في ثوب نداء الذين آمنوا وتوجيههم إلى الأخذ بها ؛ فالذين آمنوا بحكم كونهم نطقوا بالشهادتين فقد دخلوا في عقد إيماني ، وهذا العقد الإيماني هو الذي يقتضي أن يُنادوا به في جميع التشريعات التي يُكلفون بها :

(١) ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨].

(٢) ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

(٣) ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢].

(٤) ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ بَحْرَةٍ مَحِيضَةٍ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].



﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴿[الصف: ١٤].﴾

﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ثُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[الجمعة: ٩].﴾

﴿٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[التغابن: ١٤].﴾

٣٢ - حديث عن عالم الغيب والشهادة:

جاء وصف الله تعالى بأنه عالم الغيب والشهادة في الحشر والجمعة والتغابن:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨].

٣٣ - عدم هداية الله الظالمين:

جاء في سورتي الصَّفّ والجمعة تقرير أن الله تبارك وتعالى لا يهدي القوم الظالمين بسبب ما ارتكبوا من ظلم. والظالمون أنواع: أظلمهم هو من افتري على الله الكذب، وتتفاوت درجات آخرين في سلم الظلم حسب شدة الجرم الذي يرتكبونه في حقوق الناس:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧].



﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

٣٤ - تشابه الثوب اللغوي التعبيري في صدر الآية وختامها:

نلاحظ أن سورتي الصَّف والجمعة ورد فيهما آيتان متشابهتان في المطلع والختام؛ حيث جاء في صدرهما نداء الذين آمنوا، وجاء في ختام كل منهما عبارة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ بَحْرَةٍ نُّجِجُكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١١].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩].

٣٥ - تبشير المؤمنين في الإسراء والصَّف:

﴿ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣].

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

من كل ما سبق وغيره مما لم تقف عليه هذه المقارنة، يستنتج المتدبر في كلام الله تعالى، والدارس لأسرة المسبحات السبع، أن ثمة روابط مضمونيّة ولفظيّة تربط بينها بشكل لافت للانتباه، يؤكد لكل متدبر أنها كلها متّحدة في المعاني التي جاءت تعرضها، وتقدمها، وفي الأثواب اللغوية والتعبيرية التي جاء استعمالها فيها، ومن أجل ذلك، ولأمر الله يعلمها، جاءت مطالعها متحدثة عن التسبيح، داعية إليه، بطرق وصيغ متنوعة، وسبحان منزل القرآن!





الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ

سورتا الفرقان والملك

الرّوابط المضمونيّة واللفظيّة بين السورتين

تتناول سورة الفرقان كشأن نظيراتها من السُّور المكيّة جملةً من قضايا تنزيه الله تعالى وتوحيده ، وتنزيل القرآن الكريم ، وبشريّة البرّسول ﷺ ، ومسألة النّذارة ، ودلالة مخلوقات الله تعالى البديعة على عظّمته ، وإحاطة علمه ، وطلاقة قدرته ومشيّته .

تقع من حيث التّرتيب المُصحفيّ بعد سورة النور المدنيّة ، وقبل سورة الشعراء المكيّة ، وهي من حيث ترتيب النّزول (٤٢ نزولاً) بعد سورة يس ، وقبل سورة فاطر ، وهي مكيّة في مجملها إلا الآيات (٦٨) ، و(٦٩) ، و(٧٠) ، فهي مدنيّة ، والآيتين (٤٥) ، و(٤٦) نزلتا في الطائف في العهد المكي ، ولكن بشكلٍ عام يغلب على أسلوبها طابعُ القرآن المكيّ ، وهي تقع في ٧٧ آية . وهي تتسم بجملة من الخصائص والملامح منها :

المّلمح الأول: شُبّه وردّها:

تتميّز سورة الفرقان بميزة جليّة من حيث المضمون ؛ حيث إنّها أوردت جملةً من الشّبّه التي تعلّق بها الكافرون في عهد النّبوة ، ومن الممكن أن يتعلّق بها أتباعهم في جميع العصور ، والميزة في هذا

جَوَاهِرُ الرَّدِّ عَلَى عِلْمِ قَارِئِ الْقُرْآنِ

الملمح أنها تعرضُ الشُّبهة ، وتردِّفها مُباشرةً بما يُبطلها ويدحضها ، وفيما يأتي عرضٌ لذلك :

١ - شبهة كون القرآن إفكاً وافتراءً: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ [الفرقان: ٤].

جاء الردُّ على هذه الشبهة في الآية نفسها حيث قال جلَّ شأنه: ﴿ فَقَدْ جَاءَ وَظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان: ٤].

٢ - شبهة بشريّة الرّسول ﷺ ، وأكله الطّعام ، ومشيه في الأسواق: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَازٍ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ [الفرقان: ٧ - ٨].

وقد جاء الردُّ على هذه الشُّبهة بقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: ١٠].

٣ - شبهة الاختلاف فيما يُطلقون على الرّسول صلى الله عليه من أوصافٍ وألقابٍ: فطوراً يقولون عنه: إنه ساحر ، وطوراً يقولون عنه إنه شاعر ، وتارةً يتهمونه بالجنون ، وهم في كلّ ذلك يتخبّطون ، ويضربون له الأمثال ضالّين غير مهتدين: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨].

وقد جاء الردُّ على هذه الشُّبهة في قوله تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٩]؛ حيث وصفهم القرآن بأنهم ضلّوا وتاهوا عن الوصف الحقيقي الذي يُمكنهم أن يصفوا به محمداً ﷺ وصفاً صحيحاً.

٤ - شبهة تنزيل الملائكة ردءاً للرّسول ، وتصديقاً لرسالته ،



وَنُصْرَةً لَهُ ، وبجوارها شبهة رؤية الله تعالى بحجة داعية الإيمان:
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾
 [الفرقان: ٢١] ، وجاء الرد على هاتين الشبهتين في الآية نفسها والآية
 الموالية لها: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [٢١ - ٢٢].
 الْمَلَكُ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢١ - ٢٢].

فهي شبهة ناجمة عن استكبار وعتو ، وإذا ما تحقق لهم شيء منها ، وهي رؤية الملائكة مثلاً ، يكون الأوان قد فات ، ويكون العذاب قد حل ، ولا بُشْرَى للكافرين المجرمين يومها ، وسوف يجأرون ويصطرخون قائلين: حَجْرًا مَحْجُورًا؛ فما يمنع عنهم العذاب مانع ، ولا يحجز عنهم العذاب حاجز.

• - شبهة تنزيل القرآن جملة واحدة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] ، وقد جاء الجواب عن هذه الشبهة في عجز الآية نفسها: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] ، أي: أنزلناه إليك مُنَجَّمًا حسب الأحداث مُعَالِجًا لما يعترض الدعوة الإسلامية في دربها الطويل (٢٣) عامًا.

والملاحظ أن في الآيات التي عرضت شبههم ، وَسَمَّاهُمُ الْبَيَانَ القرآني بجملة سمات ، ونعتهم بصفات ، ليست من قبيل التفنن والتنويع ، ودفع السأم عن القارئ فقط ، وإنما هي نُعُوتٌ هم بها حقيقيون ، وهم بها مُتَّصِفُونَ: وسمهم بالكفر فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، ووسمهم بالظلم فقال: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ...﴾ ، وذكرهم باسم الموصول موضحًا بالصلة شأنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾ ، ونعتهم بالإجرام: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ، وهذا يُنبِّه المسلم إلى أن هذه الشبهة لا تصدر إلا عن أناسٍ هذه بعض صفاتهم؛

فهم كافرون ، ظالمون ، مجرمون ، ضالون ، لا يرجون لقاء الله تعالى .

المَلَمَحُ الثَّانِي:

المَلَمَحُ الثَّانِي الذي يبرُزُ بجلاء في شخصيّة سورة الفرقان من بدايتها إلى نهايتها هو مَلَمَحُ النَّذارة؛ فالرَّسولُ مُحَمَّدٌ ﷺ له وظائف كثيرة بحكم كونه رسولاً ونبيّاً ، فهو هادٍ إلى الله تعالى ، مبينٌ لشرعه ، معلّمٌ لعباده ، وداعٌ إلى التّوحيد وأصول الاعتقاد الصّحيح ، وبشيرٌ للمؤمنين ، ونذيرٌ للكافرين والمنافقين ، وناشرٌ لدعوة الحق ، ومُطَبِّقٌ لأصول الشريعة وفروعها ، وزوجٌ مُربٍّ ، وقائدٌ حكيمٌ ، وإمامٌ للمسلمين في كلّ شؤونهم الدّينية والدُّنيويّة .

ولكنّ المَلَمَحَ البارِزَ الذي ركّزت عليه سورة الفرقان هو كونه نذيراً: نذيراً للكافرين بين يدي عذاب السّعير ، ونذيراً للمجرمين ، ونذيراً للظالمين ، وهذا خطٌّ واضحٌ في التأكيد على صفة النَّذارة من بداية السّورة إلى نهايتها ، وفي مواضع من مضمونها العام . قال جل شأنه:

١ - ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[الفرقان : ١] .

٢ - ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٧] .

٣ - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٦] .

٤ - ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥١] .

فأنت ترى أنّ الآية الأولى بيّنت وظيفة الإنذار؛ فكأنَّ الرّسولَ ﷺ لم يُنزل الله تعالى عليه الفرقان إلا ليكون للعالمين نذيراً ، متوعّداً



للكافرين ، ومُوضِحًا لهم سوء المصير إذا هم لم يُعلنوا إيمانهم ، ولم يعتقدوا الاعتقاد الصحيح .

وأنت ترى أيضا أن الآيات التي حملت صفة (نذيرًا) جاءت مبثوثة من أول السورة إلى نهايتها ، وجاء ذكر البشارة مرة واحدة ، وفي هذه المرة الواحدة جيء بالوصف على بنية اسم الفاعل (مُبشِّرًا) ، وشتان بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة (نذير) في الدلالة ؛ وذلك لأنَّ المقام مقام إنذار ، فأفعال الكافرين المذكورة في السورة ، وشبَّههم التي كانت تلهج بها ألسنتهم بين الفينة والأخرى يُناسِبُها العذاب الأليم ؛ فالحضور في هذا السياق لصفة النذارة ، لا لصفة التبشير .

الملمَح الثالث:

والملمَح المتميِّز الثالثُ للسورة هو مَطْلَعُهَا المهيِّبُ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] ، ومعنى : تبارك : تزايد خيرُهُ ، وتعاضمَ كرمُهُ وعطاؤُهُ ، وتعالَت عظمته . وقد تكرَّرت هذه الكلمة في سورة الفرقان ثلاث مرَّات : في بداية السورة ، وفي ثلثها الأول في قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيجعلُ لَكَ قَصُورًا ﴾ [الفرقان : ١٠] ، وفي ثلثها الأخير : ﴿ نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] .

وكأنَّ هذا الفعل المبارك الذي يفيضُ تنزيهًا وتقديسًا يُمسِكُ بالسورة من محاورها الثلاثة : مطلع التنزيه والتوحيد ، ومقطع دفع الشبَّهات ، ومقطع بيان بديع صنع الله في الكون ، والملاحظ أيضًا أن الفعل (تبارك) جاء متبوعًا في الآيات الثلاث باسم الموصول (الذي) ، إيدانًا بأهميَّة ما في صلته من دلالات تُوحِّد الله وتنزهه .



الملح الرابع:

والملمح الرابع المتميز هو حديث السّورة عن القرآن الكريم ، فهو الفرقان الذي يُفَرِّقُ بين الحقّ والباطل ، وبين الإيمان والكفر ، وبين الإسلام والشرك ، وهو الذّكر الذي يُوقِظُ العقولَ ، ويُحرِّكُ النفوسَ ، ويَهْزُجُ الوجدانَ ، ولكنّ الكافرين الذين لا يرجون لقاء الله ، أعرضوا عنه ، ولجّوا في طغيانهم يعمهون : ﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفرقان : ١٨] ، فهم الذين قالوا عنه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ ﴾ [الفرقان : ٤] ، وهم الذين قالوا عنه : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] ، ولم يستقرّوا فيه على رأي ؛ لأنّ رأيهم فيه مبنيٌّ على الكذب والتّخرّص والبُهتان .

وهنا جاء الوصف الحقيقي من منزله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦] . ضمّنه من الأدلة العلميّة ، والشواهد الكونيّة ما يُحرِّكُ به وجدان المؤمنين وعقولهم ، ويوقِظُ ضمائر الفطرة في أعماق قلوبهم ونفوسهم ، ويعودُ بهم إلى الميثاق الذي قطعه الله عليهم في عالم الذرّ أن لا يعبدوا إلّا إياه ، وألّا يُشركوا به شيئاً : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وقالوا عن القرآن : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

الملح الخامس:

أمّا الملمح الخامس من حيث المضمون ، فهو أنّ مقاطع من



قصص الأنبياء مع أقوامهم جاء ذكرها مُتناسِبًا مع خطِّ السّورة العامّ القائم على الإنذار ، وكما هو معلوم ، فإنّ القصص القرآنيّ تکرّر عرضه في القرآن الكريم مكيّه ومدنيّه ، ولهذا التّكرار - كما لا يخفى على كل عاقلٍ لبيب - حِكمٌ وأسرارٌ وأهدافٌ يَبسُطُها العليُّ الحكيمُ لعباده ليتدبّروها .

فعلى الرّغم من كثرة ما ورد من قصص يبدو في ظاهره أنّه مُكرّرٌ هنا وهناك ؛ إلّا أنّ المُتدبّرَ الحَصيفَ الرّأي يُدركُ - بتوفيق الله تعالى - أنّ عرضَ كلِّ مشهدٍ - مهما صَغُرَ أو كَبُرَ - له هدفٌ خاصٌّ ، وثوبٌ لغويٌّ خاصٌّ ، يتناسقُ مع الجوّ العامّ للسّورة ، ويتناغمُ مع المرحلة التي أنزلَ فيها ، وكان رسولُ الله ﷺ والصّحابةُ معه رضوان الله عليهم يُعايشونها .

ولأنّ أحدَ الخطوط البارزة لسورة الفرقان هو خطُّ النّذارة ، فقد جاء عرضُ مشاهدٍ من قصص الأنبياء مع أقوامهم تخدمُ هذا الغرض الدّينيّ بالدرجة الأولى ، ثُمَّ تُكَمِّلُ أصلَ القصص الذي جاء مَبثوثًا وموزّعًا بحكمةٍ إلهيّةٍ عظيمةٍ في سورٍ أُخرى ، حتّى إذا ما جُمِعَت المقاطعُ والمشاهدُ الموزّعةُ هنا وهناك ، تجلّت ملامحُ الصّورة الكبرى ، وتكاملت مشاهدُ قصّة كلِّ نبيٍّ مع قومه من ألفها إلى يائها ، ووضّحت معالمُ المحطّات الكبرى فيها ، وهنا في سورة الفرقان ، جاء عرضُ المشاهد المتعلّقة بإنذار الرّسل لأقوامهم ، ثُمَّ جاء ذِكرُ لتكذيب الأَقيام لرُسُلهم ، فذِكرُ لمُشاهد التّعذيب والتّدمير التي عاقبهم الله المهيمنُ بها ، كل ذلك لتكونَ عبرةً للقرّشين الذين استمسكوا بكفرهم ، ومَن سارَ في فلكهم من المُشركين العرب في تلك الحِقبة العسيرة التي كانت تحيط بالدّعوة الإسلاميّة الفتيّة .



حجرات الدار في علم مقارن القرآن

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَنَّهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ [الفرقان : ٣٦] .
 ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ [الفرقان : ٣٧] .
 ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾ [الفرقان : ٣٨ - ٣٩] .
 ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ [الفرقان : ٤٠] .

ثم ربط البيان القرآني بين القصص المعروض وبين تكذيب المشركين واستهزائهم برسول الله ﷺ ، وتوعدهم بسوء المصير الذي سوف يحقق بهم ، وفي ذلك زجر لهم بضرورة اتباع الدعوة الجديدة وعدم نبذها ، ومواساة لمحمد ﷺ ، وتثبيت لقلبه ، وهو يسير في درب الدعوة الشديد : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ [الفرقان : ٤٢] .

الملاحح اللفظية والتعبيرية:

(١) - هذا من حيث الملاحح المضمونية بشكل عام ، أما من حيث الملاحح اللفظية التعبيرية ، فتتسم سورة الفرقان بصيغة لفظية تميزها عن غيرها من السور القرآنية المكية والمدنية ؛ فهي السورة الوحيدة في القرآن الكريم كله التي تردّد فيها التركيب اللغوي : ﴿ حَجَرًا مَحْجُورًا ﴾ مرتين : أحدهما يصف واقعًا في الحياة الدنيا ، حيث جعل الله بين البحرين حاجزًا ، وبرزخًا مانعًا ، وحجرًا محجورًا من خصائص كل بحر ، بحيث لا يمتزجان ، ولا يختلطان ، ولا تفنى خصائص



أحدهما في خصائص الآخر^(١).

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

أما الموضع الثاني ، فهو خاصٌ بيوم القيامة ، حيثُ يندمُ الكافرون ندمًا كبيرًا ، ويرون بأعينهم عذاب السَّعير ، وينظرون يمينًا فلا من مخرج ، وينظرون شمالًا فلا من مَنجى ، فيلهجون: حِجْرًا مَحْجُورًا ، هل لنا من حاجزٍ يمنعُ هذه النَّارَ المتأجَّجةَ عنا؟ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٢].

(٢) - كما تميّزت السّورةُ من النّاحية اللفظيّة بتكرّر ورود مصادر بعينها مثل: (الثُّبُور) ، حيث ورد في الفرقان ثلاث مرات: ﴿ وَإِذَا أُنْفُتُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [١٣] لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٣ - ١٤] ، وورد في الانشقاق مرّةً واحدة: ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴾ [الانشقاق: ١١].

(٣) - تتسم سورة الفرقان بإيقاعها الصّوتيّ الجميل الهادئ الذي يتمثّل في الرّاء المفتوحة المنوّنة في نهايات فواصلها ، والمسبوقة بياء أو واو: نذيرًا ، نشورًا ، وزورًا ، مسحورًا ، قصورًا

١ - سورة الملك مُكَمَّلَةٌ لسورة الفرقان:

هذا عن المضمون العام لسورة الفرقان ، وملامح شخصيّتها وثوبها اللغوي الذي تُعرَفُ به من بين السّور المكيّة ، ولكنّ هذه السّورة تميّزُ بملمح آخر ، لا يسهوُ قارئ القرآن ومُتدبّرُه إلا أن يجثو على رُكبتيه إجلالًا لِمَن أنزل القرآن بعلمه ، وصاغه بحكمته ، وإكبارًا

(١) انظر: زغلول النجار ، تفسير الآيات الكونية ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ / ٣٤٦.



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارَنَةِ السُّورِ

لهذا النَّصُّ الْمُقَدَّسُ الَّذِي يَفِيضُ بِالْإِعْجَازِ ، وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَهَذَا الْمَلْمَحُ لَا يُدْرِكُ بِالتَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ السُّورَةِ وَحْدَهَا ، وَإِنَّمَا تَتَّضِحُ مَعَالِمُهُ عِنْدَ مَقَارَنَةِ مَلَامَحِهَا الْعَامَّةِ مَعَ مَلَامَحِ شَخْصِيَّةِ سُورَةٍ قُرْآنِيَّةٍ مَكِّيَّةٍ أُخْرَى ، وَهَذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ بِحَقِّ ، وَلِسَانٍ عَاجِزٍ عَنِ التَّعْبِيرِ: مَا أَعْظَمَ تَنَاسُقَ هَذَا الْكِتَابِ الْمُعْجَزِ ، وَمَا أَعْظَمَ تَكَامُلَهُ وَإِحْكَامَهُ وَتَفْصِيلَهُ ! .

لِحَكْمِ اللَّهِ تَعَالَى يَعْلَمُهَا ؛ تَنَوَّعَتْ مَطَالِعُ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ وَتَبَايَنْتْ ، وَلِحَكْمِ جَلِيلَةٍ أَيْضًا تَشَابَهَتْ مَطَالِعُ سُورٍ بَعِيْنَهَا وَتَطَابَقَتْ ، وَمِنْ هَذِهِ السُّورِ الْمُتَشَابِهَةِ الْمَطَالِعِ: سُورَتَا الْفِرْقَانِ وَالْمَلِكِ ، اللَّتَانِ افْتَتَحَهُمَا الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي . . ﴾ .

٢ - ثَرَى لِمَاذَا هَذَا الْاسْتِهْلَالُ الْمَهِيْبُ الْمُتَشَابَهُ فِي هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ؟

إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ جَمِيعَ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ مَبْنِيَّةٌ بِإِحْكَامٍ وَتَفْصِيلٍ عَظِيمِينَ ، دَعَانَا ذَلِكَ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّدَبُّرِ فِي جَمِيعِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورِهِ ، وَلِسَوْفَ تَتَجَلَّى لَنَا - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ - كَثِيرٌ مِنْ أَسْرَارِهِ وَحِكْمِهِ .

وَالْحَكِيمُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يُنَوِّعُ فِي الْمَطَالِعِ وَالْخَوَاتِيمِ لِـمُجَرَّدِ التَّنَوُّعِ ، وَلَا يَجْعَلُهَا مُتَشَابِهَةً إِلَى حَدِّ التَّطَابُقِ أحيانًا لِمُجَرَّدِ التَّكْرِيرِ ، بَلْ إِنْ ثَمَّةَ حِكْمًا قَدْ تَخْفَى عَلَى الْقَارِئِ وَالْمَسْتَمِعِ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، وَقَدْ تَبْدُو وَتَتَجَلَّى عِنْدَ تَتَابُعِ الْوَارِدَاتِ الَّتِي يُكْرِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .

أقول: إِنَّ لَتَشَابَهَ الْمُطْلَعِينَ حِكْمًا كَثِيرَةً ، مِنْهَا أَنَّ السُّورَتَيْنِ تَصْدُرَانِ عَنْ مَوْردٍ وَاحِدٍ؛ وَهُمَا مِنْ مَشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ، تَجْمَعُهُمَا كَثِيرٌ مِنَ الْخَصَائِصِ الْمَضْمُونِيَّةِ وَالْأَثْوَابِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَتَجْعَلُهُمَا لُحْمَةً وَاحِدَةً ،



الفصل الأول: المبحث الخامس: سورتا الفرقان والملك

تُكْمَلُ إحداهما الأُخرى ، وكأنَّها امتدادُ عضويِّ لها ، وفيما يأتي تفصيلٌ لشيءٍ من ذلك ، وعلى الله قصدُ السبيل .

٣ - تشابهُ المطلعين:

يجمع بين سورتي الفرقان والملك تشابهُ المطلعين ، فكلتاها تبدأ بهذه العبارة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]؛ فالذي أنزل الفرقان هو الذي بيده الملك؛ فما على الخلق أجمعين إلا التسليم للخالق الأمر: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] . ومعنى (تبارك) كما ذكر المفسرون: تزايد خيره ، وتعظيم كرمه وعطاؤه ، وتعالى عظمته .

قال البيضاوي: « ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ : تكاثر خيره ، من البركة وهي كثرة الخير ، أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ؛ فإن البركة تتضمن معنى الزيادة»^(١) .

٤ - صفةُ النذارة:

تبدو لكل قارئ لسورة الفرقان صفة النذارة واضحة جلية ، وكذلك هو الشأن في سورة الملك ، حيث نجد لها حضوراً واضحاً وجليلًا ، ومن الموافقات اللافتة للانتباه أن صفة (نذير) تكررت أربع مرات في كل منهما:

جاء في سورة الفرقان:

١ - ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[الفرقان: ١] .

(١) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٤ ، ص ١١٧ .



٢ - ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَكُوتُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ٧] .

٣ - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ٥١] .

٤ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٦] .

وجاء في سورة الملك :

١ - ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك : ٨] .

٢ - ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك : ٩] .

٣ - ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك : ١٧] .

٤ - ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الملك : ٢٦] .

هذا ، ولم يرد ذكر للبشارة أبداً في سورة الملك ، إيذاناً بأن كل ما فيها يدعو إلى أخذ شؤون العقيدة بجِدٍّ وحزم ، فلا مجال للتذبذب أو التردد في الالتزام ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

٥ - تقدير الخلق :

في مطلع سورة الفرقان تنزيه وتعظيم لله ، الذي له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً : ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢] ، وفي مطلع المُلْك تنزيه لله تعالى العظيم المُقْتَدِر ، وبيان لجزء تفصيلي من شأن مخلوقاته : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك : ٣] .

٦ - الله وحده هو الذي يملك الموت والحياة :

أُزِرْتُ الْآيَةُ الثَّالِثَةُ من سورة الفرقان بالذين اتخذوا من دُونِ اللَّهِ آلِهَةً صَمَاءً وَبِكَمَاءٍ ، لَا تَخْلُقُ شَيْئًا ، وَهِيَ تَخْلُقُ ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ،



ولا تملك موتًا ولا حياةً ولا نُشورًا: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]؛ بينما نزهت سورة الملك الله تعالى الذي أخصَّ خصائصه الخلق: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] ، ومن أخصَّ خصائصه أنه خلق الموت والحياة لابتلاء الثقلين ، أئهِم أحسنُ عملًا؟ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] .

٧ - الله وحده الذي يملك النُّشور:

نفث الآية الثالثة أن تملك آلهة المشركين المزعومة أي شيء يتعلَّق بالعاقبة ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ ، وفي الإتيان بالمصدر ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ مُنْكَرًا منفياً ؛ إيدانُ بأنهم لا يملكون من شأن النُّشور شيئاً ولو كان مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ؛ بينما أثبتت سورة الملك النُّشورَ لله تعالى ، بل أرجعته إليه وحده ، فلا يشركه فيه أحدٌ ، والحصْرُ والقصرُ المستفادان من تقديم معمول الخبر المحذوف دليان على ذلك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] .

والنُّشور: هو البعث ، ووجه الاستدلال بالبعث على عدم إلهية الأصنام التي يعبدونها من دون الله ، أن الإله الحق من شأنه أن يُثيب المطيع ، وأن يُعاقب العاصي ، والذي لا يفعل ذلك لا يستحقُّ أن يُعبدَ؛ من هنا جاء الإزراء بمعبوداتهم بأنها لا تملك نُشورًا زيادةً على كونها لا تملك ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً .

٨ - إعداد السَّعِيرِ للمكذِّبين والكافرين:

توعَّد الله تبارك وتعالى الكافرين الظالمين في سورة الفرقان بأنه أعدَّ لهم سعيرًا: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١] ،



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

والوعيد ذاته ، واسم النار ذاتها ، تكرر في سورة الملك : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٥] ؛ فالشياطين يستحقون عذاب السَّعِير ، والكافرون الذي لا يسمعون ولا يعقلون هم أصحاب السَّعِير : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠ - ١١] .

«والسَّعِيرُ: النار الشديدة الاستعار ، وعن الحسن : أنه اسم من أسماء جهنم»^(١) .

٩ - إعداد العذاب الأليم لأصحابه:

توعدت سورة الفرقان الظالمين بعذاب أليم : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفرقان : ٣٧] ، وسورة الملك تنادي في الجميع : ﴿ فَمَنْ يُجِئِ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الملك : ٢٨] ، وقد سبقت الإشارة إلى أن المقصود بالظالمين والكافرين واحد؛ فالكافرون هم الظالمون ، وهم المجرمون ، وهم أنفسهم الضالون المكذبون ، وهم الذين لا يرجون لقاء الله في سياق سورة الفرقان .

قال القرطبي : «(أليم) في كلام العرب معناه مؤلمٌ ، أي : مُوجع ، مثل السميع بمعنى : مُسمع . . . وآلم إذا أوجع ، والإيلامُ الإيلاجُ ، والألمُ الوجع»^(٢) .

وإذا كان العذاب الأليم هو العذاب المؤلم الموجد ، فلك أن تتوقع شدة العذاب من إدراكك قوة الذي يصدر عنه الفعل ، فإذا كان الله تبارك وتعالى الذي لا نهاية لقدرته وقوته يصف العذاب بأنه أليم ؛

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢٤ ، ص ٤٣٧ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، ص ١٩٨ .



فلك أن تتصوّر أيّها القارئ عظمة هذا العذاب وهوله .

١٠ - المصدران: العُتُوُّ والنُّفُور:

تكرّر في السّورتين مصدران قليلا الاستعمال ، وهم (عتوّ) و(نفور) حيث جاءا في سورة الفرقان في آيتين منفصلتين: ﴿وَعَتَّوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] ، وقوله: ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] ، ووردا في سورة الملّك في سياق واحد: ﴿بَلْ لَّجُؤُافِ عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملّك: ٢١]؛ فما جاء منشورا ومبسوطا في مواضع في سورة الفرقان ، جاء مختصرا مركّزا في سورة الملّك .

والعُتُوُّ: هو شدة الاستكبار . قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وَعَتَّوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: «عتوا: تجاوزوا الحدّ في الظلم . يُقال: عتا علينا فلان ، وقد وصف العُتُوُّ بالكبير ، فبالغ في إفراطه ، يعني أنّهم لم يخسروا على هذا القول العظيم إلا لأنّهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العُتُو»^(١) .

قال القرطبي: «عتا يعتو عُتُوًّا ، أي: استكبر ، وتعتّى فلان: إذا لم يُطع ، والليل العاتي: الشّدِيدُ الظّلمة»^(٢) .

أمّا النُّفُور فمعناه الهروب والشّرود ، وأصل هذه المادّة يتعلّق بعالم الحيوان . يقال: دابة نفور إذا كانت شديدة النُّفُور . جاء في وصف المشركين في سورة المدثر: ﴿كَانَتْهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَفِرَّةٌ﴾ [المدثر: ٥٠] ، أي: «كانّهم في نفارهم عن الحقّ ، وإعراضهم عنه ؛ حُمُرٌ من حمر الوحش إذا فرّت ممّن يريد صيدها من أسد»^(٣) .

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ، ص ٢٤١ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ .



١١ - أصحاب الجنة وأصحاب النار:

جاء في السورتين مقابلة رائعة بين أصحاب الجنة وأصحاب السعير. قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] ، وجاء في سورة الملك ذكر أصحاب السعير: ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] ، وجاء أيضًا: ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

وكلمة (أصحاب) في مثل هذا السياق تفيد طول الملازمة والبقاء؛ حيث لا يخفى أن الموحدين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، كما جاء في مواضع كثيرة في القرآن ، يكونون خالدين في الجنة إن شاء الله تعالى ، والمشركون الكافرون يكونون خالدين في النار .

١٢ - المقابلة بين حالي السماء في الدنيا وعند قيام الساعة:

خلق الله تبارك وتعالى كل شيء بقدر ، وأحكم صنعه ليؤدّي وظيفته في هذه الحياة الدنيا ، ومن ذلك السماء التي خلقها صفحة واحدة مُحكمة النّسج شديدة البنيان ، لا يرى الرائي مهما اجتهد فيها من فطور أو فروج أو تشقق ، وهذا المشهد جاء ذكره في سورة الملك في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

أمّا قبيل قيام الساعة ، فتمة أشياء كثيرة يُغيّرها الله تعالى تنفيذًا لوعده بتبديل الأرض غير الأرض ، والسموات غير السماوات ، فتحدث أشياء كثيرة تكون هي إعلانًا لبدء يوم القيامة مثل ما ورد ذكره في سور التكوير والانفطار والانشقاق وغيرها ، ومن ذلك تشقق السماء بالغمام الذي جاء ذكره في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُزَلُّ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ، وهذه مقابلة

رائعة بين تشقق السماء يوم القيامة عند إذن الله تعالى للملائكة بالنزول ، وبين صفتها في الدنيا وهي محكمة قوّة شديدة لا فطور فيها ولا فروج .

١٣ - اسم الله الرَّحْمَن:

تحدثت سورة الفرقان عن (الرَّحْمَن) ، وهو اسمُ الله العظيم الثاني الذي لا يشركه فيه أحدٌ: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠] .

تردّد اسم (الرَّحْمَن) خمس مرّات في الفرقان:

(١) ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦] .

(٢) ﴿ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] .

(٣ - ٤) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠] .

(٥) ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] .

هذا يعني أن سورة الفرقان حاولت أن تربط الناس باسم الله (الرَّحْمَن) لعلهم يفيئون إلى رحمته ، ولكن الكافرين منهم كانوا يستهزئون ويتساءلون: ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ ؛ فجاءت سورة الملك مُبَيِّنَةً أيضًا شأن الرَّحْمَن ، مُوضِحَةً بأنه هو الذي يُمسك الطير في السماء: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩] ، ومُبَيِّنَةً أنه هو الذي لا ينصرُكم أحدٌ منه إن لم تتدارككم رحمته: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠] ، ومُبَيِّنَةً أنه هو الرَّحْمَنُ ؛ الذي ينبغي الإيمان به والتسليم



له ، والتَّوَكَّلُ عليه : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الملك : ٢٩] .

١٤ - تعطيل الكافرين لأسماعهم وعقولهم:

أوضحت سورة الفرقان لمحمد ﷺ أن الذين كفروا بدعوته لا يسمعون ولا يعقلون ، عطلوا وسائل السَّمْع لديهم ، وعطلوا أدوات الإدراك لديهم ؛ فهم أشبه بالأنعام ، بل هم أضل منها : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

هذا في الدنيا ، أمّا في الآخرة فصورتهم سورة الملك وهم يتحسرون ، يعضّون أيدي الندم ، وهم يقولون : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [١٠ - ١١] ؛ فانظر - يا رعاك الله - كيف تكرر الفعلان (يسمعون ، أو يعقلون) ، و(نسمع أو نعقل) ، وهما من مادة واحدة ، وقد وردا بالترتيب نفسه ، وهذا بدوره يدلُّ على شدة التلاحم بين السورتين ، فمعاني سورة الملك تكمّل معاني سورة الفرقان ، بل هي امتداد قرآني لها .

١٥ - حديث السورتين عن تزيين السماء بالسرج والمصابيح:

نزهت سورة الفرقان وعظمت الخالق البديع ، الذي أحسن كل شيء خلقه ، ومن ذلك تزيينه السماوات بالبروج وبالشمس المضيئة وبالقمر المنير في مجموعتنا الشمسية : ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] .

والأمر ذاته تكرر في سورة الملك ، حيث جاء الحديث عن تزيين السماء بمصابيح ، وجعلها رُجوماً للشياطين : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا



بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ [الملك: ٥] ،
والعلاقة واضحة بين السراج والمصابيح ، والمراد بها نجوم السماء
الغازية المشتعلة ، والقمر الذي يعكس أنوار الشمس في كوكبنا ،
والأقمار الأخرى التي تجري في أفلاك كواكب ومجموعات شمسية
أخرى .

١٦ - ذِكْرُ الزَّفِيرِ وَالشَّهيقِ:

تحدثت سورة الفرقان عن الكافرين الظالمين المجرمين حين
يُعَايِنُونَ جَهَنَّمَ وَتُعَايِنُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ لَهَا فِي الْفَرْقَانِ تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ،
وَحِينَ يُلْقَوْنَ فِيهَا يَجَارُونَ وَيَصْطَرِخُونَ وَيَطْلُبُونَ الثُّبُورَ. جاء في
الفرقان: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ [١٢] وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا
ضَبِيحًا مُّقْرَنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ [الفرقان: ١٣] ، وأتمت سورة الملك
تصوير المشهد ذاته ، وصورتهم وهم يُلْقَوْنَ فِيهَا ، وحينها يسمعون
لها شهيقًا ، ويرونها وهي تفور مُتَمَيِّزَةً مِنَ الْغِيْظِ: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا
شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [٧ - ٨] [الملك: ٧ - ٨] ؛ فالشهد الأول
عند معاينة جهنم يسمعون لها زفيرًا ، وإذا دخلوها وأُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا
لها شهيقًا وهي تفور ، ولا يخفى ما بين الزفير والشهيق من تلازم ،
فهما كلمتان مُصْطَحِبَتَانِ فِي الْوَاقِعِ الْعَمَلِيِّ ، حَيْثُ يَقُومُ كُلُّ حَيٍّ
يَتَنَفَّسُ بِعَمَلِيَّتِي الشَّهيقِ وَالزَّفِيرِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَحِينَ ، وهما مُصْطَحِبَتَانِ
فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ أَيْضًا ، حَيْثُ وَرَدَتَا فِي سُورَةِ هُودٍ مَجْتَمِعَتَيْنِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود: ١٠٦] .

فانظر ، يا رعاك الله ، إلى عظمة هذا التناسق والتكامل بين
السورتين: آية سورة الفرقان (١٢) تتحدث عن سماع الكافرين لزفير
جهنم ، وآية الملك (٧) تتحدث عن شهيق جهنم ، الذي يسمعه



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

الكافرون حين يُلقَوْنَ فيها. إنها بحق صورة متكاملة ، وانظر كيف جمعت آية هود (١٠٦) بين زفير النار وشهيقها.

وفي تفريق الحديث عن الزفير والشهيق في السورتين ، وفي الجمع بين الوصفين في سورة هود إشارة واضحة لكل ذي لب إلى التّكامل والتّلاحم في المضامين التي تتحدّث عنهما السّورتان ، وقل سبحان من أنزل هذا القرآن وعلمه للعالمين!!

١٧ - توظيف عدد من الأسماء الحسنى:

جاء في السّورتين عددٌ من الأسماء الحسنى ، منها قوله تعالى في سورة الملك: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]؛ أمّا في الفرقان فقد جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦] ، و﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

جاء في الملك: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ، وورد اسم الخبير في الفرقان في ثوب: ﴿وَكَفَى بِهِ يَذْنُوبٍ عَبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

وبعض الأسماء ورد ذكره في سورة الملك بصيغة التعريف: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] ، وجاء ذكره في سورة الفرقان مضافاً إلى كاف الخطاب التي تعود على محمد ﷺ تسليّة له وتثبيتاً وتطميناً: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

جاء في سورة الملك: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩] ، وجاء في الفرقان: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

جاء في سورة الملك: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: ٢٠] ، وجاء في سورة الفرقان: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].



١٨ - حديث عن الأقوام المكذبين:

جاء في سورة الملك ذكرٌ إجماليّ للأقوام الذين كذبوا الرّسل: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٨] ، وجاء ذكر عدد منهم بإيجاز شديد في سورة الفرقان ابتداء بقوم موسى عليه السّلام ثم قوم نوح وعاد وشمود وأصحاب الرّسّ وقوم لوط: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْعَبَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنْوَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣٥ - ٤٠]؛ فما جاء في الفرقان هو تفصيل للإجمال الذي ورد بشأنهم في سورة الملك.

١٩ - وصف إهلاك قوم لوط وتهديد للمشركين المخاطبين:

ذكر الله تعالى في سورة الفرقان مشهداً يُصوّرُ قري قوم لوط الذين دَمَرَهُمُ الْعَذَابُ ، وكيف جعل قراهم عاليها سافلها ، وجاء فيها نُصْحٌ لمشركي قريش بأن يروا بنور أبصارهم وبصائرهم مشاهد قراهم وديارهم المدمّرة وهم يَمْرُونَ عليها في أسفارهم للاعتبار والاتعاظ: ﴿وَلَقَدْ أَنْوَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠].

وفي إيراد هذه القصة في سورة الفرقان توجيةٌ غيرُ مباشرٍ للمخاطبين في عهد النبوة ، لكي يتّعظوا بما أصاب قوم لوط ، حتّى لا يُصيبهم الذي حل بهم . وإتماماً لهذه الموعظة وجه إليهم الخطاب مباشراً في سورة الملك: ﴿أَمِنْهُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْشَفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

قال البيضاوي: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم ، أو الله تعالى على تأويل: مَن فِي السَّمَاءِ أمرُهُ أو قضاؤه ، أو على زعم العرب ، فإنهم زعموا أنه تعالى في السماء . . أن يخسفَ بكم الأرض فيُغييَكم فيها كما فعل بقارون ، وهو بدل من بدل الاشتمال ، فإذا هي تمور: تضطربُ ، والمورُ: الترددُ في المجيء والذهاب . ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ : أن يُمطرَ عليكم حصباءً ؛ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ : كيف إنذاري إذا شاهدتم المُنذرَ به ، ولكن لا ينفعكم العلمُ حينئذٍ^(١).

٢٠ - مقابلة بين خطاب الله للرسول ، وخطاب الرسول لقومه:

في سورة الفرقان خطابٌ مباشرٌ للرسول ﷺ من ربه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وفي سورة الملك خطابٌ مباشرٌ للمشرَكين وتلقينٌ لمحمد ﷺ كيف يتعامل معهم ، وكيف يُخاطبهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٢٨ - ٣٠].

٢١ - حديث عن عباد الرحمن في السورتين:

في سورة الملك حديثٌ موجزٌ عن الذين يخشون ربهم بالغيب ، وعن الجزاء الذي أعدّه الله تعالى لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ

(١) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٥ ، ص ٢٣٠ .



مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ [الملك: ١٢] ، وفي سورة الفرقان جاء تفصيلٌ لصفات الذين يخشون ربهم وأعمالهم وأقوالهم في مجموعة الآيات التي تتحدث عن عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنَ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْقِبِكِ إِمَامًا ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٢٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢٦﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٦].

٢٢ - مقارنة بين نوعين من المشي:

في سورة الملك جاء حديثٌ عن الذي يمشي مُكِبًّا على وجهه على غير هدى ، فهو يَخِطُّ في سيره وطريقه خبطَ عشواء ، وتمت مقارنة مشيته بمن يمشي سويًّا مرتفع الهامة ، على نور وبصيرة على صراط مستقيم ، وهذا الاستفهام من الواضح والمقرر لدى جميع الأذهان ، أن هذين المشيين لا يستويان في حكم كل الأعراف والأديان والأذواق: ﴿أَمْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

أما سورة الفرقان فقد جاء فيها ذكرُ الصَّنْف الذي يمشي سويًا بتواضع ، وهم المُعَبَّر عنهم بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال ابن عاشور في بيان وجوه الاستعارات التَّمثيلية في آية سورة الملك (٢٢): «فَالْآيَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثِ اسْتِعَارَاتٍ تَمثيلية؛ فقوله ﴿يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ تشبيهٌ لحال المشرك في تقسّم أمره بين الآلهة طلبًا للذي ينفعه منها ، الشَّاكُّ في انتفاعه بها ، بحال السَّائر قاصدًا أرضًا معينة ليس لها طريقٌ جادةٌ ، فهو يتتبع بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ الملتوية التي تُبَلِّغُ إلى مقصده ، فيبقى حائرًا متوسمًا يتعرّف آثارَ أقدام الناس وأخفاف الإبل ، فيعلم بها أن الطريقَ مسلوكة أو متروكة.

وفي ضمن هذه التَّمثيلية تمثيليةٌ أخرى مَبْنِيَّةٌ عليها بقوله: ﴿مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ بتشبيه حال المتحيرِّ المتطلِّب للآثار في الأرض بحال المُكَبِّ على وجهه في شدة اقترابه من الأرض.

وقوله ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ تشبيهٌ لحال الذي آمنَ بربِّ واحد ، الواثق بنصر ربّه وتأييده ، وبأنّه مُصَادِفٌ للحقّ ، بحال الماشي في طريق جادة واضحة ، لا ينظرُ إلّا إلى اتّجاه وجهه ، فهو مُسْتَوٍ في سيره.

وقد حصل في الآية إيجازٌ حذف ، إذ استُغْنِيَ عن وصف الطريق بالالتواء في التَّمثيل الأوّل ، لدلالة مقابله بالاستقامة في التَّمثيل الثاني»^(١).

وقال الإمام ابنُ كثير في تفسير الصّفة الأولى من صفات عباد الرّحمن: «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا»: أي: بسكينة ووقار من غير

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٢٩ ، ص ٤٦ .



جَبْرِيَّةٌ وَلَا اسْتِكْبَارٌ ، كما قال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] . فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ، ولا أشير ولا بطر . وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من التصانع تصنعًا ورياءً ؛ فقد كان سيّد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحطّ من صيب ، وكأنما الأرض تطوى له . وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع ، حتّى روي عن عمر أنّه رأى شابًا يمشي زويّدًا . فقال : ما بالك ؟ أنت مريض ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، فعلاه بالذرّة ، وأمره أن يمشي بقوة . وإنما المراد بالهون هاهنا السكينة والوقار ، كما قال رسول الله ﷺ : ^(١) (إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا) ^(٢) .

٢٣ - فواصل السورتين:

تتفق السورتان في إيقاعهما الصّوتي ، وفواصلهما التي تتسم بمقاطعها الطويلة: الواو قبل الرّاء المفتوحة ، والياء قبل الرّاء المفتوحة في سورة الفرقان: (نذيرًا ، تقديرًا ، نشورًا...) ، والواو قبل الرّاء المضمومة والمجرورة ، والياء قبل الرّاء المضمومة والمجرورة كذلك في الملك: (قديرٌ ، الغفور ، من فطور...) . وهكذا جاءت الحركات الثلاث (الرّاء المفتوحة) علامةً مميزةً للإيقاع الصّوتي لسورة الفرقان ، وجاءت الرّاء المضمومة والمجرورة علامةً مميزةً للإيقاع الصّوتي لفواصل سورة الملك ، وبذلك تتكامل السورتان من حيث الإيقاع الصّوتي أيضًا .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، رقم : ٦٣٥ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .



مِمَّا سَبَقَ عَرْضُهُ مِنْ جَوَانِبٍ وَأَمْثَلَةٍ ، يَتَبَيَّنُ بِجَلَاءِ ، لَا يَدْعُ مَجَالًا
لِأَثَارَةٍ مِنْ شَكٍّ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ وَلَبَّ أَنْ سَوَّرَتِي الْفَرْقَانَ وَالْمَلِكِ تَنْبَعَانِ
مِنْ مَعِينٍ وَاحِدٍ ، فَهُمَا جَنَاحَا طَائِرٍ وَاحِدٍ ، وَوَجْهَانِ عَمَلَةٍ وَاحِدَةٍ ،
مُتَكَامِلَتَانِ مَعْنَوِيًّا ، وَلَفْظِيًّا ، وَصَوْتِيًّا ، وَهَذَا مَا يَلْقَى الضَّوءُ عَلَى سَرٍّ
مِنْ أَسْرَارِ افْتِتَاحِهِمَا بِمُطْلَعِينَ مُتَشَابِهِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِأَسْرَارِ
قِرَآنِهِ .

جدول المقارنة بين الفرقان والملك

الملك	الفرقان
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك : ١]	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١]
١ - ﴿ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك : ٨]	١ - ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١]
٢ - ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك : ٩]	٢ - ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٧]
٣ - ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴾ [الملك : ١٧]	٣ - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٦]
٤ - ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الملك : ٢٦]	٤ - ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥١]
﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُتُورٍ ﴾ [الملك : ٣]	﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ ﴾ [الفرقان : ٢]



﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] ، ومن أخص خصائصه أنه خلق الموت والحياة لابتلاء الثقلين ، أيهم أحسنُ عملاً؟ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] .	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] .
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] .	﴿وَلَا نُشُورًا﴾
﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥] . ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠ - ١١] .	﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١] .
﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الملك: ٢٨] .	﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧] .
﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١]	﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] ، وقوله: ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿٦٠﴾ [الفرقان: ٦٠] .



﴿ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠] ، وجاء أيضاً: ﴿ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١١].	﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤].
﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣].	﴿ وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ يُزِيلُ الْمَلَكُكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥].
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٍ وَيَقِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلُ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩]. ﴿ أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ إِنْ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠] ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الملك: ٢٩].	١ - ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَفَا يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦] ٢ - ﴿ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]. ٣ - ٤ - ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ فُتُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠]. ٥ - ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].
﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [١١] فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴿ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠ - ١١].	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].



﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].	﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].
﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٧ - ٨].	﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].	﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].
﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].	﴿وَكَفَى بِهِ ذُنُوبٍ عَبَادَةً خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].
﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].	﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].
﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].	﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].
﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: ٢٠].	﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].
﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٨].	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا



فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا
كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ
لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ
وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا
ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا
﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ
مَطَرُ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَرُونَهَا
بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

[الفرقان : ٣٥ - ٤٠] .

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرُ
السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾

[الفرقان : ٤٠] .

﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ
الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ
مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾

[الملك : ١٦ - ١٧] .

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ
تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣] .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ
مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُحْيِي الْكَافِرِينَ مَنْ
عَذَابِ الْيَوْمِ ﴾ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا
بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ
مَأْوَاكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

[الملك : ٢٨ - ٣٠] .



﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

[الملك: ١٢]

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٣) ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ (١٤) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا﴾ (١٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (١٦)
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١٧) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ
إِلَهَاءَ آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا﴾ (١٨) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٩) ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ لَا
يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا
كِرَامًا﴾ (٢١) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٢٢)
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنَاقِبٍ
إِمَامًا﴾ (٢٣) ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَلِلْقَوْتِ فِيهَا نَجَاةٌ وَسَلَامًا﴾ (٢٤)
﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

[الفرقان: ٦٣ - ٧٦].



(قديراً ، الغفور ، من
فطور...).

(نذيراً ، تقديراً ، نشوراً...) ،



الْمُنَجِّثُ السَّالِسُ سُور (يا أيها النبي)

الأحزاب ، والطلاق ، والتحرير

تشارك سورة الأحزاب والطلاق والتحرير في المطلع ، الذي افتتحه الباري جلّ ثناؤه بمناداة النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، وهو مطلع مهيب يشي بعظمة التوقير ، ورفعة المكانة التي يتبوأها محمد ﷺ عند ربه ؛ إذ دأب البيان القرآني على مناداة جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم: ﴿يَا أَيُّهَا اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ، ﴿يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود: ٤٨] ، ﴿يَا مُوسَىٰ﴾ [١١] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ - ١٢] ، ﴿يَا أَيُّهَا هَٰذَا نِعْمَ الْكِتَابُ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [مريم: ٧] ، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [هود: ٧٦] ، إلّا محمداً ﷺ فإن القرآن يناديه بلقبَي الرسالة والنبوة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ، و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] ، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١] ، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الأحزاب: ٤٥] .

وقد تكرر أسلوب مناداة الرسول بلقب الرسالة في القرآن الكريم مرتين ، وتكررت مناداته ﷺ بلقب النبوة: ١٣ مرة .
من حيث ترتيب النزول ، فإن سورة الأحزاب هي السورة التسعون



(٩٠) في عداد التنزيل ، ثُمَّ وَلِيَّتْهَا سورة الطلاق (٩٩) نزولاً ، ثُمَّ التَّحْرِيم (١٠٧) نزولاً ، والذي يعيننا في هذه المقاربة التحليلية في السُّور المتشابهة المطالع أن نُجَلِّيَ الرِّوَابِطَ المضمونيَّة واللفظيَّة التي تجمعُ بين السُّور الثلاث ، فما اشتركت ثلاثتها في المطلع المُوَحَّد إلا وثمة حِكْمٌ وعواملٌ مُشتركة تجمعها وتجعلها تصدرُ عن مشكاة واحدة ، وتصبغها بصبغةٍ خاصَّة تجعلُ القارئ يتعرَّفُ عليها أوَّلَ ما يلحظها.

١ - تشترك السور الثلاث في مناقشة محور الأسرة:

من حيثُ المضامين والمواضيع المطروقة؛ فإنَّ السُّورَ الثلاث تتقاطع في مناقشة موضوع أُسْرِيٍّ هام؛ حيثُ تناقشُ سورة الأحزاب أحكاماً تتعلَّقُ بأعظم أُسْرَةٍ في الوجود ، وهي أسرة نبيِّنا محمد ﷺ ، وتناقش موضوع غزوة الأحزاب ، التي كانت أحداثها تتزامنُ مع الأحداث التي تحيطُ بالأسرة النبويَّة الكريمة.

أمَّا سورة الطلاق ، فتناقش موضوع الطلاق والعِدَّة والنَّفقة ، وهي شؤونٌ تهتمُّ الأسرة المسلمة بشكل عام. أمَّا سورة التحريم فتناقشُ موضوع تحريم الرِّسُول على نفسه أكل العسل أو تحريم معاشرته إحدى أزواجه كما سوف نرى بالتفصيل ، وهو شأنٌ أُسْرِيٌّ نبويٌّ أيضاً.

تجدُرُ الإشارة إلى أنَّ مناقشة قضايا الأسرة النبويَّة في سورة الأحزاب هو بمثابة إظهار أنموذج القدوة والأسوة في بيت النبوة للمسلمين أجمعين؛ فليست الأحكام التشريعيَّة موجَّهة فقط للمسلمين ، وإنَّما هي موجَّهة أيضاً لنبيِّ المسلمين ، وهو قدوة الجميع في الاهتداء بتعاليم الإسلام التي أوحاها الله تعالى إليه ، وفي



هذا المصَّب يرد قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢ - مناداة الرسول بلقب النبوة:

جاءت مناداة الرسول ﷺ بلقب النبوة في السور الثلاث ٨ مرّات ، علماً أن عدد مرّات مناداته في القرآن كلّ بهذا اللقب هو ١٣ مرّة ، أي أن أكثر من نصف عددها موجود في السور الثلاث ، وهذا وحده جدير بأن يخصّها الله تعالى بافتتاحية: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ .

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُن تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ...﴾ [الأحزاب: ٥٠].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾ [الطلاق: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[التحریم: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩].

٣ - أنواع المطلقات وعددهن:

جاء في سورة الأحزاب بيان واضح بشأن المطلقات غير المدخول



جَوَازُ الدَّرَجَةِ فِي عِلْمِهِ مَقَارِنُ السُّورِ

بهن؛ حيثُ قرّر الشارع الحكيم بأنه ليس للأزواج عليهن من عِدّة يعتدّونها، بل عليهم تمتيعهنّ وتسريحهنّ بالمعروف: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسَّرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

ثم جاء مطلع سورة الطلاق يُبينُ حكمَ عِدّة المطلقات اللواتي تمّ الدُّخُولُ بهنّ فقال جلّ شأنه: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]؛ فالحكم الذي أثبتته الآية الأولى من سورة الطلاق مُكْمَلٌ للحكم الذي نطقت به آية الأحزاب (٤٩).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعرّضت سورة الطلاق إلى تحديد عِدّة التي يئست من الحيض، وعِدّة التي لا تحيض لكبر سنّها، وعِدّة ذوات الحمل: ﴿وَالَّتِي يَلِيسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْبِتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. وهذا ترابط واضح وقوي بين السورتين من ناحية الموضوع، حيث أتمت سورة الطلاق الحديث عن أنواع العدد التي شرعت سورة الأحزاب في الحديث عنها، كما يتجلّى من ناحية الثوب اللفظي للسورتين ترابط واضح أيضًا من حيث الألفاظ المستعملة.

٤ - الحديث عن الأزواج التي أحلّ الله لنبيّة الزواج بهنّ:

قرّرت آية الأحزاب (٥٠) بأنّ الله تبارك وتعالى أحلّ لنبيّه أزواجه اللاتي كان قد تزوّج بهنّ وآتاهنّ أجورهنّ، وعدّد له اللواتي يجوز له



الزَّوْجَ بِهِنَّ أَيْضًا: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّ لَنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، ثُمَّ جَاءَتْ آيَةُ سُورَةِ التَّحْرِيمِ (١) تُعَاتِبُ الرَّسُولَ ﷺ عَلَى عَزْمِهِ تَحْرِيمَ بَعْضِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ أَزْوَاجِهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم: ١].

وقد ذكر المفسرون أقوالاً في الشيء الذي حرّمه رسول الله على نفسه:

القول الأول: هو شربه من العسل الذي كانت تسقيه إياه زينب بنت جحش ، وكانت عائشة وحفصة تغاران منها ، فاتفقتا أن تزحزحاه عن الذهاب إليها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ، ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحفصة على أئتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغاير؟ - والمغاير: صمغ خلّو له رائحة كريهة - إني أجد منك ريح مغاير.

فدخل على أحدهما فقالت له ذلك ، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ، ولن أعود إليه ، وقد حلفت ، فلا تخبري بذلك أحداً ، فنزلت هذه الآيات^(١).

(١) رواه البخاري ومسلم.



القول الثاني : هو وطؤه أُمته ، أو أم إبراهيم مارية في بيت بعض

نسائه :

الدليل الأول : عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ . . . ﴾ [التحریم : ١] ^(١) .

الدليل الثاني : عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم مارية في بيت بعض نسائه - وفي رواية : في بيت حفصة - فقالت : يا رسول الله ، في بيتي وعلى فراشي ؟ فجعلها أي : مارية - عليه حراماً ، وحلف بهذا . . . فأنزل الله هذه الآيات ^(٢) .

ملحوظة : أمّا من حيث قوّة الدليل وصحّته ، فالقول الأوّل المنبني على حديث البخاري ومسلم هو الأصحّ من حيث السند والمتن . أمّا من حيث التوافق بين مضامين سورتي الأحزاب والتحریم ، فالقول الثاني المتعلّق بتحريمه ما أحلّ الله له من الزّواج أو الاستمتاع بأُمته هو الأصوب ، ويعضدّ هذا القول دليلان لفظيان : الفعل (أحللنا لك) في الأحزاب ، وجملة ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ .

وجملة القول : إنّ الموضوع الذي ناقشته سورة التحريم هو تكملة للموضوع الذي شرعت فيه سورة الأحزاب المتعلّق بتنظيمات وأحكام تخصّ البيت النبوي ، وكذلك سورة الطلاق تكميلٌ للأحكام التي شرعت فيها سورة الأحزاب فيما يخص المطلقات وأنواعهنّ ، وأنواع عدّتهنّ إلى غير ذلك من المواضع المشتركة بينهما ، وترجيحنا بأن

(١) رواه النسائي ، والحاكم وصحّحه .

(٢) ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٣ ، ص ٨٣ ، والمقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢١ ، ص ٦٩ .

الحديث في مطلع سورة التحريم ينصرف إلى حادثة تحريم الرسول ﷺ إحدى زوجاته لا يُؤدّي إلى نفي حادثة أكل العسل التي أثبتتها البخاري ومسلم ، فما أكثر الآيات التي تنزل لمعالجة أكثر من سبب أو أكثر من حادثة؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ولكن الذي يجعلنا نرجح رواية تحريمه على نفسه العودة إلى أمّ ولده إبراهيم؛ هو الترابط الوثيق بين هاتين السورتين المتشابهتين في مطلعيهما؛ حيث بينت له أولاهما ما يحلّ له من النساء: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ...﴾ ، وعاتبته الثانية عليّ تحريمه ما أحلّ الله له في المجال نفسه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾. هذا والله أعلم بأسرار التنزيل.

هـ - الأمر بتقوى الله تعالى:

بدأت سورة الأحزاب بأمر النبي وهو القدوة والأسوة بتقوى الله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١] ، وحين يُخاطبُ النبي ، والأمر يكون عامًا مما يتعلق بالأمّة أيضًا ، يكون ذلك من قبيل خطاب الأمّة في شخص نبيّها ، وهذا يدلُّ على مدى العناية بمضمون الخطاب.

وهو ﷺ خيرُ الممثلين لأوامر الله تعالى ، ولما نصّح زيد بن حارثة للحيلولة دون تطليقه لزينب بنت جحش قال له: اتَّقِ اللَّهَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ونساء النبي هنّ من أفضل نساء العالمين شريطة أن يتحلّين بلباس التقوى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

أما المؤمنون ، فقد جاءهم الحثُّ على التقوى والتذكير بها في

جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

نهاية سورة الأحزاب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وبالمثل ، فقد ورد الأمر بالتقوى والحث عليها في سورة الطلاق بشكلٍ مكثف: فالمؤمنون مُطالبون بأن يتقوا الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١] ، والتقوى مخرجٌ من كل ضيق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ، والتقوى سبيل تيسير جميع الأمور: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] ، وهي وسيلة تكفير السيئات: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] ، وكل أولي العقول السليمة مُطالبون بأن يتقوا الله ويرعوا حدوده: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الطلاق: ١٠].

ومن ذلك أيضا ورود الأمر للمؤمنين في سورة التحريم بأن يقوا أنفسهم وأهلهم من الوقوع في النار بارتكاب ما يوجب دخولها ، وهذا المعنى من معاني التقوى أيضا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

٦ - النهي عن الإتيان بفاحشة مبينة:

ورد في سورتي الأحزاب والطلاق النهي عن إتيان الفاحشة المبيّنة:

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠]. وبالمثل جاء التوجيه القرآني في سورة الطلاق يدعو المسلمين إلى عدم اللجوء إلى الطلاق إلا أن تأتي المرأة بفاحشة مبينة: ﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١].

وأیضا جاء ذلك في سورة النساء إذ قال جل شأنه: ﴿يَأَيُّهَا



الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا
ءَاتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ
فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿النساء: ١٩﴾.

وقد تعددت أقوال الفقهاء والمفسرين في تحديد الفاحشة المبيّنة ،
فمنهم من قال^(١) :

أ: الفاحشة المبيّنة: الزّنى ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ،
والحسن ، والشّعبى ، ومجاهد .

ب: الفاحشة المبيّنة: البذاء على أحمائها ، فيحلّ لهم إخراجها .
وقد رُوِيَ هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنه والشافعي رحمه الله
تعالى ..

ج: الفاحشة: كل معصية ، كالزّنى ، والسّرقه ، والبذاء ، على
الأهل ، وهو اختيار الطبري .

وهذا اشتراكٌ معنويّ ولفظي بين السّور الثلاث لا تشترك معها
غيرها من السّور فيه .

٧ - الإيمان باليوم الآخر:

عملت سورتا الأحزاب والطلاق على تحريك جذوة الإيمان باليوم
الآخر ، ورجاء لقاء الله في نفوس المؤمنين . قال جلّ شأنه: ﴿ لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾
[الأحزاب: ٢١] ، وقال تبارك اسمه: ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [الطلاق: ٢] ؛ فمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، فإن
ذلك الرّجاء وذلك الإيمان يدعوانه إلى الاقتداء بالرّسول ﷺ ، ومن

(١) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢١ ، ص ٣٧ - ٣٨ .



بِحُجَّتِهِ الدِّرَّةِ فِي عِلْمِهِ مَقَارِنُ النُّورِ

كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإنه يجد من نفسه حافزاً داخلياً يدعوهُ إلى تطبيق الأحكام التي تُنظِّم الأسر والمجتمعات ممّا جاء في هذه السّور وغيرها .

٨ - الذّكر الذي يُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور:

جاء في القرآن الكريم والسّنة الصّحيحة نصوص كثيرة تهيب بالمؤمنين أن يذكروا الله تعالى كثيراً ، ويُسَبِّحوه ، ويحمدوه ، ويُوقِروهُ ، ويُعَظِّمُوهُ ، وذلك عاملٌ مساعدٌ لاستحضار المؤمن عظمة الله تعالى في نفسه في كلّ آنٍ وحين ؛ وقد حفلت سورتنا الأحزاب والطلاق بجملة من النصوص الدّاعية إلى الذّكر والمُحَفِّزة عليه منها :

﴿ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۖ ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٣] .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ ﴾ [الطلاق : ١٠ - ١١] .

٩ - الأمر بالتوكّل على الله:

نهت الآية (٤٨) من الأحزاب الرّسول ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين ، وحثته على التّوكّل على الحيّ القيوم ، ثمّ جاءت آية الطلاق (٣) تبين أنّ الذي يتوكّل على الله فهو حسبه ، وهو بالغ أمره :

﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ ﴾ [الأحزاب : ٤٨] .

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴾ [الطلاق : ٣] .



١٠ - التَّقْوَى والتَّوْبَةُ النَّصُوح سَبِيلَانِ لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ:

سَنَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ جَمْلَةً مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، الَّتِي تُسَاعِدُ الْمُؤْمِنَ عَلَى تَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِ ، وَقَدْ جَاءَ مِنْهَا فِي سُورَتِي الطَّلَاقِ تَقْوَى اللَّهِ ، وَفِي التَّحْرِيمِ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ :

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق : ٥].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التحریم : ٨].

١١ - الوعد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار:

ذَكَرْتُ آيَةَ الطَّلَاقِ (١١) أَنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَيَشْفَعُ إِيْمَانُهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، يَكُونُ جَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق : ١١].

وَذَكَرْتُ آيَةَ التَّحْرِيمِ أَنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ مِنْ ثَمَارِهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكَفِّرُ بِهَا السَّيِّئَاتِ عَنِ الْمُؤْمِنِ ، وَيُدْخِلُهُ بِهَا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم : ٨].

١٢ - قدرة الله المطلقة:

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَصُوصٌ كَثِيرَةٌ تُشِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، جَاءَ مِنْهَا فِي الْأَحْزَابِ وَالطَّلَاقِ :



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

﴿ وَأَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

١٣ - علم الله المحيط بكل شيء:

نظيرُ القدرة المطلقة العلمُ المُطلق الذي نطقَتْ به آياتُ كثيرة في القرآن الكريم ، والملاحظُ أن كثيراً ما تقتَرِنُ آياتُ المُتعلِّقة بالأحكام بالإشارة إلى علم الله الشَّامِل المحيط بكلِّ شيء ، أو تكون مُذيلةً بذلك ، وقد جاء منها في الأحزاب والطلاق الآيات الثلاث الآتية:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿ إِن تُبَدُّوْا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٤].

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

١٤ - تأكيد مغفرته ورحمته بعباده:

حفلت آياتُ كثيرة في القرآن الكريم بالاسمين الجليلين ﴿ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وخصوصاً بعد ذكر الأحكام وما يتعلَّق بالتجاوزات والأخطاء التي يقع فيها المسلم بحكم القصور البشري ، والضعف الإنساني ، وقد جاء ذكر الاسمين الكريمين في سياق معاتبة النبي ﷺ حين حرَّم على نفسه ما أحلَّ الله له ابتغاء مرضاة أزواجه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحریم: ١].

وورد ذكر الاسمين الكريمين المُحَفِّزين على التوبة لنيل مغفرة الله



ورضوانه في سورة الأحزاب في سياق تعداد بعض الأحكام الشرعية والأخطاء البشرية:

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥].

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

١٥ - الله هو العليم الحكيم:

الله هو العليم العلام الذي لا يعزبُ عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو الحكيم الذي يُشرعُ لعباده وفق حكمته الربانية الشاملة ، وعلى المؤمن أن يكون على يقين بأن كل ما جاء في الشرع من أوامر ونواهٍ هي صادرة عن علم الله المطلق ، وعن حكمته البالغة ، والشرعة كلها مصلحة وخير ونفع وعدل ورحمة:

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحریم: ٢].

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[الأحزاب: ١].



وهو المَتَّصِفُ جَلَّ ثَنَاهُ بالعلم والخبرة ، والملاحظُ أَنَّ الأسماء الحسنى التي جاءت في التَّحريم في حالة الرِّفْع ، جاءت في الأحزاب في حالة النِّصْب ، وذلك شبيهةً بالأسلوب المُتَّبَع في سورتي الحج والنساء ، ومن الروابط الدَّلالية ، واللفظية الدقيقة ، فانتبه لأسرار الذكر وعلوِّ بيانه :

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [التَّحريم : ٣] .

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢] .

١٦ - التَّوْبَةُ فِي التَّوْبَةِ :

أوقعت الغيرةُ البشريَّةُ عائشةَ وحفصةَ رضي الله عنهما في التَّعامل مع نبيِّ الأُمَّة بما لا يتوافقُ مع شأنه العظيم ، ومكانتهما الدِّينية والاجتماعية منه ، وكلَّفتهما ثمناً غالياً خلَّدته آياتُ المعاتبة الرِّبانية لهما في التَّحريم ، وجاءت الآيةُ (٤) تحثُّهما على التَّوبة ؛ فلا شيءَ يعلو فوق التَّوبة أو يتجاوزُ أسوارها ، فكلُّ ما يقعُ من المؤمن يغفره الله تعالى إذا صحَّت النِّوَايا ، وصحَّ العزمُ على التَّوبة النَّصوح :

﴿ إِنْ تُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التَّحريم : ٤] .

وقد جاء تعدادُ صفة (تائبات) في معرض حديث القرآن عن صفات المؤمنات اللاتي يتعالين عن طين الأرض ، ويتطلَّعن إلى سماء الفضل والنبيل ، مُحَلِّقاتٍ إلى غمام صفات الإسلام والإيمان والقنوت والتَّوبة والعبادة والسَّيَاحَةِ في سبيل الله ، ويكُنَّ فوق هذا وذاك ثَّيَابٍ أو أَبْكَارًا .



﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَيَبَّاتٍ
عِدَّتٍ سَيِّحَاتٍ تَبَيَّنَتْ وَابْتَكَرَاتٍ ﴾ [التحریم: ٥].

وفي ذكر صفات الأزواج اللاتي من السهل والميسور أن يُسَرَّهنَّ الله الوهابُ لرسوله ﷺ ، تحفيزٌ لأزواج النبي ، وشحذٌ لهممهنَّ العوالي للاستمساك بكل فضلٍ ، والتحلِّي بأعلى الخصال ، واجتناب الجُنح واللَّمَم مهما صَغُرَت ودَقَّت لأن مقامهنَّ وقربهنَّ من أفضل الخلق يُرَشِّحُهنَّ لأسمى مراتب الفضل ، ومنازل التوبة والتَّجَرَّد: ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسُنًى كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْنَ ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وبمثل ما نصح به القرآن عائشة وحفصة زوجي النبي الكريم رضوان الله عليهما ، جاء أمرُ المؤمنين في سورة التحريم بالتوبة النصوح التي تُكفِّرُ بها السيئاتُ ، وتُنَالُ بها أعالي الجنات:

﴿ بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم: ٨].

١٧ - تعدادُ صفات المؤمنين والمؤمنات:

عدّدت سورة الأحزاب صفات المؤمنين والمؤمنات ، الذين يرغب الإسلام في إخراجهم للبشرية ، ويرغب أن يسعد بهم المجتمع الإسلامي الأكبر ، وهي صفات الإسلام ، والإيمان ، والقنوت ، والصّدق ، والصّبر ، والخشوع ، والتّصدّق ، والصّوم ، وحفظ الفروج ، وذكر الله كثيرًا:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا ﴿الأحزاب: ٣٥﴾.

وبالمقابل عددت سورة التحريم صفات الأزواج اللاتي يكل إليهن
تربية الأطفال ، وصنع الأجيال ، والإسهام في إسعاد البشرية ، ابتداء
من أزواج النبي ﷺ إلى أزواج جميع أفراد المجتمع المسلم ، الذي
يقوم على الخلق والفضيلة : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ
مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَحِبُّنَّ عِبَادَاتٍ سَخِيحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: ٥].

١٨ - الدَّعْوَةُ إِلَى جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ:

جاء في سورة التحريم دعوة رسول الله ﷺ أن يجاهد الكفار
والمنافقين ، وأن يُغْلِظَ عليهم في القول والفعل : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ
الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾
[التحريم: ٩].

أما سورة الأحزاب فعددت مواقف للمنافقين تجعلهم أحرى بأن
يقاتلهم النبي والمسلمون معه :

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾
وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣].

وهددتهم بالانتهاء عن إتيان أفعالهم الشنيعة الماكرة ، وفي حال
عدم الالتزام فإنهم يُقْتَلُونَ تَقْتِيلًا ، ويلقون سوء المصير : ﴿ لَئِنْ لَمْ
يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ
لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١٠] ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾ [١١]



سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٠﴾
[الأحزاب: ٦٠ - ٦٢].

١٩ - مناداة الذين آمنوا:

نادى الله تعالى المؤمنين بصفاتهم الإيمانية في سورة التحريم مرتين:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾
[التحريم: ٦].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وناداهم في سورة الأحزاب بصفاتهم الإيمانية ٧ مرات:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



٢٠ - عدم تكليف النفس ما لا يُطاق في الإنفاق على الأهل:

وجّهت الآية السابعة من سورة الطلاق إلى أن ينفق المسلم ممّا يملك ، وممّا آتاه الله تعالى ، ولا يكلف نفسه فوق طاقتها؛ فليس من الإسلام التّقتيرُ على الأهل في الإنفاق ، وليس منه التّبذير والإسراف ، بل المسلم مطلوبٌ منه أن يلتزم الاعتدال والتّوسّط في الإنفاق ، ولم يكلفه ربّه بما لا يُطيق في هذا المجال؛ من هنا جاء قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

والموضوع ذاته جاءت مناقشته في سورة الأحزاب حين ضاقت أحوال أسرة النّبوة من النّاحية المعيشيّة والمادّيّة؛ فلم يكن رسول الله ﷺ كما هو جليٌّ في سيرته صاحب مال ، ولم يكن يُبقِ في يده شيئاً من المال ، وإنّما كان شأنه الإنفاق والإغداق على المسلمين ، كما قال ذلك الصحابي الذي رأى يده السّحّاء تنفق في أحد المواقف ، فقال في وصفه: يُنفقُ إنفاق من لا يخاف الفقر ، وقد قال لبلال رضي الله عنه: «أنفق بلال ، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً»^(١).

قلت: كان بيت النّبوة يعيش في شظف العيش في كثير من فتراتهِ ، وهذا تعليم للإنسانيّة جمعاء بأنّ نبيّ الرّحمة لم يكن داعياً إلى جمع المال ، ولم تكن تهفو نفسه إلى شيء منه ، وإنّما كان يفرّقه بين أصحابه حين يحصل على شيء منه. ولَمّا اشتدّ الحال بأزواجه رضي الله عنهنّ ، جئن إليه يُطالبنه الزيادة في الإنفاق ، فاشتدّ ذلك على نفسه الكريمة ، وخيم الغضب والحزن على محيّاها ، وهو الذي كانت

(١) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود.



البشاشة لا تفارق وجهه الكريم ، إلى أن أنزل الله آية التخيير تخاطب أزواج النبي ﷺ بأن يرضين بعيشة الكفاف والعفاف تحت مظلة بيت النبوة ، ومن كان همها الدنيا والازدياد من ملذاتها ومتاعها فلتذهب إلى سبيلها: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [٢٨] وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿[الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

فاختارت أزواجه كلهن جانب الله ورسوله والدار الآخرة.

فانظر ، بارك الله فيك ، كيف جاء الحث بالإنفاق ممّا في سعة المؤمن في سورة الطلاق للمسلمين أجمعين ، وجاء الموضوع ذاته يعالج البيت النبوي الطاهر في سورة الأحزاب ، وقُلْ: ما أعظم إحكام هذا الذكر!

روى البخاري ومسلم - واللفظ لمسلم - عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوسًا بيابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال: فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكنًا. قال: فقال: والله لأقولنَّ شيئًا أضحك رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله ، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة ، فقمْتُ إليها فوجأتُ عُقْهَا ، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هَنِّ حولي كما ترى يسألني النفقة»؛ فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عُقْهَا ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عُقْهَا ، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده! فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده. ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...﴾ حتى بلغ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة ، إنني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحبُّ ألا تعجلي فيه حتى



جَوَاهِرُ الدَّرَجَةِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

تستشيرني أبويك». قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تُخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها. إن الله لم يبعثني مُعْتَنًا ولا مُتَعْتَنًا، ولكن بعثني مُعَلِّمًا مُبْسِّرًا» (١).

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم.



الْمَجْنَةُ السَّابِعُ سورة القيامة والبلد

سُمِّيَتْ سورة القيامة بهذا الاسم لوقوع القسم بيوم القيامة في مُسْتَهْلَهَا ، وَسُمِّيَتْ في بعض كتب التفسير: سورة لا أُقْسِمُ ، وهي مَكِّيَّةٌ باتِّفَاقِ علماء التَّنْزِيلِ ، وهي الحادية والثلاثون نُزُولًا بعد سورة القارعة ، وقبل سورة الهُمزة .

يغلبُ على السّورة من حيثُ المضمون الحديثُ عن يوم القيامة ، وأُشْرَاطُهُ ، وإثبات الجزاء على الأعمال ، وذكرُ اختلاف أحوال الناس يوم القيامة بين سعداء وجوهم ناضرة ، تستمتع بالنظر إلى ربّها الكريم ، وبين أشقياء وجوهم باسرةٌ كالْحَةِ ، عن رؤية ربّهم محجوبون .

كما جاء فيها تذكيرٌ بالموت ، وبيانٌ لمرحلة الاحتضار التي يمرُّ بها البشرُ أجمعون ، وزجرٌ عن إثارة متاع الدّنيا الزّائل على نعيم الآخرة الدّائم .

أمّا سورة البلد؛ فهي مَكِّيَّةٌ في القول الرَّاجِح ، وعُدَّت الخامسة والثلاثين في تعداد نزول السّور ، بعد سورة «ق» ، وقبل سورة الطّارق .

جاء في مطلعها القسم بمكّة المكرّمة ، وبيانٌ لمُقام النّبيّ المُبارك



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

محمد ﷺ بها ، وتنويهً بأسلافه من الرسل والأنبياء ، الذين أقاموا بها مثل إبراهيم خليل الرحمن ، وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وذكر الإنسان الذي خلقه الله تعالى ليدوق شدة الابتلاء في هذه الدنيا .

ثم جاء فيها تذكير للإنسان بنعم كثيرة أنعم الوهاب الكريم عليه بها ، مثل نعمة العقل المميز ، ونعمة الحواس ، ونعمة الأرزاق المتنوعة . وعوض أن يقوم الإنسان بالشكر والحمد على ما أسدى إليه ربه من النعم ، فإنه يُبادر إلى الجحود والكفران ، مُتَكَبِّراً ومُتَعَالِياً ، وجاحداً اليوم الذي ترجع فيه الخلائق إلى الله ، ومن ثم جاء وصف حال الفريقين في ذلك اليوم العظيم : فريق أصحاب الميمنة ، وفريق أصحاب المشأمة .

وليس من مقصود هذه الأسطر أن تُحلَّل مضمون السورتين أو الوقوف على ما قاله علماء التفسير في شرح آياتهما؛ فأسفار التفسير قديمها وحديثها حافلة بدلالات الألفاظ ، ومعاني الآيات ، وما يُستنبط منها من أحكام . وإنما المراد في هذا المقام بيان الروابط الموضوعية التي تجمع بين سورتي القيامة والبلد بحكم استهلال كل منهما بصيغة القسم ﴿لَا أَقِيمُ﴾ ؛ فالله جل ثناؤه ، وعظمت حكمته لا يبدأ سورتين قرآنتين أو أكثر بالبداية اللفظية نفسها إلا إذا كان ثمة ما يربط بين السورتين ويوحد بينهما في المضمون العام ، ويجمع بينهما في كثير من الملامح والمعالم .

ويمكن إيجاز ما يجمع بين سورتي القيامة والبلد فيما يأتي :

١ - الاشتراك في صيغة القسم بعبارة ﴿لَا أَقِيمُ﴾ في بداية

السورتين:

﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿١﴾ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ [القيامة : ١ - ٢] .



﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

وفعلُ القسم المنفي ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ الأرجح عند جميع اللغويين أنه يُفيدُ تأكيد القسم. قال الزمخشري: «إدخالُ (لا) النافية على القسم مُستفيضٌ في كلامهم وأشعارهم.

قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنني أفر
وقال غوثة بن سلمى:

ألا نادى أمانةً باحتمال لتحزني فلا بك ما أبالي
وفائدتها تأكيدُ القسم»^(١).

ورجح الرازي أنها تُفيدُ النفي ، وهي في هذا السياق لنفي القسم؛ فالله تعالى يقول: لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ، ولكني أسألك غير مُقسمٍ ، أتُحسبُ أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت ، فإن كنت تُحسبُ ذلك ؛ فاعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك.

ثم قال: «كأنه تعالى يقول: لا أقسمُ بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب؛ فإن إثباته أظهر وأجلى وأقوى وأحرى»^(٢).

وورود صيغة ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ ليس أسلوباً خاصاً بالسورتين فقط ، وإنما ورد في مواضع أخرى من الذكر ، ويجمع بينها على تعددها أنها جاءت في سياق القسم على حكم أو ظرف من ظروف الإنسان ، وفي

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٦٥٨ .

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٣٠ ، ص ٧٢٠ .



سياق القسم على عظمة القرآن الكريم .

القسم بشأن الإنسان :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴾ [٤٠] عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ [المعارج : ٤١] .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ [١٦] وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ [الانشقاق : ١٦ - ١٩] .

القسم بشأن القرآن :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ [٧٥] وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ [الواقعة : ٧٥ - ٧٦] .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴾ [٣٨] وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ [الحاقة : ٣٨ - ٤٣] .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَيْسِ ﴾ [١٥] الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ [التكوير : ١٥ - ١٩] .

٢ - الاشتراك في الحديث عن الإنسان :

تحدثت السورتان عن الإنسان من حيث كونه إنساناً مُفكراً عاقلاً ، يسأل ويُجيب ، ويتأمل في شأن ذاته ووجوده في هذا الكون ، من حيث حبه لهذه الدنيا ، واغتراره بما فيها من ملذات ومُشتهيات ، ومن حيث تنكره للنعم التي أنعم عليه بها مولاه ، ومن حيث تكبره في هذه الدنيا مُعتزاً بماله وملكه ، ومن حيث عدم خشيته لربه ، وحسابه بأن ربه لا يراه ، وقد تكرر لفظ (الإنسان) في سورة القيامة ٦ مرّات ، وجاء ذكره بالاسم الظاهر في سورة البلد مرّة واحدة ،



وجاء ذكره بضمير الكناية مرّات عديدة في السّورتين :

﴿ اِيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ [القيامة : ٣] .

﴿ بَلْ يَرِيدُ الْاِنْسَانُ لِيَفْجَرُ اَمَامَهُ ﴾ [القيامة : ٥] .

﴿ يَقُولُ الْاِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ اِنْ اِلَهٍ اِلَّا الْفَرُّ ﴾ [القيامة : ١٠] .

﴿ يُنَبِّئُ الْاِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَاَخَّرَ ﴾ [القيامة : ١٣] .

﴿ بَلِ الْاِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة : ١٤] .

﴿ اِيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣٦] .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد : ٤] .

٣ - التَّحَدُّثُ عَنْ حُسْبَانِ الْاِنْسَانِ وَظَنِّهِ :

هذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى ليحمل أمانة الخلافة في الأرض ، وزوّده بالوسائل التي تُمكنه من القيام بأعبائها ، وعبادة الله في الأرض ، سُرعان ما تستهويه الدُّنيا بما فيها من ملذات ومُغريات ، ويستجيبُ لها واقعاً في حماة المعاصي الآسنة المحفوفة بالمُشتهيات الجاذبة ؛ فهذا الإنسان - تحت وطأة ما يُحيط به ، وتحت وطأة ما يتقلّب فيه من ذنوب وخطايا - تختلُّ موازينُ الحكم في عقله ، ويُصبح مُحتكماً للهوى ، مُفضّلاً الظُّنون على الحقائق ، ومُؤثِّراً الحُسبان على الجزم ؛ من هنا جاء في السّورتين اللّتين خصّصهما الله تقدّست أسماؤه للحديث عن أحوال الإنسان حديثٌ عن حُسبان هذا الإنسان ، وإبطالُ لظنونه وأوهامه ؛ فهو ضحيّة ظنون غير صحيحة ، وأوهام باطلة ، لا بدّ أن يستفيق من سباته ، ويعود من غيابات انحرافاته الفكرية ، ويعود ليحتكم إلى الشّرع القويم ، مُستعملاً ميزان العقل الصّحيح في جميع القضايا التي تواجهه في حياته : قضيّة



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

الخلق ، وقضية الحياة التي يقضيها في هذه الأرض ، وقضية الموت ، والرجوع إلى الله تعالى ، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء :

﴿ اَيْحَسِبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ ﴿٢﴾ بَلَى قَدَرَيْنَ عَلَيَّ اَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿ [القيامة : ٤] .

﴿ اَيْحَسِبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدى ﴾ ﴿ [القيامة : ٣٦] .

﴿ اَيْحَسِبُ اَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ اَحَدٌ ﴾ ﴿٦﴾ يَقُولُ اَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا ﴿ [البلد : ٥ - ٦] .

﴿ اَيْحَسِبُ اَنْ لَّمْ يَرَهُ اَحَدٌ ﴾ ﴿ [البلد : ٧] .

والذي يجعلنا نحكم بتجاذب موضوعي السورتين ، والقطع بوحدهما ؛ ليس موضوع الإنسان المُتَحَدِّثُ عنه فقط ، وإنما الصيغة المُستعملة ﴿ اَيْحَسِبُ ﴾ ؛ فهذه الصيغة في حالة الأفراد لم تأت في القرآن الكريم كله إلا في هاتين السورتين ، وهذا يدلُّ على أنهما خرجتا من مشكاة بيانية واحدة ، بل هما مُتكاملتان ، تُكْمِلُ إحداهما الأخرى ؛ فسورة القيامة تطرح على عقل الإنسان ، كلَّ إنسان ، هذا التساؤل الذي يُوقفه بشأن يوم البعث ، حيثُ يجمع الله عظام كل إنسان بعد أن أصبحت رفاتاً ورميماً : ﴿ اَيْحَسِبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ ﴿٢﴾ بَلَى قَدَرَيْنَ عَلَيَّ اَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿ [القيامة : ٤] .

وهذا الإنسان ، ليس متروكاً في هذه الدنيا سُدى ، يفعل ما يشاء ، ويُعْرِيدُ فيها كما يشاء ، ولا يُحَاسِبُ على ما يصدرُ منه ، بل هو تحت قبضة الله تعالى ورقابته ، وتحت علمه وبصره : ﴿ اَيْحَسِبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدى ﴾ ﴿ [القيامة : ٣٦] .

فهذا الإنسان الذي تحدّثت عنه سورة القيامة ، وفضحت كثيراً من خبايا نفسه ، وفضحت كثيراً من حُسابه الباطل ، وظنّه الدّاحض ، جاءت سورة البلد المماثلة لها في المطلع ، واللاحقة نزولاً ، تُواصِلُ



الحديث عن حسبانه الباطل ، وظنه الموعج : ﴿ اَيْحَسِبُ اَنْ لَّنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ اَحَدٌ ﴾ يَقُولُ اَهْلَكَتُمْ مَا لَا بُدَّا ﴿ [البلد : ٥ - ٦] ، ﴿ اَيْحَسِبُ اَنْ لَّمْ يَرَهُ اَحَدٌ ﴾ [البلد : ٧] .

والجدير بالتنبيه إليه أن فعل الحُسبان ورد مرتين في كلٍّ من السورتين ، وهذا من التناسق العظيم ، والتوافق البديع الذي يتميز به البيان القرآني في أسلوبه وعرضه .

٤ - حديث السورتين عن أعضاء جسم الإنسان:

حَفِلَت سورتا القيامة والبلد بذكر أعضاء عديدة من جسم الإنسان ، وبعضٌ منها لم يُكرَّر في القرآن في موضع آخر ، والأعضاء التي جاء ذكرها في السورتين هي كالآتي :

سورة القيامة : (عظامه ، بنانه ، البصر ، لسانك ، وجوه ، التراقي ، الساق ، نطفة ، مني ، علقه) .

سورة البلد : (عينين ، لساناً ، شفتين ، رقبة) .

والذي يجعل القارئ المتدبرَّ يزدادُ دهشةً وإعجاباً ؛ الانسجامُ بين هذه الأعضاء ومواضع ورودها ؛ ففي سورة القيامة التي تتحدثُ عن النشأة وعن يوم القيامة ، جاء فيها ذكرٌ لمواد النشأة الأولى (المني ، نطفة ، علقه) ، وحين يقترب الأجل ، ويدخلُ الإنسان في حالة الاحتضار ، جاء ذكرُ (التراقي ، والتفاف الساق بالساق) ، وعند قيام الساعة وبعث الخلق أجمعين جاء ذكرُ (العظام ، وتسوية البنان) ، وبعد الحساب والفصل جاء ذكر (وجوه) السعداء ، و(وجوه) الأشقياء .

أما سورة البلد ، التي ركزت فيها العدسةُ البيانية على أحوال الإنسان في الدنيا ، وحُسبانه الخطأ أنه لا يراه أحد ، وأنه غيرُ



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

مُرَاقِبَ ، فقد جاء فيها ذِكْرُ نعمة (العينين ، واللسان ، والشففتين) ، وهذه حواسٍ يحتاج إليها الإنسان في إقامة شؤون حياته ، وجاء فيها ذِكْرُ الرِّقَابِ التي يستعبدُها البشرُ إهانةً وإذلالاً ، وهم مُطالبون إذا حرصوا على النجاة يوم لقاء الله أن يفكّوا جنس الرّقبة حتّى يقتحموا بسلام العقبة : ﴿ فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَبَكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ ١٢ ﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿ ١٣ ﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿ ١٤ ﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿ ١٥ ﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿ ١٦ ﴾ [البلد : ١٦] .

وبمثل هذا الوضوح ، يبدو جلياً كيف أنّ السّورتين اللّتين تحدّثتا عن شأن الإنسان في العاجلة والآجلة ، قد حفلتا بذكر (١٤) أربعة عشر لفظاً من قاموس ألفاظ جسم الإنسان ، بعضٌ منها يتعلّق بمرحلة النّشأة ، وبعضٌ يتعلّق بالحواس ، واللفاظ أخرى تتعلّق بجوارح أخرى .

٥ - حديثُ السّورتين عن السّعداء والأشقياء :

جاء في السّورتين حديثٌ عن الفريقين : فريق أهل الجنّة ، وفريق أهل النّار ، وقد جاء التعبير عنهم في سورة القيامة بوصف وجوههم ؛ فالسّعداء الفائزون وجوههم مبيضةٌ تغشاها نضرة النّعيم : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿ ٢٢ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] ، والأشقياء المتقلّبون في النّار وجوههم مُسوّدة ترهقها قتره الجحيم : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿ ٢٤ ﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٤ - ٢٥] .

أمّا سورة البلد ، فتحدّثت عنهم بأسلوبٍ صريح ، وذكرت جملةً من أعمال كلّ منهم ، وقد جاء التعبير عنهم بأصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة . قال جلّ شأنه : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿ ١٧ ﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿ ١٨ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿ ١٩ ﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ [البلد : ١٧ - ٢٠] .



مِمَّا سَبَقَ عَرْضُهُ ، تَبْدُو نَقَاطُ التَّلَاقِي بَيْنَ سَوْرَتِي الْقِيَامَةِ وَالْبَلَدِ ،
 مِنْ حَيْثُ الْمَضَامِينُ الْمُتَشَابِهَةُ ، وَالصَّيَغُ التَّعْبِيرِيَّةُ الْمُتَشَابِهَةُ ،
 وَالتَّكَامُلُ الْمَوْضُوعِيُّ ، الَّذِي يَلْمَسُهُ كُلُّ مُتَدَبِّرٍ فِي قَامُوسِ أَلْفَاظِ جِسْمِ
 الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .



الْمَجْتِثُ الثَّامِنُ

سورتا المطففين والهمزة

تشارك سورتا المطففين والهمزة في مطلعتهما ، إذ افتتح الباري كليهما بالتعبير (ويلٌ لـ)؛ فالمطففون لهم الويل ، والهمزة اللمزة له الويل . ووفق المقاربة التفسيرية التي نحن بصدد إيضاح معالمها في هذا الكتاب ؛ فإنه لا يستقيم في العقل المستنير بنور القرآن أن تفتتح هاتان السورتان بالمطلع ذاته ، ثم لا تكون بينهما روابط في الموضوعات تجمععهما أو ألفاظ تتجاذب فيما بينهما ، أو أنساق تعبيرية تتشابهان فيها . وقبل الخوض في لجة المقارنة بين الثوبين اللفظيين للسورتين ، يحسن أن نسوق بين يدي القارئ الكريم تعريفا موجزا لكل سورة ، ثم نشرع في نسج خيوط المقارنة المضمونية واللفظية بينهما .

بين يدي سورة المطففين:

اختلف أهل التفسير في مكية سورة المطففين أو مدنيتهما؛ ومرد اختلافهم تضارب الروايات التي وردت بشأن تحديد وقت نزول آياتها؛ فالسورة مدنية وفق ما أورده الإمام ابن كثير في تفسيره ، نقلا عن الإمامين النسائي وابن ماجه ، اللذين روايا حديثا موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «لما قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي تَعْلِيلِ مُقَارَنَةِ السُّورِ

النَّاسَ كَيْلًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فَحَسَّنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ «^(١)» .

وأورد الإمام القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) بأنها مكية في قول ابن مسعود والضَّحَّاك ومقاتل ، ومدنية في قول الحسن وعكرمة^(٢) .

وسورة المطففين لا تخرج عن الإطار العام للقضايا التي عالجها القرآن المكي ؛ إذ يجدُّ المتدبِّر في آياتها حضوراً لمسألة البعث بعد الشُّور ، وحديثاً عن انقسام النَّاس يوم القيامة إلى أبرار وفُجَّار ، ووصفاً لمشاهد نعيمهم وتعذيبهم ، وحديثاً عن موقف أهل الكفر من أهل الإيمان .

إلا أن الموضوع البارز الذي يطفو في مطلعها هو موضوع تطفيف الميزان ، والنقص في المكيال الذي كان عادة منتشرة في الجاهلية لدى كثير من الأقوام . وعلى الرَّغم من أن هذا الموضوع ينتمي إلى حقل المعاملات ؛ إلا أنه جاء في سورة المطففين ، التي أشرتُ إلى اختلاف أهل التفسير في موضع نزولها : أفي مكة المكرمة أنزلت ، أم في المدينة المنورة ؟

بين يدي سورة الهُمة:

سورة الهمة مكية باتفاق أهل العلم بأسباب النزول وتاريخ نزول سور القرآن الكريم ؛ فقد ذكر الإمام الزركشي في البرهان أنها الثانية والثلاثون نزولاً بعد سورة القيامة ، وقبل سورة المرسلات ، وهي الرَّابِعة بعد المائة في ترتيب المصحف الشريف .

(١) رواه النسائي وابن ماجه .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ٢٥٠ .



المحور العام الذي تناقشه هو محور الأخلاق والمعاملة بين الناس ، حيث تبشّر الهمزة اللّمْزَةُ بشرّ المصير ، بنار مؤصدة يذوق فيها ألوان العذاب ، ويُنبذ فيها مُهانًا . وإمعانًا في تأنيبه وتوبيخه جاء فيها وصف النار بأنّها الحُطمة الموقدة التي لا تبقي ولا تذر ، وتأتي على جميع أعضائه ، بل تطلع على فؤاده .

الرّوابط المضمونيّة واللفظيّة بين السّورتين:

أحيانًا لا تُظهر القراءة الأولى للسّورتين ما بينهما من علاقة ، ويسود نوعٌ من التّردّد في ذهن الباحث ، الذي اقتنع بأنّه لا بدّ أن تكون بين السّور المتشابهة المطالع أنواع من العلاقات والرّوابط ، رشّحتها للانتماء إلى أسرة واحدة ، وإلاّ فما الحكمة - والقرآن هو كلام العليم الحكيم - أن تتشابه في المطالع في كلمتي (ويلٌ لـ)؛ أولاهما تُنذر المطففين بالويل ، وثانيتها تُنذر الهمزة اللّمْزَةُ بالويل .

١ - تتناول سورة المطففين موضوع تطفيف الميزان ، الذي شاع وذاع في أهل مكّة وفي أهل المدينة في إبان نزول الوحي ؛ فالمطففون دأبهم أنّهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون حقوقهم في الكيل والميزان ، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم يُخسرون في الميزان ، ويبخسونهم حقوقهم .

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ ﴾ [المطففين : ١ - ٣] .

والتّطفيف لغة هو إنقاص الشّيء الطّفيف أثناء الوزن ، والمطففون من التّجار لا يدفعهم إلى التّطفيف في الميزان إلاّ جشعهم وحبّهم للمال ، وعدم مراعاتهم لحقوق الآخرين .

أمّا سورة الهمزة ، فهي تتناول موضوعًا أخلاقيًا خطيرًا ، وهو



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلَالِ مُقَارَنَةِ السُّورِ

عادة ازدراء الناس وتحقيرهم بهَمْزُهم ولمْزُهم ، بالإشارات والألفاظ القبيحة والألقاب الشنيعة ، التي لا تُرضي المخاطبين . قال جل شأنه : ﴿وَلِلَّهِ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ﴾ [الهمزة : ١] .

جاء في لسان العرب : همز رأسه يهْمَزُهُ همزاً : غمزه . وهمزه : دفعه وضربه . والهمَّاز والهُمَزَةُ : الذي يهْمزُ أخاه في قفاه من خلفه ، والهمْزُ : الغَضُّ والكسْرُ والعيْبُ^(١) .

وذكر ابن منظور في اللسان أيضاً لدى شرحه معاني مادة (لمز) : «اللَّمْزُ كالْغَمْزِ في الوجه تَلْمِزُهُ بفيك بكلام خفيّ . قال : ومنه قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة : ٥٨] ، أي : يُحَرِّكُ شفتيه . ويقال : لمزته ولهزته إذا دفعته ، وذكر عن الفراء قوله : الهمز واللَّمْزُ والمرْزُ واللَّقْسُ والنَّقْسُ : العيبُ»^(٢) .

وجاء في فتح القدير : الهُمَزَةُ هو الذي يهْمزُ الناس بيده ، واللَّمَزَةُ الذي يَلْمِزُهم بلسانه ، وهذه الرواية عزاه لمجاهد وهو من أئمة التفسير . وذكر أن الإمام الثوري كان يقول : «يهْمزُهم بلسانه ، ويلْمِزُهم بعينه» . وذكر أن ابن كيسان قال : الهُمَزَةُ الذي يُؤْذِي جُلُساءه بسوء اللفظ ، واللَّمَزَةُ الذي يَكْسِرُ عينه على جلسه ويشيرُ بيده وبرأسه وبحاجبه»^(٣) .

مما سبق ، يتضح أن الهمزة اللَمَزَةُ حِرْفَتُهُ أَنَّهُ يَنْتَقِصُ مِنْ مَنَازِلِ النَّاسِ . يَغْتَابُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ وَفِي غَيْبَتِهِمْ . يَشِيرُ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ ، وَيَغْمِزُهُمْ بِعَيْنِهِ ، وَيَوْمِي إِلَيْهِمْ بِشَفْتَيْهِ ، وَيَزْدَرِيهِمْ بِعَيْنِهِ ، وَكُلُّ هَذِهِ

(١) لسان العرب ، مادة همز .

(٢) لسان العرب ، مادة لمز .

(٣) الشوكاني فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٦٢٨ .



الإشارات هي انتقاص من شأنهم ، وتحقير لقيمهم ، وتصغير لمنازلهم ، وبلغة التجارة والبيع هي تطفيف من قيمة كل منهم .

وبهذا يتضح أن سورة المطففين تناقش مسألة تطفيف الميزان والإنقاص منه ، وسورة الهمزة تناقش موضوع ازدراء الناس واحتقارهم ، ويلتقي الموضوعان في التطفيف والإنقاص .

.. علاوة على اتحاد السورتين في موضوع النيل من حقوق الناس وازدراءهم وبخس حقوقهم المادية والمعنوية ، نجد أن سورة المطففين خصّصت جملة من الآيات في نهايتها لوصف معاملة المشركين للمؤمنين؛ حيث إنها أبرزت جانب التغامز بالمؤمنين ، والاستهزاء بهم ، والضحك عليهم .

قال جلّ شأنه : ﴿ إِن الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ [المطففين : ٢٩ - ٣٣] .

جاء في التفسير الوسيط : « وإذا مرّ هؤلاء المجرمون بالمؤمنين سخرّوا منهم ، وتغامزوا فيما بينهم على سبيل الاستهزاء بفقراء المؤمنين . والتغامز تفاعل من الغمز ، وهو الإشارة بالجفون والحواجب على سبيل الطعن والتّهكم . أي : يغمز أحدهم الآخر لينبّه إلى ما عليه فقراء المسلمين من شظف العيش ، ومن غير ذلك من الأحوال التي لا يرضاها المشركون لجهلهم وغرورهم وبلادة حسّهم .

﴿ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ أي : وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى أهلهم من مجالسهم التي كانوا فيها ، رجعوا متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين والسخرية منهم .

فهم لإيغالهم في الكفر والفسوق والعصيان ، لا يكتفون بالغمز



واللّمْز عندما يرون المؤمنين ، بل يجعلونهم عند عودتهم إلى أهلهم مادة تفكّهم وضحكهم»^(١).

وقد ردّ الله تبارك وتعالى عليهم سخريّتهم وتغامزهم بأهل الإيمان بأنّ مصيرهم سيكون شرّ مصير ، وبأنّ عاقبتهم هي السّوأى ؛ إذ ستقلبُ الكرة لصالح المؤمنين ، وسيضحكون من المشركين ، وينظرون إليهم وهم يُعذبون ويُزجّ بهم في سواء الجحيم : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين : ٣٤ - ٣٦].

لا أظنّ بعد هذا الإيضاح ، أنّ واحداً من أهل العلم يُخالف في النتيجة التي توصّل إليها هذا البحث من أنّ هاتين السّورتين ، ما افتتحهما الباري جلّ ثناؤه بهذين المطلعين المتشابهين ؛ إلّا وبينهما من الرّوابط والوشائج ما يجعل القارىّ يقطع أنّهما تنحدران من أسرة واحدة.

٢ - من ناحية أخرى ، لو سألنا هذا السّؤال : ما الذي يدعو المطفّف إلى التّطفيف؟ فإنّ الجواب هو جشعُ المطفّف وحبّه للمال ، وحرصه على الحصول عليه بكل الطرق حلالها وحرامها. أقول : إنّ هذا المعنى هو ذاته المعنى الذي جاء في وصف الهُمزة اللّزمة ، حيث ذكر جلّ شأنه أنّه : ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ [الهزة : ٢]. وفي هذه النّقطة أيضاً يلتقي المطفّف والهُمزة اللّزمة ، فهما حريصان على المال ، وكم أذلّ المال من صنديد الرّجال!

(١) محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط ، دار السعادة ، القاهرة ، ج ١٥ ، ص ٣٢٨.



٣ - سجّلت سورة المطففين أنّ المطففين لا يُقدّمون على عاداتهم الشّنيعة وفعلتهم الفضيعة في تطفيف الميزان إلّا لأنّهم لا يؤمنون باليوم الآخر ، ولا يظنون أنّهم ملاقو ربّهم في ذلك اليوم العسير ، ولا يوقنون بأنّهم واقفون بين يديه . قال الله تعالى في حقهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ٤ - ٦].

وهذا المعنى ذاته هو الذي جاء التعبير عنه في سورة الهمزة ، بأنّ الهمّاز اللَّمَّاز يظنّ أنّ ماله سيُخلدُه ، ولا حسابان ليوم القيامة في خلدِه ، ولا اعتبار له في عقله ووجدانه: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ ﴿١﴾﴾ [الهمزة: ٣].

٤ - تلتقي السّورتان في توظيف أداة الرّدع (كلّا) حيث جاء في سورة الهمزة قوله تعالى: ﴿كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ﴿١﴾﴾ [الهمزة: ٤]. والحُطْمَةُ نارٌ موقدةٌ متأججةٌ مُحَرَقَةٌ يُلْقَى فيها الهمزة اللَّمزة بطريقة مُهينة مُزريّة ، والذي يدلّ على الإلقاء المُزري في النار هو فعل ﴿لِيُنْبَذَنَّ ﴿١﴾﴾ ، وهو من قبيل الجزاء من جنس العمل؛ فكما أنّ الهمزة اللَّمزة اعتاد أن يُزري بالنّاس ، وأن يُهينهم وينتقص من أقدارهم ، فكذلك يلقي المصير ذاته في اليوم العسير الذي نسيه ، حيث يُنبذ ويُلقي مهاناً ذليلاً حسيراً خاسئاً في قعر الحُطْمَةِ.

وثمة لطيفة لغويّة تميّز بها سورة الهمزة دون أخواتها المكّيات والمدنيّات ، هي توظيف صيغة (فُعَلَة) التي لم تتكرّر في القرآن كلّه إلّا في هذه السّورة ، في وصف هذا الإنسان الشرير ، الذي ينتقص من أقدار النّاس ، ويزري بهم فهو هُمزةٌ لُمزة ، وهذه الصّيغة تدلّ بينائها على المبالغة في الاتّصاف بالفعل.



جاء في الدَّرِّ المصون: «فُعْلَةٌ بفتح العين ، لمن يكثر منه الفعل ، وبسكونها لمن يكون الفعلُ بسببه»^(١).

واللَّطِيفَةُ البَيَانِيَّةُ تبدو جليَّةً في اسم النَّارِ ، التي اختير لها في سورة الهمزة صيغة فُعْلَةٌ (الْحُطْمَةُ) ، وهذا أيضا من قبيل كون الجزاء مجانسًا للعمل ؛ فإنَّ النَّارَ التي يصلّاها الهمزة اللَّمزة صيغت على وزن وصفه ، وكأني بالبيان القرآني يومئ إلى أنها نارٌ حيكت على قدّه ، وأعدّت مشاكلةً لوصفه .

قلت: جاءت أداة الرَّدْع (كَلَا) في هذا التعبير ﴿ كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ﴾ [الهمزة: ٤] ، وتكرّرت في سورة المطففين أربع مرّات في الآيات التالية:

﴿ كَلَّا إِنْ كُنْتَ الْفَجَّارِ لَفِي سَجِينٍ ﴾ [المطففين: ٧] .

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] .

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] .

﴿ كَلَّا إِنْ كُنْتَ الْآبِرَارِ لَفِي عِلَلٍ ﴾ [المطففين: ١٨] .

• - تقنيّة لغويّة أخرى جاء توظيفها في السّورتين ، وهي عبارة (وما أدراك ما ...)؛ حيث جاء في سورة المطففين قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴾ [المطففين: ٨] ، وجاء قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ ﴾ [المطففين: ١٩] ، وجاء في سورة الهمزة قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴾ [الهمزة: ٥] .

وجملة (وما أدراك ما كذا...) من مبتكرات التعبير القرآني ،

(١) السمين الحلبي ، الدر المصون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ٦ ، ص ٥٦٨ .

وهي تستعمل في تفخيم الأمر وتهويله. قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣]: «أي شيء أعلمك ما هي؟ تأكيدٌ لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات، علي معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكادُ تبلغه درايةُ أحدٍ ولا وهمه، وكيفما قدّرت حالها فهي وراء ذلك وأعظم وأعظم، فلا يتسنى الإعلام، ومنه يُعلم أن الاستفهام كُنِيَ به عن لازمه من أنها لا تُعلم ولا يصل إليها درايةُ دارٍ، ولا تبلغها الأوهام والأفكار»^(١).

وقد أورد القرطبي في تفسيره رواية عن سفيان بن عيينة قوله: «كل شيء قال فيه: (وما أدراك) فإنه أخبر به، وكل شيء قال فيه: (وما يدريك) فإنه لم يُخبر به»^(٢).

٦ - اختلف المفسرون طرائق قدداً في المراد بكلمة (سجّين) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]؛ فمنهم من فهم من السياق أن (سجّين) هي اسمٌ من أسماء النار، ومنهم من ذكر بأن (سجّين) هي الكتاب المرقوم الخاص بالفجار، ومنهم من قال: إنها صخرة تحت الأرض السابعة، ورأيي رابعٌ بأن سجّين هي الأرض السابعة السفلى، وخامس بأنه جُبٌّ مغطى، وسادس بأنه حبس ضيقٌ شديد، وغيرها من الأقوال^(٣).

(١) الآلوسي، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلامي، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج ٢٩، ص ٦٤.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد رضوان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ج ٢١، ص ١٨٩.

(٣) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: كامل محمد الخراط، وماهر حبّوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ج ٢٢، ص ١٤٠، ١٤١.



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

والذي يترجّح لدى الباحث ، أن (سجّين) اسم يُطلق على النار المغلقة ، والكلمة مشتقة من (سجن) على وزن (فَعِيل) ، وصيغة (فَعِيل) في اللغة العربيّة تُطلق للمبالغة مثل: شَرِيب ، وفَسِيق ، وخَرِيت ، وصِدِّيق .

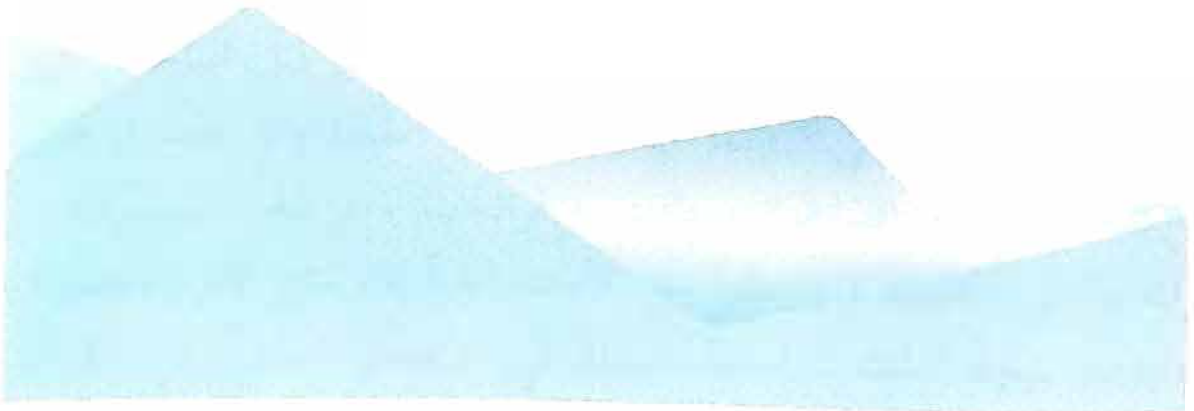
والذي يدعونا إلى هذا التّرجيح ، هو أن سورة الهمزة وصفت الحُطمة بأنها نارٌ مغلقةٌ مؤصدةٌ على أهلها. قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۖ فِي عَمْدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨ - ٩]. وبما أن السورتين متشابهتان في مطلعيهما ، فإن كثيراً من المضامين والمعاني فيهما تتشابه كما رأينا في نماذج من الأسر القرآنية ، التي بسطنا فيها القول سابقاً مثل أسرة (تبارك الذي) ، وأسرة الحمد ، وأسرة المسبّحات وغيرها .

هذه نتيجة مباشرة من النتائج التي يتحصّل عليها المتدبّر في كتاب الله تعالى ، حين يعمدُ إلى قراءة سور القرآن الكريم بطريقة تكاملية ، وينظر في النصوص نظرات إجمالية ، والله أعلم بأسرار التّنزيل .



الفصل الثاني

السور المتشابهة الفواصل





الفصل الثاني

السور المتشابهة الفواصل

في هذا الفصل ، سيتم الحديث ، بإذن الله تعالى ، عن وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم الخاص بالأسر القرآنية. وهذا الوجه لا يتعلّق بتشابه المطالع ، وأثره في التّكامل والتّرابط بين الأسر القرآنية ، كما رأينا في مباحث الفصل الأوّل ؛ وإنّما يتعلّق بتشابه الفواصل في السّور القرآنية؛ فكما هو معلوم ، فإنّ نهايات الآيات في السورة القرآنية سمّاها علماء التّنزيل الفواصل ، تفريقاً بينها وبين الأسجاع والقوافي ، التي ارتبطت في أذهان جميع قراء العربيّة ، وفي الاستعمال الأدبي بفنّ الشعر .

والنّظر من هذه الزّاوية في نصوص التّنزيل أمرٌ خطرٌ غير مسبوق ، وفجّ من البحث عميق غير مسلوّك ، لم تتطرّق إليه الدّراسات السّابقة ولا المعاصرة ، وليس ذلك لصعوبته ، أو دقّة مسالّكه ، ولكن لأنّ طريقة تناوُله ، وزوايا مُناقشته لم تكن مسلوكةً من قبل الباحثين في عهود التدوين الأولى. ولَمّا جاء الباحثون المُحدّثون عكفوا على ما كتبه المُفسّرون السّابقون وجادت به قرائحهم ، فوسّعوا القول فيه ، وأبدعوا في تفصيله ، وربطوا بين الآيات القرآنية وشتّى علوم العصر؛ فظهرت نتيجةً لذلك دراساتٌ أصيلةٌ في الإعجاز العلميّ في القرآن



جَوَاهِرُ الدَّرَافِي فِي عِلْمِ مَقَارِنِ الْقُرْآنِ

مثل: الإعجاز العلمي في علم الأجنّة ، وعلم الفلك ، وعلوم الأرض والبحار ، والسحاب والرياح ، وغيرها. ولما توسّعت دائرة البحث الإعجازية كان قصارى ما توصّلت إليه الفهوم والأذهان ، أن ربطت بين الآيات القرآنية وبين العلوم الإنسانية المتنوعة ، مثل: علاقة القرآن بعلم النفس ، وبيان السّبق القرآني في لغة التواصل غير اللفظي والإدارة وغيرها.

أما أن يَتِمَّ النَّظَرُ في آيات القرآن وسُوره نظرةً إجماليةً وشاملةً تُحدِّدُ جمالَ النصِّ المُعْجَزِ ، وتُوضِّحُ الصّورةَ الكُبرى للمعجزة العقلية الخالدة ؛ فذلك ما لم تخض في لججه أذهانُ الباحثين ، ولم تجر به أقلامُ الدّارسين إلّا في بعض الدّراسات الحديثة التي تتنوع أساليب وطرائق البحث فيها.

وحتى لا يعزّب ذهنُ القارئ عن حقيقة الفكرة الجديدة ، التي تُحاولُ المباحثُ الآتيةُ تجليتها ، يحسُنُ تحديدُ معالم هذه المقاربة ، وملامحها بشيءٍ من التّقْصِي التّاريخي ، والتأصيل النظري ، ثم يأتي دورُ تقديم نماذج تطبيقية ، توضّحها وتثبتها في أذهان القراء المُتدبّرين في خبايا النصِّ المُعْجَزِ.

تحدّث المفسّرون عن إحكام النصِّ القرآني وعظمته ، وتحدّثوا عن تكامل آياته وسُوره ، وخاض الذين عُنوا منهم بالتفسير الموضوعي في جمع الآيات ، التي تتحدّث عن الموضوع الواحد مُجرّين مقارنات بينها ، ذاكرين بعض خصائص الموضوع الواحد ، ممّا تجمّع لديهم من معارف حول هذا الموضوع أو ذاك ، وقد تمّ في الغالب تناول هذه المواضيع تحت عناوين مثل: العلم في القرآن ، المَكْر في القرآن ، التّقوى في القرآن ، أو تمّ دراسة الموضوع دراسة



دلالية مثل: ألفاظ الجنة في القرآن ، وألفاظ النار في القرآن وغيرها .
وأيضا تناولوا من جهة أخرى السورة القرآنية في كثير من البحوث
والدراسات ، التي تتعلّق بالتناسق الموضوعي في سورة كذا ،
والوحدة الموضوعية في سورة كذا وكذا .

وما قدّمه الباحثون وما يقدّمونه في التفسير الموضوعي عملٌ
عظيم ، وهو يُيسّر للقارئ التّعرّف على الموضوع الواحد من جميع
أقطاره وزواياه في القرآن الكريم ، ولكن يبقى هذا العمل في إطار
محاولة الجمع بين الآيات المتشابهة المضامين .

أمّا المقاربة الجديدة ، التي يبسطها هذا الفصل ، فهي تتعلّق بنمط
جديد من العلاقات والمناسبات أفرزها تشابه الفواصل ، ودلّت
المقارنة النقدية الكاشفة أنّ السورتين أو السور التي تتشابه فواصلها أو
تتشابه أغلب فواصلها تجمعها روابط كثيرة ، ويكون بين أنسجتها
اللفظية وأثوابها التعبيرية تناسبٌ بل اتّساقٌ وتلاحمٌ يقول بلسان حاله :
هذه من تلك ، وإنهما تخرجان من مشكاة واحدة ، وإنهما تتضافران
وتتآزران وتظاهران ، لتؤدّيا دلالات ومعاني إيمانية وشرعية ، لا تؤديها
إحداهما منفردة عن سلك أختها أو أخواتها .

وسوف أمثّل لهذه المقاربة التفسيرية بإجراء مقارنة بين سورتي
الإسراء والفرقان في المبحث الأول ، وبين سورتي الكهف والجنّ في
المبحث الثاني ، وبين سور (طه ، والنجم ، والأعلى ، والليل ،
والضحى) في المبحث الثالث ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو المُلهم
والهادي إلى سواء الصراط .

* * *



المبحث الأول

سورتا الإسراء والفرقان

سبق في المبحث الثالث من الفصل الأول لهذا الكتاب بيان العلاقات التي تربط بين سورتي الفرقان والملك ، باعتبار أنهما سورتان من أسرة واحدة ، تشتركان في تشابه المطلعين ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ و ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ . . . ﴾ ، وأوضحت الدراسة أن بين السورتين وشيجة قوية ، وتماثلاً في نسيجهما اللغوي إلى حد التلاحم والاتساق والتكامل .

أما هذا المبحث فيتناول سورتي الإسراء والفرقان ، اللتين تتشابهان في أغلب فواصلهما ، وهي فاصلة الرءاء المفتوحة المسبوقة بياء أو واو ، وذكر العلاقات والروابط المعنوية ، واللفظية التي تربط بينهما .

وفي أول الأمر يتبادرُ لذهن القارئ بعض الأسئلة من مثل :

١ - أين العلاقة التي تربطُ بين سورة الإسراء التي تتحدثُ عن حادثة الإسراء وبعض القضايا الإيمانية ، وسورة الفرقان التي تتحدث عن تنزيل الفرقان وجملة من الشبهات ، التي اختلقها أهل الكفر في وجه دعوة الإسلام؟

٢ - ما العلاقة التي تربطُ بين سورة الإسراء التي هي السورة



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

الخمسون في عداد تنزيل السُّور ، وسورة الفرقان التي هي الثانية والأربعون في عداد التنزيل؟

٣ - ما الحكمة أن جعلت سورة الإسراء قبل الفرقان في ترتيب المصحف الشريف ، والحال أنها قد أنزلت بعدها بزمان غير يسير؟؟

هذه التساؤلات وأمثالها تدعو إلى مزيد من التدبر وسبر أغوار النصوص للوقوف على بعض أسرار هذا الكتاب العظيم المعجز الذي جاء في وصفه على لسان الجن بأنه عجب: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

سورة الإسراء مكّية باتفاق علماء التنزيل. هي السورة الخمسون نزولاً بعد سورة القصص ، وقبل سورة يونس. تسمّى سورة الإسراء لحديث مطلعها عن حادثة الإسراء التي كرّم الله تعالى فيها نبيّه محمّداً ﷺ ، وجعلها معجزة مادّية على صدقه وصدق نبوّته ، وتسمّى سورة بني إسرائيل ، نظرًا لتناولها جانبًا من تاريخ بني إسرائيل وحديثًا عن الإفسادتين وغير ذلك من شؤونهم.

جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنّه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهنّ من العتاق الأول ، وهنّ من تلادي»^(١).

محور سورة الإسراء هو شخص رسول ﷺ ، ولو كانت أسماء السُّور اجتهادية لحقّ لنا أن نسمّيها بحقّ سورة محمد ﷺ؛ ذلك لتناولها حادثة الإسراء ، التي هي من تكريم الله تعالى له دون غيره من الأنبياء والمرسلين ، ولحديثها عن جوانب من شخصه الكريم ،

(١) أخرجه البخاري .



وتسليطها بعض الأضواء على سيرته وما لاقاه من عنت وإعراض وصدّ ومحااجة ومجاهدة من قبل المشركين ، ومطالبهم التعجيزية وغيرها .

يلتفت حول هذا المحور جملة من المواضيع على رأسها إثبات نبوته ﷺ ، وبيان جانب من تاريخ بني إسرائيل مع التركيز على الإفسادتين ، وإثبات أن القرآن الكريم هو وحي الله المنزل على قلب محمد ﷺ ، والإشادة به ، وبمن أنزل عليه .

أيضا نجد حضورا واضحا لجملة من التوجيهات الخلقية المتعلقة بالأفراد والجماعات ، والعلاقات فيما بينهم ، وبعض المعاملات ابتداء من قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢] إلى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩] ؛ وقد يعجب القارئ من وجود آيات تتعلق بالأحكام ضمن القرآن المكي ، والجواب عن هذا التساؤل هو أن سورة الإسراء من أواخر السور نزولا في مكة المكرمة ، وفي ذلك العهد كان عدد المسلمين يكثر ، وكان سوادهم يزداد ، وهذا يجرّ إلى أن الأحداث التي تتعلق بحياتهم اليومية ، والخاصة ، والمعاملات المجتمعية كانت في ذلك الزمن المبكر تحتاج إلى بسط في التوجيه والإرشاد .

كما يجد القارئ في نهاية السورة حديثا واضحا عن شخص رسول الله ﷺ ، والكيفية التي كان يعامله بها المشركون ؛ إذ كانوا يحاولون المكر به ، ومضايقته ، ويجتهدون في استفزازه من الأرض ، ويتفننون في مطالبهم التعجيزية للتصديق بنبوته : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ ﴾ (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ خَيْلٍ وَعَنْبٍ فَفُجِّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ ﴾ (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي

جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَا نَزَلَ السُّورَةُ

بِاللَّهِ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾
[الإسراء: ٩٣].

أما سورة الفرقان ، فهي سورة مكِّيَّة أيضًا ، محورها العام هو
الحديث عن القرآن الكريم ، وردَّ الشُّبُهَات التي أثارها المشركون في
وجه دعوة التوحيد التي جاء بها الإسلام .

ويقوم محورها على أربعة عُمَد:

الأول: إنشاء الثناء على الله تعالى وتمجيده بما هو أهله ، وذكر
دلائل التوحيد في الكون العظيم الذي خلقه الله تعالى .

الثاني: الحديث عن تنزيل القرآن ، ووصفه بكونه فرقانًا يفرِّق بين
الحقِّ والباطل .

الثالث: ترسيخ مبدأ بشريَّة الرِّسُول ﷺ ، ونقضُ شُبُهَات
المشركين وافتراءاتهم .

الرابع: الحديث عن الرِّسُول ﷺ بكونه نذيرًا للعالمين .

ومن عظيم الحكمة في بناء سورة الفرقان ، أن الآية الأولى منها
حَوَتْ هذه العُمَد الأربعة في إيجازٍ بديع: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى
عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]؛ حيثُ يتمثِّل التوحيد والثناء
على الله بما هو أهله في قوله ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي ﴾ ، ويتجلَّى التنويه بالكتاب
المُنَزَّل في قوله: ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، وتظهرُ بشريَّة الرِّسُول في كونه عبدًا
في قوله: ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ ، ويظهر التركيزُ على وظيفة النِّذَارَةِ في قوله:
﴿ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . وهكذا ، وبدون مبالغة ، يتجلَّى بوضوح أن
الآية الأولى حوت الخيوطَ الأساسيَّة لمحور السُّورة ، وما يلتَفُّ حوله
من موضوعات ، ولو كان الحديث في غير القرآن لصحَّ للقارئ أن



يَسْمِيهَا دِيبَاجَةَ الْخُطْبَةِ أَوْ مَقْدَمَةَ الْفَصْلِ أَوْ الْبَابِ^(١).

المقارنة بين الإسراء والفرقان:

١ - تبدأ سورة الإسراء بالحديث عن معجزة الإسراء التي أكرم الله تعالى بها نبينا محمداً ﷺ ، وهي خارقة في طبيعتها للعادة؛ فليس في طاقة البشر أن يسري أحدهم في برهة من الزمن قصيرة جداً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم يُعَرَّجُ به إلى ما فوق سدرة المنتهى ثم يعود إلى فراشه ، ويجد دفئه وحرارته . وكأن عقارب الساعة أوقفها الله تعالى فلم تُعَدَّ تعمل ، وهذا ليس بعجيب حين تُقَاسُ الأشياءُ بقدرة الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القدير المقدر فهو جلّ جلاله أسرى به وعرج به بقدرة التي لا تُحَدُّ؛ لأنه هو الذي يقول للشيء ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ؛ من هنا جاء مطلعها الفريد باسم المصدر (سبحان الذي)؛ لأن كلمة (سبحان) تقال في الأمور المُعْجَبَاتِ المُدهِشَاتِ الجليلات. قال ﷺ: «لكلِّ مُعْجَبَةٍ سَبْحَانُ اللَّهِ».

بينما تحدّث مطلع سورة الفرقان عن تنزيل القرآن الكريم ، وهو المعجزة العقلية الخالدة التي جعلها الله تعالى فرقانا بين الحقّ والباطل ، وبمثل هذا الوضوح ، يتجلّى للقارئ أن سورة الإسراء مطلعها هو الحديث عن الإسراء وهو مُعْجَزَةٌ مَادِّيَّةٌ ، وسورة الفرقان مطلعها يتحدّث عن معجزة القرآن العقلية العلمية الخالدة ، وكلتاها تُثَبِّتَانِ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

٢ - المطلعان جاء فيهما تنزيه الله تبارك وتعالى وتقديسه وتعظيمه

(١) انظر: كتابنا في رحاب سورة ، الجزء الأول.



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

بما هو أهله؛ فكلمة (سبحان) هي اسم مصدر معناه: أُسَبِّحُ الله تسبيحًا ، وأُجِلُّهُ وأنزّهه عن كلّ ما لا يليق بجلاله وعظمته وإلهيته وتفرّده وعدم مشابهته لخلقه .

قال البيضاوي: «(سُبْحَانُ): اسمٌ بمعنى التَّسْبِيحِ الذي هو التَّنْزِيهِ ، وقد يُسْتَعْمَلُ عَلَمًا له فيُقَطَّعُ عن الإضافة ويُمْنَعُ من الصَّرْفِ... وانتصابه بفعل متروك إظهاره ، وتصدير الكلام به للتَّنْزِيهِ عن العجز عما ذُكِرَ بعدُ»^(١).

أمّا قوله (تبارك) فمعناه: تمجّد وتعظيم خيرُهُ وزاد وتكاثر. جاء في فتح القدير: «وأصلُ (تبارك) مأخوذةٌ من البركة ، وهي النماء والزيادة ، حسيّةٌ كانت أو عقليّة. قال الزجاج: تبارك تفاعل من البركة. قال: معنى البركة الكثرة من كلّ ذي خير. وقال الفراء: إن (تبارك) و(تقدّس) في العربيّة واحد ، ومعناهما العظمة. وقيل: المعنى: تبارك عطاؤه ، أي: زاد وكثّر»^(٢).

٣ - من وجوه التناظر بين السورتين أنّه جاء فيهما حديثٌ عن إيتاء موسى عليه السلام الكتاب: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥].

٤ - جاء في سورة الفرقان حديثٌ عن اتّخاذ المشركين أولياء من دون الله تعالى لا يملكون شيئًا ، ولا يخلقون ، وليس لهم من خصائص الإلهيّة شيء: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ

(١) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٣ ، ص ٢٤٧

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٧٠.



يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ [الفرقان: ٣] ، وجاء في سورة الإسراء نهْيٌ مُّوجَّهٌ لبني إسرائيل ألا يتخذوا من دون الله وكيلاً يفتنون إليه ، ويتوكلون عليه: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢] .

٥ - جاء في سورة الفرقان استفهام إنكاري يفيد النفي بأن محمداً ﷺ لم يجعله الله تعالى على المشركين وكيلاً ، وهو ليس مكلّفاً أن يهدي القلوب إلى الله تعالى ، وإنما عليه التبليغ فقط: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوًى أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] . قال القرطبي: «(أفأنت تكون عليه وكيلاً): أي: حفيظاً وكفياً حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد. أي: ليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئتك ، وإنما عليك التبليغ»^(١) .

والمعنى ذاته ، والتعبير ذاته تكرر في سورة الإسراء ، حيث جاء بصيغة النفي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٤] . أي: «وما وكلناك في منعهم من الكفر ، ولا جعلنا إليك إيمانهم»^(٢) .

٦ - جاء في سورة الفرقان بأن الله تعالى جعل الليل والنهار يتعاقبان ، وهما محطتان زمنيّتان للتذكّر والشكر ، والكيّس العاقل هو الذي يستثمر جميع عمره في شكر الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] ، وجاء في سورة الإسراء وصف نوح عليه السلام بأنه كان عبداً شكوراً: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] ، وجاء فيها تقرير أن الذي ينبغي

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٣٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ - ، ص ٢٧٨ .



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

الآخرة ، ويأخذ للسفر إليها عُدَّتَه ، ويسعى لها سعيها فإن سعيه يكون مشكوراً؛ لأن الله جلّ ثناؤه لا يُضيع أجرَ من أحسن عملاً: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

٧ - واللافت للانتباه أن الحديث عن تعاقب ظاهرتي الليل والنهار جاء ذكرهما في السورتين للاعتبار بتعاقبهما وتواليهما؛ جاء في سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢] ، وفي سورة الإسراء جاء قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢].

٨ - ذكر الله تبارك وتعالى في سورة الفرقان بأنّ المشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ عَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا: ﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١] ، وسجّلت سورة الإسراء علوّ بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفُفْدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤]. والملاحظ أن الذين واجههم محمد ﷺ كانوا أعتى وأشدّ وأظلم؛ إذ وصفهم بالعتو الذي هو شدة العلوّ والتكبر والظلم.

قال ابن عطية: «ولمّا تمت كفار قريش رؤية ربّهم أخبر تعالى عنهم أنّهم عظموا أنفسهم وسألوا ما ليسوا به بأهل ، وعَتَوْا: معناه صَعَبُوا عن الحقّ واشتدّوا»^(١). وقال الزمخشري: «وعتوا: تجاوزوا الحدّ في الظلم. يُقال: عتا علينا فلان. وقد وصف العُتُوّ بالكبير ،

(١) المحرر الوجيز ، ج ٤ ، ص ٢٠٥.



فبالغ في إفراطه ، يعني أنهم لم يخسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو»^(١).

٩ - يلحظ القارئ للسورتين أنهما وظفتا قالباً تعبيرياً نادراً وهو فعل التَّيْبِير بمعنى الإهلاك ، ومصدره (تَيَّبِيرًا). قال تعالى في وصف إهلاك القرى التي ضرب لها الأمثال: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩] ، وجاء في وصف إهلاك المسلمين لما يفسده بنو إسرائيل في الأرض قوله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

.. والتَّيْبِير لغة الإهلاك. قال الفخر الرازي: «يُقَالُ: تَبَّرَ الشَّيْءُ تَبْرًا إِذَا هَلَكَ ، وَتَبَّرَهُ أَهْلَكَهُ. قَالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ مُكْسَرًا وَمُفْتَتًا فَقَدْ تَبَّرْتَهُ ، وَمِنْهُ قِيلَ: تَبَّرَ الزَّجَّاجُ ، وَتَبَّرَ الذَّهَبُ لِمُكْسَرِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٩] وقوله: ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]»^(٢).

.. هذا ، ولم يرد لفظ (التَّيْبِير) بصيغة المصدر إلا في هاتين السورتين المتشابهتين في فواصلهما ، مما يؤذن ويدلّ دلالة قطعية على الاتساق والتَّجاذب اللفظي الموجود بينهما.

١٠ - جاء في سورة الفرقان حديثٌ عن حشر المشركين إلى جهنم على وجوههم: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤] ، وجاء فيها ذكرٌ لتضرع عباد الرحمن ودعائهم بين يدي ربهم متضرعين قائلين: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٢٧٣.

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٢٠ ، ص ٣٠٢.



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عَلَمِ قَارَانِ السُّورَةِ

أما سورة الإسراء فذكرت أن الله تبارك وتعالى جعل جهنم حصيراً جامعاً للكافرين: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

١١ - في سورة الفرقان ، جاء حديثٌ عن القرآن بكونه فرقاناً فارقاً بين الحق والباطل ، بل إنَّ السُّورة تسمت باسمه (الفرقان) لورود هذا الوصف في أولها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]؛ وجاء ذكر لفظ القرآن حين شكَا الرسول ﷺ هجران قومه لهذا الكتاب العظيم المُنَزَّل من عند الله ليهديهم ويشرح صدورهم بالإيمان ، ويُنير طريقهم: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] ، وجاء ذكره على ألسنة الكافرين وهم يعترضون على تنزيله نجوماً ، وإنما يريدون مخالفة الحكمة الإلهية كأنهم يُحيطون بكل شيء علماً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢].

بينما سورة الإسراء ، على الرَّغم أنَّها تحمل اسم حادثة الإسراء ؛ إلا أنَّ الموضوع الأكثر حضوراً فيها هو القرآن الكريم ، ولا أدلَّ على هذا الكلام من تكرير اسم القرآن فيها إحدى عشرة مرة:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١].

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

﴿وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَدْبَرُوهُمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].



﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

والذي يدلّ دلالة قاطعة على الاتساق والتناسب بين السورتين في توبيهما اللفظيين، هو ورود لفظ (فرقناه) في سورة الإسراء الذي يحمل إشارة واضحة إلى سورة الفرقان، وكأني بالبيان القرآني يقول لك: أيها التالي المتدبر في لغة الذكر استحضر هذا الفعل، وانظر أين ورد في سورة أخرى، وبما أن الحديث عن القرآن بكونه فرقاناً بين الحق والباطل، وبكونه فرقاً الله ليقرأه الرسول ﷺ على الناس على مكث؛ إذن ثمة علاقة وطيدة، ووشيجة وثيقة بين السورتين. والطريف في الأمر أن اسم الفرقان في سورة الفرقان هو أول ما ذكر في السورة، والفعل (فرقناه) بالمقابل جاء في آخر آية تحدثت عن الذكر وهي الآية ١٠٦. ألا فما أعظم إحكام هذا الذكر الجليل، وما أروع اتساقه!!

١٢ - تكرر القلب اللفظي (أعتدنا . . . عذاباً أليماً) في السورتين



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

حيث جاء في سورة الفرقان: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧] ، وجاء في سورة الإسراء: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ١٠] .

١٣ - تَكَرَّرَتِ مَادَّةُ (نُشْر) فِي سُورَةِ الْفَرْقَانِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَوْبِ الْمَصْدَرِ: (نُشُور). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧] .

.. وَوَرَدَتِ الْمَادَّةُ ذَاتُهَا (نُشْر) فِي صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] .

١٤ - حَفَلَتِ السُّورَتَانِ بِتَشْرِيفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِضَافَةِ ضَمِيرِهِ (كَافِ الْخُطَابِ) إِلَى رَبِّهِ (رَبِّكَ) ، حَيْثُ تَرَدَّدَ هَذَا الْمَرْكَبُ الْإِضَافِي فِي سُورَةِ الْفَرْقَانِ خَمْسَ مَرَّاتٍ :

﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٦] .
 ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] .
 ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] .
 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] .
 ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] .

وَتَرَدَّدَتِ الْإِضَافَةُ ذَاتُهَا فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَدَى احْتِفَاءِ السُّورَتَيْنِ بِشَخْصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَدَى الْمَعَانَاةِ الَّتِي عَانَاهَا فِي تَبْلِيغِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ ، وَالتَّثْبِيتِ الَّذِي كَانَ يَلْقَاهُ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ .



- ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧].
- ﴿ كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].
- ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].
- ﴿ وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَ عَنْهُمْ أَبْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٨].
- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠].
- ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٣٨].
- ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٣٩].
- ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٦].
- ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الإسراء: ٥٥].
- ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].
- ﴿ وَإِذْقُنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠].
- ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥].
- ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].
- ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَافٍ ﴾ [الإسراء: ٨٧].

١٥ - جاء في السورتين خطاباً للرَّسُول ﷺ يُوجِّهه إلى النَّظر في أمور هذه الحياة الدُّنيا نظر تبصّر وتفكّر وتدبّر ، حيث حثّه في سورتي الفرقان والإسراء أن ينظر في الأمثال التي ضربها له المشركون ،



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

ووجهه في سورة الإسراء إلى النظر في حقيقة التفضيل؛ فليس إتياء الأموال في الدنيا هو المقياس الصحيح للتفضيل، وإنما ثمة تفضيل من نوع آخر وهو الدرجات العلى عند الله في اليوم الآخر:

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

[الإسراء: ٢١].

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨].

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾

[الفرقان: ٩].

١٦ - من الثوب اللفظي المشترك بين السورتين القلب اللغوي

«دمرناهم تدميرًا»، حيث لم يرد هذا القلب إلا في هاتين السورتين، وهذا الصنيع هو ذات الظاهرة التي تحكم السورة القرآنية ذاتها، حيث دل الاستقراء أن كل سورة تتمتع بثوب لفظي تختص به دون غيرها، وتوجد بين ألفاظها تجاذبات لفظية لا توجد في غيرها، وتوجد بينها وبين أخواتها من نفس الأسرة تجاذبات لفظية أيضا تختصان بهما، ولا تشاركهما فيه سور أخرى، ومن هذا الضرب الأخير قوله تعالى ﴿ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ في قوله تعالى في الفرقان: ﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٦]، وفي قوله تعالى في الإسراء: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

١٧ - جاء في سورة الإسراء حديث مجمل عن قوم نوح عليه

السلام، وعن القرون الذين جاؤوا من بعدهم: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]. أما سورة الفرقان، ففصلت الحديث في هذه القرون وذكرت أسماءهم. قال



تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَخْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُوهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ [الفرقان: ٣٧ - ٤٠].

١٨ - جاء في سورة الإسراء نهْيٌ مُوجَّهٌ إلى رسول الله ﷺ بضرورة توحيد الله تعالى ، ونبذ الشرك ، ومن المعلوم المُسلم به أن محمداً ﷺ هو أفضل المُوحدين ، وأعظم من نادى بعقيدة التوحيد ، وهو بعيدٌ كل البعد عن الإِشراك بالله تعالى ، ولكن النهي حين يُوجَّهُ إليه ؛ فيه دلالاتٌ كثيرة ، أبرزها أن قضية التوحيد بالغة الأهمية ، وإذا أوصى الله العظيم رسوله الكريم ونهاه مرّات عديدة عن الإِشراك ؛ فإن الخطاب في حقيقة الأمر مُوجَّهٌ إلى أمته ، وعليها أن تأخذ هذا الأمر بجديّة وقوّة ، وفي ذلك يُردّد الفقهاء والمفسّرون: خُوطِبَتِ الأُمّة في شخص نبيّها .

قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢] ، وقال جل شأنه: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

أمّا سورة الفرقان ، التي رسمت في نهايتها صورة مشرقة نيّرة لعباد الرّحمن ، فقد جاء فيها أنّه من أخصّ خصائصهم أنّهم لا يشركون بالله أحداً ، ولا يدعون معه غيره: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

١٩ - تَمّة للمعنى السابق ، جاء تحذير للنبي ﷺ من الإِشراك بالله



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

تعالى ، لأن الإِشْرَاقَ يُلْقِي بِصَاحِبِهِ فِي جَهَنَّمَ : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإِسْرَاءُ : ٣٩] .
 أمَّا المشركون الكافرون في سورة الفرقان ، فقد سجّلت السُّورة بأنهم يُلقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ ، ويكون مصيرهم بُئْسًا يوم القيامة نظرًا لعدم استماعهم لنصيحة الدّاعي إلى التّوحيد ، وسوف يدعون على أنفسهم بالثُّبور والهلاك ، ولا يتحقّق لهم الثُّبور الذي يرجونه ويطلبونه : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٣ - ١٤] .

٢٠ - من المعاني التي وردت في السُّورتين تصريفُ الله تعالى الأمثال للنّاس في القرآن الكريم ليتّعظوا ويتّصّحوا ويعتبروا ؛ فقد جاء هذا المعنى في السُّورتين : في سورة الإِسْرَاءِ في آيتين هما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإِسْرَاءُ : ٤١] ، وقوله جلّ شأنه ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإِسْرَاءُ : ٨٩] . وفي سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٠] .

وانظر ، هداني الله وإياك إلى التّعرف على أسرار كتابه ، إلى تطابق نهايتي الآيتين (٨٩) من الإِسْرَاءِ ، و (٥٠) من الفرقان ، حيث تحدّثنا بأن أكثر النّاس أبوا إلّا كفورًا وإعراضًا ، ولم يرد هذا التّعليق بنفس الثّوب التّعبري إلّا في هذين الموضعين .

٢١ - جاء في سورة الإِسْرَاءِ ، والتي هي مخصّصة للحديث عن كثير من شؤون رسول الله ﷺ كما أسلفت ، نهْيٌ له ﷺ عن التّقير والتّبذير ، ولكنّ هذا النهي جاء في ثوب صورة حركيّة من لغة الجسم التي يتعامل بها البشرُ عالميًا . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ [الإسراء: ٢٩] ، أي: «لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط: ولا تبسطها كل البسط ، أي: ولا تتوسع في الإنفاق توسعاً مفرطاً بحيث لا يبقى في يدك شيء». وحاصل الكلام: أن الحكماء ذكروا في كتب «الأخلاق» أن لكل خلق طرفي إفراط وتفريط وهما مذمومان ، فالْبُخْلُ إفراط في الإمساك ، والتَّبَذِيرُ إفراط في الإنفاق ، وهما مذمومان ، والخُلُقُ الفاضل هو العدل والوسط ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ^(١).

أما في سورة الفرقان ، فالله تبارك وتعالى وصف عباد الرحمن أن من صفاتهم أنهم معتدلون في الإنفاق لا يُقْتَرُونَ ولا يُسْرِفُونَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

٢٢ - جاء في الإسراء نهى للمؤمنين أن يجترحوا كبيرتي القتل والزنا ، فهما معصيتان ذميتان في جميع الأعراف والشرائع ، وعند جميع أولي الألباب والنهي: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِنُوا نَزَرُكُمْ وَإِنَّا كَرِهٌ لِّقَتْلِهِمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾ (٣١) ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣١ - ٣٣].

وفي سورة الفرقان جاء وصف عباد الرحمن بأنهم لا يتعاطون هذه الصفات الذميمة ، ولا يقربون منها ، وهم أعفَاء شُرفاء لا يقرب الخنى والجُرم من خيامهم: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٩ .



٢٣ - جاء في سورة الإسراء تعظيم للعهد ، وبيان بأن الله تعالى يسأل أصحاب العهود عن عهودهم ، وعن وفائهم بها : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤] ، وقال جل شأنه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وأوضح في سورة الفرقان أن الله تعالى وعد عباده المتقين بالجنات خالدين فيها ، وقرّر بأن ذلك وعدٌ مسؤول عليه ، للدلالة على أنه جل شأنه مؤفّيهم أجورهم ، ومُجازيهم خيرًا على أعمالهم الصالحة : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾ [الفرقان: ١٦] .

٢٤ - جاء في سورة الإسراء نهْيٌ مُوجَّهٌ إلى رسول الله ﷺ بأن يتجنّب أن يمشي في الأرض كما يمشي فيها المرححون المتبطّرون الأشرار ، والنهي في حقيقته كما أسلفت مُوجَّهٌ لأُمّته ، لأنه عُرِفَ ﷺ بدمائه خُلِّقه وتواضعه وحسن خلقه منذ ولادته . قال جل شأنه : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] .

أما سورة الفرقان ، فجاء فيها وصف عباد الرحمن بأنهم يمشون على الأرض هونًا ، وهم على خلق جميل من التواضع والحلم والرفق : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] .

٢٥ - جاء في سورة الإسراء خطابٌ مُوجَّهٌ إلى النبي ﷺ بالتهجّد بالليل ، ووعدّه ربّه جلّ ثناؤه أن يبعثه مقامًا محمودًا يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] . وجاء في وصف الذين أوتوا العلم بأنهم إذا سمعوا آيات القرآن تُتلى عليهم يخرون للأذقان سجّدًا ، ويدعون ربّهم مسبحين ومتضرّعين : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا

يُسَلِّى عَلَيْهِمْ يَحْزُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨].

أما عباد الرحمن ، فجاء وصفهم في سورة الفرقان بأنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]. والملاحظ أن قيام الليل في حق نبينا ﷺ جاء مأموراً به نظراً لعلو مكانته ، وسمو منزلته ، وعظم مسؤوليته ، وقربه من ربه تعالى. أما عباد الرحمن ، فجاء وصفهم بأنهم يقومون الليل على وجه التطوع فقط ، وليس على وجه الإلزام.

٢٦ - ورد المصدر (نفوراً) في السورتين ثلاث مرات ، مرتين في الإسراء في معرض وصف تولي المشركين حين يسمعون القرآن الكريم ، وحين يسمعون رسول الله ﷺ يذكر ربه جل جلاله؛ فالله تعالى يأمر نبيه ليقراه عليهم ليتعظوا ويرعوا عن غواياتهم ، ويرشدوا ، ولكنهم يزدادون نفوراً وإعراضاً عنه حين يسمعون. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١] ، وقال تقدست أسماؤه: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعٍ عَلَى أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]. والمعنى أنهم يزدادون من الله بُعداً وغفلة عن النظر والاعتبار ، والنفور لفظ من قاموس عالم الحيوان ، ومنه يفهم أنه شبههم بالحيوانات التي تنفر حين يُصيبها الفزع من أمر تخافه ، وفي هذا الاختيار إزراء وتنقيص من شأنهم ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠].

جاء في لسان العرب: «النَّفَرُ: التَّفَرُّقُ. نَفَرَتِ الدَّابَّةُ: تَفَرَّتْ وَتَنَفَّرَتْ نِفَارًا وَنُفُورًا ، ودَابَّةٌ نَافِرٌ. وكذلك دَابَّةٌ نَفُورٌ ، يُقَالُ: أَنْفَرْنَا: تَفَرَّقْنَا. وَنَفَرُ الظَّبْيِ وَغَيْرُهُ نَفَرًا وَنَفَرَانًا: شَرْدٌ ، وَظَبْيٌ نِيفُورٌ: شَدِيدٌ



النِّفَارُ . ويُقالُ : في الدَّابَّةِ نِفَارٌ ^(١) .

وفي سورة الفرقان ، جاء تصوير سلوكهم حين يُطلبُ منهم أن يسجدوا للرحمن ؛ فإن ذلك يزيدهم أيضًا إعراضًا ونفورًا كأنهم حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ فرَّت من قسورة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٠] .

٢٧ - من الأيقونات اللفظية التي تكررت في السورتين بشكل واضح ولافت للانتباه ، واصطبغ به ثوبهما اللفظي كلمة (سبيل) ، حيث تكررت في سورة الإسراء ست مرّات :

﴿ وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٤٨] .

﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

وتكررت في سورة الفرقان سبع مرّات :

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٩] .

(١) لسان العرب ، مادة نفر .



﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان : ١٧].

﴿وَيَوْمَ يَعْزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٢٧].

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٣٤].

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٢].

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٤].

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٥٧].

٢٨ - نبأ الله تعالى نبيه ﷺ بأنه جعل بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً حين قراءته للقرآن الكريم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء : ٤٥].

وفي سورة الفرقان اشتكى الرسول ﷺ إلى ربه هَجَرَ قومه للقرآن: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان : ٣٠]؛ ففي السورتين حديث عن موقف الناس من القرآن. في سورة الإسراء وصف لموقف المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة الذين استحقوا لكفرهم وجحودهم أن يجعل الله تعالى بينهم وبين القرآن حجاباً مستوراً؛ بينما تعرضت سورة الفرقان لشكوى الرسول ﷺ من موقف قومه الذين بُعث إليهم بما فيهم المؤمنون وغير المؤمنين.

٢٩ - في سورة الإسراء ، وسمَّ المشركون الرسول محمداً ﷺ بأنه مسحور: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء : ٤٧] ،



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

وكذلك فعلوا في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

والوصف ذاته أطلقه فرعون الجبار على كلیم الله موسى عليه السلام في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سَعَاءَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]؛ فانظر، يا رعاك الله، كيف تتجاذب الألفاظ في السورة الواحدة، وكيف تتجاذب في السور التي تتشابه فواصلها وقل: سبحان الذي أنزل هذا الذكر الحكيم!

علما أن لفظ (مسحورًا) لم يرد إلا في السورتين، وورد في صيغة الجمع في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥]، ولم يرد في القرآن الكريم كله في موضع آخر.

٣٠ - يجد القارئ المتدبر في آيات الذكر الحكيم أن البيان القرآني يتهمكم بالمشركين أحيانًا، وفي أحيان أخرى يتحداهم، ويأمرهم أن يدعوا شركاءكم لعلهم يكشفون عنهم الضر، أو يُغدقون عليهم من الرزق، أو يُحوّلون حياتهم من السقم إلى الصحة، ومن البأساء إلى الرخاء، ومن هذا القبيل قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]. قال الإمام البيضاوي: «قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير. فلا يملكون: فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط، ولا تحوِيلًا: ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم»^(١).

(١) أنوار التنزيل، ج ٣، ص ٢٥٩.



أما سورة الفرقان فجاء فيها تكميلٌ لهذا المعنى ، فالأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تملك بذل الشفاء لهم ، ولا تحسن ظروفهم المعيشية ، ولا تحولها إلى الأحسن ، ولا تملك لهم موتاً ولا حياة ولا نشوراً؛ والإله الذي يعبد الإنسان ولا يتدخل في نفعه ولا في ضرره ، ولا دخل له في موته ولا في حياته ولا في نشره ، ماذا يفعل به هذا العابد المسكين المحتاج : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان : ٣] .

٣١ - أيقونة لفظية أخرى لها حضورٌ واضحٌ في السورتين هي الوصف (كبير) ، حيث يطالع القارئ في جملة من المواضع تكررها؛ جاءت في سورة الإسراء سبع مرّات :

﴿وَلَنَعْلَنَ عُلُوءًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٤] .

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٩] .

﴿إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٣١] .

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٤٣] .

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٦٠] .

﴿إِنْ فَضْلُهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٧] .

﴿وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء : ١١١] .

ومنها في سورة الفرقان ثلاث مرّات :

﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مَنَعَكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان : ١٩] .

﴿وَعَتَوْا عُنُوءًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٢١] .

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٢] .



٣٢ - من الأنساق التعبيرية التي حفلت بها السورتان التركيب اللغوي: (إن كاد + الفعل الماضي) ، وقد ورد هذا التعبير في القرآن أربع مرّات ، ثلاث منها في سورتي الإسراء والفرقان ، وهذا يؤكد تشابه الثوبين اللفظيين للسورتين :

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيََنَا إِلَيْكَ لِنَفْتِرَىٰ عَلَيْكَ غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣].

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦].

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].

٣٣ - امتنّ الله تعالى على رسوله ﷺ في سورة الإسراء بأنه ثبتّه حتّى لا يركن إلى كلام المشركين ، ولا يستجيب لوساوسهم وإغراءاتهم: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]. وفي سورة الفرقان ، حين سأل المشركون مستنكرين: لماذا لم يُنزل الله القرآن جملة واحدة؟ جاء الجواب بأنّ الله تعالى أنزله منجّماً ليثبت به قلب النبي ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

والمقصود أنّ السورتين تحدّثتا عن موضوع تثبيت قلب النبي ﷺ.

٣٤ - أخبر الله تعالى نبيّه ﷺ بأنه لا ناصر له إلّا هو ، وجاء توظيف صيغة المبالغة (نصير). قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥] ، وأوضح له في سورة الفرقان بأنه

هو الهادي وهو النصير: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وفي موضع آخر من سورة الإسراء علمه أن يدعوه وأن يستنصره: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

٣٥ - جاء في السورتين حديثٌ عن محاولات المشركين تعجيز النبي ﷺ بالمطالب والمقترحات، التي لا يقصدون من وراءها الاستزادة من العلم أو الازدياد من الإيمان؛ وإنما غرضهم التحدي والتعجيز.

قال تعالى عنهم في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعَنْبٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۖ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقريب من هذه المطالب قولهم في سورة الفرقان: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۖ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧ - ٨].

والملاحظ أن مطالبهم في سورة الإسراء أخذت شكل الترقّي، حيث إنهم سألوا محمداً ﷺ أن يُفَجِّرَ لهم ينبوعاً من الأرض، ثم أن تكون له جنة تجري من تحتها الأنهار، وطلبوا أن يُفَجَّرَ الأنهار خلالها تفجيراً، ثم طلبوا منه أن يُسْقِطَ السماء عليهم كسفاً أو يأتي بالله والملائكة قبيلًا، ثم طلبوا أن يكون له بيت من زخرف أو أن

جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ فَرَاقِ الْفَرَقَانِ

يرقى إلى السماء ، ومع كل هذه المطالب التعجيزية صرّحوا بأنهم لا يؤمنون به ولا برقيته حتى يُنزل عليهم كتابا يلمسونه بأيديهم ويقرؤونه . وهذه المطالب التعجيزية التي بدأت من الأدنى إلى الأعلى تتناسب مع معجزتي الإسراء والمعراج حيث أسرى الله تعالى برسوله محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، ثم عرج به من بيت المقدس إلى سدره المنتهى ، وقد سجّلت سورة الإسراء حادثة الإسراء في بدايتها ، وسجّلت في وسطها حادثة المعراج ، بالحديث عن الرؤيا التي أراها الله رسوله في المعراج .

أما سورة الفرقان فجاءت فيها مطالبهم بصيغة تنازلية ، أي : بدؤوا بالأصعب الأشقّ في نظرهم وهو إنزال ملك ليكون نذيراً ، ثم تنازلوا عن هذا المطلب وطلبوا أن يكون مع الرسول ملك ، ثم تنازلوا وطلبوا أن يُلقى إلى الرسول كثر من السماء ، ثم تنازلوا وطلبوا أن تكون له جنة يأكل منها . وهذا التنازل في مطالبهم يتناسب مع سورة الفرقان ، التي تحدّثت عن تنزيل الفرقان على قلب محمد ﷺ منذ الآية الأولى .

٣٦ - تشترك السورتان في موضوع إنكار المشركين بشرية الرسول ؛ فقد لقن الله نبيه ﷺ في سورة الإسراء أن يقول بعدما اطلع على مطالبهم التعجيزية : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٣] . وجاء بعدها في السورة ذاتها تسجيل استنكارهم متعجبين أن يبعث الله بشراً رسولاً : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٤] .

أما سورة الفرقان فقد جاء فيها موضوع إنكار المشركين بشرية الرسول في ثوب سؤال إنكاري تعجبي ألقاه المشركون ؛ إذ لم تستغ

عقولهم أن يكون الرسول بشرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ،
واقترحوا أن يكون ملكًا منزلًا من السماء: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾
[الفرقان: ٧].

وكأنني بسورة الفرقان تطرح السؤال ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ والرسول يُجيب في سورة الإسراء بعدما تلقى
التأييد والنصر والتكريم من ربه: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾
[الإسراء: ٩٣].

٣٧ - لما اتهم فرعون موسى عليه السلام بأنه مسحور ، واجهه
موسى في صراحة وشجاعة قائلاً له: إنك سوف تهلك ، وإنك
لمثبور: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ
فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْمُوسِي مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنٍ مُثَبَّرًا ﴾ [الإسراء: ١٠١-١٠٢].

أما سورة الفرقان فتحدثت عن المشركين الذين يبحثون عن الموت
يوم القيامة فلا يجدونه ، ويدعون على أنفسهم بالثبور والهلاك
فلا يهلكون ، ويُقال لهم: إنكم ماكثون ، وستخلدون في النار مُعَذِّبِينَ
مهانين: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا
الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٣ - ١٤].

هذا ، ولفظ (ثبور) من المواد المعجمية القليلة الاستعمال حيث
لم يرد هذا اللفظ إلا في سورتا الإسراء والفرقان كما مر ، وورد مرة
واحدة في سورة الانشقاق لدى الحديث عن الذي يُؤتى كتابه من وراء
ظهره بأنه سوف يدعو ثبورًا ، ويصلي سعيًا: ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴾
[الانشقاق: ١١].



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عَلَمِ مَا رَأَى السُّورَ

٣٨ - ورد في السّورتين حديث عن إرسال الله تعالى رسوله محمداً ﷺ مبشراً ونذيراً. قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥] ، وقال جل شأنه في سورة الفرقان: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٦].

هذا ، ولم يرد الحديث بأن الله تعالى أرسل رسوله مبشراً ونذيراً بصيغة الحصر والقصر المكوّنة من النفي والاستثناء (ما إلا) إلا في هذين الموضعين من الإسراء والفرقان ، وهذا دليل على شدة التلاحم بين السّورتين وتشابه ثوبيهما اللفظيين أيضاً.

٣٩ - جاء في السّورتين حديث عن الله باسمه الرّحمن ، الذي حاول المشركون عدم التعرّف عليه بهذا الاسم ، حيث كانوا يقولون: نعرف الله ولكن لا نعرف الرّحمن ، فقال لهم القرآن: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وسورة الفرقان أيضاً جاء فيها حديث عن الرّحمن في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَسْئَلُ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] ، وقوله جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

٤٠ - في نهاية سورة الإسراء جاء حديث عن تنزيه الله تعالى عما لا يليق به جلّ جلاله ؛ حيث خطب رسول الله ﷺ بأن يحمد ربّه ، وأن يشهد بأنّه ليس له شريك في الملك ، وليس له وليّ من الدّل ، وأن يُكَبَّرَ تكبيراً: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وفي بداية سورة الفرقان جاء حديث مباشر عن الشّأن نفسه ، أي: عن تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من صفات المخلوقين ، وتفرّده بصفات الإلهيّة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١].

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان: ٢].

ومن جميل الموافقات أن آية التنزيه في سورة الكهف هي آخر آية من السورة ، وآية التنزيه في سورة الفرقان هي أول آية من السورة .

جدول إحصائي لفواصل سورتا الإسراء والفرقان:

فواصل سورة الإسراء:

البَصِيرُ (١) شَكُورًا (٣) كَبِيرًا (٤) مَفْعُولًا (٥) نَفِيرًا (٦) تَبِيرًا (٧)
 حَصِيرًا (٨) كَبِيرًا (٩) أَلِيمًا (١٠) عَجُولًا (١١) تَفْصِيلًا (١٢)
 مَنشُورًا (١٣) حَسِيبًا (١٤) رَسُولًا (١٥) تَذْمِيرًا (١٦) بَصِيرًا (١٧)
 مَذْخُورًا (١٨) مَشْكُورًا (١٩) مَحْظُورًا (٢٠) تَفْضِيلًا (٢١)
 مَخْذُولًا (٢٢) كَرِيمًا (٢٣) غَفُورًا (٢٥) كَفُورًا (٢٧) مَيْسُورًا (٢٨)
 مَخْسُورًا (٢٩) بَصِيرًا (٣٠) كَبِيرًا (٣١) سَبِيلًا (٣٢) مَنصُورًا (٣٣)
 مَسْئُولًا (٣٤) تَأْوِيلًا (٣٥) مَسْئُولًا (٣٦) طُولًا (٣٧) مَكْرُوهًا (٣٨)
 مَذْخُورًا (٣٩) عَظِيمًا (٤٠) نُفُورًا (٤١) سَبِيلًا (٤٢) كَبِيرًا (٤٣)
 غُفُورًا (٤٤) مَسْئُورًا (٤٥) نُفُورًا (٤٦) مَسْخُورًا (٤٧) سَبِيلًا (٤٨)
 جَدِيدًا (٤٩) حَدِيدًا (٥٠) قَرِيبًا (٥١) قَلِيلًا (٥٢) مُبِينًا (٥٣)
 وَكِيلًا (٥٤) زَبُورًا (٥٥) تَحْوِيلًا (٥٦) مَخْذُورًا (٥٧) مَسْطُورًا (٥٨)
 تَخْوِيفًا (٥٩) كَبِيرًا (٦٠) طِينًا (٦١) قَلِيلًا (٦٢) مَوْفُورًا (٦٣)
 غُرُورًا (٦٤) رَحِيمًا (٦٦) كَفُورًا (٦٧) وَكِيلًا (٦٨) تَبِيعًا (٦٩)
 تَفْضِيلًا (٧٠) فَتِيلًا (٧١) سَبِيلًا (٧٢) خَلِيلًا (٧٣) قَلِيلًا (٧٤)
 نَصِيرًا (٧٥) قَلِيلًا (٧٦) تَحْوِيلًا (٧٧) مَشْهُودًا (٧٨) مَحْمُودًا (٧٩)
 نَصِيرًا (٨٠) زَهُوقًا (٨١) خَسَارًا (٨٢) يَتُوسًا (٨٣) سَبِيلًا (٨٤)
 قَلِيلًا (٨٥) وَكِيلًا (٨٦) كَبِيرًا (٨٧) ظَهِيرًا (٨٨) كَفُورًا (٨٩)



يَنْبُوعًا (٩٠) تَفْجِيرًا (٩١) قَيْلًا (٩٢) رَسُولًا (٩٣) رَسُولًا (٩٤)
 رَسُولًا (٩٥) بَصِيرًا (٩٦) سَعِيرًا (٩٧) جَدِيدًا (٩٨) كُفُورًا (٩٩)
 قُتُورًا (١٠٠) مَسْحُورًا (١٠١) مَثُورًا (١٠٢) جَمِيعًا (١٠٣) لَفِيفًا (١٠٤)
 وَنَذِيرًا (١٠٥) تَنْزِيلًا (١٠٦) سَجْدًا (١٠٧) لَمَفْعُولًا (١٠٨)
 خُشُوعًا (١٠٩) سَبِيلًا (١١٠) تَكْبِيرًا (١١١).

فواصل سورة الفرقان:

نَذِيرًا (١) تَقْدِيرًا (٢) نُشُورًا (٣) وَزُورًا (٤) وَأَصِيلًا (٥) رَحِيمًا (٦)
 نَذِيرًا (٧) مَسْحُورًا (٨) سَبِيلًا (٩) قُصُورًا (١٠) سَعِيرًا (١١)
 وَزَفِيرًا (١٢) ثُبُورًا (١٣) كَثِيرًا (١٤) وَمَصِيرًا (١٥) مَسْئُولًا (١٦)
 السَّبِيلَ (١٧) بُورًا (١٨) كَبِيرًا (١٩) بَصِيرًا (٢٠) كَبِيرًا (٢١)
 مَحْجُورًا (٢٢) مَثُورًا (٢٣) مَقِيلًا (٢٤) تَنْزِيلًا (٢٥) عَسِيرًا (٢٦)
 سَبِيلًا (٢٧) خَلِيلًا (٢٨) خَذُولًا (٢٩) مَهْجُورًا (٣٠) وَنَصِيرًا (٣١)
 تَرْتِيلًا (٣٢) تَفْسِيرًا (٣٣) سَبِيلًا (٣٤) وَزِيرًا (٣٥) تَذْمِيرًا (٣٦)
 أَلِيمًا (٣٧) كَثِيرًا (٣٨) تَنْبِيرًا (٣٩) نُشُورًا (٤٠) رَسُولًا (٤١)
 سَبِيلًا (٤٢) وَكِيلًا (٤٣) سَبِيلًا (٤٤) دَلِيلًا (٤٥) يَسِيرًا (٤٦)
 نُشُورًا (٤٧) طَهُورًا (٤٨) كَثِيرًا (٤٩) كُفُورًا (٥٠) نَذِيرًا (٥١)
 كَبِيرًا (٥٢) مَحْجُورًا (٥٣) قَدِيرًا (٥٤) ظَهِيرًا (٥٥) وَنَذِيرًا (٥٦)
 سَبِيلًا (٥٧) خَبِيرًا (٥٨) خَبِيرًا (٥٩) نُفُورًا (٦٠) مُنِيرًا (٦١)
 شُكُورًا (٦٢) سَلَامًا (٦٣) وَقِيَامًا (٦٤) غَرَامًا (٦٥) وَمُقَامًا (٦٦)
 قَوَامًا (٦٧) أَثَامًا (٦٨) مُهَانًا (٦٩) رَحِيمًا (٧٠) مَتَابًا (٧١) كِرَامًا (٧٢)
 وَعُثْمَانًا (٧٣) إِمَامًا (٧٤) وَسَلَامًا (٧٥) وَمُقَامًا (٧٦) لِرَامًا (٧٧).

عدد فواصل حرف الراء في سورة الإسراء = ٤٩ فاصلة: النسبة
 المئوية = ١٤, ٤٤.



عدد فواصل حرف اللام في سورة الإسراء = ٣٥ . النسبة المئوية = ٣١,٥٣ .

عدد فواصل حرف الراء في سورة الفرقان = ٤٣ . النسبة المئوية = ٥٥,٨٤ .

عدد فواصل حرف اللام في سورة الفرقان = ١٧ . النسبة المئوية = ٢٢,٠٧ .

الملاحظ: أن مجموع نسبتي حرف الراء في فواصل السورتين هو ٩٨,٩٨ .

وهي نتيجة دقيقة تدلّ دلالة قاطعة على التكامل بين السورتين في الحرفين البارزين في فواصلهما .

ألا ، فلتتدبّر يا أخي القارئ في هذه الظاهرة العجيبة ، وردّد معي في خشوع: سبحان من أنزل هذا الذكر العظيم بهذا الإحكام الدقيق!!!

* * *



الْمَجْلَدُ الثَّانِي سُورَةُ الْكَهْفِ وَالْجِنِّ

بين يدي سورة الكهف:

تُعَدُّ سُورَةُ الْكَهْفِ سُورَةً فَرِيدَةً مِنْ نَوْعِهَا مِنْ بَيْنِ أَخَوَاتِهَا الْمَكِّيَّاتِ وَالْمَدَنِيَّاتِ؛ وَذَلِكَ لِأَحْتَوَائِهَا عَلَى جُمْلَةٍ مَضَامِينٍ قِصَصِيَّةٍ لَمْ يَتَكَرَّرْ ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ مِثْلُ: قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَقِصَّةِ الرَّجُلَيْنِ، وَقِصَّةِ كَلِيمِ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، وَقِصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَطَوَافِهِ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا.

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ وَرَوَاةُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ سَبَبًا لِنَزُولِهَا مُفَادُهُ أَنَّ جَمْعًا مِنَ الْقَرَشِيِّينَ اتَّقَوْا بِطَائِفَةٍ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودٍ، وَاسْتَنْصَحُوهُمْ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْرٍ دِينِهِ الْجَدِيدِ؛ فَنَصَحَهُمْ أَحْبَارُ يَهُودٍ بِأَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ مَاضِيَةٍ، فَإِنْ هُوَ أَتَاهُمْ بِخَبَرِهَا فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَأْتِي بِخَبَرِ السَّمَاءِ، وَإِنْ هُوَ عَجَزَ عَنِ الْإِجَابَةِ عَنْهَا كَانَ ذَلِكَ مِدْعَاةً لِإِفْحَامِهِ وَالتَّشْكِيكِ فِي نُبُوَّتِهِ وَأَمْرِ دِينِهِ.

وَالْمَسَائِلُ الثَّلَاثُ هِيَ خَبَرُ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ ذَهَبُوا فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، وَخَبَرُ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ، وَحَقِيقَةُ الرُّوحِ.

رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بَعَثَتْ قُرَيْشُ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودٍ



جَوَاهِرُ الدَّرَجَةِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، ووصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ؛ فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجنا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتُخبرونا عن صاحبنا هذا . قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل ، فروا فيه رأيكم ؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فأتبعوه ، وإن هو لم يُخبركم فهو رجل متقوّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم»^(١) .

ولما سألت قريش محمداً ﷺ عن الأخبار الثلاثة ، أبدى ﷺ استعداداً تاماً للإجابة عن أسئلتهم ، توكلًا منه على الله علام الغيوب ، الذي كان على يقين من أنه سينبئهم بأنبيائها كما أنزل عليه القرآن الكريم ، وعلمه من العلوم ما لم يعلم ، ولم يكن يرجو في يوم من الأيام أن يكون نبياً أو رسولاً ؛ ولكنه ﷺ لما أجابهم بأنه سيخبرهم بأنباء المسائل الثلاث لم يستثن ، أي : لم يقل إن شاء الله تعالى .

نسي - تحت وطأة المفاجأة - أن يُسند الأمر لصاحب الأمر والمشية المطلقة ، وكان مُتلهفاً للإجابة عن تساؤلاتهم رغبة في إسلامهم ، واستبشاراً بظهور دين التوحيد الذي يدعوهم إليه ، وهنا

(١) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٥ ، ص ١٤٣ .



جاء دورُ التَّربِيَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، حيثُ فَتَرَ الوَحْيُ عَنْهُ لِمُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ اخْتَلَفَ المؤرِّخُونَ فِي ضَبْطِهَا ، وَحَتَّى تَطَاوَلَتْ عَلَيْهِ أَلْسِنَةُ السَّوِّءِ بِالاسْتِهْزَاءِ وَالسَّخَرِيَّةِ : أَيْنَ إِلَهُكَ يَا مُحَمَّدًا؟! ، وَرَدَّدَ عَقْلَاؤُهُمْ وَسُفَهَاؤُهُمْ فِي تَشْفٍ وَحَقْدٍ دَفِينٍ : وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبَّهُ!

وبعد فترة الابتلاء والتَّمْحِيصِ ، جَاءَهُ التَّعْلِيمُ الرَّبَّانِيُّ مِنْ فَوْقِ السَّبْعِ الطَّبَاقِ يُذَكِّرُهُ بِأَنْ يُسْنِدَ الْأَمْرَ إِلَى الْمَشِيئَةِ الْمُطْلَقَةِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ؛ فَلَا شَيْءَ يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ ﴾ [٢٣] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] .

هَذَا مِنْ حَيْثُ مَنَاسِبَةُ نَزُولِهَا ، أَمَّا مِنْ حَيْثُ جَوُّهَا الْعَامُّ وَثَوْبُهَا اللَّفْظِيُّ الَّذِي تُعَرَّفُ بِهِ ، وَالْمُضَامِينُ الَّتِي احْتَوَتْهَا ؛ فَلَهَا مَلَاحِظُ خَاصَّةٌ تُمَيِّزُهَا عَنْ غَيْرِهَا ، حَتَّى إِنْ الْقَارِئُ الْعَادِيَّ الَّذِي لَهُ صُحْبَةٌ مَعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورِهِ ، إِذَا سَمِعَ آيَةً أَوْ مَقْطَعًا مِنْ مَقَاطِعِهَا يَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا ، وَيَسْتَيَقِنُ بِأَنَّ الْآيَاتِ الْمَتْلُوءَةَ أَوْ الْمَقْطَعِ الْمَسْمُوعَ هُوَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ ، الَّتِي تَضُمُّ بَيْنَ مَضَامِينِهَا أَغْرَبَ الْقَصَصِ وَالْأَحْدَاثِ ، غَرَابَةِ الْكَهْفِ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ الْفِتْيَةُ فِرَارًا بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ .

وَقَبْلَ الشَّرُوعِ فِي بَيَانِ عِلَاقَتِهَا بِسُورَةِ الْجَنِّ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، يَحْسَنُ الْوُقُوفُ عِنْدَ السُّؤَالِ الْآتِي : لِمَاذَا يَقْرَأُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ ؟ مَا الَّذِي تَتَضَمَّنُهُ مِنْ حَيْثُ الْمَحْتَوَى دُونَ غَيْرِهَا مِنَ السُّورِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ؟

يَقْرَأُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مُصَدِّقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ

جَوَابُ الدَّرَجَةِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ الشُّرُوحِ

حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» ^(١) ،
 وَقَوْلُهُ ﷺ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ فِيهِ عَنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ : «إِنْ يَخْرُجُ
 وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُكُمْ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُوا حَجِيجَ
 نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ
 فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ؛ فَإِنَّهَا جَوَارِكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ» ^(٢) .

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِ قُرْآنِهِ : إِنَّ سُورَةَ
 الْكَهْفِ تَضَمَّنَتْ أَرْبَعَ قِصَصٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تُعَالِجُ فِتْنَةً عَظِيمَةً مِنْ
 الْفِتَنِ الَّتِي تَعْرِضُ حَيَاةَ كُلِّ فَرْدٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا : قِصَّةُ فِتْنَةِ الْكَهْفِ وَهِيَ
 تَعْرِضُ فِتْنَةَ الْعَقِيدَةِ وَمُجَابَهَةَ السُّلْطَانِ ، وَقِصَّةُ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ وَهِيَ
 تَتَحَدَّثُ عَنْ فِتْنَةِ الْمَالِ ، وَقِصَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ
 وَهِيَ تَتَنَاوَلُ فِتْنَةَ الْعِلْمِ ، وَقِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَهِيَ تُعَالِجُ فِتْنَةَ الْأَخْذِ
 بِالْأَسْبَابِ وَالْإِغْتِرَارِ بِهَا ؛ وَالْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ بِأَنْ يَعْتَصِمَ بِحَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى
 مِنَ الْفِتَنِ ، وَخَيْرُ مَا يَبْقَى الْمُسْلِمَ مِنَ الْفِتَنِ الْمُدَاوِمَةُ عَلَى تِلَاوَةِ الذِّكْرِ
 الْحَكِيمِ وَالْمُدَاوِمَةُ عَلَى تَدْبِيرِهِ ، وَأَخْصَصُ سُورَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمَتَعَلِّقَةَ
 بِأَهَمِّ أَنْوَاعِ الْفِتَنِ هِيَ سُورَةُ الْكَهْفِ . هَذَا ، عِلَاوَةً عَلَى مَا يُسْتَنْبِطُ مِنْ
 آيَاتِهَا الْآخَرِ مِنَ التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الشَّبَابِ ، وَفِتْنَةِ الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ ،
 وَفِتْنَةِ الْوَلَدِ ، وَفِتْنَةِ إِبْلِيسَ الرَّجِيمِ ، وَفِتْنَةِ يَأْجُوجَ وَمَآجُوجَ ، وَقَانَا اللَّهِ
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا .

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي بَابِ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، مِنْ حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



بين يدي سورة الجن:

سورة الجنّ مكيّة باتّفاق أهل العلم بالتّزيل . هي السورة الأربعون في تعداد النّزول بعد سورة الأعراف وقبل سورة (يس). أمّا في المصحف الشريف فهي بعد سورة نوح وقبل سورة المزمل ، وعدد آياتها ثمان وعشرون آية .

موضوعها العام هو الحديث عن طائفة من الجنّ الذين استمعوا القرآن وآمنوا ، والجنّ جنس مخالف لجنس البشر . مخلوقات لطيفة ، لا ترى بالأبصار ، لها خصائص وشؤون تختلف عن خصائص البشر وشؤونهم . والسّورة تتحدّث عن نفرٍ منهم ساقهم الله تعالى في جهة تهامة في جزيرة العرب ، فاستمعوا إلى طائفة من قراءة الرّسول ﷺ للقرآن الكريم ، فعلموا أنّه الحقّ من ربّهم ، وانصرفوا إلى قومهم منذرين : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ [الجن : ١ - ٢] ، ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

وفي إخبار القرآن بنبا استماعهم للقرآن وتعجّبهم منه ، وإيمانهم به ، وعودتهم إلى قومهم منذرين معلّمين تنويهً بالرسالة المحمّديّة ، وتنويهً بالرّسول ﷺ ، وإيذان بأنّ رسالته موجّهة للبشر جميعاً وللجنّ ، فهي عامّة وعظيمة وخاتمة .

وفي السّورة بيان لبعض خصائص عالم الجنّ ، مثل إيضاح أنّ منهم الصّالحين وغير الصّالحين ، وبأنّهم كانوا في سالف أمورهم منقسمين طرائق قدداً ، وأنّهم لا يعلمون الغيب ، وأنّهم لمّا أرادوا أن يلقوا السّمع في عهد بعثة محمد ﷺ حيل بينهم وبين خبر السّماء حفاظاً على نزاهة



جَوَابُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَآزِي السُّورِ

الوحي ، ووقاية له من أن يتداولوه بينهم وبين رجال الكهنوت الذين يُضِلُّونهم . وجاء فيها أيضًا بيان أنهم مُكَلَّفون ، ومثابون ومعاقبون ، ولا يملكون لأحد نفعًا ولا ضرًا ، وأنهم خاضعون لقضاء الله وقدره .

كما جاء في سورة الجن حديث عن بعض السنن التي لا تتخلف مثل سنة الاستقامة على الطريقة المستقيمة ، فإن مُتَّبِعِيهَا يصلون إلى حميد العاقبة وعظيم المآل في الدنيا والآخرة .

المقارنة بين سورتي الكهف والجن:

درج البيان القرآني على ذكر بعض الاتهامات أو القضايا في سورة ، ويذكرُ الجواب أو التَّفِيدَ الخاصَّ بها في سورةٍ أخرى ، حتَّى إِنَّ القارئَ الذَّكيَّ ليشعرُ أَنَّ هذه الآيةَ هي جوابٌ عن تلك ، وأنَّ هذه الآيةَ تُجيبُ عن ذلك السؤال أو توضح تلك القضية ، وتقطعُ الأمرَ في شأنها ، من ذلك أَنَّ المُشْرِكِينَ اتَّهَمُوا رسولَ الله ﷺ بالجنون في مواضع من الذكر ، أحياناً بنعته بصفة (مجنون) في مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلَّهِ تَارِكُونَ أَلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ ﴾ [الدخان: ١٤] ، وأحياناً أُخِرَ بعبارة (به جنّة) : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠] ، وقوله : ﴿ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ [سبأ: ٨] .

وقد رَدَّ القرآنُ اتِّهَامَاتِهِمْ ، وفنَّدَ مقولاتهم ومفترياتهم في آيات منها : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢] ، وقوله جلَّ شأنه : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢] .



واتهموه ﷺ بأنه شاعر: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ آفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَشَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥] ، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠] ، وأن ما أتى به هو من قبيل الشعر ، فردَّ الله جلَّ شأنه عليهم ، وفند أقاويلهم بنفي الشعر عنه: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١] ، وقوله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٦٩] ، ومثل ذلك كثير .

ومن هذا القبيل ، نجد الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩] ؛ فهذا السؤال بقي بدون جواب ، وفي سوق هذا المعنى بهذا الثوب الاستفهامي ﴿ أَمْ حَسِبْتَ . . . ﴾ إيماء إلى أن القرآن لا يوافق على أن قصة أصحاب الكهف هي أعجب القصص كما كان يرى أحبارُ يهود .

إذن فما العجب؟ وأين يكمنُ هذا العجب؟

حاول ابن الزبير الغرناطي الإجابة عن هذا السؤال ببيان أن جواب الاستفهام الإنكاري الذي ورد في فاتحة الكهف ﴿ أَمْ حَسِبْتَ . . . ﴾ تضمّنته فاتحة سورة مريم؛ فالعجبُ ليس في قصة فتية الكهف الذين أنامهم الله جلَّ جلاله فترةً طويلةً من الزمن ، وإنما العجبُ في ﴿ كَهَيْعَتِهِمْ ﴾ وما تضمّنته من قصصٍ غريبٍ عجيب؛ ففي قصة زكريّا عليه السلام ، وزوجه العجوز العاقر ، وولادة يحيى عليه السلام أمرٌ عجبٌ ، وفي مولد عيسى عليه السلام من أمٍّ دون أبٍ ، وفي تكليمه الناسَ صبيًا كثيرٌ من العجب!! .

قال ابن الزبير الغرناطي: «لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ

الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ [الكهف: ٩] ، ثم أورد خبرهم وخبر
الرجلين وموسى والخضر وقصة ذي القرنين ، أتبع سبحانه ذلك
بقصصٍ تَضَمَّنَتْ من العجائب ما هو أشدَّ عَجَبًا وأخفى سببًا ، فافتتح
سورة مريم بقصة يحيى بن زكريا ، وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة
وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهما مُتَعَجِّبًا: ﴿أَنَّى
يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي آمَرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾
[مريم: ٨] ، فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هَيِّنٌ ، وأنه يجعل ذلك آية
للناس .

وأمرُ هذا أعجب من القصص المتقدمة ، فكأن قد قيل : أم حسبت
يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا ، نحن
نُخْبِرُكَ بخبرهم ، ونُخْبِرُكَ بما هو أعجب وأغرب وأوضح آيةً ، وهو
قصة زكريا في ابنه يحيى عليه السلام ، وقصة عيسى في كينونته بغير
أب ، ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقَّفُ عليها شيء من مسبباتها
إلا بحسب سنة الله ، وإنما الفعل له سبحانه لا للسبب»^(١) .

قلتُ: هو رأيٌ عظيمٌ ، ومسلكٌ وجيهٌ في إيجاد المناسبة بين
السورتين ، وقد تبعه في ذلك مَنْ تبعه مِنْ عُنُوا بإيجاد المناسبات
بين الآيات والسور من أمثال الإمام البقاعي وغيره .

ولكن ثمة مهيعٌ آخرٌ للوقوف على الجواب الصحيح ، وهو مسلكٌ
دقيقٌ في النظر في العَجَبِ المُسْتَفْهِمِ عنه في سورة الكهف . فإذا كانت
آية الكهف أنكرت في سياقٍ استفهاميٍّ أن تكون قصة فتية الكهف
عَجَبًا ؛ فَإِنَّ الْجَنِّ فِي مَطْلَعِ سورة الجنِّ أثبتوا العَجَبَ لهذا القرآن

(١) ابن الزبير الغرناطي ، البرهان في تناسب سور القرآن ، ص ١٢٨ .



العظيم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]؛ فهذا قول طائفة الجن الذين أسلموا حين حضروا تلاوة الرسول ﷺ القرآن في أرض تدعى (نخلة) غيب مرجعه من الطائف في صلاة الفجر^(١) حيث شهدوا هذه الشهادة العظيمة ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ، وقد أقرهم القرآن على ذلك بدليل أن هذه الشهادة جاء ذكرها في سياق تقريرتي يحكي ما قاله الجن ، وبدليل قول النبي ﷺ يوم تلا سورة الرحمن على أصحابه ، وكانوا سُكُوتًا؛ حيث إنه قال لهم: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردودًا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»^(٢).

فهذا إقرار من النبي ﷺ ، وشهادة منه أن الجن كانوا أكثر تفاعلاً مع القرآن ، وكانوا أعرف بما يحويه ويتضمنه من أسرار وحكم.

قد يسأل سائل: ما العلاقة التي تربط بين سورة الجن وسورة الكهف حتى نربط هذا الربط ، والمسافة بينهما واسعة؛ فالكهف من المثين ، وهي في وسط القرآن؛ فهي السورة المكملة للجزء الخامس عشر ، والجن من المفصل ، وهي صدر الحزب الثامن والخمسين؟ كذلك لا شيء يدل في فاتحة كل منهما على شيء من التشابه أو التقارب؛ فالكهف افتتحت بقوله: (الحمد لله) ، والجن مطلعها (قل أوحى...).

(١) انظر: الطبري ، جامع البيان ، ج ٢٣ ، ص ٣١٠ ، وانظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢١ ، ص ٢٧٣ .

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩١) ، وقال: حديث غريب .

وهذا التَّسَاوُلُ بدَوْرِهِ وَجِيهٌ مِمَّنْ يَتَدَبَّرُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَالْإِجَابَةُ بِعَوْنِ اللَّهِ كَالآتِي :

سبق أن أسلفتُ في مقدِّمة هذا الفصل أن الزاوية التي نريد النظر من خلالها هي زاوية تشابه الفواصل في السُّور المختلفة ، والبحث التَّدْبِيرِي في سورتي الكهف والجنّ قد دلَّ على أن بين السُّورتين رِباطًا متينًا يجمعهما ، وأن ثَمَّة خصائص تُوحِّدُهما ، وملامح تُميِّزُهما ، تقود إلى الاستنتاج الذي مُفادُهُ أنَّهما تصدران من معين واحد ، وتتفقُ أكمالُهما من نسيج واحد .

وفيما يأتي بيان لهذه (الدَّعوى المفترضة) إلى أن تستقرَّ في ذهن كل قارئٍ لتحوّل بعد ذلك إلى حقيقة كما هي في ذهن كاتب هذه الكلمات الآن :

١ - الثَّوبُ اللَّفْظِيُّ الخاصّ بالإيقاع الصَّوتي والفواصل لسورة الجنِّ مُشابهٌ إلى حدٍّ كبيرٍ للثَّوب اللَّفْظِي لسورة الكهف ، على ما بسورة الكهف من طولٍ ، وما بسورة الجنِّ من قِصَرٍ ؛ حيث يغلب على سورة الجنِّ فاصلة الدَّال المفتوحة المنوَّنة في آخرها (أَحَدًا ، وَلَدًا ، أَحَدًا ، رَصَدًا ، رَشَدًا ، قِدَدًا) حيث تَكَرَّرَت هذه الفاصلة تسع عشرة مرّة من إجمالي عدد فواصلها الذي يقدر بثمان وعشرين .

والأمر ذاته في سورة الكهف ، حيث يبلغ عدد الفواصل التي تنتهي بالدَّال المفتوحة المنوَّنة ٢٩ فاصلة من إجمالي عدد فواصلها الذي يبلغ ١١٠ فاصلة .

٢ - ذكر القرآنُ على لسان الجنِّ أن القرآنَ يهدي إلى الرُّشد : ﴿ قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ۖ ﴾ ، وقد تَكَرَّرَت مادة (رشد) في سورة الجنِّ أربع مرّات :



﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١ - ٢].

﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرَأُ رِيدَ يَمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠].

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٤].

﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢١].

وهذا العدد ذاته (٤) هو الذي حفلت به سورة الكهف من مادة (رشد):

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠].

﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧].

﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٤].

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَ مِن مَّا عَلَّمْتَ رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٦٦].

علمًا بأن الجن أنفسهم قال بعضهم لبعض في سورة الأحقاف بأنهم سمعوا كتابًا أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق: ﴿ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ، وهذا أيضًا من التناسق اللفظي في سورة الأحقاف التي تعدُّ كلمة (الحق) أيقونةً من أيقوناتها اللفظية بتكررها ٦ مرّات في مشاهد مختلفة.

فانظر ، يا رعاك الله ، كيف تمت مراعاة الاتساق اللفظي في كل سورة ، حيثُ جاء على لسان الجن في الأحقاف ما يتناسق مع ثوبها اللفظي الذي من مكوّناته لفظ (الحق) ، وجاء على لسانهم في سورة



جَوَاهِرُ الدَّرَجَةِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

الْجِنِّ بِأَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ ، وَذَلِكَ أَيْضًا يَتَنَاسَقُ وَيَنْسَجِمُ مَعَ الثُّوبِ اللَّفْظِيِّ لِسُورَةِ الْجِنِّ الَّذِي مِنْ مُكَوِّنَاتِهِ الْأَسَاسِيَةِ لَفْظُ (الرَّشْدُ) ، وَتَدَبَّرْ أَيْضًا فِي التَّشَابُهِ فِي تَوْظِيفِ مَادَّةِ (رَشْدُ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي السُّورَتَيْنِ كِلْتَاهِمَا .

٣ - قَرَّرَ الْجِنُّ فِي مَطْلَعِ سُورَةِ الْجِنِّ بَعْدَمَا سَمِعُوا الذِّكْرَ أَنَّهُمْ لَنْ يُشْرِكُوا بِرَبِّهِمْ أَحَدًا: ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ٢] ، وَجَاءَ فِي السُّورَةِ ذَاتَهَا تَعْلِيمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَثٌّ لَهُ بِأَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠] .

وَالْأَمْرُ ذَاتُهُ جَاءَ تَقْرِيرُهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ بِالْقَالِبِ اللَّفْظِيِّ ذَاتَهُ؛ حَيْثُ تَبَرَّأَ الْفِتْيَةُ الَّذِينَ اعْتَزَلُوا قَوْمَهُمْ مِنَ الشَّرِّكَ وَأَهْلِهِ ، وَقَالُوا: ﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكَهف: ١٤] ، وَقَالَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ نَاصِحًا وَمُرْشِدًا: ﴿لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكَهف: ٣٨] ، وَقَدْ صَوَّرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ نَدَمَ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ الْكَافِرِ الَّذِي اغْتَرَّ بِمَالِهِ وَسُلْطَانِهِ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَفْقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكَهف: ٤٢] ، ثُمَّ جَاءَ خَتَامُ السُّورَةِ يُوجِّهُ كُلَّ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِأَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكَهف: ١١٠] .

٤ - جَاءَ فِي مَطْلَعِ سُورَةِ الْكَهْفِ بِأَنَّ الْإِنذَارَ بِالْقُرْآنِ مُوجَّهٌ لِلَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَهُوَ قَوْلٌ كَذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَهْلِ مُطَبِّقِي بَحْقَائِقِ الْأُمُورِ: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكَهف: ٤] .

أَمَّا سُورَةُ الْجِنِّ ، فَقَدْ جَاءَ فِيهَا تَقْرِيرٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْجِنِّ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ



ثناؤه لم يَتَّخِذْ صاحبةً ولا ولدًا: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]؛ فالجنُّ المؤمنُ المسلمُ يُنَزَّهُ اللهُ تعالى عن الشريك ، والإنسُ الكافرُ يُشْرِكُ وينسبُ الأقوالَ الباطلةَ إلى الله تعالى .

٥ - جاء توظيفُ المصدر (شططًا) في السورتين فقط ، ولم يَرِدْ في غير هذين الموضعين من القرآن كله . هذا ، وقد جاء توظيفه بالصيغة نفسها في الموضعين حيثُ جاء استعماله في حالة النصب على المفعولية :

﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] .

﴿وَأَنَّهُ كَآتٍ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤] .

والشططُ لغةً: «الإفراطُ في البُعد ، يُقالُ: شطَّت الدَّارُ ، وأشطَّ يُقالُ في المكان وفي الحُكم وفي السَّوم ، وعُبرَ بالشطط عن الجور ، قال: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] ، أي: قولًا بعيدًا عن الحق»^(١) .

٦ - جاء في مطلع سورة الكهف وَصَمُّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا بِأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] ، وجاء على ألسنة الفتية أنفسهم وعيدٌ شديدٌ للذين يفترون على الله الكذب: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُواكَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥] .

والحديث ذاته تكرر عند الجن الذين آمنوا ، حيثُ إنَّهم كانوا يستبعدون أن يفترى الإنسُ والجنُّ على ربِّهم الكذب: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥] .

(١) الراغب ، المفردات ، مادة شطط .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

والموقع الإعرابي ذاته ألبسه البيان القرآني لكلمة (كذبًا) حيث جاءت منصوبةً على المفعولية في الآيات الثلاث .

وأيضًا يظهر من المسألة نفسها مزية الجنّ على الإنس؛ فالإنس خاض كثيرٌ منهم في حماة الشرك الآسنة ، ومُستنقعات القول بالباطل على الله تعالى ، أما الجنّ المسلم فظنوا ببراءتهم أن الإنس والجنّ لا يمكن أن يصدرَ منهم كذبٌ على الله تعالى .

٧ - جاء في سورة الكهف توظيفُ الفعل (رهق) في موضعين: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف: ٧٣] ، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿ وَأَمَّا الْفُلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠] .

قال الإمام البغوي في معرض شرحه معنى الإرهاق في قوله ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾: « لا تُكَلِّفْنِي مشقةً . يقال: أَرَهَقْتُهُ عُسْرًا ، أي: كَلَّفْتُهُ ذلك . يقول: لا تُضَيِّقْ عَلَيَّ أَمْرِي ، وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر »^(١) .

والمادة ذاتها تكررت مرّتين في سورة الجنّ ، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] ، وفي قوله جلّ شأنه: ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجن: ١٣] .

وهذا دليلٌ آخرٌ يدلُّ على ما بين السورتين من تجاذب وتوافقٍ في المواد اللفظية المستعملة ، وهو يقودُ بدوره إلى الحكم بتشابه ثوبيهما اللفظيين .

(١) البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .



٨ - جاء في سورة الكهف توظيف كلمة (ملتحدًا) مع الفعل (وجد) ، والتعبير ذاته تكرر في سورة الجن :

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].

وفي الآيتين أمرٌ مُوجَّهٌ لرسول الله ﷺ ، في الكهف أمره أن يتلو الكتاب ، وأعلمه أنه لن يجد من دون ربه ملتحدًا أي: ملجأ يلجأ إليه سواه ، أو ملاذًا يلوذُ به إلا هو ، وفي سورة الجن أمره أن يقول وأن يعلن للناس بأنه يلجأ إلى ربه في كل أمره وشأنه؛ فلن يُجيرهُ من الله أحدٌ ، ولن يجد ملجأ ولا ملتحدًا من دونه.

وفعلًا أعلن الرسول ﷺ براءته من كلِّ حولٍ ومن كلِّ جهة ، وأعلن بوضوح دعوته ، وصدع باعتقاده الصحيح في وجه الزمان والمكان جهارًا نهارًا: «فلا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك». كان يقولها حين يلقي جنبه للنوم ، وكان يُرددها في كلِّ آنٍ وحين .

اللافتُ للانتباه في هاتين الآيتين توافقهما في جملةٍ من النقاط :

أ - ابتداء الآيتين بفعل في صيغة الأمر: (اتلُ) ، و(قلُ).

ب - استعمال أداة النفي المفيدة للتأيد في أحد أقوال النحاة: (لن): لن تجد ، ولن أجد.

ج - استعمال الفعل (وجد) في المضارع: لن تجد ، ولن أجد.

د - توظيف اسم المفعول (ملتحدًا) في صيغة النصب على المفعولية في الآيتين: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾.



كلّ هذه الروابط اللفظية في حقيقة الأمر هي مؤشرات دقيقة وقاطعة بأنّ هذه السورة من تلك ، وأنّ بين السورتين نسباً يجمعهما ، وسراً يوحدُهما ، خصوصاً حين يعلمُ الباحثُ المُتدبِّرُ أنّ لفظ (ملتحدّاً) لم يتكرّر في القرآن كلّهُ إلا في هذين الموضعين .

٩ - جاء في سورة الكهف توظيفُ لفظ (أحدّاً) وإيقاعه مفعولاً به في ثمانية مواضع ، وجاء الاستعمالُ نفسه في سورة الجنّ في خمسة مواضع ، وهذا أيضاً من النسيج اللفظي المتشابه بين السورتين :

جاء في سورة الكهف :

- ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١٩] .
- ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] .
- ﴿ وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٦] .
- ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٣٨] .
- ﴿ وَيَقُولُ يَلَيِّنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٢] .
- ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٧] .
- ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] .
- ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وجاء في سورة الجن :

- ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢] .
- ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٧] .
- ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] .
- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٠] .



﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦].

وإذا علمت ، أخي القارئ ، أن لفظ (أحدًا) في حالة النصب تكرر في القرآن كله عشرين مرة ، ١٣ منها في سورتي الكهف ، والجن ؛ علمت مدى التشابه ، والتجاذب بين السورتين في ثوبيهما اللفظيين ، وفي نسيجيتهما اللغويين ، ولا يسعُ القارئُ اللبيبَ وهو يرى هذا التشابهَ العجيبَ في الاستعمال إلا أن يُردّدَ في يقينٍ وخشوعٍ: إن وراء الأكمة ما وراءها ، وإن بين السورتين لأمرًا.

١٠ - جاء في مطلع سورة الكهف ذكرُ رسول الله ﷺ بصفة العبودية: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] ، وبالصفة ذاتها جاء ذكرُهُ في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩].

والصفتان مستعملتان في مقام الثناء عليه ﷺ؛ فالعبودية مقامٌ عظيمٌ عند الله تعالى ، ولا يقومُ بحقّها إلا عباد الله الصادقون المخلصون ، والأخيارُ المُصْطَفَوْنَ.

١١ - جاء في سورة الكهف حديثٌ عن الذين يُنكرون البعث ، وتكرّرت فيها مادة (بعث) في مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢] ، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١٩].

أما في سورة الجن ، فقد أنكرَ الجنُّ على إخوانهم الذين ظنوا أن لن يبعثَ الله أحدًا: ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٧].



١٢ - ذكر الله تعالى في سورة الكهف أن كثيراً من الناس امتنعوا عن الإيمان بالهدى ، الذي جاءهم من الله تعالى ، بحجة أنهم كانوا يرغبون في رؤية خوارق مُعْجِزة ، وآياتٍ كونية تفسرهم على الإيمان قسراً؛ فبين الله تعالى أن المجيء بالآيات لا يسوق الناس إلى الإيمان سوقاً اضطرارياً ، وأن الرُّسل يبعثهم الله مبشرين ومنذرين ، وليست وظيفتهم أن يأتوهم بالعذاب قبلاً: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] ، وجاء في السورة ذاتها وصفهم بعدم الاهتداء؛ فإنك إذا دعوتهم ازدادوا نفوراً وإعراضاً عن الحق: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧] .

أما الجنُّ ، فإنهم لما سمعوا الهدى آمنوا به واستجابوا لداعي الهدى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣] ، وجاء في سورة الأحقاف على لسان الجن الذين حضروا قراءة القرآن واستمعوا له: ﴿يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ؕ وَءَامِنُوا بِهِ ؕ يَعْفِرْ لَكُمْ مَن ذُنُوبِكُمْ وَيُحَرِّكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] .

١٣ - والدليل القاطع الذي لا يدع مجالاً لمتحدّثٍ ، ويقطع قول كل خطيب ، ويُجهز على شك كل مريب في أن ما جاء ذكره في سورة الجن ، هو جواب ما جاء التساؤل عنه في سورة الكهف ، علاوة على ما سبق ذكره ، هو أن قصة آدم وإبليس تكرر ذكرها في القرآن الكريم في سبعة مواضع: في البقرة ، والأعراف ، والحجر ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، وص .

يتشابه عرضها في الجملة ، ولكن يتميز كل عرضٍ بخصائص ومميزات السورة التي جاء عرضها فيها ، ومما يخدم القضية التي نحن



بصددها أن إبليس جاء ذكره في كل سياقٍ بأنه أباي أن يكون مع الساجدين ، أو أنه كفر واستكبر وكان من الكافرين ، أو أنه لم يكن من الساجدين ، وقد جاء ذكره في كل مشهد باسمه العلم (إبليس) دون إشارة إلى جنسه: أهو من طائفة الجنّ ، أم من الملائكة ، أم من الإنس؟

أما في سورة الكهف ، فقد جاء ذكره بأنه من طائفة الجنّ ، وفي هذا لفتٌ يكاد يكون صريحًا إلى ضرورة الانتباه إلى سورة الجنّ التي ينتمي إليها إبليس ، والتدبر في معاني آياتها ، ففيها الجواب الشافي للعجب الذي جاء الحديث عنه في صيغة استفهام إنكاري في سورة الكهف ، والله أعلم بأسرار تنزيله .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١] .

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠ - ٣١] .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١] .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَسَخَّدُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أُولَٰئِكَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠] .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ [طه: ١١٦] .



﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾

[ص: ٧٣ - ٧٤].

مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ ، يَتَبَيَّنُ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ حَصِيفٍ ، وَلِبِّ رَشِيدٍ ، أَنَّ سُوْرَ الْقُرْآنِ يُوضِّحُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَأَنَّ آيَاتِهِ يُفَسِّرُ بَعْضُهَا أَيْضًا ، وَأَنَّ نَسِيجَ سُورَةِ الْجِنِّ هُوَ مِنْ جِنْسِ نَسِيجِ سُورَةِ الْكَهْفِ ؛ حَيْثُ إِنَّهُمَا تَتَشَابَهُانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الِاسْتِعْمَالَاتِ الَّلَفْظِيَّةِ ، وَتَتَمَيَّزَانِ بِذِكْرِ الْفَاضِطِّ لَمْ تَرُدَّ فِي غَيْرِهِمَا مِثْلَ (شَطَطًا ، مُتَحَدًّا) ، وَالْمَوْشَّرِ الَّذِي دَعَانَا إِلَى إِجْرَاءِ هَذِهِ الْمَقَارِنَةِ بَيْنَ النَّسِيجَيْنِ اللَّغَوِيَيْنِ لِلْسُّورَتَيْنِ هُوَ تَشَابَهُ فَوَاصِلِهِمَا وَإِيقَاعَهُمَا الصَّوْتِيَّ ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ مِنَ الْمَقَارِنَةِ هُوَ عَيْنُ طَرِيقَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْمَفْسِّرُونَ ، وَجَعَلُوهَا فِي التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ فِي قَائِمَةِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسَالِيبِ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

فواصل سورة الكهف:

عَوَجًا (١) حَسَنًا (٢) أَبَدًا (٣) وَلَدًا (٤) كَذِبًا (٥) أَسَفًا (٦)
عَمَلًا (٧) جُرْزًا (٨) عَجَبًا (٩) رَشَدًا (١٠) عَدَدًا (١١) أَمَدًا (١٢)
هُدًى (١٣) شَطَطًا (١٤) كَذِبًا (١٥) مِرْفَقًا (١٦) مُرْشِدًا (١٧) رُغْبًا (١٨)
أَحَدًا (١٩) أَبَدًا (٢٠) مَسْجِدًا (٢١) أَحَدًا (٢٢) غَدًا (٢٣) رَشَدًا (٢٤)
تِسْعًا (٢٥) أَحَدًا (٢٦) مُتَحَدًّا (٢٧) فُرْطًا (٢٨) مُرْتَفَقًا (٢٩)
عَمَلًا (٣٠) مُرْتَفَقًا (٣١) زَرْعًا (٣٢) نَهْرًا (٣٣) نَفْرًا (٣٤) أَبَدًا (٣٥)
مُنْقَلَبًا (٣٦) رَجُلًا (٣٧) أَحَدًا (٣٨) وَلَدًا (٣٩) زَلَقًا (٤٠) طَلَبًا (٤١)
أَحَدًا (٤٢) عُقْبًا (٤٤) مُقْتَدِرًا (٤٥) أَمَلًا (٤٦) أَحَدًا (٤٧) مَوْعِدًا (٤٨)
أَحَدًا (٤٩) بَدَلًا (٥٠) عَضْدًا (٥١) مَوْيِقًا (٥٢) مَضْرِفًا (٥٣)
جَدَلًا (٥٤) قُبْلًا (٥٥) هُزُوءًا (٥٦) أَبَدًا (٥٧) مَوْئِلًا (٥٨) مَوْعِدًا (٥٩)

حُقُبًا (٦٠) سَرَبًا (٦١) نَصَبًا (٦٢) عَجَبًا (٦٣) قَصَصًا (٦٤) عِلْمًا (٦٥)
 رُشْدًا (٦٦) صَبْرًا (٦٧) خُبْرًا (٦٨) أَمْرًا (٦٩) ذِكْرًا (٧٠) إِمْرًا (٧١)
 صَبْرًا (٧٢) عُسْرًا (٧٣) نُكْرًا (٧٤) صَبْرًا (٧٥) عُذْرًا (٧٦) أَجْرًا (٧٧)
 صَبْرًا (٧٨) غَضَبًا (٧٩) وَكُفْرًا (٨٠) رُحْمًا (٨١) صَبْرًا (٨٢) وَذِكْرًا (٨٣)
 سَبَبًا (٨٤) سَبَبًا (٨٥) حُسْنًا (٨٦) نُكْرًا (٨٧) يُسْرًا (٨٨) سَبَبًا (٨٩)
 سِئْرًا (٩٠) خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) قَوْلًا (٩٣) سَدًا (٩٤)
 رَذْمًا (٩٥) قِطْرًا (٩٦) نَقْبًا (٩٧) حَقًّا (٩٨) جَمْعًا (٩٩) عَرْضًا (١٠٠)
 سَمْعًا (١٠١) نَزْلًا (١٠٢) أَعْمَالًا (١٠٣) صُنْعًا (١٠٤) وَزْنًا (١٠٥)
 هُزُوءًا (١٠٦) نَزْلًا (١٠٧) حَوْلًا (١٠٨) مَدَدًا (١٠٩) أَحَدًا (١١٠).

فواصل سورة الجن:

عَجَبًا (١) أَحَدًا (٢) وَلَدًا (٣) شَطَطًا (٤) كَذِبًا (٥) رَهَقًا (٦)
 أَحَدًا (٧) وَشُهَبًا (٨) رَصَدًا (٩) رَشَدًا (١٠) قَدَدًا (١١) هَرَبًا (١٢)
 رَهَقًا (١٣) رَشَدًا (١٤) حَطَبًا (١٥) غَدَقًا (١٦) صَعَدًا (١٧) أَحَدًا (١٨)
 لَبَدًا (١٩) أَحَدًا (٢٠) رَشَدًا (٢١) مُلْتَحَدًا (٢٢) أَبَدًا (٢٣) عَدَدًا (٢٤)
 أَمَدًا (٢٥) أَحَدًا (٢٦) رَصَدًا (٢٧) عَدَدًا (٢٨).

مما سبق يتبين ما يأتي:

عدد فواصل حرف الدال في سورة الكهف = ٢٩ . النسبة المئوية = ٢٦,٣٦ .

عدد فواصل حرف الدال في سورة الجن = ١٩ . النسبة المئوية = ٦٧,٨٥ .

مجموع نسبتي الفاصلتين في السورتين = ٩٤,٢١ ، وهذا يدل على أن حرف الدال هو الغالب في السورتين ، ويدل أيضا على

جَاهِ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ



٣٢٨

تکامل السورتین فی مبناهما اللفظی ، وفی معانیهما ودلالتهما کما
تمّ إیضاحه ، والله تعالی أعلم .

* * *



المبحث الثالث

سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحي)

في هذا المبحث سيتم عرض أوجه التقاطع والتشابه ، التي تجمع بين أفراد أسرة جديدة من السور القرآنية تتشابه في أغلب فواصلها ، وهي أسرة (طه) وأخواتها من ذوات الألف المقصورة اللينة ، أي: سور النجم ، والأعلى ، والليل ، والضحي .

وقبل الشروع في بيان أوجه التشابه والتكامل بين الأثواب اللفظية لهذه السور ، يحسن تقديم ملخص موجز لكل سورة يُبرز محورها وأهم الأغراض التي تعالجها.

سورة طه:

.. سورة مكّية في قول جمهور المفسرين . هي السورة الخامسة والأربعون في تعداد النزول ، بعد سورة بعد سورة مريم وقبل سورة الواقعة ، وهي السورة العشرون في ترتيب المصحف بعد سورة مريم وقبل سورة الأنبياء .

.. وقد ذكر ابن إسحاق في سيرته ، والإمام الدارقطني وغيرهما ، أن سورة طه كانت سببا في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . جاء في سيرة ابن هشام : «خرج عمر متقلداً بسيف . فقيل له : إن خنتك وأختك قد صبوا ، فأتاهما عمر وعندهما خباب بن الأرت



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

رضي الله عنه يُقرئهما سورة (طه) ، فقال : أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرأه؟ فقالت له أخته : إِنَّكَ رَجَسٌ ، ولا يمسّه إِلَّا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ . فقام عمرٌ وتوضأ وأخذ الكتاب فقرأ (طه) ؛ فلما قرأ صدرًا منها قال : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمه»^(١) .

.. محورها العام هو تسليّة رسول الله ﷺ ومواساته فيما يلاقيه من شدائد ، وما يُكابِد من مشقّات في طريق الدّعوة إلى عقيدة الإسلام . ولأنّ دعوة موسى عليه السلام هي أشبه الدّعوات بما جاء به محمد ﷺ ، جاء في سورة طه - كما ورد في سور أخرى - مشاهد من قصّة موسى عليه السّلام تخدم موضوع تثبيت الرّسول وتأييده ، وبيان حفظ الله تعالى له ورعايته ، وصنعه وتربيته على عينه جلّ ثناؤه ، وبأنّه أرسله في هذه الدّنيا محمّلاً بهذه الرّسالة لا ليشقى ، وإنّما ليسعد هو ومن اتّبعه على صراط الله المستقيم ، القائم على التّوحيد والعبادة الحقّة لله الواحد الدّيّان .

هذا ، وقد جاء فيها ذكرُ جملة من المواضيع التي تخدم محورها العام المتمثل في نصرة الرّسول ﷺ وتثبيته ، وبيان أن دين الإسلام هو دين الهدى الذي لا يضلّ من اتّبعه ، وأنّ القرآن هو وحي الله المنزل على قلب محمد ﷺ ، وأنّه تنزيل عظيم ، وذكرٌ حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجاء فيها أيضاً حديث عن بعض مشاهد يوم القيامة بما يتّفق مع جوّها العام ، ويتّسق مع ثوبها اللفظي .

سورة النّجم:

سورة (النّجم) مكّيّة في الرّاجح من أقوال علماء التّنزيل ، بل هي أوّل سورة ، كما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أعلنها

(١) .. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٤٢ وما بعدها .

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحى) ٣٣١ 

رسول الله ﷺ بمكة وصدع بها في فناء الكعبة ، وكبراء قريش يستمعون لتلاوته ، حتى إذا بلغ موضع السجود منها سجد ، وسجد معه المؤمنون ، وسجد المشركون^(١) .

.. هي السورة الثالثة والعشرون في تعداد النزول بعد سورة الإخلاص وقبل سورة عبس . والمحور العام الذي تعالجه هو إثبات نبوة محمد ﷺ ، وبأن القرآن الكريم وحى يوحى . ويندرج تحت مظلة هذا المحور موضوع التوحيد ، وموضوع إبطال إلهية الأصنام التي يعبدونها ويدعونها من دون الله تعالى ، وذكر لعواقب نماذج من الأقوام السابقين الذين كفروا بالله ، وكذبوا رسله ، وآذوه وازدجروهم ، فكانت نهاياتهم متشابهة ، وغشيتهم من العذاب ما غشيتهم .

سورة الأعلى:

سورة الأعلى مكية ، وهي الثامنة نزولاً بعد سورة التكوين ، وقبل سورة الليل . هي الوحيدة من المسبحات التي افتتحها الباري بفعل الأمر: سبّح . يدور محورها العام حول توحيد الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته ، وبيان تفرده بالخلق والإبداع وهداية كل ما خلق إلى وظيفته في هذه الدنيا . وأيضاً تناولت جانباً من قضية إثبات نبوة محمد ﷺ ، وتعليمه القرآن الكريم ، ووعدته بأن الله سيجمعه في قلبه فلا ينساه ، وحث الناس على الإيمان بالله تعالى ، والاتعاظ والتذكر بالهدى الرباني الذي جاءهم من الله تعالى لعلهم يخشون ويفلحون .

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٧ ، ص ٨١ .



سورة الليل:

تُعَدُّ سورة الليل مكيّةً في قول جمهور أهل العلم ، وهي التاسعة نزولاً بعد سورة الأعلى وقبل سورة الفجر . وهي الثانية والتسعون في ترتيب المصحف بعد سورة الشمس وقبل سورة الضحى .

تبدأ بالقسم بالليل حين يغشى بأسجافه الكائنات ، وبالنهار حين يتجلى بأنواره ، وبالقسم بالله الذي خلق الذكر والأنثى ، والمقسم عليه هو أن أمر الناس شئى ، وأن أفعالهم وأعمالهم ومعتقداتهم قبل ذلك تُمَيِّز بينهم في الدنيا ، وتفرّق بينهم في المصير يوم القيامة ؛ فالذين آمنوا واتّقوا وصدّقوا بالحسنى وآتوا أموالهم ابتغاء وجه الله تعالى فلهم الفلاح والفوز والرّضوان . وأمّا الذين كفروا ، وصدّوا عن الهدى وبخلوا بما أوتوا ، واتّبعوا العسرى ؛ فإنّ لهم يوم القيامة العسرى من الجزاء ، ومآلهم إلى سوء المصير .

وأوضحت أن المترفين الذي لم يتّبعوا داعي الحق ، وكفروا بالله تعالى ؛ لا ينفعهم غناهم ، ولا تجدي عنهم أموالهم شيئاً ، والله تبارك تعالى وعد بهداية من يهتدي ويبتغي إليه سبيلاً : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا لِلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۚ ﴾ [الليل : ١٢ - ١٣] .

سورة الضحى:

هي من أوائل السّور المكيّة . هي الحادية عشرة من حيث ترتيب النزول ، بعد سورة الفجر وقبل سورة الشّرح ، والثالثة والتسعون في ترتيب المصحف ، بعد الليل وقبل الشّرح . أنزلها الله تبارك وتعالى بعد فتور الوحي عن محمد ﷺ . كان ذلك حين ردّد المشركون في حقد وتشفّ وتهكّم : ودّع محمّداً ربّه ؛ فقال الله له يسّليه ويثبّته ويقوّيه ويبين رضاه عنه في الدنيا والآخرة : ﴿ مَا ودّعك ربّك وما قلى ۚ ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحى) ٣٣٣

لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿١﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٢﴾ [الضحى: ٣ - ٥].

وهي لا تخرج في محورها العام عن الأغراض التي عالجهها القرآن المكي بشكل عام ، ويتجلى فيها بيان نبوة محمد ﷺ ، وبيان امتنان الله تعالى عليه ، وحفظه له ، ورعايته له في سابق أمره ولاحقه .

الثوب اللفظي المشترك بين أسرة (طه):

١ - من عظيم العلامات التي جعلها الله نبراساً تهدي التالين والمتدبرين في أي الذكر إلى إدراك التناسب والتناسق والإحكام في نصوص التنزيل ؛ ظاهرة تجاذب الألفاظ في السورة الواحدة ، وتجاذبها في السور المتشابهة الفواصل . والتجاذب يكون أحيانا بورود ألفاظ بعينها سواء كانت أسماء أو أفعالا أو حروفاً ، وأحيانا يتمثل التجاذب في تآلف وتجمع الكلمات التي تحمل دلالات متقاربة من نفس الحقل المعرفي أو من حقول معرفية متقاربة ، وهذه الظاهرة تجعل القارئ يستحضر ذات المعنى الذي قرأه في نص آخر ، وتعود به ذاكرته إلى الموضع الأول ، وهذا يؤدي - بفتح من الله تعالى وتوفيق - إلى الاهتمام إلى معان ودلالات ؛ ما كانت لتظهر لولا النظر من هذه الزاوية الخاصة ، أقصد: زاوية التجاذب والمقارنة بين النصوص .

من ذلك ورود اسم (الأعلى) في أربع سور من مجموع خمس سور من أسرة طه وأخواتها التي تتشابه في الفواصل ، وهي قوله تعالى :

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ [طه: ٦٨].

﴿ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴾ [النجم: ٧].

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١].

﴿ إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [الليل: ٢٠].



نلاحظ أن لفظ (الأعلى) الذي هو اسم من الأسماء الحسنى ورد في سورتين هما سورة الأعلى وسورة الليل. أما في سورة طه فلفظ الأعلى جاء وصفاً لموسى عليه السلام ، وفي سورة النجم جاء وصفاً للأفق.

من ناحية أخرى ، نجد في سورة طه حديثاً عن القرآن الكريم بكونه تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى: ﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ [طه: ٤] ، أي: في الآية إشارة إلى علوية السماوات ، وفي سورة النجم يجد القارئ حديثاً مماثلاً يصفُ علوية المكان الذي تم فيه الإحياء لمحمد ﷺ في ليلة المعراج حين عرج به إلى السماوات العلى حيث سدره المنتهى ، وحيث رأى من آيات ربه ما رأى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۖ ثُمَّ دَنَا فَدَدَنَىٰ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤ - ٩] .

علما أن وصف (العلى) ، الذي هو جمع (عليا) ، مؤنث (أعلى)؛ لم يرد في القرآن كله إلا في سورة طه مرتين ، الأولى في الموضع السابق في وصف السماوات العلى ، والموضع الثاني في وصف الدرجات في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ [طه: ٧٥] .

وبمثل هذا الجلاء والوضوح ، يتجلى لكل قارئ متدبر كيف تتجاذب الألفاظ المستقاة من المادة ذاتها في السورة الواحدة ، وكيف أنها أيضا تتجاذب فيما بينها في السور التي تنتمي إلى أسرة واحدة ، كما هو الشأن بالنسبة لما نحن فيه بين طه ، والنجم ، والأعلى ، والليل ، والضحي.

٢ - الأشقى هو أفعال تفضيل من الفعل (شَقِيَ) ، بمعنى: تعب

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحى) ٣٣٥

ونصب في هذه الدنيا. والأشقى في سورة الأعلى هو الذي يجتهد لتجنب الذكرى. يجتهد لتجنب كل من يدعو إلى عقيدة التوحيد، ويذكره بربه، وبضروره سلوك الصراط المستقيم للوصول إليه. وحين يجتهد في تجنب صراط الله، تكون نهايته أنه يصلى النار الكبرى، ويظل فيها أحقاباً يُعَذَّب، لا يموت فيها ولا يحيى، أي: لا يموت فيرتاح من العذاب، ولا يحيى حياة هنية سعيدة. هذه حاله في سورة الأعلى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى ۖ وَيَنْجَنِي الشَّقَى ۖ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ﴾ [الأعلى: ١٠ - ١٣].

أما مصيره المشؤوم في سورة الليل فهو مُظْلِمٌ قاتم؛ فهو يصلى نارا تتلظى بسبب تكذبه للداعي، وتوليّه عن الدين الحق: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ﴾ [الليل: ١٤ - ١٦].

أما محمد ﷺ فقد بشره ربه الذي اجتباه واصطفاه لحمل الرسالة الخاتمة بأنه لم يُنزل عليه القرآن ليشقى بل لیسعد ويهنا، في حياة إيمانية يعبد فيها ربه، ويتضرع بين يديه، ويدعو الناس أجمعين إلى صراطه المستقيم. ومن أسعد ممن جعله الله تعالى سبباً إلى هداية قلوب الخلق إلى عبادة ربهم وتوحيده: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قلت: جاء مطلع سورة (طه) مُثْبِتاً قلب نبينا محمد ﷺ، ومُبْعِداً عنه كل وساوس أهل الشرك وشياطينهم: ﴿طه ۝ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ﴾ [طه: ١ - ٢]، وإنما أنزلناه عليك لتسعد وتذوق طعم حياة الإيمان والإسلام.

وليست السعادة حكرًا على محمد ﷺ، وإنما جعلها الله العليم الحكيم في متناول كل بشر استمع إلى نداء الفطرة، وأنصت إلى نداء



جَوَابُ الدَّرَجَةِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ النُّجُومِ

الحق ، وفي مقدّمتهم الأنبياء والمرسلون ، وفي مقدّمة الأنبياء والمرسلين آدم أبو البشر أجمعين ، حيث أوضح له ربّه أنّه إن التزم بالتّوجيهات الموجهة إليه فلا يضلّ ولا يشقى ، أي : لا يضلّ في الدّنيا ، ولا يشقى بسعيه في الآخرة : ﴿ فَقُلْنَا يَسَادُّمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [طه : ١١٧] .

وقد يقول قائل : وهل السّعادة ودفع الشّقاء خاصّان بالأنبياء والمرسلين ؟ والجواب : لا . إنّ جميع البشر إذا آمنوا بالله تعالى ربّهم ، ووحّدوه ، وأتبعوا شرعه المُنزل على خاتم أنبيائه فإنّهم يشملهم البيان الرّبّاني الذي يكفل لهم السّعادة في الدّنيا ، والفوز يوم القيامة ، والبعد عن مصير الأشقياء . قال جلّ شأنه في نهاية سورة طه مخاطبًا الناس أجمعين : ﴿ فَاِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه : ١٢٣] ، فاتّباع صراط الله المستقيم هو الضّمان الوحيد ، الذي يجعل الإنسان يذوق طعم السّعادة في الدّنيا ولا يشقى ، ويتمتع بحسن المآب يوم يلقي ربّه .

٣ - القرآن الكريم تذكرة لمن يخشى ؛ فكلّ من يخشى الله ويتّقيه يدعوه ذلك إلى التّذكر والإنابة . جاء في سورة طه بأنّ القرآن تذكرة لمن يخشى : ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى ﴾ [طه : ١ - ٣] . وجاء في سورة الأعلى بيان أنّ الذي يخشى هو الذي يتذكّر : ﴿ سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى ﴾ . أي : أنّ الذي يملأ الإيمان قلبه فإنّ الخشية تجعله يتذكّر ولا يغفل . قال الفخر الرّازي : «الذي يخشى هو الذي يكون عارفاً بالله ، وعارفاً بكمال قدرته وعلمه وحكمته» ^(١) .

وفي سورة طه أيضًا أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون أن يذهبا

(١) الرّازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٣١ ، ص ١٣٣ .

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحى) ٣٣٧

إلى فرعون وينصحه لعله يتذكر أو يخشى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. والترجي هنا واقع في حق الرسولين ، أي: اذهبا وأنتما ترجوان إسلامه واهتداءه.

فانظر ، أخي القارئ ، كيف اصطحبت مادتا التذكر والخشية مرتين في سورة (طه) ، ومرة في سورة الأعلى ، وهما من أسرة واحدة .

٤ - جاء في سورة الأعلى تعريف الله الرب الأعلى بأنه هو الذي: ﴿خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝﴾ [الأعلى: ٢ - ٣] ، وهذا كلام عظيم مركز وموجز يُجَلِّي حقيقة أن الله العليم الخالق خلق كل شيء بقدر وسواه ، وهده إلى وظيفته الجليلية في الكون. ثم جاء تفصيل هذا المعنى في سورة طه حيث إن موسى وهارون عليهما السلام دَعَوَا فرعون وقومهما إلى الإيمان ، وأوضحا لهم بأن الإله الحق الذي يدعوان إليه ، ويجب على الخلق أجمعين التوجه إليه بالعبادة ؛ هو الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هده إلى وظيفته التي أعده لها يوم خلقه ، أي: إن وظيفته مغروزة في جيلته وخلقته: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] ، وجاء فيها أيضا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣].

٥ - جاء في سورة الأعلى تعريف الله تعالى بأفعاله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝﴾ [الأعلى: ٤ - ٥] ، والتصوير في هذه السورة الغرض منه بيان أن الله هو الذي يُحيي ، وهو الذي يُميت ، وكما أن عملية إخراج النبات تنتهي بموته ويُبْسُه وتحوله إلى غثاء أحوى؛ فكذلك الإنسان يمرّ بدورة الحياة؛ حيث إن الله تعالى خلقه من نطفة



جَوَاهِرُ الذَّرَرِ فِي عِلْمِ مَا رَزَا السُّورَ

ثمَّ من علقه ثمَّ من مُضغَةٍ ثمَّ يُخْرِجُهُ وَلِيدًا فَرَضِيْعًا ففطيمًا ، ثمَّ ينمو ويكبر ، ويُكَلِّفُ في هذه الحياة الدُّنْيَا بعبادة ربه وتوحيده ، ثمَّ تدركه دورة الحياة فيشيخ ثم يموت

بالمقابل جاء في سورة طه حديث عن أنواع النَّبَاتِ الذي يُخْرِجُهُ اللهُ الْخَالِقُ لِلْخَلْقِ ، لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهُ فِي طَعَامِهِمْ وَرَعْيِ أَنْعَامِهِمْ : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ [طه ٥٣ - ٥٤] .

وانظر كيف تناسق المعنيان ، وتناسق الفعلان (أخرج ، فأخرجنا) ، ولم يقل : فأنبأنا به أزواجًا كما جاء في مواضع أخرى .

٦ - طمأن الله تعالى رسوله ﷺ في سورة الأعلى بأنَّ ربَّهُ الذي أنزل عليه القرآن ، وأنعم عليه بنعمة الوحي ؛ لن يتركه في طريق الدَّعوة بدون مساندة وتثبيت ، وأوَّلُ ذلك أنَّه يُقرئه القرآن فلا ينساه ، ويوضح له معناه ومبناه : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [١] إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿ [الأعلى: ٦-٧] . وكفى بهذا معجزة : أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، يَأْتِي قَوْمَهُ الْفَصَحَاءَ الْبُلْغَاءَ اللَّسْنَ بكتاب هو الذروة في الفصاحة والبيان ، يتلوه على مسامعهم ، ويتلقاه مباشرة عن العليم الحكيم ، ولا يتردد في كلمة منه ، بل يقرأه كأنما نُقِشَ في قلبه نقشًا .

كفاك بالعلم في الأُمِّيِّ مُعْجَزَةٌ في الجاهليَّة والتَّأْدِيب في اليُتْمِ أمَّا في سورة طه ، فجاء تثبيت قلبه بتعليمه بأنَّ الله الإله الحق لا يضل ولا ينسى ؛ فهو مُنَزَّهٌ عن جميع الأوصاف التي تُزري بالبشر مثل الغفلة والنسيان والضلال وغيرها : ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه: ٥٢] .

٧ - الله تعالى هو العليم ، الذي لا يعزبُ عن علمه شيءٌ في الأرض

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحى) ٣٣٩

ولا في السماء. جاء في سورة الأعلى الحديث عن علمه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ٧]. أما في سورة طه، فجاء وصفه بأنه يعلم السر وأخفى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

تُشير الآية السابعة من سورة الأعلى إلى معنى خاص في السياق الذي وردت فيه؛ فهي تتعلق بتعليم الله تعالى لرسوله ﷺ القرآن، حيث نبأه في الآيات قبلها أنه سيقرؤه فلا ينسى، ثم شفع ذلك بقوله ﴿إِنَّهُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ٧]: أي: «أنه سبحانه عالمٌ بجهرك في القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام، وعالمٌ بالسر الذي في قلبك وهو أنك تخاف النسيان؛ فلا تخف فأنا أكفيك ما تخافه»^(١).

أما آية سورة طه، فهي أيضا في سياق تعليم القرآن وإنزاله، ولكن المعنى فيها أشمل، حيث أفادت الآية أنه جلّ جلاله يعلم ما هو أخفى من السر. قال الحافظ ابن كثير: «عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، قال: السر ما أسر ابن آدم في نفسه، ﴿وَأَخْفَى﴾: ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه؛ فالله يعلم ذلك كله، فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة، وهو قوله: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]. وقال الضحاك ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾» قال: السر: ما تحدث به نفسك، وأخفى: ما لم تحدث به نفسك بعد.

وقال سعيد بن جبير: أنت تعلم ما تُسر اليوم، ولا تعلم ما تُسر غداً، والله يعلم ما تُسر اليوم وما تُسر غداً»^(٢).

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ١٣١.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار العقيدة، الإسكندرية، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ج ٣، ص ١٨٢.

ومن الموافقات العجيبة أن الآيتين تحملان الرِّقَمَ ذاته هو الرقم (٧) في السورتين . ألا فما أعظم تناسق هذا الذكر وما أبدع إحكامه !!

٨ - جاء في سورة الأعلى حديث مُطْمِئِنُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بأنَّ رَبَّهُ سَيِّسَتْهُ لِلْيُسْرَى ، أي : يُسَهِّلُ عَلَيْهِ سُلُوكَ الطَّرِيقَةِ الْيُسْرَى السَّهْلَةَ الْمَوْصِلَةَ إِلَى الْجَنَّةِ : ﴿ وَيُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى ﴾ . ومن لطيف التَّعْبِيرِ فِي الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقُلْ لِنَبِيِّهِ : سُنِّسِرِ الْيُسْرَى لَكَ ، وَإِنَّمَا قَالَ : سُنِّسِرْكَ لِلْيُسْرَى ، أي : نَجْعَلُ حَيَاتَكَ طَيِّعَةً مُيَسَّرَةً ، وَنَجْعَلُ فِطْرَتَكَ سَلِيمَةً مُنْصَاعَةً لِلسَّيْرِ الْيُسْرَى ، سَنَجْعَلُكَ أَنْتَ مُيَسَّرًا لِلْيُسْرَى .

وليس هذا التيسيرُ خاصًّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّمَا كُلٌّ مِنْ انْصَاعٍ إِلَى أَحْكَامِ الشَّرْعِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ ، وَأَعْطَى وَأَنْفَقَ مِمَّا رَزَقَهُ رَبُّهُ ، وَاتَّقَى الْمَنْهِيَّاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ الَّتِي جَاءَ الشَّرْعُ نَاهِيًا عَنْهَا ، وَصَدَّقَ بِأَنَّ الشَّرِيعَةَ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْحَسَنَى ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْهِّلُ حَيَاتَهُ ، وَيَهْدِي قَلْبَهُ ، وَيَجْعَلُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ طَيِّعَةً مُنْصَاعَةً وَمُتَنَاعِمَةً مَعَ شَرْعِهِ ، وَهَذَا يَظْهَرُ لَطْفُ اللَّهِ وَتَوْفِيقُهُ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَيْسَ عِلْمُكَ هُوَ الَّذِي يَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ كُلُّهُ يَتَعَلَّقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَلَطْفِهِ وَتَيْسِيرِهِ . جَاءَ الْمَعْنَى ذَاتَهُ فِي سُورَةِ اللَّيْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ﴿ فَسَيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [الليل : ٥ - ٧] .

أَمَّا سُورَةُ النَّجْمِ ، فَجَاءَ فِيهَا بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمًا وَعَمَلًا وَبِمَنْزِلِ الْأَعْيُنِ أَعْيُنًا لِّمَنْ أَهْلُ الْأَعْيُنِ ﴾ [النجم : ٣١] .

٩ - ذَكَرْتُ سُورَةَ الْأَعْلَى أَنَّ مِنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُطَهِّرُهَا مِنْ أَدْنَسِ الشَّرِّ وَأَرْجَسِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَفْلَحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحي) ٣٤١ 

والعكس صحيح حيث إن الذي يُتبع نفسه هواها ، وينغمس في لجج الشهوات الآسنة ؛ فإنه يخيب سعيه ، ويحيط به الندم حيث لا ينفع الندم ولا التحسر : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ﴾ [الأعلى : ١٤ - ١٥] .

في الوقت ذاته ، بينت سورة الليل وسيلة من الوسائل التي تساعد الإنسان على تطهير نفسه ، وهي وسيلة الصدقة والإنفاق الخالص لوجه الله الكريم ، حيث جاء وصف الأتقى بأنه : ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ ﴾ [الليل : ١٨] ، ولا يكون ذلك رياء ولا سمعة ولا ردًا لجميل سابق أو يد سلفت ، وإنما يكون ذلك ابتغاء وجه ربّه الأعلى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَى ۖ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ ﴾ [الليل : ١٩ - ٢٠] .

بالمقابل ، وفي المضمون ذاته ، جاء في سورة النجم نهى الناس عن تزكية أنفسهم ، أي : نهيمهم عن ادّعاء الفضل لأنفسهم ، ووصفها بصفات حسنة محمودة ، أمام أعين الناس رغبة نيل إعجابهم ، والظفر بتقديرهم وثنائهم : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۝ ﴾ [النجم : ٣٢] . فليس السباق في حلبة التقوى من أجل التظاهر والاستيلاء على اهتمام الناس ، ونيل كلمات المدح والثناء منهم ، فذلك مُنزلق خطير ، وإنما التزكية الحقيقية التي تنجي صاحبها من النار هي التي تكون ابتغاء وجه الله تعالى ، ولا يعلم حقيقة نفوس البشر إلا خالقها المطلع على ما في الصدور .

١٠ - جاء في سورة الأعلى من صفات المتزكي المتطهر أنه يُصلي حين يذكر ربّه جلّ جلاله : ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ﴾ [الأعلى : ١٥] ، وجاء في سورة طه توجيه لموسى عليه السلام أن يقيم الصلاة لذكر الله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝ ﴾ [طه : ١٤] ، ويحتمل هذا التعبير ثلاثة معان :

الأول : أقم الصلاة لأجل أن تذكرني ، وتكون اللام مفيدة معني

العلة .



الثاني: أقم الصلاة حين تذكركني .

الثالث: أقم الصلاة لأذكرك بالمدح في عليين بها^(١) .

فانظر إلى هذا التناسق بين المضامين ، التي تتضمنها السور التي تتشابه فواصلها! إنها لحمة واحدة. إنها نسيج محكم متناسق لا تنفصل قطعة منه عن أختها .

١١ - ومن تلاحم المواضيع وتكاملها ، أن سورة الأعلى بشرت الذي يتزكى بالفلاح ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [الأعلى: ١٤] ، وسورة الليل أوضحت للذي يريد أن يتزكى الطريق الموصلة إلى التزكية وهو إيتاء المال ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ [الليل: ١٨] ، ثم جاءت سورة طه وذكرت المصير الجميل والمقرّر الرائع ، الذي أعدّه المنعم الوهاب للذي يتزكى في حياته الدنيا . إن نهايته مرضية . إنها: ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [طه: ٧٦] .

١٢ - جاء في سورة الأعلى خطاباً للمشركين المنغمسين في حبّ الحياة الدنيا بنعيمها وجحيمها ، بعسلها وعلقمها ، بأنهم بتصرّفاتهم هذه لا يحسنون اختيار الطريق الأسلم لنفوسهم؛ فهم يؤثرون دنيا فانية على آخرة باقية: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى: ١٧ - ١٦] .

لذلك لما استيقظت حقيقة الإيمان في نفوس السحرة ، واشتعلت جذوة التوحيد في نفوسهم قالوا لفرعون غير مبالين بسوطه وعذابه: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢] .

(١) انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ١٧٧ .

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحى) ٣٤٣

تجدر الإشارة إلى أن سورة الأعلى قرّرت أن الآخرة هي خير وأبقى ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧]؛ فاستفاد السحرة الذين انقذح الإيمان في نفوسهم، وعرفوا أن الله خير وأبقى من فرعون الذي تهددهم وتوعدهم وقال: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]. فأجابوه بتحد وإيمان وثبات: ﴿إِنَّا أَمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِئِينَ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣]. ومن التجاذب اللفظي في سورة طه أيضًا أن الله تعالى خاطب محمدًا ﷺ ورسخ في ذهنه وبقينه الإيمانى بأن رزقه جل ثناؤه خير وأبقى من كل شيء: ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

١٣ - جاء في سورة الأعلى تلخيص المعاني الإيمانية التي وردت في سورة الأعلى بأنها جاءت في صحف إبراهيم وموسى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

أما سورة النجم، فجاء فيها ذكر لبعض التفاصيل والمعاني الإيمانية التي وردت في صحف إبراهيم وموسى، أي: أن ما في النجم مفصل لما في الأعلى. قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَإِذَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزُرُ وَزْرَةً وَزْرًا أُخْرَى﴾ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى﴾ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٦ - ٤١].

وإذا كانت سورة الأعلى قد قرّرت بأن المضامين والمعاني الإيمانية التي وردت فيها قد ضمتها صحف إبراهيم وموسى بين دفتيها، وجاء شيء من تفصيلها في سورة النجم؛ فإن سورة طه ألقت الاستفهام الإنكاري في سمع كل الناس الذين لم ينتبهوا ولم يتعظوا ولم يُولوا اهتمامًا إلى ما في هذه الصحف العظيمة المنزلة من الله تعالى. قال جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه: ١٣٣].



وبمثل هذا الجلاء ، يجد القارئ أن السُّورَ الثلاث (الأعلى والنجم وطه) تآزرت آياتها وتظاهرت في بيان ما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام؛ سورة الأعلى أشارت إليها بإجمال ، وسورة النجم تحدّثت عن بعض ما جاء فيها ، وسورة طه أَلقت استقهاً إنكارياً للتنبية إلى ضرورة الاتعاظ بما جاء فيها.

١٤ - إذا جئنا إلى سور الليل والضحى والنجم ، فإن العلامة الواضحة التي تجمعها ثلاثتها - علاوة على توافق البناء في الفواصل - هو بداياتها القسمية ، ففي سورة الليل قسم بالليل إذا يغشى المعمورة بظلامه الدّامس ، وبالنهار حين يجليها حيث تنكسر أشعة الشمس على حبيبات الغبار والهواء المحيط بالأرض المسمّى بالغلاف الجوّي ، فالنهار هو الذي يجلي الشمس ويرزها سراجاً وهّاجاً ووضاءً ، ولو خرج الإنسان كما يخرج رواد الفضاء من الغلاف الجوّي للأرض (أي على بعد حوالي ٢٠٠ كم) فإنّه ينغمس في ظلام دامس مغطش ، ولا ترى الشمس إلا كمصباح متوسط صغير باهت لا إشعاع لها ولا ضياء.

ثم توالى القسم في سورة الليل بالذي خلق الذكر والأنثى. كل هذا القسم الغريب العجيب ، والمقسم عليه هو أن سعي الناس متباين ومختلف: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١ - ٤].

أمّا في سورة الضحى فيقسم ربنا جلّ جلاله بالوقت ، وستائر الليل حين تسدلّ على المعمورة ، فيدخل أهلها في ظلام وسكون: ﴿وَالضُّحَىٰ ۖ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ ۚ﴾ [الضحى: ١ - ٢] ، والمقسم عليه هو عدم توديع محمّد ﷺ ، وعدم التخلي عنه ، وعدم مجافاته كما ادّعى



المشركون: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣].

أما سورة النجم، فتواصل القسم بالنجم حين هويّه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]، والمقسم عليه هو محمد ﷺ ذاته، هو كون محمد رجلاً راشداً مهدياً من الله تعالى، وليس ضالاً ولا غاوياً، بل هو رجل في قمة وعيه ورُشدته: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢ - ٣].

وبمثل هذا الوضوح، يتبين اتساق الأقسام وتناغمها في هذه السور، فالمقسم به في سورة الليل هو الليل والنهار، وهما ظاهرتان لا وجود لهما بدون الشمس، فهما أثران من آثار الشمس، ودوران الأرض حول محورها أمام نجم الشمس. وفي سورة الضحى قسم بوقت الضحى، وهو الوقت الذي يجلي النهار الشمس في أعين أهل الأرض. وسورة النجم قسم بالنجم حين هويّه، والنجم هو جنس الشمس، فما الشمس إلا نجم متوسط الحجم أصفر... والمقسم عليه كونه نبينا ﷺ تحت رعاية ربه وفضله وعنايته وكلئه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]. وفي النجم المقسم عليه تركيته ﷺ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢ - ٣]، وفي سورة طه تثبيت لقلبه وتطمين له بأنه ما أنزل عليه الوحي إلا ليسعد في حديقه الإيمان والتوحيد لا ليشقى: ﴿طه﴾ [طه: ١ - ٢].

١٥ - ذكر الله تعالى أنه أوحى إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى، وفي هذا الإبهام في التعبير تهويل وتعظيم للوحي الذي أوحاه إليه، وكأن اللغة العربية - على الرغم من جودتها، وسعتها وشمولها وطرائق الاشتقاق فيها وتنوع أساليب تركيب الكلم فيها - لا تستطع أن

تُعبر عن عظمة الوحي الذي أوحاه الله العليم إلى عبده محمد ﷺ فقال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

والملاحظ أن هذا القلب التعبيري ذاته استعمله البيان القرآني في وصف الأمر الذي أوحاه الله جلّ جلاله إلى أمّ موسى ، وذلك حين قذف في قلبها أن تلقي ابنها موسى في التابوت ، وأخبرها بأن هذا التابوت سيلقيه في اليمّ ، وبأن نهاية رحلته ستكون بين يدي الطاغية فرعون ليربّي في عقر داره ، وبين أحضانه وأحضان زوجته: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ٣٨].

وهذا القلب التعبيري الذي يفيد التحويل أيضاً ، ممّا يزيد في تشابه الثوبين اللفظيين لسورتي طه والنجم ، خصوصاً حين يُدرك القارئ أن هذا النسق التعبيري لم يتكرّر في القرآن الكريم إلا في هذين الموضعين .

هذا ، وقد نادى الله في عليائه عبده موسى عليه السلام مُوجّهاً إياه إلى ضرورة الاستماع إلى ما يوحيه إليه: ﴿وَأَنَا أَخَّرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ١٣] . والمادة ذاتها تتكرّر: أوحى ، ما أوحى ، أوحينا ، ما يوحى ، لما يوحى . .

١٦ - جاء في ثلاث سور من بين الخمس المتشابهة الفواصل حديثٌ عن سعي الإنسان؛ في سورة الليل قرّر جلّ جلاله بأن سعي الناس مختلف ، فهذا منشغل بديناه ، وذلك بآخرته ، وآخر بإصلاح عبادته ، ورابع بالعلم ، وأصناف أعمال البشر واهتماماتهم شتى . هذا ما قرّره قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] .

وذكرت سورة الليل نمطين من أنماط سعي الإنسان ، أحدهما يُعطي ويتصدّق على ذوي الحاجة مُتّقياً ربّه ، ومُصدّقاً بالحسنى ،



ومصيره أَنَّهُ مُيسَّرٌ لِلْعُسْرِ ، وآخر بخيلٌ مُستغني ، ومُكذَّبٌ بِالْحُسْنَى ،
ومصيره إِلَى الْعُسْرِ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَيِّئَرُهُ
لِلْعُسْرِ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَيِّئَرُهُ لِلْعُسْرِ ﴿١٠﴾
[الليل : ٥ - ١٠] .

أما سورة النجم ، فقد جاء فيها أَنَّهُ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ صحف إبراهيم
وموسى عليهما السلام معنى سعي الإنسان لنفسه ؛ فما يعملهُ الإنسان
يعود إليه بالنفع إذا كان عملاً حسناً ، ويعود عليه بالوبال والخسران
إذا كان عملاً سيئاً : ﴿ وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ
يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَ ﴿٤١﴾ [النجم : ٣٩ - ٤١] .

أما سورة طه ، فقد قرّر البيان القرآني فيها أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ تُجْزَى بِمَا
تَسْعَى : ﴿ لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ [طه : ١٥] .

١٧ - جاء في سورة الليل بأنَّ الذي لا يستمع إلى نداء الفطرة
ويتجاهل نداء التوحيد فإنه يهلك شرَّ هلاك ، وما يُغني عنه ماله في ذلك
اليوم العظيم : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ [الليل : ١١] . أما في سورة طه فوجه
الله جل جلاله نبيه موسى عليه السلام أن لا يطيع الضالَّ الذي لا يؤمن
بآخره ، ويزين للناس منهجه الكافر ؛ فإنَّ مغبة الاستماع والاستنصاح
بأقوال أمثال هؤلاء الضالِّين المضلِّين الهويِّ والتردي في سوء
العذاب : ﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [طه : ١٦] .

١٨ - أمر الله عزَّ وجلَّ كلمه موسى عليه السلام أن يضمَّ يده إلى
جناحه ، وأراه آية اليد البيضاء ثم قال له : ﴿ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾
[طه : ٢٣] ؛ فالله هو الذي أرى موسى عليه السلام نوعاً من آياته
الكبرى ، حيث أسند فعل الإراءة إلى ذاته العلية . أما في سورة النجم
فقد أثنى جلَّ جلاله على حبيبه وصفيّه محمد ﷺ ، بأنَّه حين عرج به
إلى حيثُ سدره المنتهى ، قد رأى من آيات ربه الكبرى ، فقد أعطاه



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَآرَاةِ السُّورِ

الله تعالى من القوّة العقلية والجسميّة والاستعداد الرّوحي ما أهله به لرؤية أصناف من آيات ربّه الكبرى ، أو أهله لرؤية الكبرى من آيات ربّه : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم : ١٨].

١٩ - موسى عليه السلام دعا ربّه في سورة طه أن يشرح صدره ، وأن يُيسّر أمره ، وأن يحلّ عقدة من لسانه ليفهم مخاطبوه حديثه : ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [٢٥] ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [٢٦] ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [٢٧] ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه : ٢٥ - ٢٨]. أمّا محمد ﷺ فقد ذكر جل شأنه بأنّه يسره لليسرى . لم يُيسّر أمره فقط ، وإنّما يسره هو للطريقة اليسرى ، أي : جعل طبيعته طيّعة منصاعة متسقة مع الطريقة اليسرى ، وهي الفطرة السليمة : ﴿وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى : ٨].

وذكر في سورة النجم بأنّه لا ينطق عن الهوى ، وإنّما كل ما تنبس به شفتاه هو وحيّ يُوحى إليه ، سواء كان قرآنًا يتلوه أو سنّة علّمه الله إياها وقذفها في قلبه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم : ٣].

٢٠ - جاء في سورة طه حين سأل الله تعالى - وهو أعلم - عبده موسى : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ . فأجاب موسى عليه السلام : ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه : ٨٤] ؛ فموسى عليه السلام بادر بالذهاب إلى لقاء ربّه قبل لحوق قومه ، لأنّه كان مُتَشَوِّقًا للاستماع إلى كلمات ربّه . يريد رضاه . عجلت إليك يا ربّي لترضى عني .

أمّا محمد ﷺ ، فبشّرته سورة الضحى بأنّه سيُعطيه ربّه فيرضى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى : ٥] ، وحثّه في سورة طه على مزيد من التسبيح آناء الليل وأطراف النهار ؛ فإنّ ذلك سيقوده إلى الرّضى : ﴿وَمِنْ أَنَايَ أَتْلِلُ فَسَبِّحْ وَأَطْرَفَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه : ١٣٠].

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحي) ٣٤٩

ولا يختلف اثنان على أن هذا التعبير وأمثاله في آيات الذكر دليل على قمة الاصطفاء والاجتباء الذي حظيه محمد ﷺ عند ربه .

والبديع في الأمر أن موسى عليه السلام دعا ربه أن يشرح صدره في سورة طه ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥] ، وجاءت سورة الشرح بعد سورة الضحي في ترتيب النزول وفي ترتيب المصحف يُقرّر مطلعها بأن الله تعالى أنعم على عبده محمد ﷺ بشرح الصدر في صباه الأول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] . ألا فما أعظم تناسق هذا الكلام! وما أجمله! وما أروع!

٢١ - جاء في سورة الأعلى أن الأشقى الذي يتجنب التذكرة سيصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى: ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشَقَى﴾ [١١] الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١١ - ١٣] . وجاء فيها أيضا دعوة إلى التزكي والتطهر الذي يقود إلى الفلاح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤] . أما سورة طه ففصلت القول في مصير الصنفين: الصنف الأول هو المجرم الذي له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤] ، والصنف الثاني هو الذي يأتي ربه مؤمناً قد عمل الصالحات ، فقد بشرته الآيات بأن له الدرجات العلى ، وبينتها بأنها جنات عدن . قال جل شأنه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [٧٥] جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٥ - ٧٦] .

٢٢ - قال السحرة فيما بينهم حين استهواهم بريق أموال فرعون - قبل أن تشرق شمس الإيمان في قلوبهم - : ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤] ، أي: قد فاز اليوم من تكون له الغلبة . فرد الله عليهم هذا المنحى من التفكير ، وأبطل كلامهم ، وبين لهم بالثوب التعبيري ذاته بأن الفلاح يكون من نصيب من تزكى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] وذكر أسد ربه

فَصَلَّى ﴿ [الأعلى: ١٤ - ١٥] ؛ فالفلاح حليف الذين يزكون ويطهرون نفوسهم ، لا حليف مَنْ يستعلون في الأرض. أمّا أنت يا محمد ف ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١].

٢٣ - جاء في سورة النّجم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ [النجم: ٢٣]. وموسى وأخوه هارون عليهما السلام جاء فحوى التعبير ذاته على لسانهما حيث إنهما قالا لفرعون: ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ [طه: ٤٧]. فكأنّي بآية سورة طه مُفصلة للمعنى ذاته الذي جاء في سورة النّجم.

٢٤ - جاء في سورة الليل بيان أنّ النّار التي تتلظى وتتأجج لا يصلها إلاّ الأَشَقَى ، الذي عُرِفَ بتجنّبه للصّراط المستقيم ، والذي من صفاته أنّه كَذَبَ وتولّى ، كذب بالدين ، وتولّى عن الرّسول واتباع رسالة الحق: ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ ١١ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشَقَى ﴿ ١٥ ﴾ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴾ [الليل: ١٤ - ١٦]. وموسى وهارون عليهما السلام ذكرا في معرض دعوتهما لفرعون وجنوده: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴾ [طه: ٤٨]. وهذا أيضًا تجاذب واضح في عبارة (كذب وتولّى) بين هاتين السّورتين اللّتين تتفقان اتفاقًا إجمالًا في بناء فواصلهما على الألف اللّينة المقصورة في الغالب.

والملاحظ أنّ هذا التّركيب العطفى بين الفعلين (كذب وتولّى) تكرر أيضًا في سورتين أخريين هما سورتا القيامة والعلق ، واللافت للانتباه أنّهما تكرّرا في مقطعين ينتهيان بالفاصلة ذاتها: الألف اللّينة في نهاية الكلمة .

الموضع الأول: ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ ٣١ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿ ٣٢ ﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ . يَتَطَهَّرُ ﴿ [القيامة: ٣١ - ٣٣].

الفصل الثاني: المبحث الثالث: سور (طه، والنجم، والأعلى، والليل، والضحى) ٣٥١

الموضع الثاني: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾﴾

[العلق: ١٣ - ١٤].

٢٥ - جاء في وصف أزواج النّبات بالوصف (شئى). قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْ أَزْوَاجٍ مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾﴾ [طه: ٥٣]. وجاء في سورة الليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾﴾ [الليل: ٤].

٢٦ - تكرّرت مادّة (ضحى) في الذكر الحكيم أربع مرّات ، ثلاث منها في السّور المتشابهة الفواصل ، منها موضعان في سورة طه هما قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: ٥٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٩].

والموضع الثالث هو القسم في مطلع سورة الضحى: ﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾﴾ [الضحى: ١ - ٢].

٢٧ - في سورة طه ، قرّر سبحانه وتعالى أنّ الذي يحلّ عليه غضبه فقد هوى ، أي: هوى وتردّى في أغوار الجحيم السّحيقة: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨١].

أمّا في سورة النّجم ، فضرب مثلا للذين أهواهم ، ونصّ عليهم بالاسم حيث قال: ﴿وَالْمُؤْنِفَكَةُ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْنَاهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: ٥٣ - ٥٤].

٢٨ - جاء في قصّة آدم عليه السّلام في سورة طه حديثٌ عن عصيانه وتوبته: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١] ، أما محمّد ﷺ في سورة النّجم فوصفه ربّه بأنّه ما ضلّ وما غوى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢].

٢٩ - ورد في سورتي طه والنّجم نسقٌ تعبيريّ يفيد التّهويل والتّفخيم لم يتكرّر في غيرهما ، وهو قوله تعالى في سورة طه متحدّثاً عن هول الإغراق الذي أصاب فرعون وجنوده: ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

غَشِيَهُمْ ﴿طه: ٧٨﴾ ، وفي هذا المعنى قال الزمخشري: «(ما غشيهم) من الاختصار ، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة ، أي: غشيهم ما لا يعلمُ كنهه إلا الله»^(١).

والنسقُ التعبيريُّ ذاته جاء في سورة النجم في وصف ما يُغطي سدره المنتهى وما يُحيطُ بها؛ إذ لا يستطيع البيان اللغوي أن يصف ذلك المشهد الجلل. قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]. أي: أن سدره المنتهى غشيها من الأمر ومن الأنوار الباهرة ما لا يُحيط به الوصف ، ولا تحمله العبارة.

قال الإمام البيضاوي: «تعظيمٌ وتكثيرٌ لما يغشاها بحيث لا يكتنفها نعتٌ ، ولا يُحصيها عدٌّ. وقيل: يغشاها الجسمُ الغفيرُ من الملائكة يعبدون الله عندها»^(٢).

والتعبير ذاته تكرر في وصف إهلاك قرى المؤتفكات ، التي جعل الله عاليها سافلها؛ فوصف الله ذلك العذاب المستأصل بقوله: ﴿وَالْمُؤْنِفَكَ أَهْوَى﴾ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ [النجم: ٥٣ - ٥٤].

وهنا يتساءل المتدبرُ في لغة القرآن: لماذا لم يتكرر هذا النسق التعبيريُّ إلا في هاتين السورتين؟ وما العلاقة التي تجمعهما؟ وما الاسم الذي يُمكن إطلاقه على هذه الظاهرة البيانية؟

والجواب هو ما أسلفنا الحديث عنه في سابق الفصول والمباحث ، بأن السورة القرآنية لها ملامح ومعالم تُميزها ، ومن أبرز تلك الملامح ملمح التجاذب اللفظي في بناء الآيات والتصوص في السورة نفسها ، وملمح التجاذب اللفظي بين السور التي تنتمي إلى أسرة واحدة كما

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

(٢) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٥ ، ص ١٥٨ .



رأينا في السور المتشابهة المطالع ، والسور المتشابهة الفواصل ،
والسور المتشابهة الأنساق التعبيرية في بداياتها ، كما سيأتي في
الفصل الثالث .

٣٠- بقي أن أشير إلى أن ثمة آيتين في سورتي النجم والضحي قد
يظن القارئ للوهلة الأولى أنهما متناقضتان ، وهما قوله تعالى : ﴿ مَا
ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾
[الضحى: ٧] ، حيث إن آية النجم تنفي عن رسول الله ﷺ الضلال ،
وآية الضحي تثبت أنه وجده ضالًّا فهداه ، والحق أنهما ليستا
متناقضتين ، لأنهما تتحدثان عن سياقين مختلفين ، وحادثتين
مختلفتين .

أما آية النجم التي تنفي عنه ﷺ الضلال ، فقد وردت في سياق
الحديث عن حادثة المعراج ، حيث إنه لما أُسري برسول الله ﷺ ،
وعُرج به إلى السماوات العلى ، وعاد من رحلته التكريمية الخارقة
للعادة ؛ أخبر المؤمنين ، وأخبر قريشًا بما رأى . أما المؤمنون
الصادقون ذوو الإيمان الراسخ فزادهم ذلك إيمانًا وتسليمًا ، وأما
بعض الذين لم يترسخ الإيمان في قلوبهم فاهتزت نفوسهم ، وانساقوا
وراء أقاويل المشركين الذين لاكوا كلمات وعبارات مُفادها الاستهزاء
بمحمد ﷺ ، والانتقاص من عقله ؛ إذ كيف يدّعي عاقل أنه يأتي بيت
المقدس ، ويُعرج به إلى السماوات العلى في زمن قليل من ليلة
واحدة ! إن هذا شيءٌ عَجَاب في نظرهم ؛ لذلك جاء قوله تعالى : ﴿ مَا
ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢] وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٢﴾ مُدافعًا عن رسول الله ﷺ ،
ومُثَبِّتًا أنه في أتم حالاته العقلية وأكملها .

أما آية الضحي : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ ، فقد جاءت في سياق



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي تَعْلِيلِ مَقَارِنِ السُّورِ

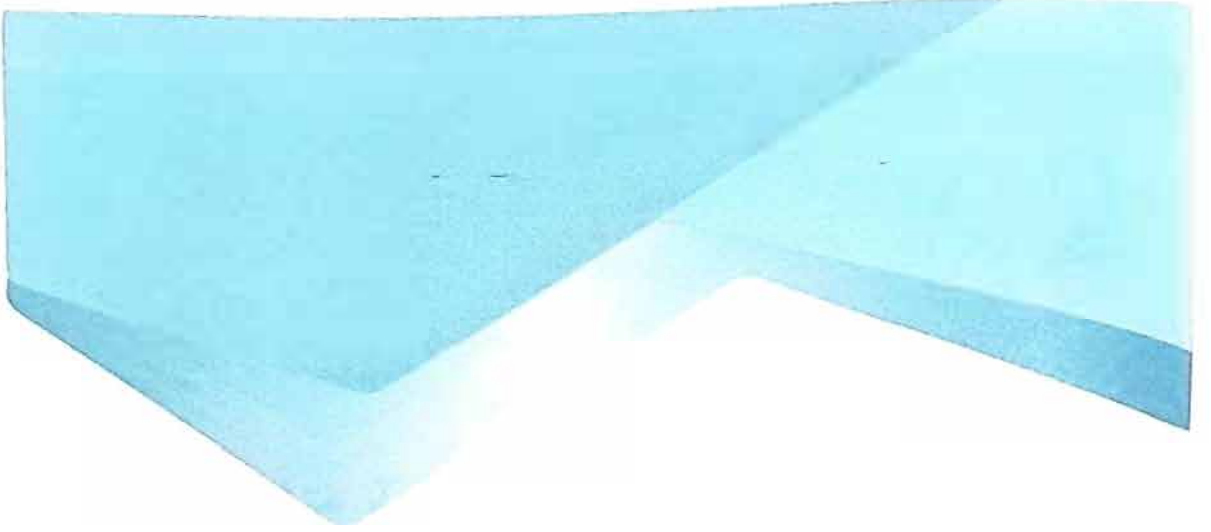
الامتنان على رسول الله ﷺ قبيل البعثة ، حيث كان في حياته قبل أن يوحى الله إليه مُتَحَيِّرًا ، يسأل أسئلة حول مَنْ خلق هذا الكون الفسيح؟ يسأل عن خالق الإنسان؟ عن وظيفته في الحياة؟ وكان يعتزل الناس ، وَحُبِّبَ إليه الخلاء ، حيث كان يتحنث في غار حراء الليالي ذوات العدد ، وهناك اصطفاه الله تعالى ، وهداه إلى طريق الرشاد ، وقال مُمْتَنًا عليه بنعمة النبوة والهداية : ووجدك ضالًّا بمعنى حائرًا متحيرًا ، تبحث عن الحقيقة فهذاك إلى طريق التوحيد ، وجعلك من المرسلين .

قال الإمام البغوي : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ : يعني ضالًّا عما أنت عليه ، ﴿ فَهَدَى ﴾ ، أي : فهذاك للتوحيد والنبوة . قال الحسن والضَّحَّاك وابن كيسان : ووجدك ضالًّا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلًا عنها ، فهذاك إليها» (١) .

مما سبق عرضه وتحليله ، يتضح بجلاء لا يترك مجالًا للريب ، أن السور التي تتشابه فواصلها تجمعها جملة علاقات ومناسبات لفظية ومعنوية ؛ حيث إنها تُكْمَل بعضها بعضًا في عرض معاني هذا الدين العظيم ، والآية الموجزة في هذه السورة تزيدها نظيرتها في السورة الثانية تفصيلًا وإيضاحًا ، وتتجاذب ألفاظ هذه السور وقوالبها التعبيرية متناسقة الألوان والأشكال ، ناطقةً بعظمة مُنَزَّل هذا الكلام الجليل المحكم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والله أعلم بأسرار تنزيله .

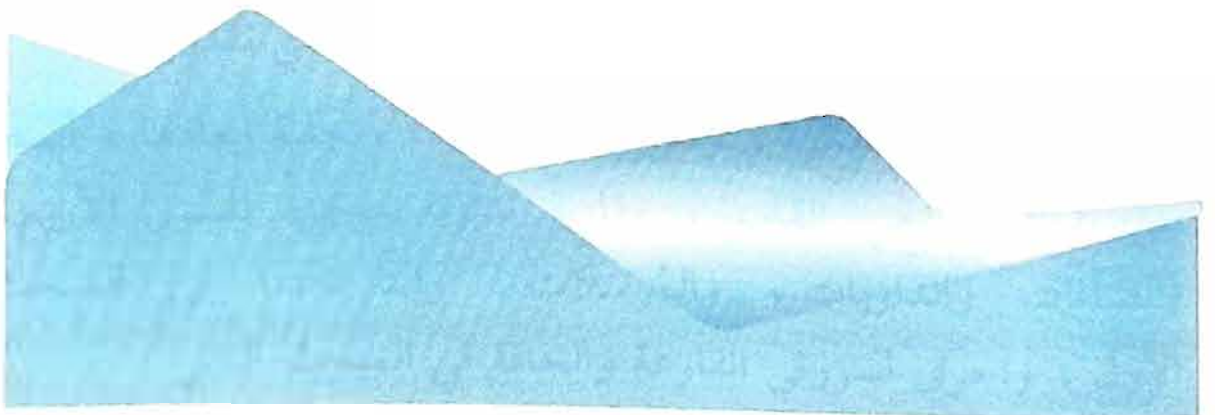
* * *

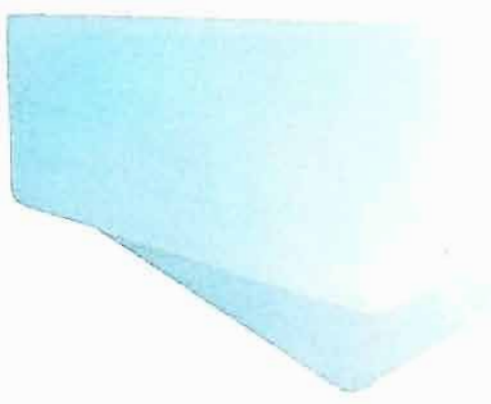
(١) البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٨ ، ص ٤٥٦ .



الفصل الثالث

السُّورُ الْمُفْتَتَحَةُ بِأَنْسَاقٍ تَعْبِيرِيَّةٍ مُتَشَابِهَةٍ





الفصل الثالث

السُّورُ الْمُفْتَتَحَةُ بِأَنسَاقٍ تَعْبِيرِيَّةٍ مُتَشَابِهَةٍ

يُنَاقَشُ هَذَا الْفَصْلُ مَوْضُوعًا يَتَفَرَّعُ عَنِ الْقَضِيَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي تَسْعَى إِلَى تَوْضِيحِهَا هَذِهِ الْمُقَارِبَةُ التَّفْسِيرِيَّةُ ، وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِسُورٍ تَتَشَابَهُ بِدَايَاتُهَا فِي الْأَنسَاقِ التَّعْبِيرِيَّةِ الْمَفْتَتَحَةِ بِهَا دُونَ التَّشَابِهِ فِي الْمَوَادِّ الْمَعْجَمِيَّةِ ، مِنْ مِثْلِ سُورَتِي الْقَارِعَةِ (٣٠) نَزُولًا ، وَالْحَاقَّةِ (٧٨) نَزُولًا ، اللَّتَيْنِ تَتَحَدَّثَانِ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالسُّورِ الْأَرْبَعِ الْمُسْتَهْلَةِ بِالْقَسَمِ بِالْمَلَائِكَةِ وَالرِّيَّاحِ : الصَّافَّاتِ (٥٦) نَزُولًا ، وَالذَّارِيَاتِ (٦٧) نَزُولًا ، وَالْمُرْسَلَاتِ (٣٣) نَزُولًا ، وَالنَّازِعَاتِ (٨١) نَزُولًا .

فَهَذِهِ السُّورُ ، وَإِنْ كَانَتْ بِدَايَاتُهَا لَا تَتَشَابَهُ مِنْ حَيْثُ الْأَلْفَاظُ الْمُسْتَعْمَلَةُ إِلَّا أَنَّهُ تَمَّ افْتِتَاحُهَا بِكَلِمَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ فِي أُنْبِيئِهَا الصَّرْفِيَّةِ ، وَفِي طَرِيقَةِ بِنَاءِ الْجَمْلِ وَالْأَنسَاقِ التَّعْبِيرِيَّةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ ؛ مِمَّا جَعَلَهَا تَتَوَافَقُ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّقَاطِ ، وَكَسَاهَا أَثَوَابًا لَفْظِيَّةً مُتَقَارِبَةً ، وَجَعَلَهَا تَتَكَامَلُ فِيمَا بَيْنَهَا ، رَاسِمَةً صُورَةً كَبِيرَةً لِلْمَوَاضِيعِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا .

وَلِتَيْسِرَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ ، وَتَقْرِبَ مَلَاحِظَهَا ، وَتَجْلِيَّةَ أبعادِهَا ، أَبْسُطُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، أَخِي الْقَارِئُ ، مَقَارَنَةً تَدْبِيرِيَّةً مُوجِزَةً لِلسُّورِ الْأَرْبَعِ : (الصَّافَّاتِ وَالذَّارِيَاتِ ، وَالْمُرْسَلَاتِ ، وَالنَّازِعَاتِ) فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ ، وَأُخْرَى لِسُورَتِي الْقَارِعَةِ وَالْحَاقَّةِ فِي الْمَبْحَثِ الثَّانِي .



الْمَبْنِيَّةُ الْأُولَى

سُورَةُ: (الصَّافَّاتِ، وَالذَّارِيَاتِ، وَالْمُرْسَلَاتِ، وَالنَّازِعَاتِ)

إِنَّ السُّورَ الْمُتَشَابِهَةَ فِي الصِّيغِ الْمُفْتَتَحِ بِهَا فِي مَطَالَعِهَا ، مِثْلَ مَا نَحْنُ بِصَدَدِ تَقْرِيرِهِ مِنْ تَشَابِهِ وَتَنَازُلٍ بَيْنَ الصَّافَّاتِ وَالذَّارِيَاتِ وَالْمُرْسَلَاتِ وَالنَّازِعَاتِ ؛ تَجْمُعُهَا دَلَالَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَتَرْبِطُهَا مَلَاحِجٌ لَفْظِيَّةٌ تَجْعَلُ الْقَارِئَ الْمُتَدَبِّرَ يَحْكُمُ بِعَقْلِهِ الْمُنْطَقِيِّ ، وَذَوْقِهِ الْأَدَبِيِّ بِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ تِلْكَ ، وَتِلْكَ السُّورَةُ مِنْ هَذِهِ ، بَلْ إِنَّهُمَا يَنْتَمِيَانِ إِلَى أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَسْرِي فِي عُرُوقِهِمَا دِمَاءٌ نَسَبٍ وَاحِدٍ ، كَمَا يُمَكِّنُكَ مِنْ خِلَالِ مَلَاحِجٍ وَجْهِيَّةٍ وَخَلْقِيَّةٍ لِشَخْصَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، أَنْ تَحْكُمَ بِأَنَّهُمَا أَوْ بِأَنَّهُمْ يَنْحَدِرُونَ مِنْ أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَجْمَعُهُمَا سُلَالَةٌ وَاحِدَةٌ .

وَقَبْلَ الشَّرُوعِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ ، يَحْسُنُ ذِكْرُ كَلِمَةٍ مُوجِزَةٍ وَاصِفَةٍ لِلْمُضْمُونِ الرَّئِيسِ لِكُلِّ سُورَةٍ ، وَجُوهَا الْعَامِ ، وَمِنْ ثَمَّ يَتِمُّ عَرْضُ وَجْهِهِ التَّشَابِهِ وَالتَّوَافُقِ بَيْنَهَا ، وَوَجْهِهِ الْاِخْتِلَافِ وَالِافْتِرَاقِ .

سُورَةُ الصَّافَّاتِ:

سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ نَزُولًا ، بَعْدَ الْأَنْعَامِ ، وَقَبْلَ لُقْمَانَ^(١) ، وَالسَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ فِي تَرْتِيبِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ . تَحَدَّثَتْ عَنْ جُمْلَةٍ مِنْ قَضَايَا الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ مِنْ إِثْبَاتِ نَزُولِ

(١) دروزة ، التفسير الحديث ، ج ١ ، ص ١٥ .



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

الوحي ، وإثبات وحدانية الله تعالى في ألوهيته ، وفي ربوبيته ، وذكر أنواع من مخلوقاته العظيمة الشأن ، البديعة الصُّنع ، التي تدلُّ على عظمة الخالق ، وطلاقة مشيئته ، وقدرته التي لا تُحَدُّ.

والرَّاجِحُ عند أهل التفسير أنَّ المُقَسِّمَ به في مطلع السورة هو طوائف من الملائكة قَبَضَهَا اللهُ تعالى لشهود نزول الوحي ؛ فالصَّافَاتُ الملائكةُ التي تُصَفُّ إعظاماً للوحي المُنَزَّل ، والزَّاجِرَاتُ الملائكةُ التي تَرْجُرُ الشَّيَاطِينَ منعاً لها من استراق السَّمْع ، والتَّالِيَاتُ هي الملائكة التي تتلو الذكر^(١).

وجاء فيها بيانُ أنَّ الله جلَّ ثناؤه حفظَ الوحيَ من أن يُسْتَرْقَ ؛ إذ قَبِضَ شُهَبًا ثَابِتَةً لِلشَّيَاطِينِ التي تُحَاوِلُ أن تسترقَ السَّمْعَ : ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٧ - ١٠] ، ثمَّ تعرَّضت آياتُ إلى ذكر خلق الإنسان العجيب الذي خلقه الله تعالى من طينٍ لازب ، وذكرت سُخْرِيَةَ الكافرين الذين يسخرون من الدين الجديد مُكْذِبِينَ بالبعث والنَّشْر بعد الموت ، ووصفت إيقافهم بين يدي الله تعالى في ساحة الحشر ، وتعرَّضهم للسُّؤَال والحساب ، وذكرت تساؤلهم وتلاؤمهم فيما بينهم ، والجزاء الذي أُعِدَّ لهم ، وأكلهم من شجرة الزَّقْوَم ، وشُرْبهم من الحميم شُرْبَ الهيم .

ثمَّ عرَّجَ البيانُ القرآني واصفًا حَقَبًا تَارِيخِيَّةً لجملةٍ من كوكبة المرسلين الكبار مثل نُوحٍ ، وإبراهيم ، وإسحاق ، وموسى ، وهارون ، وإلياس ، ولوط ، ويونس عليهم السلام أجمعين ؛ حيثُ

(١) انظر: البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٥ ، ص ٥ ، والزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٢٣ .



ذكرت الآيات جوانبَ ممّا دار بينهم وبين أقوامهم ، وجاء فيها وصفٌ لطُرُق إهلاكهم ، ومصائرهم المُرعبة .

ثمّ تناولت الآيات في نهاية السّورة تنزيه الله تعالى عمّا وصفه به الواصفون ، وعمّا نسبته إليه المشركون؛ فهو جلّ ثناؤه غنيٌّ عن الصّاحبة والولد ، وتمّ في نهاية الجولة القرآنية توجيهُ النصّح لمحمد ﷺ بأن يُعرِضَ عن المشركين المكذّبين ، ويتربّصَ بهم إلى حين؛ وبشره ربّه جلّ ثناؤه بأنّه قد قضى في حكمه السّابق أن عباده المُرسّلين هم المنصورون ، وأنّ العاقبة للمتّقين ، وأنّه حين يأتي أجلُّ إهلاك الكافرين وتدميرهم فقد ساء صباحُهم ، وعظُم خسرانُهم .

سورة الذّاريات:

سورة الذّاريات مكّيّة باتّفاق أهل العلم بنزول القرآن^(١) ، وهي السّابعة والسّتون نزولاً ، والحادية والخمسون في ترتيب المصحف الشّريف . جاء في مطلعها قسَمٌ بالذّاريات فالحاملات فالجاريات فالمُقسّمات ، والمُقسّم عليه هو أن ما وعد الله تعالى به الخلق هو حقٌّ وصدقٌ ، وبأنّ الدّين لا محالة واقعٌ .

جاء في الجامع لأحكام القرآن عن عليّ رضي الله عنه، أنّ الذّاريات هي الرّياحُ ، والحاملات هي السّحابُ الموقرة بالماء ، والجاريات هي السّفنُ الجوّاري في البحر ، والمُقسّمات هي الملائكة^(٢) .

ثمّ جاء بعد ذلك قسَمٌ ثانٍ بالسّماء ذات الحُبُك ، أي ذات الزّينة بالمصابيح المُضيئة والكواكب النّيرة ، بأنّ أمرَ النّاس في أمرٍ مُختلفٍ ، قد هُديَ إليه من هُديٍّ ، وأُفِكَ عنه من أُفِكَ .

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ٤٦٨ .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

ثُمَّ وَصَمَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيَّ الْخَرَاصِينَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِالظُّنُونِ مِنْ غَيْرِ أدلةٍ صحيحةٍ ولا براهين قاطعة ، المُسْتَهْزِئِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا وَلُعِنُوا ، وبأنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ ذَكَرَ بِالْمُقَابِلِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ إِكْرَامٍ وَنَعِيمٍ ، جزاءً لإيمانهم وإحسانهم العمل في دار الابتلاء ، ثُمَّ وَلِيَ ذَلِكَ حَدِيثٌ عَنْ عِظْمَةِ الْخَلْقِ وَدَلَالَتِهِ عَلَى عِظْمَةِ الْخَالِقِ .

ثُمَّ جَاءَ فِي السُّورَةِ حَدِيثٌ مُوجِزٌ عَنْ جَمَلَةٍ مِنَ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُلَ اللَّهِ مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ ، وَفِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، وَعَادَ وَثَمُودَ ، وَأَمْثَالَهُمْ مِمَّنْ أَلْحَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمُ الْعَذَابَ ، وَأَنْزَلَ بِهِمْ بِأَسْهَ لَكُفْرِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ وَإِسْرَافِهِمْ فِي الْمَعَاصِي وَتَنْكِبِهِمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ .

سورة المُرسلات:

هي سورة مَكِّيَّةٌ عِنْدَ جَمْهُورِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ ، وَهِيَ السُّورَةُ الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ فِي التَّرْتِيبِ الْمُصْحَفِيِّ ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْهُمَزَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾^(١) .

بَدَأَهَا الْبَارِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْقَسَمِ بِالْمُرْسَلَاتِ فَالْعَاصِفَاتِ فَالنَّاشِرَاتِ فَالْفَارِقَاتِ فَالْمُلْقِيَاتِ ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ مِنَ الرِّيَّاحِ ، أَوْ طَوَائِفُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا جَاءَ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ^(٢) .

جَاءَ فِي مَطْلَعِهَا الْقِسْمُ بِأَنَّ الدِّينَ وَاقِعٌ ، وَتَمَّ تَعْدَادُ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَسْبِقُ قِيَامَ السَّاعَةِ مِثْلَ طُمُسِ النُّجُومِ ، وَشَقِّ السَّمَاءِ ،

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٢) انظر الطبري ، جامع البيان ، ج ٢٣ ، ص ٥٨٠ وما بعدها ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢١ ، ص ٤٩٤ إلى ٤٩٧ ، والكشاف ، ج ٤ ، ص ٦٧٧ .

وَنَسْفَ الْجِبَالِ ، وَتَأْقِيتِ الرُّسُلِ ، وَجَاءَ فِيهَا تَهْوِيلٌ وَتَفْخِيمٌ لِيَوْمِ
الفصل والجزاء .

تَكَرَّرَ فِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلِلَّيْمِذِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَهَذِهِ
الْجُمْلَةُ لَازِمَةٌ تَمَّ تَكْرِيرُهَا لِإِلْحَاقِ مَزِيدٍ مِنَ الرُّعْبِ وَالْفَزَعِ فِي قُلُوبِ
الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الْبَعْثِ ، تَقَعُ كَأَنَّهَا قَذَائِفُ تَهْزُ قُلُوبَهُمْ هَزًّا
عَنِيفًا رَغْبَةً فِي رَدِّهَا إِلَى خَالِقِهَا .

وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ مَصِيرِ الْمُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَوَصَفُ
مَصِيرِهِمُ الْمَشْهُومِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَسِيرِ ، وَعَرَّجَتْ عَلَى ذِكْرِ مَثْوَى
الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَقَلَّبُونَ بِمَا وَفَّقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ فِي ظِلَالٍ وَعَيُونَ
وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، وَتَمَّ خَتْمُهَا بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهَذَا الْحَدِيثِ
الْعَظِيمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُعْجَزَةً عَقْلِيَّةً
خَالِدَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

سورة النازعات:

سورة النازعات مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّنْزِيلِ ، وَهِيَ التَّاسِعَةُ
وَالسَّبْعُونَ مِنْ حَيْثُ التَّرْتِيبُ الْمُصْحَفِيُّ ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ النَّبَأِ وَقَبْلَ
سُورَةِ الْانْفِطَارِ^(١) .

تَنَاوَلَتْ قَضِيَّةَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَجَاءَ فِي مَطْلَعِهَا الْقَسَمُ
بِالنَّازِعَاتِ وَالنَّاشِطَاتِ وَالسَّابِحَاتِ وَالسَّابِقَاتِ وَالْمُدَبِّرَاتِ ، وَقَدْ رَوَى
الْمُفَسِّرُونَ أَقْوَالَ فِي تَحْدِيدِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَوْصُوفَاتِ بِتِلْكَ الْأَوْصَافِ
الَّتِي جَاءَ الْقَسَمُ بِهَا^(٢) .

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٢) انظر: الطبري (تحقيق محمود شاكر) ، جامع البيان ، ج ٢٤ ، ص ١٨٥ ،
والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٩٠ .



جَوَاهِرُ الذَّرَارِ فِي مَقَارِنِ السُّورِ

وقد تمحورت آياتها حول إثبات النشور بعد الموت ، بعد أن تُصبح العظامُ رميمًا ، وأبطلت أقاويل المُشركين الذين يُكذبون بالبعث مُستمسكين بمزاعمٍ واهيةٍ داحضةٍ ، وبيّنت بأنّ تكذيبهم ناشئٌ عن طُغيانٍ وتجبرٍ ، وضربت لهم مثلًا من أحداث المُكذّبين الطّاغين ، حيثُ جاء فيها حديثٌ مُرلزلٌ عن سلفهم فرعون ، الذي طغى وعثا في الأرض فسادًا ، ولم يرتدّع حتّى أخذه الله نكالَ الآخرة والأولى .

وقد عرّجت في معرض حديثها عن البعث والنشور على ذكر خلق السماوات والأرض وما بينهما ، ودلالة ذلك على طلاقة مشيئة الخالق ، وعظيم قدرته .

ثمّ جاء في ختامها بيانٌ أنّ وظيفة الرّسول هي التذكيرُ بقرب وقوع السّاعة ، والدّعوة إلى توقّي العذاب في ذلك اليوم المُرعب ، وليس من شأنه أن يبيّن وقت وقوعها .

من خلال قراءة السّور الأربع (الصّافات والذّاريات، والمُرسلات، والنّازعات) ، وتسليط أضواء البيان الكاشفة على آيها وكلماتها ، وترتيب موادّها ، وأنواع صيغها ؛ تتجلى جملةٌ من الرّوابط المُعنويّة واللفظيّة بينها ، تجعلُ كلّ ذي لبٍّ سويٍّ يحكمُ بأنّها تتفجّر من ينبوع واحد ، وهي أغصان جذعٍ واحد ، تفتّحت أكمأها ، وأينعت أوراقها بشتّى الأشكال والألوان ، وهي - على تنوّعها وتعدّدّها - تحملُ ملامحَ نسبٍ واحد ، ومعالَمَ سُلالةٍ واحدة ، وفيما يأتي شيءٌ من التّفصيل :

تلتقي سورة الصّافات والذّاريات والمُرسلات والنّازعات في جملة وجوه منها :

١ - تشابهُ صيغ القسم في مطالعها ؛ إذ جاء القسم في مطالع السّور الأربع في شكل صيغة اسم الفاعل في حالة الجمع (فاعلات



ومُفَعَّلَات ، ومُفَعَّلَات) في الأغلب: (الصَّافَات ، الزَّاجِرَات ،
التَّالِيَات ، الذَّارِيَات ، الحَامِلَات ، الجَارِيَات ، المَقْسَمَات ،
العَاصِفَات ، النَّاشِرَات ، الْفَارِقَات ، الْمُلْقِيَات ، النَّازِعَات ،
النَّاشِطَات ، السَّابِحَات ، السَّابِقَات ، الْمُدْبِرَات).

٢ - جاءت صيغة اسم المفعول مرة واحدة: المُرسلات .

٣ - تناوَبَ الحرفان الواو والفاء في الرِّبْط بين الكلمات المُقَسَّم

بها:

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّلَيَّتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصفات: ١ - ٣].
﴿وَالذَّارِيَتِ ذَرَوًا ۝١ فَالْحَمَلَتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَرِيَتِ يَسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الذاريات: ١ - ٤].

﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرَتِ شَرْكًا ۝٣ فَالْفَرَقَتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ [المرسلات: ١ - ٥].

﴿وَالنَّزِعَتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّيْحَتِ سَبْحًا ۝٣ فَالتَّيَقَّتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدْبِرَتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ١ - ٥].

وقد تعددت أقوالُ المُفسِّرين في توجيه العطف بالفاء تارة ،
والعطف بالواو تارة أخرى في هذه المطالع .

جاء في الكشَّاف في موضع تفسير سورة الصَّافَات: «إِنْ قُلْتَ:
ما حُكِّمُ الفاء إذا جاءت عاطفةً في الصَّافَات؟ قلتُ: إمَّا أَنْ تَدُلَّ عَلَى
ترتُّب معانيها في الوجود ، كقوله:

يَا لَهْفَ زِيَابَةٍ لِلْحَارِثِ الصَّنِ صَابِحٍ فَالْغَانِمِ فَالْإِيْبِ

كأنَّه قيل: صَبَحَ فغَنِمَ فآبَ؛ وإمَّا عَلَى ترتُّبها في التَّفَاوُتِ مِنْ بَعْضِ
الوُجُوهِ ، كقولك: خُذِ الْأَفْضَلَ فَالْأَكْمَلَ ، وَاْعْمَلِ الْأَحْسَنَ فَالْأَجْمَلَ؛
وإمَّا عَلَى ترتُّبِ موصوفاتها في ذلك ، كقولك: رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ



فالمُقَصِّرِينَ ؛ فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساقُ أمرُ الفاءِ العاطفةِ في الصِّفَاتِ . فَإِنْ قُلْتَ : فعلى أيِّ هذه القوانين هي فيما أنتَ بصدده؟ قُلْتُ : إِنْ وَحَّدْتَ الموصوفَ كانتَ للدَّلالةِ على تَرْتُّبِ الصِّفَاتِ فِي التَّفَاضُلِ ، وَإِنْ ثَلَّثْتَهُ فَهِيَ للدَّلالةِ على تَرْتُّبِ الموصوفاتِ فِيهِ ، بَيَانُ ذَلِكَ : أَنَّكَ إِذَا أَجْرَيْتَ هذه الأوصافَ على الملائكةِ وجعلتهمُ جامعِينَ لها ؛ فَعَطَفُهَا بالفاءِ يُفِيدُ تَرْتُّبًا لها فِي الْفَضْلِ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ لِلصِّفِّ ثُمَّ لِلزَّجَرِ ، ثُمَّ لِلتَّلَاوَةِ ، وَإِمَّا عَلَى الْعَكْسِ ، وَكَذَلِكَ إِنْ أَرَدْتَ الْعُلَمَاءَ وَقَوَادِ الْغُرَاةِ .

وَإِنْ أَجْرَيْتَ الصِّفَّةَ الْأُولَى عَلَى طَوَائِفَ وَالثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثَةَ عَلَى أُخَرَ ؛ فَقَدْ أَفَادَتْ تَرْتُّبَ الموصوفاتِ فِي الْفَضْلِ ، أَعْنِي أَنَّ الطَّوَائِفَ الصَّافَاتِ ذَوَاتُ فَضْلٍ ، وَالزَّاجِرَاتُ أَفْضَلُ ، وَالتَّالِيَاتُ أَبْهَرُ فَضْلًا ، أَوْ عَلَى الْعَكْسِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ بِالصَّافَاتِ : الطَّيْرَ ، وَبِالزَّاجِرَاتِ : كُلَّ مَا يَزْجُرُ عَنْ مَعْصِيَةٍ ، وَبِالتَّالِيَاتِ : كُلَّ نَفْسٍ تَتْلُو الذِّكْرَ ؛ فَإِنَّ الموصوفاتِ مُخْتَلِفَةٌ^(١) .

٤ - الْمُقَسِّمُ بِهِ فِي السُّورِ الْأَرْبَعِ هُوَ الْمَلَائِكَةُ أَوْ الرِّيحُ أَوْ السُّحُبُ أَوْ آيَاتُ الْقُرْآنِ ، عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ :

جاءَ فِي مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ فِي مَوْضِعِ تَفْسِيرِ الصَّافَاتِ : «فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ الْمُقَسِّمُ بِهَا ، يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتٌ ثَلَاثَةٌ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ أَشْيَاءٌ ثَلَاثَةٌ مُتَبَايِنَةٌ»^(٢) . ثُمَّ فَصَّلَ الْقَوْلَ فِي الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ ، وَمُلَخِّصُهَا أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ الصَّفُوفُ الْحَاصِلَةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٣٤ .

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢٦ ، ص ٣١٣ .



صفوفُ الغزاة المُجاهدين في سبيل الله تعالى ، أو صفات لآيات القرآن ، وذكر احتمالاً ثانياً مُفادُهُ أَنَّ المُرادَ بالصّافات فالزّاجرات فالتّاليات طوائفٌ مختلفة^(١).

وقد ذكر الإمام الطبري في مطلع تفسير سورة المُرسلات وجوهاً مختلفةً للعلماء ، الذين روى عنهم المراد بالمرسلات وأخواتها العاصفات والناشرات والفارقات والمُلقيّات؛ حيثُ ذكرَ أَنَّ المرسلات هي الرياح أو الملائكة التي تُرسلُ بالعرُف ، وروى عن جمع من العلماء بأنّ العاصفات هي الرّياح ، وروى اختلافهم في الناشرات حيثُ ذهب بعضهم إلى أنّها الرّياح ، ورأى آخرون بأنّها المطر ، وعن آخرين بأنّها الملائكة تنشرُ الكتب ، وروى عن آخرين أَنَّ المراد بالفارقات الملائكة أو آيات القرآن التي تُفرّقُ بين الحقّ والباطل ، وروى إجماعهم بأنّ المُلقيّات هي الملائكة التي تُلقي الذّكرَ على الرّسل وتُبلّغه^(٢).

وأياً ما كان المُرادُ بالطّوائف المذكورة في مطلع كلّ سورة ، فالمعنى العام أَنَّ الله تبارك وتعالى شَرَّفَ هذه الطّوائفَ على غيرها بإقسامه بها ، ومجيء القسم بها بصيغ مُتشابهة يدلُّ على أَنَّ بينها وشيعةً قُربى قويّةً ، ورابطةً نسبٍ متينةً.

هذا من ناحية ، ومن ناحيةٍ أخرى ، فإنّ ملمحي التّناظر والاتّساق في بناء السّور القرآنية يدعوان إلى ترجيح القول بأنّ (الصّافات) هي الملائكة؛ لأنّه في نهاية السورة نفسها ورد قول الملائكة: ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الصّافُونَ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿[الصافات: ١٦٥ - ١٦٦].

(١) انظر: الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢٦ ، ص ٣١٥.

(٢) انظر: الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٣ ، ص ٥٨٠ - ٥٨٩.



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

فالملائكةُ هم الصّافات ، وهم الصّافّون ، وقد ورد اللفظ بالتذكير والتأنيث دفعاً للوهم ، الذي قد ينجم عند ضعف النفوس ومحدودي الإدراك ، أن الملائكة إناثٌ نظراً لمجيء اللفظ (الصّافات) بصيغة جمع المؤنث؛ فهم ليسوا إناثاً ، ولا ذكوراً ، بل هم خلقٌ آخرٌ يختلف عن عالمي الإنس والجنّ .

والذي يُؤكّد هذا الفهم (مراعاة التناظر والاتساق في الاختيارات اللفظية) ، أنّ البيان القرآنيّ حريصٌ على انتقاء الألفاظ التي تؤدي الغرض المراد ، مع مراعاة الثوب اللفظي العام للسورة ذاتها؛ وكلّما كانت الألفاظ المؤدية للغرض من نفس قالب اللفظي حسن ذلك عند السّامع ، وراقه ، وهزّ وجدانه ، وأحدث لديه نشوة ولذة معنوية ، يجدّها ويستمتعُ به كلّ ذي مشربٍ أدبي بديع ، وذوق فني رفيع .

من ذلك في السّياق نفسه ، توظيفُ لفظ (المُسَبِّحُونَ)؛ حيث إنّ اسم الفاعل من الفعل (سَبَّحَ) لم يرد في القرآن كلّهُ بالصّيغة الاسميّة إلا في سورة الصّافات مرتين: في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [١٤٢] لَلِّتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿ [الصّافات: ١٤٣ - ١٤٤] ، وفي قوله جلّ شأنه: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصّافات: ١٦٦]؛ فقد انتقى البيان القرآني من صفات يونس عليه السلام صفة كونه من المُسَبِّحِينَ ، وتناظر التعبير واتسق بين لفظ (المُسَبِّحُونَ) الذي ورد في حقّ الملائكة ، ولفظ (المُسَبِّحِينَ) الذي ورد في حقّ يونس عليه السلام .

بالمُقابل نجد أنّ المشهد ذاته جاء ذكره في سورة ﴿ ت وَالْقَلَمِ ﴾؛ حيث لم يقل: لولا أنّه كان من المُسَبِّحِينَ ، وإنّما قال تعالى: ﴿ لَوْلَا أَن تَذَرِكُمْ نِعْمَةً مِّن رَّبِّهِ لَئِيدٌ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ [ن: ٤٩] ، وبهذا تناظر آخرُ السّورة مع أولها؛ حيث قال تعالى في حقّ محمد ﷺ: ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةٍ



رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿ن: ٢﴾ ، وقال في حق يونس: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ، لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿ن: ٤٩﴾. ألا ما أعظم هذا التناظر في التعبير القرآني ، وما أعظم هذا الاتساق في البناء!!

٥ - تكررَت مادّة (زجر) ٤ مرّات: ثلاثٌ منها في سورة الصّافات: ﴿فَالزَّجَرِيتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢] ، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات: ١٩] ، وموضعٌ واحدٌ في سورة النازعات: في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣].

والمراد بالزّاجرات الملائكة التي تزجرُ السّحابَ في سَوّقه وتألّيفه: قال ابنُ عطية: «الملائكة التي تزجرُ السّحابَ وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى» ، أو «آيات القرآن المُتضمّنة النّواهي الشرعيّة»^(١).

وجاء في الكشف: «فالزاجرات السّحاب سَوْقًا»^(٢).

والزّجرةُ في اللغة: «الصّيحةُ التي يُزجرُ بها ، كالزّجرة بالنّعم والإبل عند الحثّ ، ثُمَّ كُثِرَ استعمالُها حتّى صارت بمعنى الصّيحة وإن لم يكن فيها معنى الزّجر»^(٣). والمعنى ذاته ينطبقُ على لفظ (الزّجرة) في النّازعات. قال الزمخشري في بيان تعلّق الكلام بعبءه ببعض: «فإن قلت: بِمَ تعلّق قوله ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؟ قلتُ: بمحذوفٍ معناه: لا تستصعبوها ، فإنّما هي زجرةٌ واحدةٌ ، يعني: لا تحسبوا تلك الكرّة صعبةً على الله عزّ وجلّ ، فإنّها سهلةٌ هيّنةٌ في قدرته ، ما هي إلّا صيحةٌ واحدةٌ ، يريدُ النّفخةَ الثّانيةَ فإذا هم أحياءُ

(١) ابن عطية ، المحرّر الوجيز ، ج ٤ ، ص ٤٦٥ .

(٢) الزمخشري ، الكشف ، ج ٤ ، ص ٣٣ .

(٣) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢٦ ، ص ٣٢٦ .



على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتاً في جوفها»^(١).

هذا ، ولم تَرِدْ مادّة (زجر) في جميع القرآن الكريم إلا في هذه المواضع الأربعة من الصّافات والنازعات ، وهذا شاهدٌ آخرٌ على تشابه الثوب اللفظي للسّور المتشابهة الأنساق التعبيرية في مطالعها .

هذا الاستعمال ، أقصد استعمال كلمة (زجرة) بمعنى (صيحة) بتفسير جميع المفسرين ، يقود القارئ إلى التساؤل: لماذا جاء التعبير عن النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ بالصَّيْحَةِ تارة ، وبالزَّجْرَةِ تارة أخرى؟

والجواب: إنّ لكل سورة ثوبها اللفظي ، واعتبارات يُراعيها البيان القرآني ، وهو ينتقي الموادّ المُعْجِمِيَّةَ التي تناسب الدلالات المُرادَة ، فالحديث عن الزّجرة في الصّافات والنازعات مُؤشِّرٌ على استعمال مادة (صيحة) في سورة ﴿يَس﴾ ، التي تنسجم فيها ياء (صيحة) مع ياء ﴿يَس﴾^(٢).

قال عز وجل: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ [يس: ٢٩].

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩].

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

وهو أيضاً مُؤشِّرٌ دقيق على استعمال (صيحة) في سورة ﴿ص﴾ ، التي جاءت الكلمات المفتاحية فيها مُكوّنةً من حرف الصّاد وعائلته الأقرب فالأقرب .

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥].

(١) الكشف ، الزمخشري ، ج ٤ ، ص ٤٩٦ .

(٢) انظر: كتابنا: الأساور المرصعة في أسرار الأحرف المقطعة ، دراسة تحليلية لسورة يس .



٦ - التَّشَابُه في بناء العبارة المِفْتَاحِيَّة ، حيثُ جاءت الجملة الأولى في مطلع كل سورة مُكوَّنة من اسم الفاعل المُقسَّم به في حالة الجمع (الصَّافَات ، الذَّارِيَات ، النَّازِعَات) ، أو اسم المفعول المقسم به في حالة الجمع (المرسلات) مع معمولٍ منصوب ، هو مفعول به أحياناً في مثل : ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ ، ﴿فَالْمُقَسِّمَتِ أَمْرًا﴾ ، أو مفعولٌ مُطلقٌ في مثل : ﴿وَالصَّفَقَتِ صَفًا﴾ ﴿فَالزَّيْجَرَتِ زَجْرًا﴾ ، ﴿وَالنَّزِعَتِ غَرْقًا﴾ ﴿وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا﴾ ، أو مفعولٌ لأجله مثل : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ .

وكذلك التَّشَابُه في اختيار الكلمات المنصوبة ، التي تنتهي براء عليها تنوين فتح مثل : (ذَكَرًا ، وَقَرًا ، يُسْرًا ، أَمْرًا ، نَشْرًا ، ذِكْرًا ، عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ، أَمْرًا) .

وهذا الاختيارُ يُحدثُ إيقاعًا صوتيًا يُناسبُ الدلالات المرادة ، ويجعلُ القارئَ يربطُ في ذهنه بين الآيات ونسيجها العام ، ودلالاتها المتنوعة .

٧ - في سورة الصَّافَات جاء ذِكْرُ تزيين السَّمَاء الدُّنْيَا بزينة الكواكب في قوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوكَبِ﴾ [الصَّافَات : ٦] ، وجاء في الذَّارِيَات القسمُ بالسَّمَاء ذات الحُبُك : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذَّارِيَات : ٧] ، والحُبُك جميع حبيكة ، مثل : طُرُق جمع طريقة ، والحبيكة الطَّرِيقَةُ في الرَّمْل وغيره ، وقد عدَّد القرطبيُّ سبعة معانٍ للسَّمَاء ذات الحُبُك هي :

الأول : ذات الخَلْقِ الحسن المُستوي ، من حَبَك النَّسَاجِ الثَّوبِ يَحْبِكُهُ حَبِكًا ، أي : أَجَادَ نَسَجَهُ . قال ابنُ الأعرابي : كُلُّ شَيْءٍ أَحْكَمْتَهُ وَأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فَقَدْ اخْتَبَكْتَهُ .

الثاني : ذات الزَّيْنَةِ .



الثالث: ذات النجوم .

الرابع: ذات الطرائق .

الخامس: ذات الشدة .

السادس: ذات الصفاقة .

السابع: المراد بالطُّرُق المَجْرَةُ التي في السَّمَاء .

نخلصُ إلى أنَّ هذه المعاني متقاربة ، وتنطبقُ كُلُّها على السَّمَاء ؛ فهي ذات طرائق ، وذات شِدَّة ، وذات نجوم تُزَيِّنُها ، وهي بهذه المعاني والدلالات تتقاربُ وتتناظرُ مع تزيين السَّمَاء بالكواكب في سورة الصّافات .

٨ - ورد في الصّافات أمرُ رسول الله ﷺ أن يستفتي قومه عن مسألتين مهمّتين: مسألة خلقهم وخلق الكون من حولهم ، ومسألة ادّعائهم أنَّ الملائكة إناثٌ ، وظنهم واعتقادهم الباطل بأنَّ الملائكة هم بناتُ الله .

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] .

﴿ فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ [١١٩] أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٠] .

هذا ، ولم يرد أمرُ رسول الله ﷺ بأن يستفتي قومه بهذه الصيغة إلا في هذه السورة ، وهذا أيضًا من الاتساق في بناء السورة ، خصوصًا وأنَّ الاستفتاء الأول جاء في بداية السورة (الآية ١١) ، والاستفتاء الثاني جاء في نهاية السورة (الآية ١٤٩) ممَّا يدلُّ على القصد والحكمة في عرض مواد السورة الواحدة في تناظر واتساقٍ جميلين .



من ناحية أخرى جاء في سورة الصافات دعوة إلى المقارنة بين خلق الإنسان وخلق الكون ، في صيغة استفهام يهز نفوس المخاطبين ، ويدعوهم إلى التفكير والتدبر في خلقهم وفي خلق السماوات والأرض وما بينهما ، ليدركوا قيمة هذا الإنسان المتكبر على خالقه : ﴿ فَاسْتَفْهِمُ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١] .

والاستفهام ذاته ورد في سورة النازعات في صيغة جديدة : ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَتْهَا ﴾ [النازعات : ٢٧] .

ومن جميل التناظر أن القرآن الكريم فصل في جانب خلق الإنسان في سورة الصافات ، ووفى الجانب الثاني من المعادلة حقه في النازعات : ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَتْهَا ﴾ [٢٧] رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَا ﴿٣٢﴾ مُتَعَالِكُمْ وَلِتُنْعِمَكُمْ ﴿٣٣﴾ [النازعات : ٢٧ - ٣٣] .

٩ - جاء في سورة الصافات تساؤل على ألسنة المشركين المنكرين للبعث ؛ حيث قالوا : ﴿ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [١٦] أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ [الصافات : ١٧] . كما ورد فيها ذكر نبي الرجل الذي كان له قرين يشككه في قيام الساعة ، والبعث بعد الموت ؛ حيث روى القرآن أنه كان يقول لصاحبه : ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ [٥٢] أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ [الصافات : ٥٣] .

والاستفهام ذاته تكرر على ألسنة المشركين المنكرين للبعث في سورة النازعات ، حيث جاء على ألسنتهم : ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ [٧٠] أءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَحَرَّةً ﴿٧١﴾ [النازعات : ١١] ، وهذا من الروابط الموضوعية بين السورتين .

١٠ - جاء في الصّافات حديثٌ عن يوم القيامة باسميه: يوم الدين ، ويوم الفصل: ﴿ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [٢٠] هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿ [الصّافات: ٢٠ - ٢١] ، ثُمَّ جاء تفصيلُ الحديث عن يوم الدين ، وتساؤلُ المُشركين عنه في سورة الذّاريات: ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ [٥] وَإِنَّ الدِّينَ لَوَفْعٌ ﴿ [الذّاريات: ٥ - ٦] ، وقوله: ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الذّاريات: ١٢] ، وورد حديثٌ مُفَصَّلٌ عن يوم الفصل في سورة المرسلات: ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ [١٢] لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿ [١٣] وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿ [المرسلات: ١٢ - ١٤] ، وقوله: ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ [٣٨] فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ ﴿ [المرسلات: ٣٨ - ٣٩] .

وبهذا التوزيع يتجلى كيف أنّ سورة الصّافات احتوت على أصول الشبكة ، التي منها تمّ توزيعُ المواضيع والدلالات على أخواتها الثلاث (الذّاريات ، والمرسلات ، والنّازعات) ، ولو مثلنا العلاقة بين السّور الأربع برسم هندسيّ لوضعنا سورة الصّافات مركزَ دائرة ، وكانت أخواتها أنصافَ أقطار هذه الدائرة ، ولو شبّهناها بشجرةٍ لكانت الصّافات جذعًا كبيرًا تتفرّع عنه أغصانُ السّور الثلاث .

١١ - جاء في الصّافات حديثٌ مُكرّرٌ عن الجحيم:

﴿ فَأَهْذَوْهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ الْجَحِيمِ ﴾ [الصّافات: ٢٣] .
 ﴿ فَأَطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصّافات: ٥٥] .
 ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصّافات: ٦٤] .
 ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصّافات: ٦٨] .
 ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ [الصّافات: ٩٧] .

وهذا الاستعمالُ المُتكرّرُ يدلُّ على القصد ، ويدلُّ على مراعاة الاتّساق في انتقاء الألفاظ التي تتناسب مع جوّ السّورة؛ فقد دعاها



إلى أن يرشدوا المُشركين إلى صراط الجحيم تهكُّمًا بهم وسخرية؛ فهم عطلوا وسائل الإدراك لديهم في الحياة الدنيا ، ولم يتَّبِعُوا صراطَ الله المُستقيم ، فجزأوهم في يوم الدين أن يُهدَّوا إلى صراط الجحيم .

والزَّقومُ شجرةٌ طلَّعها كَأَنَّهُ رؤوسُ الشَّياطين ، وهي تقعُ في أصل الجحيم ، والمُشركون الذين ضلُّوا عن سبيل التَّوحيد الحقِّ ، واقتفوا آثارَ آبائهم الضَّالِّين ، مرجعُهم في يوم الدين إلى الجحيم ، وإبراهيم عليه السلام لما أجمع قومه المشركون أن ينتقموا منه ، وأعدَّوا له نارًا مُتأججةً سمَّوها جحيمًا ، وقالوا: ﴿ فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٩٧] .

واسمُ الجحيم ذاته يتكرَّرُ في سورة النازعات ، حيثُ إنَّ الجحيمَ تَبَرَّزَ لأصحابها في يوم الطَّامة الكبرى: ﴿ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾ [النازعات: ٣٦] ، وأمَّا الذي طغى وآثر الحياة الدنيا فإنَّ الجحيم هي مأواه الأخير: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] .

أمَّا في سورة الذَّاريات ، فقد تمَّ ذكرُ النَّارِ باسمها العام (النَّار) ، وذلك تناسبًا مع ذكر (الجنَّات) العام: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ [الذاريات: ١٣] ، وجاء بعدها ذكرُ حُسن مصير المتقين في جنَّات وعيون: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات: ١٥] .

أمَّا في سورة المُرسلات ، فجاء الحديثُ عن الجنَّة والنَّار عن طريق الكناية؛ فالنَّارُ تمَّ ذكرُها بهاء الكناية التي تعودُ عليها ، وجاء وصفُ شررها ولهبها: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المُرسلات: ٣٢ - ٣٣] ، والجنَّةُ تمَّ ذكرُها بالكناية بتمتُّع المتقين بما فيها من ظلالٍ وعيون: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفُوكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [المُرسلات: ٤١ - ٤٢] .



فانظر ، يا رعاك الله ، كيف تمت مقابلة الاسم الصريح بالاسم الصريح في الذاريات (النار) (جنات) ، وجاء مقابلة هاء الكناية التي تعود على النار بالتكنية عن النار وذكر لوازمها ، وعدم التصريح باسمها في المرسلات . ألا فما أعظم هذا الاتساق !! .

١٢ - جاء تسجيلُ تساؤلِ أهل الجنة فيما بينهم ، وأهل النار فيما بينهم في الصفات بالصيغة نفسها مرتين: سجّلت الآية (٢٧) تساؤل أهل النار: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧] ، وسجّلت الآية (٥٠) تساؤل أهل الجنة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٥٠] .

١٣ - جاء في الصفات وصمُّ أهل الجحيم بأنهم كانوا قومًا طاغين: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الصفات: ٣٠] ، وأوردت الذاريات الوصف ذاته للمشركين الذين كفروا بالإسلام ، ووسموا رسول الله بوصفي الشعر والجنون: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣] .

أما النزاعات ، فجاء فيها ذكرُ مادّة الطغيان في موضعين ؛ ففرعون طغى وتجاوز كل حدّ في الكفر والتجبر: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [النزعات: ١٧] ، والجحيمُ هي المثوى الحقيقي لكل من طغى وآثر الحياة الدُّنيا على الآخرة: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ ٣٧ ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ٣٨ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النزعات: ٣٧ - ٣٩] .

فالسمة البارزة للذين يصلون الجحيم في الصفات والذاريات والنزعات ؛ هي الطغيان .

١٤ - جاء في الصفات تعليق عن الذين يستكبرون عن قول لا إله إلا الله ، ويُصرون على الشرك العظيم ؛ بأنهم مُجرمون: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ



الفصل الثالث: المبحث الأول: سور: (والصافات، والذاريات،...)

نَفَعْلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿ [الصافات: ٣٤] ، وجاء التعليق ذاته في المرسلات بعد ذكر الأولين والآخرين من المكذبين: ﴿ كَذَلِكَ نَفَعْلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿ [المرسلات: ١٨].

والفرق بين العبارتين فقط هو أن العبارة التي وردت في الصافات جاءت مؤكدة بحرف (إن): ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ... ﴾ ، وسبب ذلك - والله أعلم - مراعاة الاتساق العام لبناء جمل وعبارات سورة الصافات ، حيث جاء أغلبها مؤكداً حسب ما يقتضي فن القول:

﴿ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ [الصافات: ٤].

﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِيَّةٍ الْكَوْكَبِ ﴾ [الصافات: ٦].

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١].

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الصافات: ١٩].

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾

[الصافات: ٣١-٣٢].

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفَعْلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ [الصافات: ٣٤].

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥].

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ [الصافات: ٣٨].

﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصافات: ٦٠].

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ [الصافات: ٦٣].

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٤] ، وآيات أخر.

١٥ - والأمر ذاته ينطبق على عبارة ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ؛ حيث تكررت هذه الجملة في الصافات خمس مرات ، واحدة منها بدون تأكيد في سياق الحديث عن إبراهيم عليه السلام ، وسبب



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

ورودها غير مؤكدة ؛ هو سبق ورودها مؤكدة في حقه عليه السلام في السياق ذاته : ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٦﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٨﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٩﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٠﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١١١﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٤ - ١٠٩] .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ٨٠] .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٢١] .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٣١] .

ووردت الجملة ذاتها مؤكدة في المرسلات : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المرسلات : ٤٤] .

أما في بقية المواطن في السور الأخرى فجاءت بدون دخول (إنا) المؤكدة عليها :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاسْتَوَيْنَا إِلَيْهِ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص : ١٤] .

فأنت ترى ، أخي القارئ ، أن عبارة ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ جاءت مؤكدة في السورتين المتناظرتين المتقاربتين (الصافات والمرسلات) ، وجاءت العبارة بدون تأكيد ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ في سور آخر .



١٦ - تحدّثت سورة الصّافات أنّ الله تبارك وتعالى أنجى نوحًا وموسى وهارون عليهم السّلام من الكرب العظيم:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٦].

﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ١١٥].

وفي إنجاء نوح عليه السلام من الكرب العظيم ، وإنجاء موسى وأخيه هارون وقومهما من الكرب العظيم ، أي: في توحيد النتيجة التي تجمعهما ، على الرّغم من بُعد المسافة الزمنية بينهما ، ما يشي بالعلاقة التلاحمية بين الرسالتين ، وما يدلّ على ملمح الاتّساق في بناء سورة الصافات ، كما تتمتع به أخواتها المكيّات والمدنيّات .

١٧ - ومن الاتّساق اللفظي أيضًا الذي تفتقّ أكمائه في الصافات تكرير استعمال وصف (سقيم) ، حيث ورد في قوله جلّ ثناؤه:

﴿فَظَرَّ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨ - ٨٩] ، وفي قوله تقدّست أسماؤه: ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥] .

جاء في المفردات: «السَّقَمُ والسُّقْمُ: المرضُ المُختَصُّ بالبدن ، والمرضُ قد يكون في البدن وفي النفس»^(١) .

وقال الزّمخشري في معرض حديثه عن قول إبراهيم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ في الصافات: «إني مُشارِفٌ للسُّقْمِ ، وهو الطّاعون ، وكان أغلب الأسقام عليهم ، وكانوا يخافون العدوى ليتفرّقوا عنه»^(٢) .

قد تكون ثمة فروق دلاليّة دقيقة اقتضت توظيف لفظ (سقيم) مرّتين في الصافات ، ولكن المؤكّد أنّ الاتّساق العام ، ومراعاة

(١) الراغب ، المفردات ، مادة سقم .

(٢) الزّمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٤٩ .

جَوَاهِرُ الذَّرِّ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

التَّناظر والتَّجاذب في توظيف الموادِّ الْمُعْجَمِيَّةِ مرعيٌّ ، وهذا ما تُؤكِّدُه هذه المقاربة التفسيرية بشأن تشارك كل أسرة أو مجموعة من السُّور المتشابهة في مطالعها ، والمتسقة في أثوابها اللفظية .

١٨ - ومن الاتِّساق في المضامين ، عَرَضُ حادثة تبشير الملائكة لإبراهيم بالغلام الحليم في الصفات ، وتبشير الغلام العليم في الذاريات :

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ ١٠٠ ﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿ [الصفات : ٩٩ - ١٠١] .

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ ﴿ ٢٥ ﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿ ٢٦ ﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ ٢٧ ﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿ [الذاريات : ٢٥ - ٢٨] .

والمُرَاد بالغلام الحليم في الصفات ، هو إسماعيل عليه السلام ، بدليل أنَّه بعد البشارة بالغلام الحليم ، وبلوغه معه السَّعي ، ووقوع حادثة الذَّبْح كما أخبرتنا بها الآيات ؛ جاء قوله تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصفات : ١١٢] .

أمَّا الغلامُ العليم الذي جاءت به البُشْرى في الحجر والذاريات ، فهو إسحاق عليه السلام .

١٩ - ومن الاتِّساق اللفظي أيضا توظيف الوصف (معلوم) في سورتي الصفات والمرسلات :

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصفات : ٤١] .

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصفات : ١٦٤] .

﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [المرسلات : ٢٢] .



٢٠ - جاء في الصّافات حديثٌ عن عباد الله المُخلّصين الذين يكونُ مُستقرُّهم في يوم الدين في جنّات النّعيم: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوْكَهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤١ - ٤٧].

وجاء في الذاريات حديثٌ عن مثوى المتّقين في جنّات وعيون: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥].

وجاء في المرسلات حديثٌ عن مثوى المتّقين في ظلال وعيون: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١].

وقد جاء كلّ تعبير على ما يُناسبُ ويلائمُ؛ ففي الصّافات جاء ذِكرُ (عباد الله المُخلّصين)، وديدن القرآن أن يذكر في جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم مخلصون لله تعالى، أن يُدخلهم جنّات النّعيم:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

﴿الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [القمان: ٨].

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١ - ١٢].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [ان: ٣٤].



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

وما جاء في سورة الذَّارِيَّاتِ (جَنَاتٍ وَعِیُونَ) أيضًا ، هو متناسبٌ مع ديدن القرآن في ذكر مجازاة الْمُتَّقِينَ بأنَّ لهم جَنَاتٍ وَعِیُونًَا :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٢].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥].

وقد جاء التعبير مرّةً واحدةً بقوله (في ظلالٍ وعيون) ، وسببُ العدول إلى لفظ (ظلال) - والله أعلم - هو مراعاة الاتساق والتناظر مع ذكر الظلّ الذي يُعَدُّهُ الله للكافرين في النار في السياق ذاته؛ حيثُ إنّه ظلٌّ ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يُغني من اللّهب؛ ففي معرض الحديث التّهكّمي عن الظلّ الذي لا يُغني من اللّهب ، حُسُنَ ذِكرُ الْمُتَّقِينَ الذين يتنعمون في ظلالٍ باردة تحت أشجار وارفة: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣١﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٣٢﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٣﴾ كَأَنَّهُ جُمُلٌ صَفَرٌ ﴿٣٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْذِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٤٠﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٢﴾ وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٤٢].

٢١ - جاء في سورة الصّافّات حديثٌ عن التقام الحوت يونس عليه السّلام وهو مُلِيمٌ: ﴿فَالْقَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢] ، ومعنى (مليم): أتى ما يُلامُ عليه. قال الزّجاج: «قد ألامَ الرَّجُلُ فهو مُلِيمٌ؛ إذا أتى ما يجبُ أن يُلامَ عليه»^(١) ، وقال الزّمخشري: «وهو مُلِيمٌ: داخلٌ في الملامة»^(٢).

(١) الطّبي ، فتوح الغيب ، ج ١٣ ، ص ٢٠٢ .

(٢) الزّمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٦١ .



والوصف ذاته (مُليم) جاء توظيفه في سورة الذاريات في شأن عرض إغراق فرعون وجنوده ونَبَذهم في اليم. قال جلَّ شأنه: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠] ، والتفسير ذاته أيضًا ينطبق على فرعون ، مع الفارق في درجة اللوم؛ إذ إنَّ اللوم الذي جاء في نبي الله يونس عليه السلام ؛ من قبيل اللوم على مخالفة ما هو أولى ، أي: من باب قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المُنقرَبين». أمَّا لوم فرعون فهو لومٌ تقريع وتوبيخ على الكفر والطغيان والعصيان وسفك دماء الأبرياء ، وغير ذلك من خطايا العظيمة.

وقد انتبه العلامة الزمخشري إلى استعمال الوصف في حق نبي الله يونس عليه السلام ، واستعماله في حق فرعون. قال في الكشف: «فإن قلت: كيف وصف الله نبي الله يونس صلوات الله عليه، بما وصف به فرعون في قوله تعالى: ﴿فَالنَّعْمَةُ الْخَيْرُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢]؟

قلت: موجبات اللوم تختلف، وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم؛ فراكب الكبيرة ملومٌ على مقدارها، وكذلك مُقرِفُ الصَّغيرة»^(١).

أقول: لعمري الله ، لقد أطلَّ الزمخشري في كشافه على النبع الفياض لملمح الاتساق اللفظي بين السور المتشابهة الأنساق التعبيرية في مطالعها ، ولكنه لم يُواصل الحفر ، وإنَّه لخليقٌ - بما أضاف من تحليلاتٍ بلاغية في نصوص التنزيل - أن يُلقَبَ بالمُستكشف الأول للبعد الصوتي للأحرف المُقطَّعة ، ولمراعاة مَلَمَحِ التناظر والاتساق بين شخصيات السور القرآنية المتشابهة المطالع لولا توقُّفه عن الحفر في غمار لجج البيان القرآني العميقة. وجاء كثيرٌ من المُفسرين بعده

(١) الزمخشري ، الكشف ، ج ٤ ، ص ٤٠٣ .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي تَرْجُومَةِ الْقُرْآنِ

ولكنهم لم يسيروا على مهيعه ، ولم يُواصلوا التنقيب في نصوص التنزيل بالأدوات البيانية الدقيقة ، ولم يُسلطوا أضواء القراءة الناقدة على النصوص ؛ لذلك ظلّوا دهورًا ، وقصّوا أحقابًا في تكرير ما قاله السابقون ، دونما إعمال فكر ثاقبٍ لمّاح فيما بين أيديهم من نصوص ؛ إلا ما كان من العلامة محمد الطاهر بن عاشور ، فإنه قد أجاد وأبدع ، وحلّق في ذرى التحليل البلاغي لآيات القرآن ، ويُعدُّ كتابه التحرير والتنوير من أعظم الأسفار ، التي تناولت نصوص القرآن بالدرس التحليلي البلاغي ؛ إن لم يكن أعظمها على وجه الإطلاق .

وأضيفُ هنا بأنّه إذا كانت الصّافات أوقعت اللّوم على نبي الله يونس عليه السلام ، وإذا كانت الذاريات أوقعت اللّوم على فرعون ؛ فإن نهاية الذاريات أيضا تحدّثت عن محمد ﷺ ، وخاطبه ربّه في تشریفٍ وتكريمٍ نافياً عنه اللّوم ، ورافعاً عنه الحرج : ﴿ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات : ٥٤] .

فانظر إلى روعة هذا الاتّساق والانسجام بين نصوص التنزيل في السّور التي تنتمي إلى أسرة واحدة ، وانظر إلى ردّ العجز على الصّدر في السّورة الواحدة ؛ فإذا كان يونس وفرعون ملومين فما أنت بملوم يا محمد !!!

٢٢ - نظيرُ هذا الاتّساق أيضًا ، توظيفُ الفعل (نبذ) في معرض الحديث عن نبذ يونس عليه السلام بالعراء وهو سقيم ، ونَبَذَ فرعون وجنوده في اليم ، والنَّبَذُ هو الطَّرْحُ والإلقاء بغير اعتداد بالشّيء الملقى . قال الراغب : «النَّبَذُ : إلقاءُ الشّيء وطَرْحُهُ لقلّة الاعتداد به» (١) .

(١) الراغب ، المفردات ، مادة نبذ .



قال جل شأنه: ﴿فَبَذَنَّهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

وقال تبارك اسمه: ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَذَنَهُمْ فِي آلِيمٍ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

[الذاريات: ٤٠].

فانظر إلى مراعاة الاتساق في توظيف فعل البَذ في الموضعين: موضع الصافات وموضع الذاريات، علماً أنه قد جاء التعبير عن إهلاك فرعون في سور ومشاهد آخر بالإغراق وبالبَذ أحياناً أخرى:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾

[البقرة: ٥٠].

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي آلِيمٍ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾

[الأعراف: ١٣٦].

﴿كَذَابَ آلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ

بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٤].

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣].

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ٦٥ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥ - ٦٦].

﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

فما الذي جعل البيان القرآني يعدل عن لفظ الإغراق، الذي تم توظيفه في كثير من المواضع إلى مادة (البَذ) في الذاريات؟ إنه مراعاة الاتساق للثوب اللفظي للسور التي تنتمي إلى أسرة واحدة.

٢٣ - جاء توظيف المُرْكَب الوصفي (سلطان مبین) في الصافات

والذاريات:

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ١٥٦ ﴿فَأَتَوْا بِكَتِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[الصافات: ١٥٦ - ١٥٧].



﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الذاريات: ٣٨].

فالقرآن الكريم تحدّى المشركين أن يأتوا بسُلطانٍ مبين وحجج قواطع على ما يافكون ، أمّا موسى عليه السلام فقد أرسله الله تعالى بسُلطان مبين إلى فرعون وقومه .

وحين أقول إنّ سورتي الصّافات والذّاريات اشتركتا في المركّب الوصفى (سلطان مبين) ؛ لا يعني ذلك أنّ هذا التعبير لم يردّ في القرآن الكريم ، وإنّما ورد في سورٍ أُخرى لمقتضيات أُخرى ، ولكن الذي تُعنى به هذه الدّراسة هي بيان وشائج النّسب اللفظي بين السور المتشابهة المطالع ، أمّا وجود التعبير ذاته في مواضع أُخرى من الذّكر ؛ فمن المؤكّد أنّ لكل استعمال أسرارَه ، والله تعالى في قرآنه أسرارٌ لا تنفدُ ، ولا يُمكن لبشرٍ مهما كان علمُه الإحاطة بها .

٢٤ - جاء في الصّافات بيان أنّ جنّد الله هم الغالبون : ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣] ، أمّا فرعون وجنوده فقد جاء أنّهم هم المغلوبون المنبوذون في الذّاريات : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٤٠] .

٢٥ - جاء في الصّافات خطابُ محمد ﷺ بأنّ يتولّى عن قومه حتّى حين :

﴿ فَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات: ١٧٤] .

﴿ وَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات: ١٧٨] .

وجاء في الذّاريات أمرُه أيضا أن يتولّى عنهم حال كونه ليس بملوم : ﴿ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات: ٥٤] .

٢٦ - جاء في الصّافات والذّاريات والمرسلات والنّازعات حديثٌ



عن زمره من الأنبياء وأقوامهم ، والملاحظ الآتي : أن سورة الصافات فصلت القول في جانب الأنبياء ، وسورة الذاريات فصلت القول في شأن الأقوام المجرمين ، وسورة المرسلات أوجزت القول في إهلاك المكذبين المجرمين ، وروت سورة النازعات جانباً من قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، دون التعرض إلى ذكر غيره من الأنبياء والمرسلين ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

أ - سورة الصافات احتفت بأنبياء الله المرسلين عليهم السلام ، وأشادت بفضلهم ، وذكرت أنهم من عباد الله المؤمنين ، ومن عباده المخلصين ، وأنهم من زمره المحسنين الذين يثيبهم الله تعالى خير ما يجزي به المحسنين ، وجاء تشريفهم بذكر السلام عليهم في نهاية كل مشهد :

نوح : ﴿ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٧٨) سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصافات : ٧٨ - ٨١] .

إبراهيم : ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمُ ﴾ (١٠٩) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصافات : ١٠٤ - ١١١] .

موسى وهارون : ﴿ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (١٢٢) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصافات : ١٢٠ - ١٢٢] .

إلياس : ﴿ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (١٢٩) سَلَّمَ عَلَى إِيْلَ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصافات : ١٢٩ - ١٣٢] .

ثم بعد أن ذكر كل رسولٍ ونبيٍّ بما يتناسب مع فضله وخصائصه التي عُرف بها ؛ جاء تكريم جميع المرسلين بالسلام عليهم في نهاية



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

السورة: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ [١٨١] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الصافات: ١٨٢]؛ فعلى الرغم من أن الرسل يتفاوتون درجات في الفضل والمنزلة ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] إِلَّا أَنَّ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْوَهَّابَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وشَرَّفَهُمْ جَمِيعًا بِذِكْرِ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِمْ فِي نَهَايَةِ هَذِهِ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ.

ب - سورة الذاريات تناولت وصف العذاب الذي ألحقه الله تعالى بالأقوام المجرمين ، الذين كذبوا أنبياء الله ورسوله ؛ حيث جاء وصفٌ مُختَصَرٌ لإهلاك كل فريق منهم: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣١] قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْقَارِعُ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْقَارِعُ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْقَارِعُ ﴿٤٦﴾ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿[الذاريات: ٣١ - ٤٦].

ج - أما سورة المرسلات فقد صرّحت بإهلاك جميع المكذبين السابقين ، وبشّرت المعاصرين واللاحقين من أهل الإجماع بأنهم سيُصيبهم العذاب نفسه ، ويلقون المصير ذاته إن لم يؤمنوا بالإيمان الصحيح: ﴿أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٦] ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿[المرسلات: ١٦ - ١٨].

د - أما سورة النازعات ، فقد أبرزت جانباً من قصّة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه ، وعرضته بما ينسجم ويتسق مع الجوّ العام



الذي تَمَيَّزُ به : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرْسِلْنَا آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [النازعات: ١٥ - ٢٦].

مما سبق يتضح للقارئ المتدبر كيف أن السور الأربع تناولت موضوع الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم بطريقة تكاملية: الصافات فصلت القول في جانب المرسلين ، والذاريات فصلت القول في جانب المكذبين المهلكين ، والمرسلات أوجزت في شأن الحديث عن المهلكين ، والنازعات أبرزت قصة موسى عليه السلام بما يتوافق مع جوها العام ، وأبرزت طغيان فرعون وعُتُوّه وسوء مصيره .

٢٧ - سورة الصافات عَجَبَتْ من شأن المُشركين الذين لم ينتفعوا بالدعوة والنصح الشفوي ، وكانوا يستعجلون مجيء العذاب: ﴿ وَأَنْصِرْهُمْ فَوَقَّ يَبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٥ - ١٧٦] ، وجاءت سورة الذاريات تُوبِّخُهم وتُواجهُهم بالعذاب الذي كانوا به يستعجلون: ﴿ ذُوقُوا فَلَنْ نَكُفَّ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الذاريات: ١٤].

٢٨ - من الاتساق اللفظي في سورة الذاريات توظيف الوصف (عقيم) ؛ حيثُ جاء مرّةً في وصف امرأة إبراهيم التي كانت عقيماً لا تلد ، فتعجبت حين بشرتها الملائكة ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٢٩] ، وورد اللفظ نفسه في وصف الريح ، التي أرسلها الله تعالى على عادٍ فدمرتهم: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١].

واللافت للانتباه أن امرأة إبراهيم نفسها لما بشرتها الملائكة في سورة هود قالت متعجبة: ﴿ قَالَتْ يَوْتِلَيَّ آلُ دَاوُدَ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢] ؛ حيثُ إنها اكتفت بوصف نفسها بأنها

عجوزٌ فقط ، بينما اقتضى سياقُ سورة الذَّاريات زيادة الوصف (عقيم) لبيان حالة العُقر التي كانت متجذِّرةً فيها ، ولا يخفى ما في ذكر هذه الكلمة من اتِّساقٍ لفظيٍّ مع الرِّيحِ العقيمِ .

٢٩ - تمَّ توظيفُ الجار والمجرور ﴿ حَتَّى حِينَ ﴾ مرتين في الصَّافَّات ، ومرةً في الذَّاريات :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينَ ﴾ [الصَّافَّات : ١٧٤] .

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينَ ﴾ [الصَّافَّات : ١٧٨] .

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّى حِينَ ﴾ [الذَّاريات : ٤٣] .

وهذا يدلُّ على النِّسِيج اللُّغوي المُشترك بين هاتين السورتين ، وهو ممَّا يدلُّ على شِدَّة الارتباط بينهما .

٣٠ - جاء في سورة الذَّاريات أن فرعونَ وقومَه اتَّهموا موسى عليه السَّلام بالسَّحر والجنون ، وتشاوروا في الصِّفَّة التي يُلصِّقونها به ؛ فهو لديهم إمَّا ساجِرٌ وإمَّا مجنون : ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذَّاريات : ٣٩] .

وفي نهاية الذَّاريات أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يتولَّى عنهم ، ولا يكثرِثَ بمقولاتهم ومزاعمهم الباطلة ؛ فهم كالذين من قبلهم ما جاءهم رسولٌ إلَّا اتَّهموه بالسَّحر أو الجنون : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذَّاريات : ٥٢] .

أمَّا في سورة الصَّافَّات ، فقد وصف المشركون رسولَ الله ﷺ بصفتي الشَّعر والجنون : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلْهَيْئَةِ لِشَاعِرٍ مَجْنُونٌ ﴾ [الصَّافَّات : ٣٦] .

فإذا كان فرعونُ وقومُه قد استقرَّوا على رأيٍ واحدٍ في حقِّ موسى



عليه السلام في وصفهم له بالسّاحر أو المجنون؛ فإنّ مشركي العرب الذين واجههم محمدٌ ﷺ بدعوة التّوحيد، وجاءهم بالمعجزة العقلية الخالدة: القرآن الكريم؛ فإنّهم - لفرط حيرتهم، وضلالهم، وجحودهم - تحيّرُوا في الصّفة التي ينسبون إليها رسول الله ﷺ؛ فقالوا تارة: هو شاعر، وقالوا: ساحر، وقالوا: مجنون، وقالوا: مُعَلِّمٌ مجنون، وقالوا: كاهن، وغيرها من الصّفات، وهم يعلمون أنّ الأوصاف والألقاب التي يُطلقونها عليه ليست من الحقّ في شيء، والرسول ﷺ يعلم أنّه براءٌ من كلّ ما ألصقوا به من التّهم، وهل يضُرُّ السّحابَ نبْحُ الكلاب؟

٣١ - دأبُّ المُشركين في حياتهم اليومية، وهو ما سجّله عليهم القرآن، أنّهم يسألون عن وقت قيام الساعة، وعن زمن مجيء يوم البعث. وفي هذا الإطار، جاء في سورة الذاريات حديث عن استفسارهم وسؤالهم عن يوم الدين: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٢) ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]. أمّا في سورة النّازعات فقد سألوا النّبي ﷺ عن موعد الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ [النّازعات: ٤٢ - ٤٤].

٣٢ - صوّرت سورة الصّافات الذين ظلموا بأنّهم يُحشرون هم وأزواجهم، ويكونون في حالة من الدّلة والمهانة، بحيث لا يرفعون رؤوسهم لفرط ما اقترفوا من كفرٍ وظلم، وجاء تصويرهم بأنّهم مُستسلمون: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصّافات: ٢٦]. والأمر ذاته ينطبق على سورة المرسلات، التي صوّرتهم بأنّهم لا ينطقون ولا يؤذّن لهم فيعتذرون: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦].

٣٣ - ذكرت سورة الذاريات قصّة إبراهيم عليه السلام وضيّفه

جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

المُكْرَمِينَ ، وقد جاءت بداية القِصَّة: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤] ، وجاء في النّازعات عرضٌ لمشهدٍ من قِصَّة موسى عليه السلام ، وتمّ تسجيل افتتاحية المشهد بقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ [النازعات: ١٥] .

وفي افتتاح القِصَّتَيْنِ بهذه الجملة المشتركة: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ ... ﴾ بخطاب محمد ﷺ ما يشي بالقراءة الشّديدة التي تجمع بين السورتين؛ وهذا التعبير من الأساليب التي يستعملها البيان القرآني لمواساة الرسول ﷺ ، والتّخفيف عنه ممّا يُلاقيه من أعباء الرّسالة .

ممّا سبق عرضه ، يتّضح للقارئ المتدبّر في أيّ الذكر الحكيم أنّ هذه السور الأربع (الصّافات والذاريات والمرسلات والنازعات) يجمعها - مع العلم بتفرّقاتها في أزمنة نزولها ، وتفرّقاتها في مواقعها في المصحف - كثير من الأنسجة اللغويّة ، والموضوعات؛ ذلك لأنّها تنحدر من أسرة واحدة هي أسرة القسم بأنساق تعبيرية متشابهة في مطالعها ، وهذا التوافق والاتّساق في أبنيتها اللغويّة والمضمونيّة لون من ألوان إعجاز هذا الذكر الحكيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فلا قدرة لبشر فصيح بليغ ، ولا استطاعة لجماعة من العلماء والبلغاء مهما أوتوا من قوّة العارضة ، وسحر البيان ، وجودة مهارات الكتابة الأدبيّة؛ أن ينسجوا كلامًا مثل كلام الله تعالى في اتّساقه وإحكامه وتناغم أبنيتها اللغويّة وتوافقها. إنّ هذا القرآن لهو الذكر المبين ، ولهو المعجزة العقليّة الخالدة بحقّ ويقين .

* * *



الْمَجْتَمَعُ الثَّانِي

سورتا القارعة والحاقة

سورة القارعة مكية في قول جمهور علماء التنزيل ، وهي السورة الثلاثون^(١) نزولاً بعد سورة قريش ، وقبل سورة القيامة ، وهي من قصار المفضل ، وتقع في إحدى عشرة آية .

تحدث سورة القارعة عن يوم القيامة الذي يقرع الأذان ، وتقرع فيه القلوب بسبب ما يصيبها فيه من فزع عظيم . قال الطبري : «القارعة : الساعة التي يقرع قلوب الناس هولها»^(٢) .

وقد جاء الحديث عن يوم القيامة فيها بأسلوب التهويل والتفخيم ، وجاء فيها وصف أحوال الناس ، والجبال ، وذكر أحوال الذين تنقل موازينهم بالأعمال الصالحة الحسنة ، والذين تخف موازينهم بما اقترفت أيديهم من معاصي وأعمال سيئة .

أما سورة الحاقة ، فهي سورة مكية أيضاً ، وهي السورة الثامنة والسبعون^(٣) نزولاً . جاء فيها بأن القيامة هي الحاقة ، أي : هي حق واقع ، وهي آتية لا محالة .

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ، ج ٢٤ ، ص ٥٩٢ .

(٣) دروزة ، التفسير الحديث ، ج ١ ، ص ١٥ .



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

قال الإمام الطبري: «السَّاعَةُ الحَاقَّةُ التي تَحَقُّ فيها الأمورُ ، ويجبُ فيها الجزاءُ على الأعمالِ»^(١) ، وقال القرطبي: «وقيلَ: سُمِّيَتْ حَاقَّةً لَأَنَّهَا تَكُونُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ»^(٢).

يَتَسَمُّ أَسْلُوبُهَا بِإِيجَازِ الْعِبَارَةِ ، وَقُوَّةِ الْأَفْظاظِ ، وَرُوعَةِ التَّصْوِيرِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ خِصَائِصِ الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ .

جاء في مطلعها حديثٌ فيه تهويلٌ وتعظيمٌ لشأن يوم القيامة كما هو الشأن بالنسبة لنظيرتها القارعة ، وتحدثت عن ثلثة من الأقوام السابقين الذين كذبوا رسل الله كعاد وثمود وقوم فرعون ، ووصفت مصائرهم المُرعبة ، وجاء فيها حديثٌ عن تطاير الصّحف ، ووصفٌ للذين يُؤْتَوْنَ كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، ووصفٌ للذين يُؤْتَوْنَ كُتُبُهُمْ بِشِمَائِلِهِمْ ، ثم فصلت القول في قضية طالما تناولها القرآن المكي وهي اختلاف الكافرين في شأن الأوصاف التي أطلقوها على رسول الله ﷺ ، وختمها الباري جلّ ثناؤه بوصف حقيقة الأمر ، وبيان أن محمداً ﷺ هو رسوله حقاً وصدقاً ، وأن القرآن الكريم هو الوحي المنزل عليه مُعْجَزَةٌ عَقْلِيَّةٌ خَالِدَةٌ ، وَحِجَّةٌ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ .

والذي حدا بي إلى المقارنة بين هاتين السورتين أنّهما تنتميان إلى أسرة واحدة ، حيث إنّهما تتشابهان في الأنساق التعبيرية التي جاءت في مفتاحهما ، وهذا بحد ذاته مؤشر على ما بينهما من وشائج وأواصر تربطهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى ، وفيما يأتي إيجاز لهذه المعاني :

(١) الطبري ، جامع البيان ، ج ٢٣ ، ص ٢٠٥ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢١ ، ص ١٨٨ .



١ - تبدأ السّورتان بكلمتين هما وصفان ليوم القيامة ، وقد جاءتا على صيغة اسم الفاعل : (الحاقة ، القارعة).

٢ - لَمْ تُسَبِّقْ الكلمتان بأدوات أو أفعال أو أسماء ؛ فهما السّورتان الوحيدتان اللتان تتحدّثان عن يوم القيامة وقد افتتحتا بلفظ مفرد مرفوع يُعَرَّبُ مبتدأ: الحاقّة ، القارعة.

وقد وردت أسماء يوم القيامة في بدايات سورٍ أُخرٍ مسبقة بأدوات أو كلمات مثل : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ ، ﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ ، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ وغيرها .

٣ - تشابه السّورتان في البناء اللفظي الهندسي لافتتاحيّة كلّ منهما ، أي : تشابهان في عدد الكلمات ، وكيفية بناء الجمل ، وأنواع الجمل ، وطريقة تناسقها :

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ ١ ﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿ ٢ ﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿ ٣ ﴾ [القارعة : ١ - ٣] .

﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ ﴿ ١ ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿ ٢ ﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿ ٣ ﴾ [الحاقة : ١ - ٣] .

٤ - سورة القارعة هي السورة الثلاثون من حيث تاريخ النزول ، وبعد فترة أنزل الله تعالى سورة الحاقّة ، ولإفادة أن سورة الحاقّة هي نظيرة سورة القارعة ومُكَمِّلَتُهَا ؛ جاءت افتتاحيّة التّهويل والتّفخيم في بداية السّورة : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ ﴿ ١ ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿ ٢ ﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿ ٣ ﴾ ، وفي الإجابة عن هذا التّساؤل العظيم جاء ذكرُ الحاقّة باسمها الثاني (القارعة) في قوله تعالى : ﴿ كَذَبَتْ تُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة : ٤] .

وفي جمع البيان القرآني بين الاسمين (الحاقة) و(القارعة) في سورة الحاقّة في الآية الرّابعة منها دلالة على أنّهما تصدّران من نبع واحد ، وإشارة إلى أنّهما مترابطتان بل مُتكاملتان تُشكّلان بناءً لغويّاً واحداً .

• - جاء في القارعة ذكرُ مشهد وزن الأعمال ، وبيان أنَّ الذين تُثَقَّلُ موازينُهُم بأعمالهم الصَّالحة يكونون في عيشة راضية ، أي : عيشة مرضية يرضى عنها صاحبها : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿٦﴾ فهو في عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ [القارعة : ٦ - ٧] . قال البيضاوي : « جُعِلَ الْفِعْلُ لَهَا مَجَازًا ، وَهُوَ لِصَاحِبِهَا ؛ وَذَلِكَ لَكُونِهَا صَافِيَةً عَنِ الشَّوَائِبِ دَائِمَةً مَقْرُونَةً بِالْتَّعْظِيمِ » ^(١) .

وأما الذين تَخِفُّ موازينُهُم ، وتطيشُ سِجَلَاتُ أعمالهم فهم أصحاب النار ، وتنتهي رحلة حياتهم إلى الهاوية التي من أخصَّ خصائصها أنَّها نارٌ حاميةٌ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿ [القارعة : ٨ - ١١] .

هذا المشهد بِشَقِيهِ في سورة القارعة ، يُقَابِلُهُ في سورة الحاقة مشهدٌ هو تِمَّةٌ له ، حيثُ يُصَوِّرُ الْبَيَانُ الْقِرَائِيَّ الْفَرِيقَيْنِ : فَرِيقَ الْفَائِزِينَ ، وَفَرِيقَ الْخَاسِرِينَ ، وَتُصَوِّرُهُمْ وَهُمْ تَسَلَّمُ لَهُمْ صَحَائِفُ أَعْمَالِهِمْ : الَّذِينَ آمَنُوا ، وَصَحَّتْ عَقَائِدُهُمْ ، وَأَسْلَمُوا ، وَصَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا ؛ تَوْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَعَصَوْا ، وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ؛ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ ، وَمِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ . وَهَذَا الْمَشْهَدُ (مَشْهَدُ تَطَايُرِ الصَّحَفِ) هُوَ مَرَحَلَةٌ تَلِي مَحْطَّةَ وَزْنِ الْأَعْمَالِ ؛ فَتَمَّتْ تَسْلُسُلٌ لِلْأَحْدَاثِ حَيْثُ تَبَدُّأَ عَمَلِيَّةُ الْحِسَابِ فِي الْقَارِعَةِ ، وَتَلِيهَا مَرَحَلَةُ إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ ، وَإِيْتَاءِ الصَّحَفِ بِالْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ فِي الْحَاقَةِ .

والذي يُمَيِّزُ مشهد الحاقة ، وهو مِمَّا يَعْنِينَا بَيَانُهُ فِي هَذَا الدِّرَاسَةِ ،

(١) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

أنَّه مشهدٌ جاء فيه بسطٌ ووصفٌ تفصيليٌّ دقيقٌ للحالة التي يكون عليها كلُّ فريق؛ فالفائز يومئذٍ يكون في حُبورٍ وسرورٍ، يمشي ويكلم من يعرف ومن لا يعرف جذلانَ رافعاً عقيرته: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُ وَكِتَبٌ﴾ [١٩] إِنْ ظَنَنْتُ أَنْي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿[الحاقة: ١٩ - ٢٠] ، ويشرح لكل من يلقاه سبباً مُهمّاً من أسباب فوزه ، وهو يقينه بقاء الله تعالى : ﴿إِنْ ظَنَنْتُ أَنْي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠] ، ثُمَّ يُقَرِّرُ البَيَانُ القرآنيَّ مصيره الجميلَ المُبْهِجَ السَّارَّ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [٢١] فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿[الحاقة: ٢١ - ٢٤] .

والشَّانُ ذاته ينطبقُ على المشهد الذي يصفُ فريقُ الخاسرين؛ حيثُ تصفُ آياتُ حسرتهم العظيمة ، وندمهم الكبير حيثُ لا ينفعُ الندم ، وتُصوِّرُهم الألفاظُ وهم يتمنونَ أنَّهم لم يُبعثُوا ، ويتمنَّونَ أن لو كانت موتَتهم الأولى هي القاضية التي لا نشرَ بعدها ، ولا حساب: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ شِمَالَهُ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كِتَابِيَّةً﴾ [٢٥] وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ بَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿[الحاقة: ٢٥ - ٢٩] ، ثُمَّ يُوَالِي البَيَانُ القرآنيَّ واصفاً ما يحلُّ بهم ، وما يُقالُ لهم في ذلك الموقف العصيب: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [٣٠] ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿[الحاقة: ٣٠ - ٣٢] .

٦ - من الرِّوَابِطِ اللَّفْظِيَّةِ القويَّةِ بين السُّورَتَيْنِ ، وصفُ الفائز في السُّورَتَيْنِ بأنَّه في عيشَةٍ راضية. ففي سورة القارعة جاء قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٦] فهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿[القارعة: ٦ - ٧] ، وفي سورة الحاقة جاء قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [٢١] فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿[الحاقة: ٢١ - ٢٣] . ولا يخفى أن تكرُّرَ هذه الجملة الواصفة لنهاية الحالة التي يكون فيها أهلُ النعيم هو إيدانٌ بأن هذه السُّورة من تلك ، وأنَّهما من نسيجٍ واحد.



٧ - ويجمعُ السُّورتين من الناحية اللفظية أيضًا تشابهُهما في جانب الإيقاع الصوتي للفواصل؛ حيثُ تنتهي غالبيةُ فواصل السُّورتين بتاء مربوطة قبلها ياءٌ أو حرفٌ صحيحٌ مفتوحٌ: (الحاقة ، القارعة ، الطّاغية ، عاتية ، خاوية ، باقية ،).

والذي يلفتُ الانتباهَ أكثرُ في الجانب الإيقاعيّ للسُّورتين؛ توفّرهما على فواصلٍ تنتهي بهاءٍ ساكنةٍ يُسمّيها النحاة هاء السّكت ، ولم يتكرّر ذلك في القرآن كله: (ما هية ، حسبيّة ، كتابيّة ، ماليّة ، سُلطانيّة).

مِمّا سبق ، تتبلورُ في ذهن كلِّ قارئٍ مُتدبّرٍ في البيان القرآني ، ويصحُّ لديه صحّةٌ لا أثارةَ من ريبٍ فيها ، بأن تشابهُ السُّورتين في المحتوى ، وفي الجانب اللفظي والإيقاعي ؛ مدعاةٌ للحكم الجازم بأنّهما سورتان مُتكاملتان تُتَمِّمُ إحداهما الأخرى ، وهما مُتلاحِمَتان ، نسيجُهما واحدٌ ، وثوبُهما اللفظيُّ واحدٌ ، وهذا واحدٌ من أسرار تشابه افتتاحيّة كلّ منهما ، ولدى علام الغيوب في قرآنه حكَمٌ وأسرارٌ يقصُرُ الإدراكُ البشريُّ عن التّعرفِ عليها جميعها ، بله إدراكها والإحاطة بها.





الْبَحْثُ الثَّالِثُ

أسرة سُور: الواقعة، والتَّكْوِير، والإنْفطار، والانشقاق، والزَّلْزَلَة

١ - من بين سور المفصل ، تطالعنا خمس سُور تبدأ بأداة الشَّرْط (إذا) التي تتضمّن معنى الظرفية ، وهي الواقعة والتَّكْوِير والانْفطار والانشقاق . وهذه المجموعة من السُّور تجمع بين أسرتين قرآنيتين : أسرة السُّور المتشابهة المطالع ، وأسرة السُّور المتشابهة الأنساق التعبيرية في بداياتها .

فإذا جئنا إلى أسرة السُّور المتشابهة المطالع ، فإنّ لدينا سورتي الانفطار والانشقاق : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ [الانْفطار: ١] . و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١] . وإذا نظرنا إلى المجموعة بحكم ابتدائها بنفس طريقة بناء الجملة ، فإنّها كلّها تبدأ بأداة (إذا) متبوعة بفعل ماضٍ ، كما هو الشأن بالنسبة لسورتي الواقعة والزَّلْزَلَة ، ومتبوعة باسم كما هو الشأن في التَّكْوِير والانْفطار والانشقاق .

فلنشرع الآن في تحليل سورتي الانفطار والانشقاق بحكم اشتراكهما في المطلعين :

العلاقة بين سورتي الانفطار والانشقاق:

٢ - تشترك السورتان في ابتداء كلّ منهما بأداة (إذا) متبوعة باسم

جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

السَّمَاءُ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار : ١] . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١] .

٣ - تشترك السورتان في نفس الموضوع ، إذ كلتاهما تتحدث عن علامات وأمارات تحدث قبيل قيام الساعة ، مثل : انفطار السماء ، وانتثار الكواكب ، وتفجير البحار ، وبعثرة القبور في سورة الانفطار ، والحديث عن انشقاق السماء ، وإنصاتها لنداء خالقها في سورة الانشقاق : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ٢] .

٤ - تشترك السورتان في مناداة الإنسان ، كل الإنسان ، حيث يناديه ربه يوم القيامة ، يوم يقف بين يديه فردًا وحيدًا ، عاريًا حافيًا ، لا مال يصاحبه ، ولا أحدًا من أفراد أسرته يؤانسه ، ولا صديقًا حميمًا يشفع له .

يناديه فيقول له : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْمَكْرِيمِ ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ - ٨] .

والشأن ذاته يتكرر في سورة الانشقاق ، حيث يناديه مولاه قائلاً : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] . والمعنى : يا أيها الإنسان إنك ساع إلى ربك سعيًا ، وكل ما تقدمه من عمل فإنك ستجده عند الله محضرًا .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه » ^(١) .

٥ - تشترك السورتان في حديثهما عن الفريقين : فريق المؤمنين



الفصل الثالث: المبحث الثالث: أسرة سور: الواقعة، والتكوير، والإنفطار،... ٤٠١

الناجين ، وفريق الكافرين الخاسرين. تحدّثت سورة الانفطار عن المؤمنين بوصفهم بصفة البر: (الأبرار) ، وعن المشركين بوصفهم الفجار. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٣﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤].

أما سورة الانشقاق فتحدّثت عن الفريقين ، دون أن تسميهما ، وإنما جيء باسم الموصول (مَنْ) للحديث عن الفريقين ، وذلك لإبراز صلة الموصول التي جاءت في حيّز اسم الموصول في العبارتين: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

٦ - جاء في السورتين حديث المشركين المكذّبين في عهد النبوة ، حيث واجهتهم سورة الانفطار بحديث مباشر فيه تبكيت وتقريع: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ [الانفطار: ٩] ، وأنذرتهم بأنّ عليهم ملائكة تكتب وتسجل كل ما يصدر منهم: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] ، وفي هذا تهديد شديد ، وتلميح لما سينالهم من العذاب.

بينما في سورة الانشقاق ، نجد أنّ البيان القرآني التفت عنهم ، وتحدّث عنهم بأسلوب الغيبة ، فهم لا يستحقّون أن يواجهوا بالخطاب: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ [الانشقاق: ٢٠ - ٢٤].

٧ - تحدّثت سورة الانفطار عن يوم الدين ، وبأنّ الفجار يصلّون الجحيم في يوم الدين ، ثم جاء الاستفهام الذي يفيد التّهويل: ﴿ وَمَا



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

أَدْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٨]. وهذا الاستفهام يفيد التَّهْوِيلَ والتَّعْجِيبَ من هذا اليوم العظيم.

جاء في أنوار التنزيل: «تعجبٌ وتفخيم لشأن اليوم ، أي: كُنْه أمره بحيث لا تدركه دراية دار»^(١).

هذا اليوم العظيم الفظيع هو الذي جاء الحديث عنه في سورة الانشقاق بذكر ما سيقع فيه ، وبيان أن الذي يؤتى كتابه بيمينه سوف يُحاسب فيه حسابًا سهلاً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً. أمّا الذي يؤتى كتابه وراء ظهره فإنه سوف يدعو على نفسه بالثبور والهلاك ، ولات حين مناص. وأخبرت سورة الانشقاق أن الذين كفروا وكذبوا بالله تعالى ويوم الدين بأن عذاباً أليماً ينتظرهم ، وأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جزاء الحسنى وأجرٌ غير ممنون:

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق: ٢٤ - ٢٥].

العلاقات بين أسرة الواقعة والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة:

٨ - هذه السُّور الخمس يجمعها على تفرّقها في الترتيب المصحفي وفي أزمنة النزول ؛ أنها كلّها تتحدّث بداياتها عن أحداث تقع قبيل الساعة : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ [الواقعة: ١ - ٥]. ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿٦﴾ [التكوير: ١] ، ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿٧﴾ [الانفطار: ١] ، ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴿٨﴾ [الانشقاق: ١] ، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿٩﴾ [الزلزلة: ١].

(١) البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ج ٥ ، ص ٢٩٣.



٩ - تشترك سورتا الواقعة والزلزلة في ابتدائهما بفعل ماضٍ بعد أداة (إذا) ﴿إِذَا وَقَعَتْ﴾ . ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ ؛ حيث تتحدث كلتاها عن الزلزلة الكبرى ، التي ترجف منها الأرض رجفًا ، وهي زلزلة كبرى تهتز منها الكرة الأرضية من جميع أقطارها ، وهي التي عبر عنها مطلع سورة الحج : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ١ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ﴿الحج : ١ - ٢﴾ .

١٠ - تتحدث السورتان (الواقعة والزلزلة) عن أصناف الناس في ذلك اليوم العصيب ، حيث تنقسم الخلائق إلى فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير . وقد عبرت سورة الزلزلة عن اختلاف مصائر الناس في ذلك اليوم الشديد بأنهم يكونون أشتاتًا : ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة : ٦] ، ثم فصلت القول فيهم بأن الذين عملوا الصالحات ، وكانت صحائفهم حافلة بأعمالهم الخيرية ؛ فإنهم سيرون نتائج عملهم الصالح ، وأنهم سيجزون على الذرات . والعكس أيضًا صحيح ، حيث إن الذين عملوا السيئات سيجزون على أعمالهم السيئة التي اجترحوها ، ولو كانت صغيرة مثل الذرات ؛ فهذا يوم الميزان الحق الذي لا يضيع فيه النقيير ولا الفتيل ولا القطمير ولا الخردل ولا الذرات : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] .

أما سورة الواقعة ، ففصلت القول في الثواب والعقاب ، فالناس يكونون في ذلك اليوم العصيب أزواجًا ثلاثة : أصحاب الميمنة والسابقين ، وأصحاب المشأمة . ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة : ٧] ،

جاء الدور في علمهم من القرآن

وبدأ الحديث عن ثواب أهل الجنات ابتداء بالسابقين المقربين:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفِيكِهِمْ مِمَّا يَخَرُجُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ٢﴾ [الواقعة: ١٠ - ٢٦].

ثم توالى الحديث عن أصحاب الميمنة من قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِيكِهِمْ كَثِيرٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُمْ أَتَكَارًا ﴿٣٦﴾ غُرًّا أَنْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأُولَى ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٣﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٤٠].

ثم جاء دور الحديث عن أصحاب الشمال ابتداء من قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْيَنْبِطِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٤﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٨].

ثم تحدثت سورة الواقعة عن قضايا تتعلق بالقرآن المكي ، الذي كان يعالج في أغلب نصوصه قضية الإشراك بالله تعالى ، والتكذيب بيوم الدين ، وقضية الخلق وتفرّد الله المعبود بصفة الخالقية... إلى غير ذلك. إلى أن وصل الحديث إلى مشهد من مشاهد خروج الرّوح ، وشهود عملية الاحتضار التي يعيشها الناس يوميًا في حياتهم الدنيا ، ولا يعتبرون بها: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ٥﴾ [الواقعة: ٨٣].



الواقعة والتكوير والإنفطار والانشقاق والزلزلة:

إذا نظرنا الآن في هذه الأسرة القرآنية من زاوية السور المتشابهة الأنساق التعبيرية في بداياتها، دون أن نتحد المواد المعجمية؛ فإننا نقف على ما يأتي:

١١ - ترتبط السور الخمس كلها في أن بداياتها تتحدث عن أحداث تقع قبيل قيام الساعة.

١٢ - ترتبط سورتا التكوير والإنفطار في جواب (إذا) الشرطية الظرفية؛ فقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] هو جواب (إذا) بعد اثنتي عشرة جملة تعاطفت في جملة الشرط. وفي سورة الإنفطار جاءت جملة ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الإنفطار: ٥] جواباً للأداة (إذا) بعد أربع جمل وردت في صدر جملة الشرط.

١٣ - تشترك سور (الواقعة، والتكوير، والانشقاق) في وقوع جملة قسم يتعلق بالنجوم والظواهر الكونية الفلكية في وسط كل منها، وهي قوله تعالى:

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ [التكوير: ١٥].

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦].

وهذه الأنساق التعبيرية القسمية تدلُّ دلالة واضحة على مدى الترابط والتقاطع اللفظي بين هذه السور الثلاث (الواقعة/التكوير/الانشقاق)، التي تنتمي إلى أسرة تتشابه الأنساق التعبيرية في مطالعها.

١٤ - تشترك سورتا التكوير والانشقاق في الحديث عن موقف المشركين من القرآن الكريم في كلٍ منهما، حيث جاء في نهاية



جَوَاهِرُ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

التكوير: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿التكوير: ٢٧-٢٨﴾ ،
وجاء في نهاية سورة الانشقاق قوله تعالى: ﴿فَعَالَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا
قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿الانشقاق: ٢٠-٢١﴾ .

* * *



الخاتمة

بعد هذه الجولة التّدبريّة في مجموعات السّور القرآنيّة ، وإيضاح نماذج من الرّوابط المضمونيّة واللفظيّة التي تربط بينها ، يمكن للباحث وقارئ هذه الصّفحات أن يطمئنّ إلى النتائج الآتية :

١ - السّور القرآنيّة نوعان : سورٌ تتفرّد في مطالعها حيث لا توجد سورةٌ أخرى تشبهها في المطالع الذي خصّها الله تعالى به ، مثل سورة الأنفال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ ، وسورة النّور ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ ، وسورة محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، وسورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ، ومثيلاتها .

وثمة سورٌ قرآنيّة تتشابه مطالعها وهي ضربان :

القسم الأول : السّور المتشابهة المطالع التي تبدأ بالأحرف المقطّعة مثل أسرة ﴿الْمَ﴾ ، وأسرة ﴿الرَّ﴾ ، وأسرة ﴿طَسَمَ﴾ ، وأسرة ﴿حَمَ﴾ ونظائرها . هذه السّور تربط بينها علاقات ووشائج لفظيّة هندسيّة وثيقة أوضحتها في كتابي «الأساور المرصّعة في أسرار الأحرف المقطّعة» .

القسم الثاني : السّور المتشابهة المطالع ، التي بدأها الباري جلّ ثناؤه بكلام عربيّ فصيح بليغ مفهوم ، جاء على سنن العرب في كلامهم من مثل : سورتي الفرقان والملك ، اللّتين تشتركان في البدء



جَوَاهِرُ الدَّرَجَةِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

بعبارة التمجيد والثناء ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي...﴾ ، ومثل سور الحمد الخمس التي تبدأ بعبارة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ ، والمسبّحات ، ونظائرها .

٢ - تقوم المقاربة التفسيرية التي يحملها هذا الكتاب على إيضاح العلاقات والروابط والتقاطعات اللفظية والمضمونية ، التي تربط بين السور التي تتشابه مطالعها ؛ وتثبت بالأدلة المبسوطة في طيّ البحث بما لا يدع مجالاً للريب ، أن السور المتشابهة المطالع تكون أسراً فيما بينها ، وثمة علاقات داخلية تجمعها ، ويخدم بعضها بعضاً في التفسير ، حيث إنها تتكامل أحياناً ، ويوضح بعضها بعضاً أحياناً أخرى ، وجاءت هذه المضامين التي تتقارب وتتكامل وتتقاطع في أثواب لفظية تناسب وتتماشى مع روح السورة ، التي ورد فيها كل مضمون وجوهاً العام .

والذي حثّ الباحث على ولوج غمرة هذه اللجة البحثية العظيمة ، أن كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، من المستحيل أن تكون فيه بدايات ومطالع متشابهة لبعض السور القرآنية ، ثم لا تكون هناك روابط ولا مناسبات أو علاقات تجمع بينها أو توخدها .

٣ - ثمة سور قرآنية تتشابه فواصل كثير من مقاطعها وآياتها ، وهذا أيضاً بدوره يدعو للدراسة والبحث ، وهو ما اضطلعت بجانب منه هذه المقاربة التفسيرية في الفصل الثاني .

٤ - أيضاً عملت هذه المقاربة التدبرية على إيضاح العلاقات والروابط المضمونية واللفظية بين السور ، التي تتشابه الأنساق التعبيرية في مطالعها دون أن تتحد أو تتشابه من الناحية المعجمية ، من مثل أسرة ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ ، و﴿وَالذَّارِبِ ذَرًوًا﴾ ، و﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ،

﴿وَالْتَرَعَتِ غَرْفًا﴾ ، وسورتني ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ و﴿الْفَارِعَةُ﴾ ﴿مَا الْفَارِعَةُ﴾ ، ونظائرهما .

• - أمل أن تكون هذه الدارسة قد فتحت الباب على مصراعيه أمام الباحثين الأكاديميين والدارسين في علوم القرآن ، أن يخوضوا في لجة علم مقارنات السور من الزوايا التي تحملها هذه المقاربة ، ولا يكتفون بالبحث في المناسبات التي تربط بين مطالع السور وخواتيمها ، وأبشّر الباحثين الفضلاء ، والقراء الكرام بأن هذا النوع من المقارنات العلمية التحليلية بين السور القرآنية ، سيفتح نوافذ واسعة وأبواباً لفكّ شيفرات كثير من القضايا والأسئلة القرآنية الخالدة ، التي ما زال الفكر البشري يقف متردداً حيالها ، ولم يظفر على نتائج تثلج الصدور في الإجابة عنها ، كما هو الشأن في المثال الذي أوضحته في فصل السور التي تتقاطع فواصلها ، حيث بينت هذه المقاربة بأن الجواب الصحيح الذي تشفع له الأدلة اللفظية للاستفهام الإنكاري الوارد في سورة الكهف: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩] ؛ هو الجواب الذي تصرّح به سورة الجن في مطلعها: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] ، والأدلة مبسوبة في المبحث المخصص للمقارنة بين سورتني الكهف والجن .

وبعد ، فأحمدُ الله جلّ جلاله أن وفقني للكتابة في هذا الشأن الجليل من شؤون الكتاب العزيز ، وأعترف بأنّ هذا الجهد هو جهد المُقلّ المقرّ بالعجز البشري ، المتلفع بدثار القصور الإنساني ، وفي الوقت ذاته يشرب إلى التعرّف على أسرار الكتاب المعجز الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تنفذ غرائبه ؛ وإن كان حالفني التوفيق فذلك محض فضلك وتوفيقك يا رب ، وإن جانبني في مسائل أخطأت في



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

فهمها أو تحليلها ، أو شطّ بي القلم في تفسيرها ؛ فعفوك أوسع لي ،
وبنور هداياتك أستهدي ، فأنت الموفق إلى خير ، والهادي إلى سواء
الصّراط .

وكتبه امحمد صافي المستغامي في الشّارقة يوم الثلاثاء ١٧ من
أكتوبر الموافق لـ ٢٧ محرم ١٤٣٩ هـ لـهجرة المصطفى ﷺ .

* * *



فهرس الآيات

١ - الفاتحة		
٨٣-٨١	٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
		﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
١١٠-٨٦	٣-٢	الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
٨١	٣	الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١١٠-٨٨-٨٢	٤	مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
١٠٧-١٠٦	٥	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
١٠٣	٦	اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
٢ - البقرة		
٣٢٥	٣٤	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ . . . الْكَافِرِينَ ﴾
٢٢٩	٣٥	﴿ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾
٣٨٥	٥٠	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ . . . نَنْظُرُونَ ﴾
٢٩١	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾
٣٨٨	٢٥٣	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾
٤ - النساء		
١٢٦-١٢١	١	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ . . . رَقِيبًا ﴾
١٢٢	١	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ . . . وَخَلَقَ مِنْهَا ﴾
١٣١-١٢٦	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ . . . سَعِيرًا ﴾



١٣٦	١١	﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ... حَكِيمًا ﴾
١٣٨	١٢	﴿ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾
١٣٧	١٤	﴿ وَمَن يَعِصِ اللَّهَ ... مُهِينٌ ﴾
١٣٦	١٧	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ... حَكِيمًا ﴾
٢٣٧-٢٣٦	١٩	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ... كَثِيرًا ﴾
١٣٤	٢٠	﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾
١٣٦	٢٤	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ... حَكِيمًا ﴾
١٤١	٣٠	﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ... يَسِيرًا ﴾
١٣٨	٣١	﴿ إِن تَجْتَنِبُوا ... مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾
١٣٠	٣٣	﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا ... شَهِيدًا ﴾
١٣٩	٣٤	﴿ فَالْصَّلَاحُ ... عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾
		﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ
١٢٤	٣٧	بِالْبُخْلِ ﴾
١٣٧	٣٧	﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ... عَذَابًا مُّهِينًا ﴾
		﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ
١٢٤	٣٨	النَّاسِ ﴾
١٤٢	٤١	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا ... شَهِيدًا ﴾
١٣٩	٤٣	﴿ فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ ... غَفُورًا ﴾
١٣٠-١٢٩	٤٦	﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ... إِلَّا قَلِيلًا ﴾
١٣٤-١٣٣	٤٨	﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾
١٣٤	٥٠	﴿ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾
١٢٤	٥٣	﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ ... النَّاسِ نَقِيرًا ﴾
		﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ
١٢٤	٥٤	اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
١٢٦	٥٥	﴿ فَمِنْهُمْ مَّن ... سَعِيرًا ﴾



١٣١	٥٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... حَكِيمًا ﴾
١٣١	٥٦	﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ... الْعَذَابِ ﴾
١٢٩	٥٧	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا... ظِلًّا ظِلِيلًا ﴾
		﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾
١٢٤	٥٨	
١٣٩	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ... بِصِيرًا ﴾
		﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾
١٢٧	٦٠	
١٣٦-١٣٥	٦٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ... رَحِيمًا ﴾
١٣٧	٦٨-٦٦	﴿ وَلَوْ أَنَا كُنْبًا... مُسْتَقِيمًا ﴾
		﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾
١٣٥-١٣٤	٧٦-٧٤	﴿ الشَّيْطَانُ كَانَ ضَعِيفًا ﴾
		﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾
١٢٤	٧٧	﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾
١٣٥	٧٨	﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ... حَكِيمًا ﴾
١٣٦	٩٢	﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى... عَفُوًّا غَفُورًا ﴾
١٣٩	٩٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾
١٣٧	١٠٢	﴿ وَلَا تَهِنُوا... عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
١٣٦	١٠٤	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ﴾
١٢٤	١٠٥	﴿ وَلَا تَجْدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَآنًا أَثِيمًا ﴾
١٣٣	١٠٧	



١٢٤	١٠٨	﴿ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾
١٣٦-١٣٤	١١١	﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
١٣٤	١١٢	﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾
١٢٤	١١٤	﴿ لَا خَيْرَ . . . بَيْنَ النَّاسِ ﴾
١٣٣-١٢٧	١١٦	﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾
١٢٥	١١٧	﴿ إِنْ يَدْعُونَ . . . شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾
١٢٥	١١٧-١٢٠	﴿ إِنْ يَدْعُونَ . . . إِلَّا غُرُورًا ﴾
١٢٧	١١٩	﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ . . . مُبِينًا ﴾
١٢٩	١٢٢	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا . . . مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾
١٤١-١٣٢	١٢٥	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا . . . خَلِيلًا ﴾
١٤٠	١٣١	﴿ وَلِلَّهِ مَكَافِي . . . غِنًى حَمِيدًا ﴾
١٢٤	١٣٣	﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ . . . قَدِيرًا ﴾
١٣٩	١٣٤	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ . . . سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
١٢٧	١٣٦	﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ . . . ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾
١٤١-١٤٠	١٤١	﴿ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ . . . سَبِيلًا ﴾
١٢٤	١٤٢	﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى . . . إِلَّا قَلِيلًا ﴾
١٣١	١٤٨	﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ . . . سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾
١٣٨-١٣٧	١٥٠-١٥١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ . . . مُهِينًا ﴾
١٣٠	١٦٠	﴿ فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا . . . كَثِيرًا ﴾
١٢٤	١٦١	﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا . . . عَذَابًا أَلِيمًا ﴾
١٣٢-١٢٧	١٦٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾



١٤١	١٦٩-١٦٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... يَسِيرًا ﴾
١٢٣	١٧٠	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ... عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
١٢٩	١٧٣	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا... نَصِيرًا ﴾
١٢٣	١٧٤	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ... نُورًا مُبِينًا ﴾
١٣٧	١٧٥	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا... مُسْتَقِيمًا ﴾
٥ - المائدة		
١٤٩	٣	﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ... رَحِيمٌ ﴾
١٥٦	٤	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا... سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴾
		﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
١٥٢	٦	الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
١٥٦	٧	﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ... الصُّدُورِ ﴾
		﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
١٥٢	٨	لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
١٥٦	٨	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ... تَعْمَلُونَ ﴾
١٥٥	٩	﴿ وَعَدَ اللَّهُ... وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾
١٥٦-١٥٣-١٤٦	١١	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ... الْمُؤْمِنُونَ ﴾
١٤٧	١٤	﴿ وَمِنَ الَّذِينَ... يَصْنَعُونَ ﴾
١٤٨	١٨	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ... وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾
١٤٩	٣٤	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا... رَحِيمٌ ﴾
١٥٨-١٥٧	٣٥	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ... تَفْلِحُونَ ﴾
١٤٩	٣٩	﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ... رَحِيمٌ ﴾
		﴿ يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ
٢٢٩	٤١	يُكَفِّرُونَ فِي الْكُفْرِ
١٥٠	٤٢	﴿ سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ... الْمُقْسِطِينَ ﴾



١٥٠	٤٥	﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ . . . الظَّالِمُونَ ﴾
١٥٣-١٤٤	٥١	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . الظَّالِمِينَ ﴾
١٥٣	٥٤	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴾
١٥٧-١٥٣-١٤٤	٥٧	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . مُؤْمِنِينَ ﴾
١٥٥	٥٨	﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ . . . لَا يَعْقِلُونَ ﴾
١٤٥	٦٠	﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ . . . سِوَاءِ السَّبِيلِ ﴾
١٤٧	٦٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ . . . الْمُفْسِدِينَ ﴾
٣٨١	٦٥	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ . . . جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾
٢٢٩	٦٧	﴿ يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾
١٤٩	٧٤	﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ . . . رَحِيمٌ ﴾
١٥٣	٨٧	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ . . . الْمُعْتَدِينَ ﴾
١٥٧-١٥٢	٨٨	﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ . . . مُؤْمِنُونَ ﴾
١٥٣	٩٠	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . تُفْلِحُونَ ﴾
١٤٧	٩١	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ . . . مِنْهُمْ ﴾
١٥٣	٩٤	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . إِلِيمٌ ﴾
		﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْلُبُوا الصِّدْقَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾
١٥٣	٩٥	
١٥٧	٩٦	﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدٌ . . . تُحْشَرُونَ ﴾
١٥٨	٩٧	﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ . . . عَلَيْهِ ﴾
١٤٩	٩٨-٩٧	﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ . . . رَحِيمٌ ﴾
١٥٧	١٠٠	﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي . . . لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
١٥٣	١٠١	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . حَلِيمٌ ﴾
١٥٥	١٠٣	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ . . . لَا يَعْقِلُونَ ﴾



١٥٣	١٠٥	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
		﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا
١٥٤	١٠٦	حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ۖ
١٥٧	١٠٨	﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا . . . الْفَاسِقِينَ ۖ
١٥٧	١١٢	﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ . . . مُؤْمِنِينَ ۖ
١٤٨	١١٨	﴿ إِنَّ تَعْدِيَهُمْ . . . الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ
٦ - الأنعام		
		﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
٩١-٨٦	١	وَالْأَرْضِ ۖ
١٠٠-٩٩	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي . . . يَعْدِلُونَ ۖ
١٠٠-٩٩	٢	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ . . . ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۖ
١٠٠-٩٩-٩٢	٣	﴿ وَهُوَ اللَّهُ . . . وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۖ
٩٦	٥	﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا . . . بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۖ
٩٩	٦	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا . . . ءَاخِرِينَ ۖ
١٠٠	٧	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ . . . مُبِينٌ ۖ
١٠٠-٨٨	١٠	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا . . . بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۖ
		﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٠١	١٢	قُلْ لِلَّهِ ۖ
		﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
١١١	١٢	قُلْ لِلَّهِ ۖ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ
١١٥	١٢	﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ
		﴿ وَلَهُ مَآ سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ
١٠١	١٣	السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ
٩٤	١٤	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ . . . مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ



جواهر الدرر في علمه مقارنات القرآن

١٠١	١٤	﴿ قُلْ أَغْيَرُ . . . مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
١١١-١٠١	١٨	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ . . . الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾
٩٤	١٩	﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ . . . مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾
١١٧	٢١	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ . . . لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾
٩٤	٢٢	﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ . . . كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾
١١٦	٢٥	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ . . . ءَاذَانِهِمْ وَقَرَأَ ﴾
١٠١	٢٧	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ . . . وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٠٢	٢٧	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ﴾
١١٠	٢٩	﴿ وَقَالُوا إِنْ . . . وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾
١٠٢-١٠١	٣٠	﴿ وَلَوْ تَرَى . . . كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾
١٠٢	٣٠	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾
١١٨-١١٦-١١٠	٣١	﴿ قَدْ خَسِرَ . . . سَاءَ مَا يَرْزُونَ ﴾
١١٢	٣١	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ . . . سَاءَ مَا يَرْزُونَ ﴾
٩٧	٣٢	﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . . . أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
		﴿ وَلِلذَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾
١١٢	٣٢	﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
١١٧	٣٣	﴿ قَدْ نَعْلَمُ . . . يَجْحَدُونَ ﴾
١١٧-٨٧	٣٤	﴿ وَلَقَدْ كَذَبْتَ . . . الْمُرْسَلِينَ ﴾
١١٧	٣٤	﴿ وَلَا مُبْدِلَ . . . الْمُرْسَلِينَ ﴾
١٠١	٣٤	﴿ وَلَقَدْ كَذَبْتَ . . . نَصْرَنَا ﴾
		﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُفُّوا بِكُمْ ﴾
٩٧	٣٩	﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾
١٠٤	٣٩	﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا . . . مُسْتَقِيمٌ ﴾
١١٢	٤٠	﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ . . . كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾



٨٩	٤٣	﴿ فَلَوْلَا إِذْ... يَعْمَلُونَ ﴾
٩٥	٤٨	﴿ وَمَا نُرْسِلُ... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
٩٧	٤٩	﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا... يَفْسُقُونَ ﴾
٩٣	٥٠	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾
١١٤	٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ... الظَّالِمِينَ ﴾
٩١	٥٩	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ... مُبِينِ ﴾
٩٦	٦٦	﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾
١١٨	٦٨	﴿ وَإِنَّمَا يُنِيسِنَكَ... الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
٩٧	٧٠	﴿ وَذَرِ الَّذِينَ... الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾
١١٢-١١١	٧٣	﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ... الْخَبِيرُ ﴾
١٠٠	٨٢	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا... وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾
١٠٤	٨٧-٨٣	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا... صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
٣٧٨	٨٤	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ... الْمُحْسِنِينَ ﴾
١٠٤	٩٠	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ... أَقْتَدِهِ ﴾
٩٦	٩٢	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ... وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾
١١٢	٩٢	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ... بِحَافِظُونَ ﴾
١١٧	٩٣	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾
١١٥	٩٤	﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا... تَزْعُمُونَ ﴾
٩١	١٠١	﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾
١٠٣	١٠٢	﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ... وَكِيلٌ ﴾
١٠٣	١٠٣	﴿ لَا تَدْرِكُهُ... اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
٩٢	١٠٩	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ... لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا ﴾



٩٢	١٠٩	﴿ قُلْ إِنَّمَا ... لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
١١٣	١١٣	﴿ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ ... مُقْتَرِفُونَ ﴾
١١٧	١١٥	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ ... السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
١٠٦	١١٦	﴿ وَإِنْ تَطَّعْ ... إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾
١٠٦	١١٨	﴿ فَكُلُوا مِمَّا ... بِشَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾
١٠٦	١١٩	﴿ وَمَا لَكُمْ ... هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾
١٠٦	١٢٠	﴿ وَذَرُوا ظَهَرَ ... كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾
		﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾
١٠٦	١٢١	
١٠٥	١٢٦	﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ ... يَذَّكَّرُونَ ﴾
٩٧	١٣٠	﴿ يَمْعَشَرِ الْجِنَّ ... يَوْمَكُمْ هَذَا ﴾
٩٧	١٣٠	﴿ وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ ... كَافِرِينَ ﴾
١١٨	١٣٠	﴿ يَمْعَشَرِ الْجِنَّ ... كَافِرِينَ ﴾
١١٥	١٣٣	﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾
١١٥	١٣٣	﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ... ءَاخِرِينَ ﴾
١٠٧-١٠٦	١٣٦	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ ... يَحْكُمُونَ ﴾
١٠٧	١٣٨	﴿ وَقَالُوا هَذِهِ ... يَفْتَرُونَ ﴾
١٠٧	١٣٩	﴿ وَقَالُوا مَا فِي ... عَلَيْهِ ﴾
١١٦	١٤٠	﴿ قَدْ خَسِرَ ... مُهْتَدِينَ ﴾
٨٩	١٤٢	﴿ وَمِنْ آلِ أَنْعَمَ ... عَدُوِّمِينَ ﴾
١٠٨	١٥٢-١٥١	﴿ قُلْ تَعَالَوْا ... تَذَكَّرُونَ ﴾
١٠٨-١٠٥	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
١١٨	١٥٤	﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا ... رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾
١٠٨	١٥٥	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾



١٠٩	١٥٦-١٥٥	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ . . . لَعَفْلِينَ ﴾
١٠٥-١٠٤	١٦١	﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
١٠٧	١٦٣-١٦٢	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي . . . الْمُسْلِمِينَ ﴾
٩٢	١٦٤	﴿ وَلَا تَزِرُ . . . فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾
٩٣	١٦٥	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ . . . لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٧ - الأعراف		
٣٢٥	١١	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ . . . مِنَ السَّجْدِينَ ﴾
٧٢-٦٧	١٧-١٦	﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي . . . شَكْرِينَ ﴾
٢٠٧-١٠٦	٥٤	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾
٧٢	٨٦	﴿ وَلَا تَقْعُدُوا . . . وَتَبْغُونَهَا ﴾
٣٨٥	١٣٦	﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ . . . عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾
٢٨٣	١٣٩	﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّ . . . يَعْمَلُونَ ﴾
١٧٨	١٦٨	﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾
٢٠٢	١٧٢	﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ . . . بِلِيٍّ شَهَدَانًا ﴾
١٦٤	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى . . . يَعْمَلُونَ ﴾
٨ - الأنفال		
٣٨٥	٥٤	﴿ كَذَّابٌ عَالٍ . . . ظَالِمِينَ ﴾
٩ - التوبة		
٢٦٢	٥٨	﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾
١٠ - يونس		
١٧	١	﴿ الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾
٣٨١	٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا . . . النَّعِيمِ ﴾
١٨	١٥	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ . . . يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾
١٨	٦٤	﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾



١١ - هود		
١٤٣	١	﴿الرَّ... حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾
٢٢٩	٤٨	﴿يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾
٣٨٩	٧٢	﴿قَالَتْ يَتُوبِلَيَّ... لَشَيْءٍ عَجِيبٍ﴾
٢٢٩	٧٦	﴿يَتَابِرْهِمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾
٤٣	٧٨	﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ﴾
٤٦	٨٥	﴿وَيَقُومِ أَوْفُوا... مُفْسِدِينَ﴾
٢١٥	١٠٦	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا... وَشَهِيقٍ﴾
٦٤	١٠٨	﴿عَطَاءٍ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾
٤٧	١٠٩	﴿فَلَا تَكُ... غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾
٤٥	١١١	﴿وَإِنْ كَلَّا... يَعْمَلُونَ خَيْرٍ﴾
١٢ - يوسف		
٣٧٨	٢٢	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ... الْمُحْسِنِينَ﴾
١٣ - الرعد		
٥	٣١	﴿وَلَوْ أَنْ قُرْءَانًا... الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾
٦١	٣٥	﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾
١٥ - الحجر		
٣١٢	٦	﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا... إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾
٢٩٦	١٥-١٤	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا... مَسْحُورُونَ﴾
٦٩	١٦	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا... لِلنَّظِيرِ﴾
٧٠	٢٨	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ... مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ﴾
٣٢٥	٣١-٣٠	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ... السَّاجِدِينَ﴾
٦٧	٤٠-٣٩	﴿قَالَ رَبِّ... الْمُخْلِصِينَ﴾
٣٨٢	٤٥	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾



٤٤	٥٦٥١	﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ... إِلَّا الضَّالُّونَ﴾
٤٣	٦٧	﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾
١٦ - النحل		
٥٥	٥٨	﴿وَإِذَا بُشِّرَ... وَهُوَ كَظِيمٌ﴾
٥٥	٥٩	﴿أَيْمِسْكُمْ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُمُ فِي التُّرَابِ﴾
١٧ - الإسراء		
١٦٤	١	﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾
١٦٥-١٦٢	١	﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى... الْبَصِيرُ﴾
٢٨٠-١٦٨-١٦٢	٢	﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى... دُونِي وَكِيلًا﴾
٢٨١		
٧١	٣-٢	﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى... عَبْدًا شَكُورًا﴾
٢٨١	٣	﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾
٢٨٢-١٧٢	٤	﴿وَقَضَيْنَا إِلَى... عَلَوْا كَبِيرًا﴾
٢٩٧	٤	﴿وَلَنَعْلَنَ عَلَوْا كَبِيرًا﴾
١٩١-١٧٥	٥	﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ... وَعَدًا مَفْعُولًا﴾
١٧٦	٦	﴿ثُمَّ رَدَدْنَا... نَفِيرًا﴾
١٧٣	٧	﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ... عَلَوْا تَنْبِيرًا﴾
١٧٧	٧	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ... مَا عَلَوْا تَنْبِيرًا﴾
٢٨٣	٧	﴿وَلَيْسَتَرُوا مَا عَلَوْا تَنْبِيرًا﴾
١٨٠-١٦٢	٨	﴿عُدُّكُمْ عُدْنَا... حَصِيرًا﴾
٢٨٤	٨	﴿عَسَى رَبُّكُمْ... حَصِيرًا﴾
٢٨٤-١٩٥	٩	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ... أَجْرًا كَبِيرًا﴾
٢٩٧	٩	﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ... أَجْرًا كَبِيرًا﴾
٢٨٦	١٠	﴿وَأَنَّ الَّذِينَ... عَذَابًا أَلِيمًا﴾



٤٧	١١	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾
٢٨٢	١٢	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ . . . تَفْصِيلًا﴾
٢٨٦	١٣	﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ . . . مَنشُورًا﴾
٢٨٨	١٦	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا . . . تَدْمِيرًا﴾
٢٨٨-١٦٥	١٧	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا . . . بِصِيرًا﴾
٢٨٧	١٧	﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾
٤٧	١٨	﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾
٤٥	١٩-١٨	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ . . . سَعِيَهُمْ مَّشْكُورًا﴾
٢٨٢	١٩	﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ . . . مَّشْكُورًا﴾
٢٨٧	٢٠	﴿كَلَّا نُمَدِّدُ . . . رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾
٢٨٨	٢١	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا . . . تَفْصِيلًا﴾
٢٨٩-٢٧٧	٢٢	﴿لَا تَجْعَلْ . . . مَحْذُولًا﴾
٢٨٧	٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾
٢٩٤	٢٦	﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
٢٨٧	٢٨	﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ . . . تَبْذِيرًا﴾
٢٩١-٢٩٠	٢٩	﴿وَأِمَّا تَعْرِضْنَ . . . قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾
٢٨٧-١٦٥	٣٠	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ . . . مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾
٢٩٧	٣١	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ . . . خَيْرًا بَصِيرًا﴾
٢٩١	٣٣-٣١	﴿إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا﴾
٢٩٤	٣٢	﴿وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ . . . كَانَ مَنصُورًا﴾
٢٩٢	٣٤	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ . . . وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
٢٩٢	٣٦	﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾
٢٩٢-٢٢١	٣٧	﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ . . . مَسْئُولًا﴾
		﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ . . . طُولًا﴾



٢٨٧	٣٨	﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾
٢٩٠-٢٨٩-٢٧٧	٣٩	﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى . . . مَذْخُورًا﴾
٢٨٧	٣٩	﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾
٢٩٣-٢٩٠-٢٨٤	٤١	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا . . . نَفُورًا﴾
٢٩٧	٤٣	﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾
١٦٤	٤٤-٤٣	﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى . . . حَلِيمًا غَفُورًا﴾
١٦٥	٤٤	﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾
٢٩٥-٢٨٤	٤٥	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ . . . مَسْتُورًا﴾
٢٨٧-٢٨٤-١٦٤	٤٦	﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ . . . أَذْبَرَهُمْ نَفُورًا﴾
٢٩٣		
٢٩٥	٤٧	﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ . . . مَسْحُورًا﴾
٢٩٤-٢٨٨	٤٨	﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا . . . سَبِيلًا﴾
٧٣	٤٩	﴿وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا . . . خَلْقًا جَدِيدًا﴾
٢٨١	٥٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
١٦٨	٥٥	﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ . . . زَبُورًا﴾
٢٨٧	٥٥	﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٩٦	٥٦	﴿قُلْ أَدْعُوا . . . وَلَا تَحْوِيلًا﴾
٢٨٧	٥٧	﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُحْذُورًا﴾
٢٨٥	٦٠	﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا . . . كَبِيرًا﴾
٢٨٧	٦٠	﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾
٢٩٧	٦٠	﴿وَنَحْوِفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾
٣٢٥	٦١	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ . . . طِينًا﴾
٦٧	٦٢	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ . . . إِلَّا قَلِيلًا﴾
٧١	٦٢	﴿لَا حَسْبُكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

٥٠	٦٤	﴿وَأَسْتَفْزِرُ... غُرُورًا﴾
٢٨٧-١٦٥	٦٥	﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾
١٦٥	٦٦	﴿رَبِّكُمْ الَّذِي... رَحِيمًا﴾
٧٠	٧٠	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
٢٩٤	٧٢	﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ... سَبِيلًا﴾
٢٩٨	٧٣	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ... خَلِيلًا﴾
٢٩٨	٧٤	﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ... قَلِيلًا﴾
٢٩٨	٧٥-٧٤	﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ... عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾
٢٩٨-٥٠	٧٦	﴿وَإِنْ كَادُوا... إِلَّا قَلِيلًا﴾
٢٨٥	٧٨	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ... كَانَتْ مَشْهُودًا﴾
٢٩٢-٢٨٧	٧٩	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ... تَحْمُودًا﴾
٢٩٩	٨٠	﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي... نَصِيرًا﴾
٦٣	٨١	﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾
٢٨٥	٨٢	﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ... خَسَارًا﴾
٢٩٤	٨٤	﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ... أَهْدَى سَبِيلًا﴾
٢٨٧	٨٧	﴿إِلَّا رَحْمَةً... عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾
٢٩٧	٨٧	﴿إِنْ فَضَّلَهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾
٢٨٥	٨٨	﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتْ... ظَهِيرًا﴾
٢٩٠-٢٨٥	٨٩	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا... كُفُورًا﴾
٢٩٩-٢٧٨-٢٧٧	٩٠-٩٣	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ... رَسُولًا﴾
٣٠١-٣٠٠-١٦٤	٩٣	﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾
٣٠٠	٩٤	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ... بَشَرًا رَسُولًا﴾
١٦٥	٩٦	﴿قُلْ كَفَى... خَيْرًا بَصِيرًا﴾



١٦٦	٩٩	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا... إِلَّا كُفُورًا ﴾
٥٨	١٠١	﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾
٢٩٦	١٠١	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ... مَسْحُورًا ﴾
٣٠١	١٠٢-١٠١	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ... مَثْبُورًا ﴾
١٦٢	١٠٤-١٠١	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ... بِكُم لَفِيفًا ﴾
٣٨٥-٥١	١٠٣	﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ بِهِمْ... مَعَهُ جَمِيعًا ﴾
١٧٨	١٠٤	﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ... جُنَا بِكُم لَفِيفًا ﴾
٣٠٢	١٠٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾
٢٨٥	١٠٦	﴿ وَفَرَّءْنَا مَا فَرَّقْتَهُ... وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾
١٦٤	١٠٨-١٠٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا... رَبَّنَا الْمَفْعُولَ ﴾
٢٩٣-٢٩٢	١٠٨-١٠٧	﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ... رَبَّنَا الْمَفْعُولَ ﴾
١٦٥-١٦٤	١١٠	﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ... سَبِيلًا ﴾
٣٠٢-٢١٣-١٦٦	١١٠	﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ... الْحُسْنَىٰ ﴾
٢٩٤	١١٠	﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ... سَبِيلًا ﴾
٢٩٧	١١١	﴿ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴾
٣٠٢	١١١	﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي... وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴾
١٨ - الكهف		
٣٢٣	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ... لَهُ عِوَجًا ﴾
٣١٨	٤	﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾
٣١٩	٥	﴿ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾
١١٧-٩٠-٣٧	٦	﴿ فَلَعَلَّكَ بِخُجْعٍ... الْحَدِيثِ أَسْفًا ﴾
٤٠٩-٣١٣	٩	﴿ أَمْ حَسِبْتَ... ءَايَاتِنَا عِجَابًا ﴾
٣١٧	١٠	﴿ إِذَا أَوَى الْفِتْيَةُ... رَشَدًا ﴾
٣٢٣	١٢	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ... لِيَتُؤْأَمِدًا ﴾



٣١٨	١٤	﴿لَنْ نَدْعُو... إِذَا شَطَطًا﴾
٣١٩	١٤	﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾
٩٤	١٥-١٤	﴿وَرَبَطْنَا... كَذِبًا﴾
٣١٩	١٥	﴿هَتُوْلَاءِ قَوْمُنَا... عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
٣١٧	١٧	﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ... وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾
٣٢٢	١٩	﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾
٣٢٣	١٩	﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ... أَحَدًا﴾
٨٨	٢١	﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا... لَا رَيْبَ فِيهَا﴾
٩٢	٢٢	﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾
٣٢٢	٢٢	﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾
٣٠٩	٢٤-٢٣	﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ... هَذَا رَشْدًا﴾
٣١٧	٢٤	﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ... هَذَا رَشْدًا﴾
٩٢	٢٦	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾
٣٢٢	٢٦	﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾
٣٢١-١١٨	٢٧	﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ... مُلْتَحِدًا﴾
١١٤	٢٨	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ... أَمْرٍ مُرْطًا﴾
٨٥	٣١-٣٠	﴿إِنَّ الذِّبْنَ... وَحَسُنْتَ مُرْتَفَقًا﴾
١١٤	٣٨-٣٢	﴿﴿وَأَضْرِبْ لَهُمُ... بِرَبِّي أَحَدًا﴾﴾
٣٩	٣٦-٣٥	﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ... مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾
١١١	٤٢-٣٥	﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ... بِرَبِّي أَحَدًا﴾
٩٠	٣٧	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ... ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾
٣٢٢-٣١٨	٣٨	﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾
٣١٨-٩٨-٩٥	٤٢	﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ... أَحَدًا﴾
٣٢٢	٤٢	﴿وَيَقُولُ بَلَيْسَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾



١١١-٩٨	٤٣	﴿وَلَمْ تَكُنْ . . . وَمَا كَانَ مُنْصِرًّا﴾
٩٧	٤٥	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ . . . مُقَدِّرًا﴾
٩٨	٤٦	﴿الْمَالِ وَالْبَنُونَ . . . وَخَيْرُ أَمَلًا﴾
٣٢٢	٤٧	﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾
١١٥	٤٨	﴿وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ . . . لَكُمْ مَوْعِدًا﴾
٣٢٢	٤٩	﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾
٣٢٥	٥٠	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ . . . بَدَلًا﴾
٩٤	٥٢	﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ . . . بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾
٣٢٤	٥٥	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ . . . قُبُلًا﴾
٩٥	٥٦	﴿وَمَا نُرْسِلُ . . . أَنْذِرُوا هُرُوءًا﴾
١١٦	٥٧	﴿إِنَّا جَعَلْنَا . . . إِذَا أَبَدًا﴾
١١٧	٥٧	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ . . . مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾
٣٢٤	٥٧	﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ . . . إِذَا أَبَدًا﴾
١١٥	٥٨	﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾
١١٦	٥٨	﴿وَرَبُّكَ . . . مَوْبِلًا﴾
٣٨	٦٣	﴿قَالَ أَرَأَيْتَ . . . عَجَبًا﴾
١١٩	٦٣	﴿وَمَا أَسْنِيهِ . . . عَجَبًا﴾
٣٨	٦٥-٦٤	﴿قَالَ ذَلِكَ . . . لَدُنَّا عِلْمًا﴾
٣١٧	٦٦	﴿قَالَ لَهُ مُوسَى . . . عَلِمْتَ رُشْدًا﴾
٣٢٠	٧٣	﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي . . . عُسْرًا﴾
٣٢٠	٨٠	﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ . . . طُغَيْنَا وَكُفِّرَا﴾
٣٩	٨٧	﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ . . . عَذَابًا نُّكَرًا﴾
٩٨	١٠٢	﴿إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾
١١٦	١٠٤-١٠٣	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ . . . صُنْعًا﴾



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ النُّجُومِ

٩٨	١٠٤	﴿الَّذِينَ ضَلَّ... يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾
١١٧-١١٦	١٠٥	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ... وَزَنَّا﴾
٩٨	١٠٦	﴿ذَلِكَ جَزَاءُ هُمْ... وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾
٤٤	١٠٩	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ... بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾
٣١٨-١١٨	١١٠	﴿فَن كَانَ يَرْجُوا... أَحَدًا﴾
٣٢٢	١١٠	﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا... رَبِّهِ أَحَدًا﴾
١٩ - مريم		
٢٢٩	٧	﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾
٣١٤	٨	﴿أَنِّي يَكُونُ... عِتِيًّا﴾
٢٢٩	١٢	﴿يَبْحَثِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾
٢٠ - طه		
٣٤٥-٣٣٥	٢-١	﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾
٣٣٦	٣-١	﴿طه... لِمَنْ يَخْشَى﴾
٣٣٤	٤	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾
٣٣٩	٧	﴿وَإِنْ يَجْهَرُ... وَأَخْفَى﴾
١٦٥	٨	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ... الْحُسْنَى﴾
٢٢٩	١٢-١١	﴿يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾
٣٤٦	١٣	﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾
٣٤١	١٤	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾
٣٤٧	١٥	﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾
٣٤٧	١٦	﴿فَلَا يَصُدُّكَ... هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾
٣٤٧	٢٣	﴿لِزِيكٍ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾
٣٤٩	٢٥	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾
٣٤٨	٢٨-٢٥	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ... يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾



٣٤٦	٣٨	﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾
٣٣٧	٤٤	﴿ فَقُولَا لَهُ... أَوْ يَخْشَىٰ ﴾
٣٥٠	٤٧	﴿ قَدْ جِئْنَاكَ... اتَّبِعْ الْهُدَىٰ ﴾
٣٥٠	٤٨	﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ... وَتَوَلَّى ﴾
٣٣٧	٥٠	﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي... ثُمَّ هَدَىٰ ﴾
٣٣٨	٥٢	﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾
٣٣٧	٥٣	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ... نَبَاتٍ شَتَّى ﴾
٣٥١	٥٣	﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾
٣٣٨	٥٤-٥٣	﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ... لِأُولَى النَّهْيِ ﴾
٣٥١	٥٩	﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ... صُحِّي ﴾
٣٤٩	٦٤	﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾
٣٣٣	٦٨	﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾
٣٤٣	٧١	﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾
٣٤٢	٧٢	﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ... الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴾
٣٤٣	٧٣	﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا... وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾
٣٤٩	٧٤	﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ... وَلَا يَحْيَى ﴾
٣٣٤	٧٥	﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا... أَلْعَلَى ﴾
٣٤٩	٧٦-٧٥	﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا... مَن تَزَكَّى ﴾
٣٤٢	٧٦	﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ... مَن تَزَكَّى ﴾
٣٥٢-٣٥١	٧٨	﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾
٣٥١	٨١	﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَى ﴾
٣٤٨	٨٣	﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾
٣٤٨	٨٤	﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ... رَبِّ لِرَبِّ رَضَى ﴾
٣٢٥	١١٦	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ... أُنَبِّئُكَ ﴾



٣٣٦	١١٧	﴿فَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ... فَتَشَقَّى﴾
٣٥١	١١٩	﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾
٣٥١	١٢١	﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾
٣٣٦	١٢٣	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ... وَلَا يَشْقَى﴾
٣٤٨	١٣٠	﴿وَمِنْ ءَانَايَ الْبَلِّ... لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾
٣٤٣	١٣١	﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾
٣٤٣	١٣٣	﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾
٢١ - الأنبياء		
٣١٣	٥	﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ... الْأَوَّلُونَ﴾
٦٢	٦	﴿مَاءَ أَمْنٍ... أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾
٦٢	٩	﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ... الْمُسْرِفِينَ﴾
٦٣	١١	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا... قَوْمًا آخَرِينَ﴾
٦٥	١٥	﴿فَمَا زَالَتْ... خَمِيدِينَ﴾
٦٤-٦٣	١٨	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ... زَاهِقٌ﴾
٦٤	٥٨٥٧	﴿وَتَاللَّهِ... إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾
٦٥	٩٣	﴿وَتَقَطَّعُوا... إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾
٦٢	٩٥	﴿وَحَرَامٌ... لَا يَرْجِعُونَ﴾
٢٢ - الحج		
١٢٢-١٢١	١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ... عَظِيمٌ﴾
٤٠٣	٢-١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا... اللَّهُ شَدِيدٌ﴾
١٢٣	٢	﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾
١٢٣	٣	﴿وَمِنَ النَّاسِ... شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾
١٢٥	٣	﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾
١٢٥	٤	﴿كُتِبَ عَلَيْهِ... عَذَابِ السَّعِيرِ﴾



١٢٢	٥	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ . . . فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾
١٢٦	٥	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ . . . شَيْئًا﴾
١٢٣	٨	﴿وَمِنَ النَّاسِ . . . وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾
١٢٣	١١	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾
١٢٧	١١	﴿وَمِنَ النَّاسِ . . . الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٢٧	١٢	﴿يَدْعُوهُمْ . . . الْبَعِيدُ﴾
١٢٨	١٤	﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ . . . يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
١٢٩	١٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . شَهِيدٌ﴾
١٣٠	١٧	﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ . . . شَهِيدٌ﴾
١٢٣	١٨	﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾
١٣١	٢١-١٩	﴿هَٰذَا نِ خَصْمَانِ . . . مِنْ حَدِيدٍ﴾
١٣١	٢٢	﴿كُلَّمَا أَرَادُوا . . . عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾
١٢٩-١٢٨	٢٣	﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ . . . فِيهَا حَرِيرٌ﴾
١٣١	٢٤	﴿وَهُدُوا إِلَى . . . صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾
١٢٣	٢٥	﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . . وَالْبَادِ﴾
١٣٢	٢٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . عَذَابِ الْبَئِيسِ﴾
١٣٢	٢٦	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا . . . وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
١٢٣	٢٧	﴿وَأَذِنَ فِي النَّاسِ . . . فَجَّ عَمِيقٍ﴾
١٣٣	٣١	﴿وَمَنْ يُشْرِكْ . . . مَكَانٍ سَجِيقٍ﴾
١٣٣	٣٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ . . . كُفُورٍ﴾
١٣٤	٤٠-٣٩	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ . . . لِقَوَىٰ عَزِيزٍ﴾
١٢٣	٤٠	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ . . . هَٰذِمَتَ﴾
١٣٥	٤٥	﴿فَكَأَنَّ مِنَ قَرِيْبَةٍ . . . مَّشِيدٍ﴾
١٣٥	٤٥	﴿وَقَصْرِ مَّشِيدٍ﴾



جواهر الدرر في علم معاني القرآن

١٢٣-١٢٢	٤٩	﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾
١٢٩	٥٠	﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا... وَرَزَقٌ كَرِيمٌ﴾
١٣٦-١٣٥	٥٢	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا... عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
١٣٦	٥٤	﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ... صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
١٢٩	٥٦	﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا... جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾
٣٨١	٥٦	﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ... جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾
١٣٧	٥٧	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... عَذَابٌ مُهِينٌ﴾
١٣٨	٥٩	﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ... لَعَلِمٌ حَلِيمٌ﴾
١٣٩	٦١	﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ... سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾
١٣٩	٦٢	﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ... الْكَبِيرُ﴾
١٤٠	٦٤	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ... الْحَكِيمُ﴾
١٢٣	٦٥	﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
١٣٣	٦٦	﴿وَهُوَ الَّذِي... لَكَفُورٌ﴾
١٤٠	٦٩	﴿اللَّهُ يَحْكُمُ... فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾
١٤١	٧٠	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ... يَسِيرٌ﴾
١٢٢	٧٣	﴿يَتَّيِّهَا النَّاسُ... وَالْمَطْلُوبُ﴾
١٢٣	٧٥	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي... النَّاسِ﴾
١٣٩	٧٥	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي... سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾
١٢٣	٧٨	﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾
١٣٢	٧٨	﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ... وَفِي هَذَا﴾
١٤١	٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي... مِنْ قَبْلُ﴾
١٤٢	٧٨	﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ... وَتَعَمَّ النَّصِيرُ﴾
٢٣ - المؤمنون		
٣١٢	٧٠	﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ... كَرِهُونَ﴾



٢٤ - النور		
١٨٠	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ... هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
٢٥ - الفرقان		
٢٠٧-٢٠١-٢٠٠	١	﴿تَبَارَكَ الَّذِي... لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
٢٨٤-٢٧٨		
٣٠٣-٣٠٢	٢-١	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ... فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾
٢٠٨	٢	﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ... فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾
٢٨١-٢٨٠-٢٠٩	٣	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ... وَلَا نُشُورًا﴾
٢٩٧		
٢٨٦	٣	﴿وَلَا يَمْلِكُونَ... حَيَوةً وَلَا نُشُورًا﴾
١٩٨	٤	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... ظَلَمْنَا وَزُورًا﴾
٢٠٢	٤	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... قَوْمٌ آخَرُونَ﴾
٢٠٢	٥	﴿أَسْطِيطِر... بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
٢٠٢	٦	﴿قُلْ أَنْزَلَهُ... عَفْوَراً رَجِيماً﴾
٢١٦	٦	﴿إِنَّهُ كَانَ عَفْوَراً رَجِيماً﴾
٣٠١	٧	﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ... نَذِيرًا﴾
٢٠٨-٢٠٠	٧	﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُ... نَذِيرًا﴾
١٩٨	٨٧	﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا... مِنْهَا﴾
٢٩٩	٨٧	﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا... رَجُلًا مَسْحُورًا﴾
٢٩٦-١٩٨	٨	﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ... مَسْحُورًا﴾
١٩٨	٩	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ... سَبِيلًا﴾
٢٠١-١٩٨	١٠	﴿تَبَارَكَ الَّذِي... لَكَ قُصُورًا﴾
٢٠٩	١١	﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾
٢١٥	١٣-١٢	﴿إِذَا رَأَتْهُمْ... هُنَالِكَ تُبُورًا﴾



٣٠١-٢٩٠-٢٠٥	١٤-١٣	﴿وَإِذَا أُلْقُوا... ثُبُورًا كَثِيرًا﴾
٢٩٢-٢٨٦	١٦	﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾
٢٩٥	١٧	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ... السَّيْلَ﴾
٢٠١	١٨	﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾
٢٩٧	١٩	﴿وَمَنْ يَظْلِمِ... عَذَابًا كَبِيرًا﴾
٢٨٦-٢١٦	٢٠	﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾
١٩٩	٢١	﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ... رَبَّنَا﴾
٢٩٧-٢١١	٢١	﴿وَعَتَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا﴾
٢٨٢	٢١	﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا... كَبِيرًا﴾
١٩٩	٢٢-٢١	﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا... حِجْرًا مَحْجُورًا﴾
٤٠	٢٢	﴿يَوْمَ يَرَوْنَ... يَوْمِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾
٢٠٥	٢٢	﴿يَوْمَ يَرَوْنَ... حِجْرًا مَحْجُورًا﴾
٢١٢	٢٤	﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ... وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾
٢١٢	٢٥	﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ... تَنْزِيلًا﴾
٢١٣	٢٦	﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ... الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾
٢٩٥	٢٧	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ... الرَّسُولِ سَيْلًا﴾
٢٩٥-٢٨٤	٣٠	﴿وَقَالَ الرَّسُولُ... الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾
٢٨٦-٢١٦	٣١	﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾
٢٩٩	٣١	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا... هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾
١٩٩	٣٢	﴿وَقَالَ الَّذِينَ... الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾
١٩٩	٣٢	﴿كَذَٰلِكَ... وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
٢٩٨-٢٨٤-٢٠٢	٣٢	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
٢٩٥-٢٨٣	٣٤	﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ... سَبِيلًا﴾
٢٨٠	٣٥	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى... وَزِيرًا﴾



٢٠٤	٣٦٣٥	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى... تَذَمِيرًا ﴾
٢١٧	٤٠-٣٥	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى... نُشُورًا ﴾
٢٨٨	٣٦	﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبَا... فَذَمَّرْنَاهُمْ تَذَمِيرًا ﴾
٢٠٤	٣٧	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ... عَذَابًا أَلِيمًا ﴾
٢٨٦٢١٠	٣٧	﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾
٢٨٩	٤٠-٣٧	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ... لَا يَرْجُوتْ نُشُورًا ﴾
٢٠٤	٣٩٣٨	﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا... تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴾
٢٨٣	٣٩	﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا... تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴾
٢١٧-٢٠٤	٤٠	﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا... لَا يَرْجُوتْ نُشُورًا ﴾
٢٨٦	٤٠	﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُوتْ نُشُورًا ﴾
٢٠٤	٤٢-٤١	﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ... مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
٢٩٥	٤٢	﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ... أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
٢٩٨	٤٢	﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا... أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
٢٨١-٢١٨	٤٣	﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ... عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾
٢١٤	٤٤	﴿ أَمْ تَحْسَبُ... أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
٢٩٥	٤٤	﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْآنَعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
٢٨٦	٤٥	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾
٢٨٦	٤٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ... الْتَهَارَ نُشُورًا ﴾
٢٩٠	٥٠	﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ... إِلَّا كُفُورًا ﴾
٢٠٨-٢٠٠	٥١	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾
٢٩٧	٥٢	﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾
٢٠٥-٤٢	٥٣	﴿ ﴿ وَهُوَ الَّذِي... وَحَجَرًا مَّحْجُورًا ﴾ ﴾
٢٨٦٢١٦	٥٤	﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾
٣٠٢-٢٠٨-٢٠٠	٥٦	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾



٢٩٥	٥٧	﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ . . . رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾
٢١٦	٥٨	﴿ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾
٣٠٢-٢١٣	٥٩	﴿ الرَّحْمَنُ فَسَّأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾
٢١١	٦٠	﴿ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾
٣٠٢-٢٩٤-٢١٣	٦٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ . . . وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾
٢١٤-٢٠١	٦١	﴿ بَارِكِ الَّذِي . . . وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾
٢٨١	٦٢	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ . . . شُكُورًا ﴾
٢١٣	٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ . . . هَوْنًا ﴾
٢١٩	٧٦-٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ . . . مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾
٢٩٢-٢٢٠	٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ . . . قَالُوا سَلَامًا ﴾
٢٩٣	٦٤	﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾
٢٨٣	٦٥	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا . . . كَانَ غَرَامًا ﴾
٢٩١	٦٧	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا . . . ذَلِكَ قَوَامًا ﴾
٢٩١-٢٨٩	٦٨	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ . . . يَلْقَ أَثَامًا ﴾
٢١٦	٧٠	﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
٢٦ - الشعراء		
١٧	٢-١	﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
٥٨	٢٧	﴿ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ ﴾
٥٨	٣٤	﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾
٣٨٥	٦٦-٦٥	﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى . . . أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾
٢٧ - النمل		
٤٨	١٧	﴿ وَخَشَرَ لِسُلَيْمَانَ . . . فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾
٤٩	١٨-١٧	﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾
٤٨	١٩	﴿ فَلَبَسَ ضَاحِكًا . . . نِعْمَتَكَ ﴾



٧٣	٦٧	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ... أَبِنَا الْمُخْرَجُونَ ﴾
٤٨	٨٣	﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ... فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾
٤٩	٨٤-٨٣	﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ... بِهَا عِلْمًا ﴾
٢٨ - القصص		
١٧	٢-١	﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
٣٧٨	١٤	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ... نَجَّيَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
٣١ - لقمان		
١٧	٢-١	﴿ أَلَمْ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾
٣٨١	٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا... جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾
٣٣٩	٢٨	﴿ مَا خَلَقَكُمْ... كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾
٣٢ - السجدة		
٧٣	١٠	﴿ وَقَالُوا أَءِذَا... يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ كِفَرُونَ ﴾
٣٣ - الأحزاب		
٢٢٩	١	﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾
٢٤١-٢٣٥-٢٣١	١	﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ... عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
٢٤٢	٢	﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى... خَيْرًا ﴾
٢٤١	٥	﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ... رَحِيمًا ﴾
٢٤٥	٩	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... بِصِيرًا ﴾
٢٤٤	١٣-١٢	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ... إِلَّا فِرَارًا ﴾
٢٣٧-٢٣١	٢١	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ... كَثِيرًا ﴾
٢٤١	٢٤	﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ... كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
٢٤٠	٢٧	﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ... قَلِيلًا ﴾
٢٣١	٢٨	﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ... جَمِيلًا ﴾
٢٤٧	٢٩-٢٨	﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ... أَجْرًا عَظِيمًا ﴾



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَعَارِزِ النُّبُوَّةِ

٢٣٦	٣٠	﴿يَنْفِسَاءُ النَّبِيِّ... اللَّهُ يَسِيرًا﴾
٢٤٣-٢٣٥	٣٢	﴿يَنْفِسَاءُ النَّبِيِّ... إِنْ أَتَقَيَّتُنَّ﴾
١٥٥	٣٥	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ... وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾
٢٣٥	٣٧	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي... نَخَشَهُ﴾
٢٤٠	٤٠	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ... شَيْءٍ عَلَيْهِمَا﴾
٢٤٥	٤١	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... ذِكْرًا كَثِيرًا﴾
٢٣٨	٤٣-٤١	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... رَحِيمًا﴾
٢٢٩	٤٥	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾
٢٣١	٤٥	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ... وَنَذِيرًا﴾
٢٣٨	٤٨	﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ... وَكَيْلًا﴾
٢٣٢	٤٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... جَمِيلًا﴾
٢٤٥	٤٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... تَعَدُّوْنَهَا﴾
٢٣١	٥٠	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾
٢٣٣	٥٠	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا... رَحِيمًا﴾
٢٤١	٥٠	﴿قَدْ عَلِمْنَا... رَحِيمًا﴾
١٣٨	٥١	﴿تُرْجَى مِنْ... حَلِيمًا﴾
٢٤٥	٥٣	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... إِنَّهُ﴾
٢٤٠	٥٤	﴿إِنْ تُبَدُّوا... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمَا﴾
٢٤٥	٥٦	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ... تَسْلِيمًا﴾
٢٣١	٥٩	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ... وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٤١	٥٩	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ... رَحِيمًا﴾
٢٤٥-٢٤٤	٦٢-٦٠	﴿لَنْ لَمْ يَنْهَ... تَبْدِيلًا﴾
٢٤٥	٦٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... وَجِهَا﴾
٢٤٥-٢٣٦	٧٠	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... سَدِيدًا﴾



٢٤١	٧٣	﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ... رَجِيمًا﴾
٣٤ - سبأ		
١١٢-١١١-٨٧	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ... الْخَيْرُ﴾
١١٣	١	﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾
٩٢	٢	﴿يَعْلَمُ مَا... الْغَفُورُ﴾
٧٤	٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾
١١٠-٩١	٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... مُبِينٌ﴾
١١٢	٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... لَتَأْتِيَ كُمْ﴾
٩٠-٨٩	٥-٤	﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ... مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ﴾
٧٤	٥	﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا... رَجْزِ أَلِيمٍ﴾
٩٦	٦	﴿وَيَرَى الَّذِينَ... الْحَمِيدُ﴾
١١٠-٨٨-٧٣	٧	﴿وَقَالَ الَّذِينَ... خَلَقَ جَدِيدٍ﴾
١١٣-٧٤	٨	﴿بَلِ الَّذِينَ... وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾
٣١٢	٨	﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ... الْبَعِيدِ﴾
٩٨	١٧	﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ... إِلَّا الْكَافُورُ﴾
٧٥	١٩	﴿رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾
٧٥	١٩	﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ... شُكُورٍ﴾
٨٩	٢٠	﴿وَلَقَدْ صَدَقَ... مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
١١٣	٢١	﴿وَمَا كَانَ... شَيْءٌ حَفِیْظٌ﴾
٩٤	٢٢	﴿قُلْ أَدْعُوا... ظَهِيرٍ﴾
٨٧	٢٤	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ... مُبِينٍ﴾
٩٥	٢٨	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ... لَا يَعْلَمُونَ﴾
٨٨	٢٩	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى... صَادِقِينَ﴾
٨٨	٣٠	﴿قُلْ لَكُمْ... وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

٩٦	٣١	﴿لَنْ تُؤْمِنَ... بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
١٠٢	٣١	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾
١٠٢	٣٣-٣١	﴿وَلَوْ تَرَى... مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
١١٣-٧٤	٣٥	﴿وَقَالُوا نَحْنُ... بِمُعَذِّبِينَ﴾
١١٤-١١٣	٣٧	﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ... الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾
٧٤	٣٨	﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ... مُحْضَرُونَ﴾
٩٦	٤٣	﴿وَإِذَا تُتْلَى... سِحْرٌ مُبِينٌ﴾
٨٧	٤٥	﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ... كَانَ نَكِيرٌ﴾
٦٣	٤٨	﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ﴾
١٠٣	٥١	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ... مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾
٣٥ - فاطر		
٨١	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ... شَيْءٌ قَدِيرٌ﴾
١٠١-٨٦	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٨٢	٢	﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ... الْحَكِيمُ﴾
٨٧	٣	﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ... تُؤَفَّكُونَ﴾
٨٧-٨٢	٤	﴿وَلِنْ يُكَذِّبُوكَ... تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾
٨٨-٨٣-٨٢	٥	﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ... الْغُرُورُ﴾
٩٧	٥	﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ... الْغُرُورُ﴾
٨٨	٦	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ... السَّعِيرِ﴾
٨٩	٧	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا... كَبِيرٌ﴾
٩٠-٨٣	٨	﴿فَلَا تَذْهَبْ... بِمَا يَصْنَعُونَ﴾
٨٣	٩	﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ... كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾
٨٣	١٠	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾
٨٣	١١	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ... يَسِيرٌ﴾



١١٧-٩٠-٣٧	١١	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ... جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾
٩١	١١	﴿وَمَا تَحْمِلُ... يَسِيرٌ﴾
٨٣	١٢	﴿وَمَا يَسْتَوِي... تَشْكُرُونَ﴾
٩١-٨٤	١٣	﴿يُولِجُ اللَّيْلَ... مِنْ قِطْمِيرٍ﴾
٩٣	١٣	﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ... قِطْمِيرٍ﴾
٩٣	١٤	﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ... مِثْلُ خَيْرٍ﴾
٨٤	١٥	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ... الْحَمِيدُ﴾
٨٤	١٧-١٦	﴿إِنْ يَشَأْ... عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزُ﴾
٩٢	١٨	﴿وَلَا تَزِرُ... وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾
٨٤	٢١-١٩	﴿وَمَا يَسْتَوِي... وَلَا الْحُرُورُ﴾
٩٥-٨٤	٢٤	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ... فِيهَا نَذِيرٌ﴾
٨٧	٢٥	﴿وَلِنْ يُكْذِبُوكَ... الْمُنِيرِ﴾
٨٤	٢٧	﴿الْمُتَرَّ... سُودٌ﴾
٨٤	٢٨	﴿وَمِنَ النَّاسِ... غَفُورٌ﴾
٨٥	٣٠-٢٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ... شَكُورٌ﴾
٩٥-٨٥	٣١	﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا... بَصِيرٌ﴾
٨٥	٣٣	﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ... حَرِيرٌ﴾
٨٩	٣٦	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... كَفُورٍ﴾
٩٨	٣٦	﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ... كَفُورٍ﴾
٨٦	٣٧	﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ... نَصِيرٍ﴾
٩١	٣٨	﴿إِنَّ اللَّهَ... يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾
٩٣	٣٩	﴿هُوَ الَّذِي... إِلَّا خَسَارًا﴾
٩٤-٩٣	٤٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ... إِلَّا غُرُورًا﴾
٨٦	٤١	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ... غَفُورًا﴾



جَوَاهِرُ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

٩٢	٤٢	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ... إِلَّا نَفُورًا﴾
٩٩	٤٤	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا... عَلِيمًا قَدِيرًا﴾
٣٦ - يس		
٣٧٠	٢٩	﴿إِنْ كَانَتْ... هُمْ خَائِدُونَ﴾
٣٧٠	٤٩	﴿مَا يَنْظُرُونَ... وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾
٣٧٠	٥٣	﴿إِنْ كَانَتْ... لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾
٣١٣	٦٩	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ... مُبِينٌ﴾
٣٧ - الصافات		
٣٦٥	٣-١	﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا... ذِكْرًا﴾
٣٦٩	٢	﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا﴾
٣٧٧	٤	﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾
٣٧٧-٣٧١	٦	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوْكَبِ﴾
٣٦٠	١٠-٧	﴿وَحِفْظًا... شِهَابٍ ثَاقِبٌ﴾
٣٧٣-٣٧٢	١١	﴿فَاسْتَفْتِهِمْ... طِينٍ لَّازِبٍ﴾
٣٧٧	١١	﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾
٣٧٣	١٧-١٦	﴿أَءِذَا مِتْنَا... ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾
٣٧٧-٣٦٩	١٩	﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾
٣٧٤	٢١-٢٠	﴿وَقَالُوا يَا بَوِئَلْنَا... بِهِ تَكْذِيبُونَ﴾
٣٧٤	٢٣	﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾
٣٩١	٢٦	﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾
٣٧٦	٢٧	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾
٣٧٦	٣٠	﴿وَمَا كَانَ لَنَا... قَوْمًا طَٰغِينَ﴾
٣٧٧	٣٢-٣١	﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا... كُنَّا غَٰوِينَ﴾
٣٧٧-٣٧٦	٣٤	﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾



٣٧٧	٣٥	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا... يَسْتَكْبِرُونَ﴾
٣٩٠-٣١٢	٣٦	﴿وَيَقُولُونَ آيُنَا... تَجْنُونَ﴾
٣٧٧	٣٨	﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾
٣٨٠	٤١	﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾
٣٨١	٤٧-٤١	﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ... عَنْهَا يُزْفُونَ﴾
٣٧٦	٥٠	﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾
٣٧٣	٥٣-٥٢	﴿يَقُولُ أَيْ نَكَ... أَيْ نَا لَمَدِينُونَ﴾
٣٧٤	٥٥	﴿فَاطْلِعْ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾
٣٧٧	٦٠	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
٣٧٧	٦٣	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾
٣٧٧-٣٧٤	٦٤	﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾
٣٧٤	٦٨	﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾
٣٧٩	٧٦	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾
٣٨٧	٨١-٧٨	﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ... الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٧٨	٨٠	﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
٣٧٩	٨٩-٨٨	﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً... إِنْ سَقِيمٌ﴾
٣٧٥-٣٧٤	٩٧	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾
٣٨٠	١٠١-٩٩	﴿وَقَالَ إِنْ زَا هِبْ... بِعُلْمٍ حَلِيمٍ﴾
٣٨٧-٣٧٨	١١١-١٠٤	﴿وَنَدَيْنَاهُ... عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٨٠	١١٢	﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾
٣٧٩	١١٥	﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾
٣٨٧	١٢٢-١٢٠	﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى... الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٧٨	١٢١	﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
٣٨٧	١٣٢-١٢٩	﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ... الْمُؤْمِنِينَ﴾



٣٧٨	١٣١	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾
٣٨٣-٣٨٢	١٤٢	﴿ فَالْنَقْمَةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾
٣٦٨	١٤٤-١٤٣	﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ... يَوْمَ يُعْتُونَ ﴾
٣٨٥-٣٧٩	١٤٥	﴿ فَبَذَلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾
٣٧٢	١٥٠-١٤٩	﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ... شَهِدُونَ ﴾
٣٨٥	١٥٧-١٥٦	﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ... كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٣٨٠	١٦٤	﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾
٣٦٧	١٦٦-١٦٥	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ... الْمُسِيحُونَ ﴾
٣٦٨	١٦٦	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴾
٣٨٦	١٧٣	﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾
٣٩٠-٣٨٦	١٧٤	﴿ فَلَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾
٣٨٩	١٧٦-١٧٥	﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ... يَسْتَعْجِلُونَ ﴾
٣٩٠-٣٨٦	١٧٨	﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾
٣٨٨	١٨٢-١٨٠	﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ... رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٣٨ - ص		
٧٠	٢-١	﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ... عِزَّةً وَشِقَاقٍ ﴾
٣٧٠	١٥	﴿ وَمَا يَنْظُرُ... مِنْ فَوَاقٍ ﴾
٧٠	٢٣	﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي... الْخِطَابِ ﴾
٣٢٦	٧٤	﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾
٧٠-٦٧	٨٣-٨٢	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ... الْمُخْلِصِينَ ﴾
٤٠ - غافر		
٤٥	٤٠	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً... بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
٩٣	٥٨	﴿ وَمَا يَسْتَوِي... مَا تَذَكَّرُونَ ﴾



٤١ - فصلت		
١٢	٣-١	﴿ حَمَّ ... يَعْلَمُونَ ﴾
١٣	٥	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾
٤٠	٢١	﴿ وَقَالُوا لَاجُلُودِهِمْ ... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
١٣	٢٦	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾
٣٣٥	٣٣	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ ... الْمُسْلِمِينَ ﴾
١٣-١٢	٤٤	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ... بَعِيدٍ ﴾
١٣	٤٤	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ... وَعَرِيقٍ ﴾
٤٠	٥٠	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ ... غَلِيظٍ ﴾
٤٢ - الشورى		
٤٥	٢٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ... نَصِيبٍ ﴾
٤٣ - الزخرف		
٥٤	١٨-١٧	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ ... غَيْرُ مُبِينٍ ﴾
٥٥	٢٣	﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا ... مُقْتَدُونَ ﴾
٥٦	٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ ... عَظِيمٍ ﴾
٥٧	٣٢	﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ ... يَجْمَعُونَ ﴾
٥٩	٣٥-٣٣	﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ ... لِلْمُتَّقِينَ ﴾
٥٨	٥٣-٥١	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ ... مُقْتَرِنِينَ ﴾
٣٨٥	٥٥	﴿ فَلَمَّا أَصْفَوْنَا ... أَجْمَعِينَ ﴾
٦١	٧١	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ ... خَالِدُونَ ﴾
١٠٨	٨٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي ... الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾
٤٤ - الدخان		
٣١٢	١٤	﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴾
٣٨٢	٥٢-٥١	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ... جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾



٤٦ - الأحقاف		
٣١١	٢٩	﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ... مُنْذِرِينَ﴾
٣١٧	٣٠	﴿قَالُوا يَتَقَوَّمْنَا... مُسْتَقِيمٌ﴾
٣٢٤	٣١	﴿يَتَقَوَّمْنَا أَجِيبُوا... أَلِيمٌ﴾
٤٩ - الحجرات		
١٥٧-١٥٤	١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... عَلِيمٌ﴾
١٥٤	٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... لَا تَشْعُرُونَ﴾
١٥٥	٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ... وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
١٥٦	٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ... لَا يَعْقِلُونَ﴾
١٤٩	٥	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ... رَحِيمٌ﴾
١٥٤	٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... نَذِيرِينَ﴾
١٥١	٨	﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ... حَكِيمٌ﴾
١٥٠	٩	﴿وَلِإِن طَائِفَتَانِ... الْمُقْسِطِينَ﴾
١٥٧	١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ... تُرْحَمُونَ﴾
١٥٤-١٥١	١١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... الظَّالِمُونَ﴾
١٥٤	١٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾
١٥٧	١٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... رَحِيمٌ﴾
١١٣	١٣	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ... عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾
١٤٩	١٤	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ... رَحِيمٌ﴾
١٥٨	١٦	﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ... عَلِيمٌ﴾
٥٠ - ق		
٣٦٢	١	﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾
٥١ - الذاريات		
٣٦٥	٤-١	﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّاءُ... أَمْرًا﴾



٣٧٤	٦٥	﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوُفْعٌ ﴾
٣٧١	٧	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾
٣٧٤	١٢	﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾
٣٩١	١٣-١٢	﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ . . . يُفَنُّونَ ﴾
٣٧٥	١٣	﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴾
٣٨٩	١٤	﴿ ذُوقُوا فَلَنْ نَكُفَّ . . . تَسْتَعْجِلُونَ ﴾
٣٨٢-٣٨١-٣٧٥	١٥	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾
٣٩٢	٢٤	﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ . . . الْمُكَرِمِينَ ﴾
٣٨٠	٢٨-٢٥	﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ . . . عَلِيمٌ ﴾
٣٨٩	٢٩	﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾
٣٨٨	٤٦-٣١	﴿ ﴿٣١﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ . . . فَسَقِينَ ﴾
٣٨٦	٣٨	﴿ وَفِي مُوسَى . . . مُبِينٍ ﴾
٣٩٠	٣٩	﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ . . . وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾
٣٨٦-٣٨٤-٣٨٣	٤٠	﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾
٣٨٩	٤١	﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾
٣٩٠	٤٣	﴿ وَفِي ثَمُودَ . . . حَتَّىٰ حِينٍ ﴾
٣٩٠	٥٢	﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى . . . أَوْ مُجْنُونٌ ﴾
٣٧٦	٥٣	﴿ أَنَوَاصِرَ بِهِ . . . بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾
٣٨٦-٣٨٤	٥٤	﴿ فَنُوحِلْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾
٥٢ - الطور		
٣١٢	٢٩	﴿ فَذَكِّرْ . . . وَلَا مُجْنُونٍ ﴾
٣١٣	٣٠	﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ . . . رَبِّبَ الْمَنُونِ ﴾
٥٣ - النجم		
٣٤٥	١	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾



٣٥١	٢	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾
٣٥٣-٣٤٥	٣-٢	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ . . . عَنِ الْهُدَىٰ ﴾
٣٤٨	٣	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُدَىٰ ﴾
٣٣٤	٤-٩	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَاحِي . . . أَوْ أَدْنَىٰ ﴾
٣٣٣	٧	﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾
٣٤٦	١٠	﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾
٣٥٢	١٦	﴿ إِذْ يَغْشَىٰ السَّدْرَ مَا يَغْشَىٰ ﴾
٣٤٨	١٨	﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾
٣٥٠	٢٣	﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾
٤٥	٣١	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ . . . بِالْحَسَنَىٰ ﴾
٣٤١	٣٢	﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾
٣٤٣	٤١-٣٦	﴿ أَمْ لَمْ يَلْبَأْ . . . الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾
٣٤٧	٤١-٣٩	﴿ وَأَنْ لَّيْسَ . . . الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾
٣٥٢-٣٥١	٥٤-٥٣	﴿ وَالْمُؤْنِفَكَةَ . . . مَا عَشَىٰ ﴾
٥٥ - الرحمن		
٤٢	٢٠-١٩	﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ . . . لَا يَبْتَغِيَانِ ﴾
٥٦ - الواقعة		
٤٠٢	٥-١	﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . . . بَسًا ﴾
٤٠٣	٧	﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾
٤٠٤	٢٦-١٠	﴿ وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ . . . سَلَامًا ﴾
٣٨١	١٢-١١	﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾
٦١	١٩-١٧	﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ . . . وَلَا يُزْفُونَ ﴾
٤٠٤	٤٠-٢٧	﴿ وَأَصْحَابُ الِّيمِينِ . . . وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾
٤٠٤	٤٨-٤١	﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ . . . ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾



٤٠٥	٧٥	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾
٢٥٢	٧٦٧٥	﴿ فَلَا أُقْسِمُ . . . عَظِيمٌ ﴾
٤٠٤	٨٣	﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾
١٨٢	٩٦٩٥	﴿ إِنَّ هَذَا . . . رَبِّكَ الْعَظِيمُ ﴾
٥٧ - الحديد		
١٨٢-١٦٦	١	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ . . . الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
١٦٦	٢	﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
١٨٣	٢	﴿ لَهُ مُلْكُ . . . قَدِيرٌ ﴾
٣٨٣-١٦٦	٣	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ . . . شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
١٨٤	٤	﴿ هُوَ الَّذِي . . . عَلَى الْعَرْشِ ﴾
١٨٤	٤	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ . . . تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
١٨٥	٦	﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ . . . بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
١٨٥	٧	﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ . . . مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾
١٨٥	٧	﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ . . . أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾
١٨٥	٨	﴿ وَمَالِكُمْ . . . إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
١٦٦	٩	﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
١٨٦	٩	﴿ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ . . . رَحِيمٌ ﴾
١٦٦	١٠	﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾
١٨٦	١٠	﴿ وَكَلَّا وَعَدَدَ . . . خَبِيرٌ ﴾
١٨٦-١٨٥	١١-١٠	﴿ وَمَالِكُمْ . . . أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾
١٨٧	١٢	﴿ بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ . . . الْعَظِيمُ ﴾
١٨٨	١٣	﴿ يَوْمَ يَقُولُ . . . قَبْلَهُ الْعَذَابُ ﴾
١٨٨	١٥	﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ . . . وَبِشِّ الْمَصِيرِ ﴾
١٨٩	١٦	﴿ أَلَمْ يَأْنِ . . . فَتَسْقُوتَ ﴾



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

١٨٩	٢١	﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ . . . الْعَظِيمِ ﴾
١٩٠	٢٢	﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ . . . يَسِيرٌ ﴾
١٦٦	٢٤	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾
١٩٠	٢٤	﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ . . . الْحَمِيدُ ﴾
١٦٦	٢٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
١٩١	٢٥	﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ . . . لِلنَّاسِ ﴾
١٨٩	٢٦	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا . . . فَاسِقُونَ ﴾
١٨٩-١٦٩	٢٧	﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا . . . مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾
١٩٢-١٩١-١٦٦	٢٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ . . . وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
١٩٣		
١٩٠-١٧١	٢٩	﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ . . . الْعَظِيمِ ﴾
٥٨ - المجادلة		
١٣٩-١٣٨	٢	﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ . . . عَفُورٌ ﴾
٥٩ - الحشر		
١٨٢-١٦٦	١	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ . . . الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
١٧٠	٢	﴿ هُوَ الَّذِي . . . يَتَأَوَّلِي الْأَبْصَارِ ﴾
١٨٩	٥	﴿ مَا قَطَعْتُمْ . . . الْفَاسِقِينَ ﴾
١٨٣-١٦٦	٦	﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
١٩١	٧	﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ . . . الْعِقَابِ ﴾
١٨٢	٨	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ . . . هُمْ الصَّالِحُونَ ﴾
١٩٢	٩	﴿ وَمَنْ يُوقَ . . . هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾
١٦٦	١٠	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
١٨٦	١٠	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا . . . رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
١٧٠	١١	﴿ أَلَمْ تَرَ . . . إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾



١٨٨	١٤-١١	﴿ أَلَمْ تَرَ... لَا يَعْقِلُونَ ﴾
١٩١	١٤	﴿ لَا يُقْبِلُونَكُمْ... لَا يَعْقِلُونَ ﴾
١٩٣	١٥	﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ... عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾
١٦٦	١٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
١٩٣	١٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الذِّبْ... بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
١٨٩	١٩	﴿ وَلَا تَكُونُوا... هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
٥	٢١	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا... لَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ ﴾
١٩٤-١٦٧	٢٢	﴿ هُوَ اللَّهُ... الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾
١٦٧-١٦٦	٢٤-٢٢	﴿ هُوَ اللَّهُ... الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
١٦٧	٢٣	﴿ هُوَ اللَّهُ... عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
١٨٢-١٦٥	٢٤	﴿ هُوَ اللَّهُ... الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
٦٠ - الممتحنة		
١٤٤	١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... السَّيْلِ ﴾
١٤٥	١	﴿ تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ... السَّيْلِ ﴾
١٥٤	١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... مِنَ الْحَقِّ ﴾
١٤٥	٢	﴿ إِنَّ يَشْفَوْكُمْ... لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾
١٤٧	٤	﴿ قَدْ كَانَتْ... وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
١٤٨	٤	﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا... وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
١٤٨	٥	﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا... الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
١٤٩	٧	﴿ عَسَى اللَّهُ... رَحِيمٌ ﴾
١٥٠	٨	﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ... الْمُقْسِطِينَ ﴾
١٥١	٩	﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ... الظَّالِمُونَ ﴾
١٥١	١٠	﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ... عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
١٥٤	١٠	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... فَأَمْتَحِنُوهُمْ ﴾



١٥٨-١٥٢	١١	﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ... بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾
١٤٩	١٢	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ... رَحِيمٌ﴾
١٥٤	١٣	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾
٦١ - الصف		
١٨٢	١	﴿سَبِّحَ لِلَّهِ... الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾
١٩٣	٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
١٨٠	٤	﴿إِنَّ اللَّهَ... بُنَيْنٌ مَرْصُوصٌ﴾
١٦٨	٥	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى... الْفَاسِقِينَ﴾
١٨٩	٥	﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
١٦٨	٦	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى... مَيِّنٌ﴾
١٩٤	٧	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ... الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
١٩٣	١٠	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّمُ... إِلِيمِ﴾
١٩٥-١٨٥	١١-١٠	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... نَعْمُونَ﴾
١٨٧	١٢-١٠	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... الْفَوْزِ الْعَظِيمِ﴾
١٩٥	١٣	﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا... وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٦٩	١٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... ظَاهِرِينَ﴾
١٩٤	١٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... إِلَى اللَّهِ﴾
٦٢ - الجمعة		
١٨٢-١٦٧	١	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ... الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾
١٩٠	٤	﴿ذَلِكَ فَضْلُ... الْعَظِيمِ﴾
١٩٥	٥	﴿مَثَلُ الَّذِينَ... الظَّالِمِينَ﴾
١٧١	٧-٥	﴿مَثَلُ الَّذِينَ... بِالظَّالِمِينَ﴾
١٨١	٦	﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا... صَدِيقِينَ﴾
١٩٤	٨	﴿قُلْ إِنْ أَمُوتَ... تَعْمَلُونَ﴾



١٩٥-١٩٤	٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... تَعْلَمُونَ﴾
١٩٠	١٠	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ... اللَّهُ﴾
٦٤ - التغابن		
١٨٣-١٨٢	١	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ... شَيْءٌ قَدِيرٌ﴾
١٨٤	٢	﴿هُوَ الَّذِي... بَصِيرٌ﴾
١٨٤	٣	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ... الْمَصِيرُ﴾
١٨٥	٤	﴿يَعْلَمُ مَا فِي... الصُّدُورِ﴾
١٩٣	٥	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
١٩١-١٩٠	٦	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ... غَنَىٰ حَمِيدٌ﴾
١٩٠	٧	﴿زَعَمَ الَّذِينَ... يَسِيرٌ﴾
١٨٦-١٨٥	٨	﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ... خَيْرٌ﴾
١٨٧	٩	﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ... الْعَظِيمُ﴾
١٨٨	١٠	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... الْمَصِيرُ﴾
١٨٣	١١	﴿مَا أَصَابَ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
١٦٧	١٣	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ... الْمُؤْمِنُونَ﴾
١٩٢	١٤	﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا... رَحِيمٌ﴾
١٩٤	١٤	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ... رَحِيمٌ﴾
١٩٢	١٦	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ... الْمُفْلِحُونَ﴾
١٩٢	١٦	﴿وَمَنْ يُوقَ... الْمُفْلِحُونَ﴾
١٨٦	١٧-١٦	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ... شُكُورٌ حَلِيمٌ﴾
١٦٧	١٧	﴿وَاللَّهُ شُكُورٌ حَلِيمٌ﴾
١٩٤	١٨	﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
٦٥ - الطلاق		
٢٣١	١	﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾



٢٣٢	١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ... أَمْرًا﴾
٢٣٦	١	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾
٢٣٦	١	﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ... مُبَيَّنَةً﴾
٢٣٦	٢	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾
٢٣٧	٢	﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ... الْآخِرُ﴾
٢٣٨	٣	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ... لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾
٢٣٢	٤	﴿وَالَّتِي يَسِّرَنَّ... يُسِّرًا﴾
٢٣٦	٤	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾
٢٣٩-٢٣٦	٥	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ... لَهُ أَجْرًا﴾
٢٤٦	٧	﴿لِيَسْفِقَ ذُو سَعَةٍ... بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾
٢٣٦	١٠	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلِبِ﴾
٢٣٨	١٠-١١	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ... إِلَى النُّورِ﴾
٢٣٩	١١	﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ... لَهُ رِزْقًا﴾
٢٤٠	١٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ... عِلْمًا﴾
٦٦ - التحريم		
٢٣٤-٢٣٣-٢٣١	١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ... غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٢٤٠		
٢٤١	٢	﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ... الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
٢٤٢	٣	﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا... الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾
٢٤٢	٤	﴿إِنْ تُؤْبَا... ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾
٢٤٣	٥	﴿عَسَى رَبُّهُ... وَأُنْكَارًا﴾
٢٣٦	٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... نَارًا﴾
٢٤٥	٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... وَالْحِجَارَةُ﴾
٢٣٩	٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... سَيِّئَاتِكُمْ﴾



٢٤٥	٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... نَصُوحًا﴾
٢٣٩	٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ... قَدِيرٌ﴾
٢٣١	٩	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ... الْمَصِيرُ﴾
٦٧ - الملك		
٢١٦-٢٠٧	١	﴿تَبَرَّكَ الَّذِي... كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٢٠٩	٢	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ... الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾
٢١٦	٢	﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾
٢١٢-٢٠٨	٣	﴿الَّذِي خَلَقَ... مِنْ فُطُورٍ﴾
٢٠٩	٣	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾
٢١٠	٥	﴿وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾
٢١٥-٢١٤	٥	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا... السَّعِيرِ﴾
٢١٥	٨٧	﴿إِذَا الْقَوَا فِيهَا... مِنَ الْغَيْظِ﴾
٢٠٨	٨	﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾
٢٠٨	٩	﴿قَالُوا بَلَى... ضَلَلِّ كَبِيرٍ﴾
٢١٢	١٠	﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
٢١٤-٢١٠	١١-١٠	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا... السَّعِيرِ﴾
٢١٢	١١	﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
٢١٩-٢١٨	١٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ... وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
٢١٦	١٤	﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
٢٠٩	١٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ... وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾
٢١٨-٢١٧	١٧-١٦	﴿ءَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي... نَذِيرٍ﴾
٢٠٨	١٧	﴿فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾
٢١٧	١٨	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ... كَانَ نَكِيرٍ﴾
٢١٣	١٩	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا... بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾



٢١٦	١٩	﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾
٢١٣	٢٠	﴿ أَمَّنْ هَذَا . . . فِي غُرُورٍ ﴾
٢١٦	٢٠	﴿ أَمَّنْ هَذَا . . . الرَّحْمَنُ ﴾
٢١١	٢١	﴿ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾
٢١٩	٢٢	﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي . . . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
٢٠٨	٢٦	﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ . . . نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾
٢١٠	٢٨	﴿ فَمَنْ يُجِرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾
٢١٨	٣٠-٢٨	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ . . . بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾
٢١٤	٢٩	﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ . . . مُبِينٌ ﴾
٦٨ - القلم		
٣٦٩-٣٦٨-٣١٢	٢	﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجَّوٍنٍ ﴾
٣٨١	٣٤	﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾
٣٦٩-٣٦٨	٤٩	﴿ لَوْلَا أَنْ . . . وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾
٦٩ - الحاقة		
٣٩٥	٣-١	﴿ الْحَاقَّةُ . . . مَا الْحَاقَّةُ ﴾
٢٦٧	٣	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾
٣٩٥	٤	﴿ كَذَبَتْ تَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾
٣٩٧	١٩	﴿ هَآؤُمْ أَقْرَأُ وَأَكْنِيئَةٌ ﴾
٣٩٧	٢٠	﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾
٣٩٧	٢٣-٢١	﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ . . . دَانِيَةٍ ﴾
٣٩٧	٢٤-٢١	﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ . . . الْآيَاتِ الْخَالِيَةِ ﴾
٣٩٧	٢٩-٢٥	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ . . . عَنِّي سُلْطَانِيَّةٍ ﴾
٣٩٧	٣٢-٣٠	﴿ خَذُوهُ فَعْلُوهُ . . . فَاسْلُكُوهُ ﴾
٢٥٢	٤٣-٣٨	﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا . . . الْعَالَمِينَ ﴾



٣١٣	٤١	﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴾
٧٠ - المعارج		
٢٥٢	٤١-٤٠	﴿ فَلَا أُقْسِمُ . . . وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾
٧١ - نوح		
٢٨٣	٢٨	﴿ وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا ﴾
٧٢ - الجن		
٤٠٩-٣١٥-٢٧٦	١	﴿ قُلْ أَوْحَى . . . قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾
٣١٧-٣١١	٢-١	﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَى . . . أَحَدًا ﴾
٣١٦	٢-١	﴿ قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾
٣١٨	٢	﴿ فَمَا مَنَابِهٌ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾
٣٢٢	٢	﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ . . . أَحَدًا ﴾
٣١٩	٣	﴿ وَأَنَّهُ تَعَلَّى . . . وَلَدًا ﴾
٣١٩	٤	﴿ وَأَنَّهُ كَانَتْ . . . شَطَطًا ﴾
٣١٩	٥	﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا . . . كَذِبًا ﴾
٣٢٠	٦	﴿ وَأَنَّهُ كَانَ . . . فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾
٣٢٣-٣٢٢	٧	﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا . . . أَحَدًا ﴾
٣١٧	١٠	﴿ وَأَنَا لَا تَدْرِي . . . رَشْدًا ﴾
٣٢٤-٣٢٠	١٣	﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا . . . وَلَا رَهَقًا ﴾
٣١٧	١٤	﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا ﴾
٣٢٢	١٨	﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾
٣٢٣	١٩	﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ . . . لِبَدًا ﴾
٣٢٢-٣١٨	٢٠	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾
٣١٧	٢١	﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشْدًا ﴾
٣٢١	٢٢	﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ . . . مُلْتَحِدًا ﴾



٣٢٣	٢٦	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ . . . أَحَدًا ﴾
	٧٤ - المدثر	
٢٩٣-٢١١	٥٠	﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾
	٧٥ - القيامة	
٢٥٠	٢-١	﴿ لَا أُقْسِمُ . . . اللَّوَامَّةِ ﴾
٢٥٣	٣	﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾
٢٥٤	٤-٣	﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ . . . نَسْوَى بَنَانَهُ ﴾
٢٥٣	٥	﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾
٢٥٣	١٠	﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَيْنَ الْمَفْرُءَ ﴾
٢٥٣	١٣	﴿ يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾
٢٥٣	١٤	﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾
٢٥٦	٢٥-٢٢	﴿ وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ . . . بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾
٣٥٠	٣٣-٣١	﴿ فَلَا صَدَقَ . . . أَهْلِيهِ يَتَمَطَّى ﴾
٢٥٤-٢٥٣	٣٦	﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾
	٧٦ - الإنسان	
٦١	١٦-١٥	﴿ وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ . . . فَدَرَوْهَا نَقْدِيرًا ﴾
	٧٧ - المرسلات	
٣٦٥	٥-١	﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ . . . فَأَلْمَلِقِينَ ذِكْرًا ﴾
٣٧٤	١٤-١٢	﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ . . . مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾
٣٨٨	١٨-١٦	﴿ أَلَمْ نُهْلِكْ . . . بِالْمُجْرِمِينَ ﴾
٣٧٧	١٨	﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾
٣٨٠	٢٢	﴿ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾
٣٨٢	٤٢-٣٠	﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ . . . مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾
٣٧٥	٣٣-٣٢	﴿ إِنَّهَا تَرْمِي . . . حِمْلَتٌ صُفْرٌ ﴾



٣٩١	٣٦٣٥	﴿ هَذَا يَوْمٌ . . . لَهُمْ فِعْزٌ رُؤِنَ ﴾
٣٧٤	٣٩٣٨	﴿ هَذَا يَوْمٌ . . . كَيْدٌ فِكِدُونِ ﴾
٣٨١	٤١	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونِ ﴾
٣٧٥	٤٢-٤١	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ . . . مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾
٣٧٨	٤٤	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾
٧٩ - النازعات		
٣٦٥	٥-١	﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . . . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾
٣٧٣	١١-١٠	﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا . . . عِظْمًا تَنَحَّرَةٌ ﴾
٧٣	١١	﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَنَحَّرَةٌ ﴾
٣٦٩	١٣	﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾
٣٩٢	١٥	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾
٣٨٩	٢٦-١٥	﴿ هَلْ أَتَاكَ . . . لِمَنْ يَخْشَى ﴾
٣٧٦	١٧	﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾
٣٧٣	٢٧	﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾
٣٧٣	٣٣-٢٧	﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ . . . وَلَا تَعْلَمُكُمْ ﴾
٣٧٥	٣٦	﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾
٣٧٦٣٧٥	٣٩٣٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى . . . هِيَ الْمَأْوَى ﴾
٣٩١	٤٤-٤٢	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ . . . مُنْهَاهَا ﴾
٨١ - التكوثر		
٤٠٢	١	﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾
٤٠٥	١٤	﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾
٤٠٥	١٥	﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَسِ ﴾
٢٥٢	١٩-١٥	﴿ فَلَا أَقْسَمُ . . . رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾
٣١٢	٢٢	﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾



٤٠٦	٢٨٢٧	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا... أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾
٨٢ - الانفطار		
٤٠٢-٤٠٠-٣٩٩	١	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾
٤٠٥	٥	﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾
٤٠٠	٨٦	﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ... مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾
٤٠١	٩	﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ﴾
٤٠١	١٢-١٠	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ... مَا تَفْعَلُونَ﴾
٤٠١	١٤-١٣	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ... لَفِي جَحِيمٍ﴾
٤٠٢-٤٠١	١٨-١٧	﴿وَمَا أَدْرَاكَ... مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾
٨٣ - المطففين		
٢٦١	٣-١	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ... يُخْسِرُونَ﴾
٢٦٥	٦-٣	﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ... لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٢٦٧-٢٦٦	٧	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾
٢٦٦	٨	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾
٢٦٦	١٤	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
٢٦٦	١٥	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾
٢٦٦	١٨	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾
٢٦٦	١٩	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾
٢٦٣	٣٣-٢٩	﴿إِنَّ الذِّينَ أَجْرُمُوا... حَافِظِينَ﴾
٢٦٤	٣٦-٣٤	﴿مَالِ يَوْمِ الدِّينِ... يَفْعَلُونَ﴾
٨٤ - الإنشاق		
٤٠٢-٤٠٠-٣٩٩	١	﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾
٤٠٠	٢	﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾
٤٠٠	٦	﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ... فَمَلْفِيهِ﴾



٤٠١	١٢-٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ . . . وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾
٣٠١-٢٠٥	١١	﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴾
٤٠٥	١٦	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾
٢٥٢	١٩-١٦	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . . . عَنْ طَبَقِ ﴾
٤٠٦	٢١-٢٠	﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . . . لَا يَسْجُدُونَ ﴾
٤٠١	٢٤-٢٠	﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . . . أَلَيْمِ ﴾
٤٠٢	٢٥-٢٤	﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ . . . غَيْرِ مَمْنُونٍ ﴾
٨٧ - الأعلى		
٣٣٣-١٨٣-١٦١	١	﴿ مَسِيحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾
٣٥٠		
٣٣٧	٣-٢	﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾
٣٣٧	٥-٤	﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾
٣٣٨	٧-٦	﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾
١٦٢	٧-٦	﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى . . . الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾
٣٣٩	٧	﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾
٣٤٨	٨	﴿ وَيُنِيرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾
٣٣٥	١٣-١٠	﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى . . . وَلَا يَحْجَى ﴾
٣٤٩	١٣-١١	﴿ وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى . . . وَلَا يَحْجَى ﴾
٣٤٩٣٤٢	١٤	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾
٣٥٠-٣٤٩٣٤١	١٥-١٤	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾
٣٤٢	١٧-١٦	﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ . . . خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾
٣٤٣	١٧	﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾
٣٤٣	١٩-١٨	﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي . . . إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾



٨٩ - الفجر		
٤٠	٥	﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴾
٩٠ - البلد		
٢٥١	١	﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾
٢٥٣	٤	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾
٢٥٥-٢٥٤	٦-٥	﴿ أَيَحْسَبُ أَن... مَا لَا لُبَدًا ﴾
٢٥٥	٧	﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾
٢٥٦	١٦-١١	﴿ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ... ذَا مَتَرَةٍ ﴾
٢٥٦	٢٠-١٧	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ... نَارٍ مُّؤَصَّدَةٍ ﴾
٩٢ - الليل		
٣٤٤	٤-١	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى... سَعِجَكُمْ لَشَى ﴾
٣٥١-٣٤٦	٤	﴿ إِنَّ سَعِجَكُمْ لَشَى ﴾
٣٤٠	٧-٥	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى... لِلْيُسْرَى ﴾
٣٤٧	١٠-٥	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى... لِلْعُسْرَى ﴾
٣٤٧	١١	﴿ وَمَا يَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾
٣٣٢	١٣-١٢	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾
٣٥٠-٣٣٥	١٦-١٤	﴿ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا... كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴾
٣٤٢-٣٤١	١٨	﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾
٣٤١	٢٠-١٩	﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ... رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾
٣٣٣	٢٠	﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾
٩٣ - الضحى		
٣٥١-٣٤٤	٢-١	﴿ وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾
٣٤٥	٣	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾
٣٣٣-٣٣٢	٥-٣	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ... رَبُّكَ فَتَرَضَى ﴾



٣٤٨	٥	﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾
٣٥٣	٧	﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾
٩٤ - الشرح		
٣٤٩	١	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾
٩٦ - العلق		
٣٥١	١٤-١٣	﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ . . . اللَّهُ يَرَىٰ ﴾
٩٩ - الزلزلة		
٤٠٢	١	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾
٤٠٣	٦	﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ . . . أَعْمَلَهُمْ ﴾
٤٠٣-٤٦	٨٧	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ . . . يَرَهُ ﴾
١٠١ - القارعة		
٣٩٥	٣-١	﴿ الْقَارِعَةُ . . . أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾
٣٩٧-٣٩٦	٧-٦	﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ . . . رَاضِيَةً ﴾
٣٩٦	١١-٨	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ . . . نَارُ حَامِيَةٍ ﴾
١٠٤ - الهمة		
٢٦٢	١	﴿ وَيَلْلَٰكِلْ هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ ﴾
٢٦٤	٢	﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾
٢٦٥	٣	﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾
٢٦٦-٢٦٥	٤	﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾
٢٦٦	٥	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾
٢٦٨	٩-٨	﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾



فَهْرَسْتُ الْمُضَادِّ وَالْمُرَاجِعِ

ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

ابن عطية الأندلسي ، عبد الحق بن غالب ت ٥٤٢هـ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .

ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار العقيدة ، الإسكندرية ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

ابن هشام ، عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

أحمد مختار عمر ، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .



جواهر الدرر في علم القرآن الكريم

أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، علم الكتب القاهرة ، ط ٥ ،
١٩٩٨ .

الآلوسي ، روح المعاني ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ،
تحقيق: محمد أحمد الأمد ، وعمر عبد السلام السلامي ، ط ١ ،
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، تحقيق:
قاسم الشماعي الرفاعي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت .
البغوي ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود ، معالم
التنزيل في تفسير القرآن ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، دار
طبعة للنشر والتوزيع .

البيضاوي ، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل
وأسرار التأويل ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار
إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .

دروزة ، محمد عزت ، التفسير الحديث ، دار إحياء الكتب
العربية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

الرازي ، محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث
العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠هـ .

الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات
في غريب القرآن ، مكتبة نزار مصطفى الباز .

الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر
القاموس ، تحقيق: نواف الجراح ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ،
٢٠١١م .

الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: مصطفى عبد القادر



- عطا ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- الزمخشري** ، محمود جار الله ، أساس البلاغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- الزمخشري** ، محمود جار الله ، الكشف عن حقائق غوامض التّنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ .
- السمين الحلبي** ، أحمد بن يوسف ، الدرّ المصون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- السيوطي** ، جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م .
- الشّعراوي** ، محمد متولي ، تفسير الشعراوي ، شركة ميديا بروتك ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٥م .
- الشهاب الخفاجي** ، أحمد بن محمد بن عمر ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٦ ، ص ١١٩ .
- الشوكاني** ، محمد بن علي بن عبد الله ، فتح القدير ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
- الطبراني** ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الكبير ، تحقيق: حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- الطبري** ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المكتبة العصرية صيدا - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م .
- الطبري** ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،



جَوَاهِرُ الدَّرَكِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ الْقُرْآنِ

- تحقيق محمود شاكر أبو فهر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ٢ .
- طنطاوي** ، محمد سيد ، التفسير الوسيط ، دار السعادة ، القاهرة .
- الفرناطي** ، ابن الزبير ، البرهان في تناسب سور القرآن .
- فرهود** ، محمد السعدي ، لباب التفاسير ، المؤسسة العربية الحديثة ، ط ١ .
- الفيروزابادي** ، محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق: محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة .
- القرطبي** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ .
- القرطبي** ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: محمد رضوان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢١ .
- القيسي** ، مكي بن أبي طالب ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، جامعة الشارقة ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .
- محمد يونس** ، وصف اللغة العربية دلاليًا ، جامعة الفاتح ، طرابلس ، ١٩٩٣ .
- المدني** ، محمد محمد ، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٢م الموافق لـ ١٣٨٢هـ .
- مسلم** ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح ، دار الفكر ، بيروت .



النَّجَّار ، زغلول ، تفسير آلايات الكونية ، مكتبة الشروق
الدولية ، القاهرة.

* * *



الفهرست

٥	إهداء
٧	خطّة الكتاب
٩	المقدّمة
١٦	فحوى المقاربة التفسيرية الجديدة
	كشف ترتيب نزول سور القرآن الكريم في مكّة المكرّمة والمدينة المنورة
٢٦	جدول ترتيب السّور حسب النزول وفق ما جاء في الرواية السابقة
٢٨	المدخل: مَلَمَحُ التّجاذبِ اللفظي في السّورة القرآنية
٣١	المطلب الأول: رؤية في المصطلح
٣٤	مصطلح المصاحبات اللغوية
٣٤	مصطلح التّجاذب اللفظي
٣٧	المطلب الثاني: التّجاذب اللفظي للمادّة المعجميّة الواحدة
٣٧	المثال الأوّل: الجار والمجرور (على آثار)
٣٩	المثال الثاني: مادة (ردد)
٤٠	المثال الثالث: المصدر الموصوف (حِجْرًا محجورًا)



جَوَاهِرُ الدَّرَرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

- المثال الرابع : مادة الاستبشار ٤٣
- المثال الخامس : مادة (وفى) ٤٥
- المثال السادس : مادة (وزع) ٤٨
- المثال السابع : مادة الاستفزاز ٥٠
- المطلب الثالث : التجاذب اللفظي للمواد المعجمية المتقاربة .. ٥٣
- المثال الأول ٥٣
- الحلية ٥٤
- المترفون ٥٥
- رجل عظيم ٥٦
- أسورة/ أساوره ٥٧
- زخرف/ فضة ٥٩
- صحاف من ذهب ٦٠
- المثال الثاني : أسرة القصم والتفريق والإهلاك ٦٢
- المطلب الرابع : دور ملمح التجاذب في توجيه المتشابه
- اللفظي ٦٧
- المثال الأول : تنوع التعبير في مقولة إبليس ٦٧
- المثال الثاني : مادة (مزق) ٧٢

الفصل الأول

السُّور المتشابهة المطالع

- المبحث الأول : سُورُ الحمد (الفاتحة ، وفاطر ، والأنعام ، وسبأ ،
والكهف) ٧٩
- سورة فاطر تعريفُ ربِّ العالمين ٨١



- روابط سورة فاطر بأخواتها من سور الحمد ٨٦
- سورة الأنعام مفصلة لقضايا أم الكتاب ٩٨
- ارتباط سورة سبأ بما قبلها وما بعدها نزولاً من سور الحمد .. ١٠٩
- سورة الكهف مكملة لسورة الأنعام ١١٤
- المبحث الثاني: سورتا النساء والحج ١٢١
- المبحث الثالث: سور ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، المائدة، والحجرات،
والممتحنة ١٤٣
- ١ - التحذير من اتخاذ أعداء الله أولياء ١٤٤
- ٢ - التحذير من عداوة الكافرين من المشركين وأهل الكتاب .. ١٤٥
- ٣ - بسط الكفار أيديهم وأستهم بالسوء إلى المؤمنين ١٤٥
- ٤ - البراءة من الشرك وأهله ١٤٧
- ٥ - إلى الله وحده المصير ١٤٨
- ٦ - الله هو العزيز الحكيم ١٤٨
- ٧ - رحمة الله الواسعة ١٤٨
- ٨ - العدل أساس الملك ١٥٠
- ٩ - الحديث عن الظالمين ، وتوكيد وصفهم بالظلم
المهلك ١٥٠
- ١٠ - الله هو العليم الحكيم ١٥١
- ١١ - التذكير بعقد الإيمان ١٥١
- ١٢ - مناداة الذين آمنوا في السور الثلاث ١٥٢
- ١٣ - الوعد بالمغفرة والأجر العظيم ١٥٤



- ١٤ - أصناف البشر الذين عطلوا عقولهم فوصمهم البيان القرآني بأنهم لا يعقلون ١٥٥
- ١٥ - الأمر بتقوى الله ١٥٦
- ١٦ - العلم بما في السموات وما في الأرض ١٥٨
- المبحث الرابع: السور المُسَبَّحات، (الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى) ١٦١
- سورة الأعلى ١٦١
- سورة الإسراء ١٦٢
- ١ - الحضور المكثف لمادة التَّسْبِيح في مواضع منها ١٦٤
- الأسماء الحسنى ١٦٤
- ٢ - الأسماء الحسنى في المُسَبَّحات ١٦٥
- في سورة الإسراء ١٦٥
- الأسماء الحسنى في سورة الحديد ١٦٦
- سورة الحشر ١٦٦
- سورة التغابن ١٦٧
- ٣ - حديث الإسراء والحشر والصف والجمعة عن بعض أنبياء بني إسرائيل ١٦٨
- ٤ - إرسال الرسل ترى، وحديث سورتي الحديد والصف عن عيسى ابن مريم ١٦٩
- ٥ - حديث عن أهل الكتاب ١٦٩



- ٦ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ وَشَأْنُهَا مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٧٢
- القول الأول ١٧٢
- القول الثاني ١٧٢
- الرأي الثالث ١٧٤
- ترجيحٌ وموازنة ١٧٩
- ٧ - التعريف بالصادقين الحقيقيين ، والتصريح بأن اليهود ليسوا
من الصّديق في شيء ١٨١
- ٨ - العلاقة بين الواقعة والحديد ١٨٢
- ٩ - وصف الله تعالى بأنه على كل شيء قديرٌ ١٨٣
- ١٠ - وصفُ الله تعالى بأنه بكلّ شيءٍ عليم ١٨٣
- ١١ - خلق السماوات والأرض ١٨٤
- ١٢ - وصفه تعالى بأنه بصير بما يعملون ١٨٤
- ١٣ - العلم بذات الصّدور ١٨٤
- ١٤ - الحديث عن ضرورة الإيمان بالله ورسوله ١٨٥
- ١٥ - حديث سورتي الحديد والتغابن عن الإنفاق ١٨٥
- ١٦ - وصف الله بالرّحمة والرّأفة ١٨٦
- ١٧ - وصف الله تعالى بأنه خبير بكل ما تعملون ١٨٦
- ١٨ - التبشير بالجنّات التي تجري من تحتها الأنهار ١٨٧
- ١٩ - ذِكْرُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ١٨٧
- ٢٠ - حديثٌ عن المنافقين ١٨٨



- ٢١ - الحديث عن مصير أهل النار ١٨٨
- ٢٢ - حديث مستفيض عن الفاسقين ١٨٨
- ٢٣ - حديث عن فضل الله الذي يؤتيه من يشاء أربع مرات .. ١٨٩
- ٢٤ - التذييل بعبارة ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ١٩٠
- ٢٥ - وصفُ الله تبارك وتعالى ذاته العلية بأنه غنيٌ حميد... ١٩٠
- ٢٦ - البأس الشديد ١٩١
- ٢٧ - الدَّعوة إلى تقوى الله تعالى ١٩١
- ٢٨ - صف الله تعالى بالاسمين الكريمين: ﴿عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ... ١٩٢
- ٢٩ - التحذير من الشُّح ١٩٢
- ٣٠ - الحديث عن الكافرين بأنهم ذاقوا وبال الأمر ١٩٢
- ٣١ - نداء الله الذين آمنوا في المسبِّحات ١٩٣
- ٣٢ - حديث عن عالم الغيب والشهادة ١٩٤
- ٣٣ - عدم هداية الله الظالمين ١٩٤
- ٣٤ - تشابه الثَّوب اللُّغويِّ التَّعْبيري في صدر آية وختامها ... ١٩٥
- ٣٥ - تبشير المؤمنين في الإسراء والصَّف ١٩٥

المبحث الخامس: سورتا الفرقان والملك ، الروابط المضمونية

- واللفظية بين السورتين ١٩٧
- المَلَمَح الأول: شُبُه ورُدُّها ١٩٧
- المَلَمَح الثاني ٢٠٠
- المَلَمَح الثالث ٢٠١



- الملَمَحُ الرَّابِعُ ٢٠٢
- الملَمَحُ الخَامِسُ ٢٠٢
- المَلَامَحُ اللفظية والتعبيرية ٢٠٤
- ١ - سورة المُلْكِ مُكَمَّلَةٌ لسورة الفرقان ٢٠٥
- ٢ - تُرَى لماذا هذا الاستهلالُ المهيِّبُ المتشابهُ في هاتين السُّورَتَيْنِ؟ ٢٠٦
- ٣ - تشابهُه المَطلَعين ٢٠٧
- ٤ - صِفَةُ النَّذَارَةِ ٢٠٧
- ٥ - تَقْدِيرُ الخَلْقِ ٢٠٨
- ٦ - الله وحده هو الذي يملك الموت والحياة ٢٠٨
- ٧ - الله وحده الذي يملك النَّشُورَ ٢٠٩
- ٨ - إَعْدَادُ السَّعِيرِ للمَكْذِبِينَ والكَافِرِينَ ٢٠٩
- ٩ - إَعْدَادُ العَذَابِ الأَلِيمِ لأَصْحَابِهِ ٢١٠
- ١٠ - المَصْدَرَانِ: العُتُوُّ والنُّفُورُ ٢١١
- ١١ - أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابُ النَّارِ ٢١٢
- ١٢ - المَقَابِلَةُ بَيْنَ حَالِي السَّمَاءِ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ ٢١٢
- ١٣ - اسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ٢١٣
- ١٤ - تَعْطِيلُ الكَافِرِينَ لِأَسْمَاعِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ٢١٤
- ١٥ - حَدِيثُ السُّورَتَيْنِ عَنْ تَزْيِينِ السَّمَاءِ بِالسَّرُجِ وَالْمَصَابِيحِ ٢١٤
- ١٦ - ذِكْرُ الزَّفِيرِ وَالشَّهْقِ ٢١٥



- ١٧ - توظيف عدد من الأسماء الحسنى ٢١٦
- ١٨ - حديث عن الأقوام المكذّبين ٢١٧
- ١٩ - وصف إهلاك قوم لوط وتهديد للمشركين المخاطبين ... ٢١٧
- ٢٠ - مقابلة بين خطاب الله للرّسول ، وخطاب الرّسول لقومه ٢١٨
- ٢١ - حديث عن عباد الرّحمن في السّورتين ٢١٨
- ٢٢ - مقارنة بين نوعين من المشي ٢١٩
- ٢٣ - فواصل السّورتين ٢٢١
- جدول المقارنة بين الفرقان والملك ٢٢٢

المبحث السادس: سُور (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ) ، الأحزاب ، والطلاق ،

- والتّحريم ٢٢٩
- ١ - تشترك السور الثلاث في مناقشة محور الأسرة ٢٣٠
- ٢ - مناداة الرّسول بلقب النّبوة ٢٣١
- ٣ - أنواع المُطلّقات وعددهنّ ٢٣١
- ٤ - الحديث عن الأزواج التي أحلّ الله لنبيّه الزواج بهنّ ... ٢٣٢
- ٥ - الأمر بتقوى الله تعالى ٢٣٥
- ٦ - النّهي عن الإتيان بفاحشة مبينة ٢٣٦
- ٧ - الإيمان باليوم الآخر ٢٣٧
- ٨ - الذّكر الذي يُخرج الذين آمنوا من الظّلمات إلى النور ٢٣٨
- ٩ - الأمر بالتّوكلّ على الله ٢٣٨



- ١٠ - التَّقْوَى والتَّوْبَةُ النَّصُوح سَبِيلَانِ لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ ٢٣٩
- ١١ - الوَعْدُ بِالْجَنَّاتِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ٢٣٩
- ١٢ - قُدْرَةُ اللَّهِ الْمَطْلُوقَةُ ٢٣٩
- ١٣ - عِلْمُ اللَّهِ الْمَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ ٢٤٠
- ١٤ - تَأْكِيدُ مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ ٢٤٠
- ١٥ - اللَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢٤١
- ١٦ - التَّرْغِيبُ فِي التَّوْبَةِ ٢٤٢
- ١٧ - تَعْدَادُ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ٢٤٣
- ١٨ - الدَّعْوَةُ إِلَى جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ٢٤٤
- ١٩ - مَنَادَاةُ الَّذِينَ آمَنُوا ٢٤٥
- ٢٠ - عَدَمُ تَكْلِيفِ النَّفْسِ مَا لَا يُطَاقُ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى الْأَهْلِ .. ٢٤٦
- المَبْحَثُ السَّابِعُ: سورتَا الْقِيَامَةِ وَالْبَلَد ٢٤٩
- ١ - الْإِشْتِرَاكُ فِي صِيغَةِ الْقَسَمِ بِعِبَارَةِ ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ فِي بَدَايَةِ السُّورَتَيْنِ ٢٥٠
- ٢ - الْإِشْتِرَاكُ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْإِنْسَانِ ٢٥٢
- ٣ - التَّحَدُّثُ عَنْ حُسْبَانِ الْإِنْسَانِ وَظَنِّهِ ٢٥٣
- ٤ - حَدِيثُ السُّورَتَيْنِ عَنْ أَعْضَاءِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ ٢٥٥
- ٥ - حَدِيثُ السُّورَتَيْنِ عَنِ السَّعْدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ ٢٥٦
- المَبْحَثُ الثَّامِنُ: سورتَا الْمُطَفِّفِينَ وَالْهَمَزَةُ ٢٥٩
- بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ ٢٥٩



بِجَاهِ الذِّكْرِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ السُّورِ

بين يدي سورة الهمزة ٢٦٠

الرّوابط المضمونيّة واللفظيّة بين السّورتين ٢٦١

الفصل الثاني

السُّورُ المتشابهة الفواصل

المبحث الأوّل: سورتا الإسراء والفرقان ٢٧٥

المقارنة بين الإسراء والفرقان ٢٧٩

جدول إحصائي لفواصل سورتَي الإسراء والفرقان ٣٠٣

فواصل سورة الإسراء ٣٠٣

فواصل سورة الفرقان ٣٠٤

المبحث الثاني: سورتا الكهف والجنّ ٣٠٧

بين يدي سورة الكهف ٣٠٧

بين يدي سورة الجن ٣١١

المقارنة بين سورتَي الكهف والجن ٣١٢

فواصل سورة الكهف ٣٢٦

فواصل سورة الجن ٣٢٧

المبحث الثالث: سور (طه ، والنجم ، والأعلى ، والليل ،

والضحى) ٣٢٩

سورة طه ٣٢٩

سورة النّجم ٣٣٠

سورة الأعلى ٣٣١



- سورة الليل ٣٣٢
- سورة والضحي ٣٣٢
- الثوب اللفظي المشترك بين أسرة (طه) ٣٣٣

الفصل الثالث

السور المفتحة بأنساق تعبيرية متشابهة

المبحث الأول: سور ، (الصافات ، الذاريات ، والمرسلات ،

والنازعات) ٣٥٩

سورة الصافات ٣٥٩

سورة الذاريات ٣٦١

سورة المرسلات ٣٦٢

سورة النازعات ٣٦٣

تلتقي سورة الصافات والذاريات والمرسلات والنازعات في جملة

وجوه منها ٣٦٤

المبحث الثاني: سورتا القارعة والحاقة ٣٩٣

المبحث الثالث: أسرة سور ، الواقعة ، التكوير ، والانفطار ،

والانشقاق ، والزلزلة ٣٩٩

العلاقة بين سورتي الانفطار والانشقاق ٣٩٩

العلاقات بين أسرة الواقعة والتكوير والانفطار والانشقاق

والزلزلة ٤٠٢

الواقعة والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة ٤٠٥

جَاهِ الدَّرَجَاتِ فِي عِلْمِ مَقَارِنِ الشُّرَا



٤٨٤

٤٠٧		الخاتمة
٤١١		فهرس الآيات
٤٦٧		فهرس المصادر والمراجع
٤٧٣		المحتوى

* * *

الدكتور امحمد محمد صايي المستغامي، يحمل شهادة دكتوراه في اللغة العربية، في تخصص البلاغة العربية. تقلّب في عدد من الوظائف في ميدان التربية والتعليم في الجزائر، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة. يشغل الآن منصب الأمين العام لجمع اللغة العربية بالشارقة، وهو عضو اتحاد المجامع اللغوية والعلمية، وعضو بالمجلس العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية. مُعدّ ومقدّم برامج تلفزيونية مثل "البيان القرآني" في قناة المجد العلمية، وبرنامج "في رحاب سورة" في قناة الشارقة الفضائية. له عدة من المؤلفات منها: تصريف القول في القصص القرآني؛ دراسة مقارنة لقصة موسى عليه السلام، والخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، وكيف تصبح فصيح اللسان، ومفاتيح النجاح وسُنن السعادة: رؤية تأصيلية، وبلاغة النظم في لغة الجسم في القرآن الكريم، والأساور المرصعة في أسرار الأحرف المقطعة، وجواهر الدرر في علم مقارنات السور، وأخرى تحت الطبع.



يُمثّل هذا الكتاب رؤية تأصيلية لعلم مقارنات السور الذي يُعنى بإيضاح العلاقات والروابط المضمونية واللفظية بين مجموعات السور القرآنية التي أطلق عليها المؤلف عنوان "الأسر القرآنية". يتميز هذا الفرع العلمي من علوم القرآن بالبحث في الروابط الدقيقة، وبيان الهندسة اللفظية الموزعة في طيات السور المتشابهة المطالع، والسور المتشابهة الفواصل، والسور التي تبدأ بأنساق وأنماط تعبيرية متشابهة من غير أن تتحد مطالعها في المواد المعجمية المستعملة، وهو ميدان واسع فسيح يفتح أبواباً أمام الباحثين الأكاديميين وعشاق البيان القرآني لمزيد من التدبر في نصوص التنزيل، وتذوّق جماليات البناء المحكم للسور القرآنية. كما تجيب هذه المقاربة التفسيرية عن جملة من الأسئلة القرآنية الخالدة، وتساعد في توجيه كثير من آيات التشابه اللفظي، وتثبت بما لا يدع مجالاً للشك جانباً من أسرار المجموعات القرآنية التي تتشابه مطالعها مثل أسرة سور الحمد، وسور المسبّحات، وأسرة تبارك وغيرها، وجوانب أخرى من العلاقات بين السور المتشابهة الأنساق في مطالعها مثل أسرة الصافات والذاريات والمرسلات وأخواتها.



ISBN 978-614-415-285-0



9 786144 152850



www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com